

الأكاديمية العربية الدولية



الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية المقررات الجامعية

المدخل
ف
فن التحرير الصحفي

تأليف

دكتور عبد اللطيف حمزة

الطبعة الرابعة مزيده ومنقحة

مكتبة الطبع والنشر
دار الفكر العربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَفَرَأَى ۝
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

هذا الكتاب

(١)

كنا قبل اليوم حين نتحدث في دروس الأدب عن النثر نقول إنه نوعان :
أولهما - النثر العادى أو لغة التخاطب ، وهو النثر الذى نصطنعه
فى حياتنا اليومية ، وليس هذا النثر أدباً ولا ينبغى له أن يكون منه فى شىء .

وثانيهما - النثر الفنى ، وهو النثر الذى تتجاوز به لغة التخاطب العادية
إلى حيث يتوفر فيه شرطان أساسيان هما : التفكير من جهة ، والجمال من
جهة ثانية ، وهذا النوع الأخير يعتبر أدباً ، ولا يشك أحد فى أنه جزء منه .
كنا قديماً نقسم النثر فى دروس الأدب هذا التقسيم . أما الآن - ومنذ
ظهور الصحافة - فنحن مضطرون إلى أن نقسم النثر أقساماً ثلاثة هى :

النثر العادى ، أو لغة التخاطب .

والنثر الفنى ، أو لغة الأدب .

والنثر العملى ، أو لغة الصحافة .

وهذا النثر الأخير يقف فى منتصف الطريق بين النوعين المتقدمين ؛
له من الأول عاديته وألفته وسهولته وشعبيته ، وله من الثانى حظه من
التفكير ، وحظه كذلك من عذوبة التعبير ، ولكن لا يشترط فيه دائماً أن
يسمو بتعبيره إلى مرتبة النثر الفنى الخالص - نقول : لا يشترط دائماً فيه
ذلك ، لأن سمو النثر العملى أو الصحفى إلى مرتبة النثر الفنى أو الأدبى ليس
من الأمور المحظورة على الصحافة ، بل كثيراً ما نرى بعض المواد التى
تنشرها الصحيفة تتطلب هذا المستوى الرفيع من جمال التعبير ، كما سنوضح
ذلك فى غير هذا الموضع من الكتاب إن شاء الله .

من أجل ذلك يصف الأوروبيون الصحافة بأنها « الأدب العاجل »
وبأنها « أدب غير خالد » ، ذلك بأنها أدب وقى ، والمحرر الصحفي لا ينفق
فيها من الجهد ما ينفقه الأديب .

(٢)

نحن نعلم أن المشتغلين بالصحافة كانوا دائماً - وإلى عهد قريب -
من رجال الأدب ، ليس ذلك في مصر وحدها ، ولكن فيها وفي غيرها
من الأمم ، وكان لذلك أثره في اللغة نفسها ، فقد كان الصحفيون قديماً
لا يعرفون كيف يفرقون بين اللغة التي تستخدم في الصحافة واللغة التي
تستخدم في الأدب ، ثم سرعان ما أصبحت الصحافة حرفة من الحرف .
ومنذ ذلك الوقت فقط أخذت الصحافة تنفصل شيئاً فشيئاً عن الأدب ،
وصارت فناً قائماً بذاته له لغته المستقلة ، وصار لهذا الفن الجديد - وهو
فن التحرير الصحفي - أصول وقواعد ، وتفرع هذا الفن الجديد أيضاً
إلى فروع وشعب .

ونحن نعلم أن للصحافة فنوناً ثلاثة على وجه الإجمال وهي :

أولاً - فن التحرير ، وهو الموضوع الذي تناولناه في هذا الكتاب .

ثانياً - فن الإخراج ، وهو الفن المتصل بالورق والمداد والطباعة
والصور والألوان ، وتسيق الصفحات ، وكتابة العناوين صغیرها
وكبيرها ، وباختصار - هو الفن الذي يحاول به مخرج الصحيفة أن يجعل
منها تحفة فنية جميلة يتسابق القراء إلى اقتنائها والانتفاع بها .

ثالثاً - فن إدارة الصحيفة ، وهو فن يتصل بالترويج والتوزيع
والإعلان ، وغيره من الأمور التي تدر الربح على الجريدة .

تلك هي الفنون الثلاثة للصحافة . وقد رأينا - أو على الأصح - رأى
(قسم التحرير والترجمة والصحافة) بكلية الآداب أن يبدأ التأليف في الفن
الأول ، وهو « التحرير » ، وعزم القسم بمشيئة الله أن يواصل البحث

في هذا الفن وفي الفنانين الآخرين ، وفي سبيل هذه الغاية سيتعاون الأساتذة في هذا القسم من أقسام الجامعة ، ومنهم الخريجون الذين يريدون الحصول على الدكتوراه في الصحافة . ولن يمضى وقت طويل - بإذن الله - حتى تزخر المكتبة العربية بالبحوث العلمية والفنية التي تتقدم بها الفنون الصحفية كلها خطوات إلى الأمام .

(٣)

ولكن ما هي أقسام التحرير الصحفي من حيث هو ؟
هنا يختلف العلماء فيما بينهم اختلافاً بعيد المدى ، ومصدر اختلافهم هو الأساس الذي يبنون عليه تقاسيمهم المختلفة على هذا النحو :
فن العلماء من يقسمون التحرير الصحفي على أساس الموضوع : فتحرير خاص بالسياسة ، وتحرير خاص بالعلوم ، وثالث خاص بالاجتماع ، ورابع بالتعليم ، وخامس بالمرأة ، وسادس ، وسابع ، وثامن بالسينما والمسرح والرياضة والكتب والزراعة الخ ، وعلى الصحف - في رأى هؤلاء - أن تخصص صفحة لكل موضوع من الموضوعات السابقة على حدة .
ومن العلماء من يميلون إلى تقسيم التحرير الصحفي إلى فنون من حيث الزاوية التي ينظر منها المحرر إلى هذه الفنون . فهناك الزاوية التاريخية ، وهناك الزاوية النقدية ، وهناك الزاوية التي تتصل بالخبرات الخاصة الخ .
ومن العلماء من يفضلون تقسيم التحرير الصحفي على أساس الأشكال المختلفة لهذا التحرير . فن أشكال التحرير الصحفي - كما هو معروف - المقال ، ومنها العمود ، ثم الحديث ، والتحقيق ، والأخبار المسرودة ، والأخبار التي على شكل قصص ، والأخبار التي على شكل طرائف خفيفة يقصد بها إلى التسلية والإمتاع ، ويسمى بالإنجليز والأمريكيون « Features » وكثيراً ما تتصل هذه الطرائف بموضوع من الموضوعات الإنسانية التي يميل إليها القراء ، ثم من أشكال التحرير الصحفي أيضاً الماخرات على

اختلافها من برلمانية إلى قضائية إلى دولية وهكذا .
وهذا التقسيم الأخير هو الذى أخذنا به فى هذا البحث .
ومن هنا يتضح لنا منذ بداية الأمر كيف تتداخل فنون التحرير
بعضها فى بعض ، وكيف يصعب التمييز بينها تمييزاً لا يقبل الشك ، وسنعود
إلى الحديث عن هذه المشكلة فى بداية الكتاب الرابع من كتب هذا البحث .

(٤)

على أن الفن الصحفى فى ذاته من أشد الفنون كلها قبولاً للتطور ؛ ذلك
لأنه من أشدها اتصالاً بالحياة الإنسانية والنشاط الإنسانى ، وهذا النشاط
فى تغير مستمر ، لا تستطيع الحياة البشرية معه أن تثبت على حالة واحدة .
فرب كتاب يؤلف فى (الفن الصحفى) هذا العام يصبح شيئاً قديماً
فى ذاته بعد أعوام .

غير أن ذلك لا يصح أن يمنع العلماء من القيام بالتأليف فى هذا الميدان
فإن كل بحث من هذه الأبحاث — فضلاً عن أنه يرشد إلى أصول هذا
الفن وقواعده — يحمل فى طياته العمر الزمنى لهذا الفن ، أو الدرجة التى
بلغها فى فترة بعينها من حياة أمة من الأمم .

وتلك أسباب من شأنها أن تجعلنا نقدم هذا البحث إلى القراء وإلى
العلماء منهم بنوع خاص — فى شيء كثير من التواضع أولاً — ومن
الاعتراف بالواقع التاريخى ثانياً ، ومن التقدير الدقيق للفرق بيننا وبين
الأمم التى سبقتنا إلى التأليف فى هذا الفن آخر الأمر .

وحسب هذا البحث أنه يعتبر من أول ما كتب باللغة العربية فى الفن
الصحفى بمصر .

وأملنا كبير فى أن تأتى بعدنا أجيال من الباحثين يتابعون التقدم الذى
تصديه الصحافة العالمية أو الصحافة الإقليمية من حين إلى حين ، ويرسمون
الطريق القويم الذى تنفذ منه الصحافة إلى المثل الأعلى الذى يطمع فيه الجميع .

وهنا يسرني أن أستطرد إلى ذكر طرف يسير من رسالة « قسم التحرير والترجمة والصحافة » بجامعة القاهرة ، وهو القسم الذي أنشئ في مصر منذ عام ١٩٥٤ فقط ، وإن كان قد سبقه إلى الوجود « معهد التحرير والترجمة والصحافة » بالجامعة منذ سنة ١٩٤٠ ، وكان لا يقبل في ذلك المعهد غير الطلبة الذين أتموا دروسهم في كليات الجامعة على اختلافها ، على حين أن القسم أصبح يقبل فيه الطلبة الحاصلون على شهادة إتمام الدراسة الثانوية .

(٥)

إن رسالة « قسم التحرير والترجمة والصحافة » بالجامعة يمكن أن تتلخص في العبارة الآتية وهي :

« رفع المستوى العلمي والفني والخلقي لجميع المشتغلين بمهنة الصحافة في مصر ، والعمل على إثبات الشخصية المصرية لصحافتنا القومية في جميع المراحل التاريخية التي مرت بها إلى اليوم » .

(فأما المستوى العلمي) أو الثقافي فبيني عندنا على أساس من الفهم الصحيح لمهمة الصحافة الحديثة . وتنحصر هذه المهمة في تنوير « رجل الشارع » ، وتزويده بالثقافات التي يفهم بها المجتمع ، كما يفهم بها الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تراد به في هذا المجتمع ، وذلك مادامت الحكومات الحديثة على اختلاف أشكالها تعتمد على « رجل الشارع » في إقناع الأمة بهذه الأوضاع ، أو في إشراكها إشراكاً فعلياً في رسم هذه الأوضاع . والصحافة الحديثة هي المسئولة في الحال والاستقبال عن إفهام المواطنين معنى صحيحاً لكلمة « الوطنية » بحيث تصبح مرادفة في أذهانهم لكلمات « الضمير الحي » ، « وتقدير المسؤولية » .

والصحافة الحديثة هي المسئولة في الحال والاستقبال عن إشراك المواطنين في كل حركة يراد بها نقلهم من طور إلى طور ، ومن حالة إلى حالة ، ومن مستوى مادي أو معنوي إلى مستوى أعلى منه .

ولن يتيسر للصحافة الحديثة شيء من ذلك حتى تزود «رجل الشارع» بقدر من المعلومات يفهم به التيارات أو المذاهب السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية والفكرية .

ومعنى ذلك باختصار أن مهمة الصحافة الحديثة ليست مجرد سرد الأخبار مهما غلب عليها الطابع الإنساني ، ولكن سردها والتعليق عليها ، وشرحها «رجل الشارع» ، شرحاً يبصره دائماً بما يجرى حوله الآن ، وما سيجرى حوله في المستقبل .

ومن هنا تتضح ضرورة الهدف الأول من أهداف «قسم التحرير والترجمة والصحافة» ، وهو الهدف العلمي أو الثقافي كما يتضح السبب الذي من أجله ينظر بعناية خاصة إلى موضوع «ثقافة الصحفي» .

(٦)

وأما (المستوى الفني) فبني عندنا كذلك على أساس من الفهم الصحيح للصحافة باعتبارها فناً من الفنون الحديثة . وإذا قلنا (الفن) فنحن نعني الموهبة والاستعداد من جهة ، كما نعني التدريب والممارسة من جهة ثانية . ذلك أن من الناس من هو موهوب بالطبيعة : موهوب في الموسيقى ، أو موهوب في الأدب ، أو موهوب في الصحافة ، وهكذا . وهؤلاء الموهوبون من حقهم على الدولة دائماً أن تعينهم على الظهور في المجتمع ؛ كان تيسر لهم سبيل الدخول في المعاهد الخاصة ، وتنفق عليهم بسخاء في هذه الناحية ، وتمنحهم أعظم الفرص الممكنة لإظهار المواهب التي خصهم الله بها .

والفرق كبير - على أية حال - بين موهوب حرم حظاً من التعليم ، وآخر نال حظاً أو حظوظاً من التعليم . وتطبيق ذلك على الصحافة واضح كل الوضوح ؛ فهناك طرق خاصة لتحرير الخبر الداخلي ، وهناك طرق خاصة لكتابة العمود أو المقال الصحفي ، وهناك طرق خاصة لكتابة

الحديث أو التحقيق ، ونحو ذلك . وليس شك في أن وقوف المحترفين للصحافة - حتى الموهوبين منهم - على هذه القواعد والأصول يمدهم بطائفة من التجارب الكثيرة من جانب ، ويشحذ عقولهم ومواهبهم للوصول إلى طرق أخرى جديدة من جانب آخر ، وقل مثل ذلك بالقياس إلى الفنون الصحفية الأخرى - عدائهن التحرير - كفن الإخراج ، وفن الإعلان ، وفن التوزيع ، وفن الدعاية . . الخ .

ومن هنا تتضح ضرورة الهدف الثاني من أهداف الجامعة ؛ وهو الهدف الفني ، وفيه تعتمد الجامعة على إمكانياتها الخاصة أولاً ، وعلى المعونة التي تقدمها الصحف الكبرى لتدريب الطلبة والطالبات في دورها بعد ذلك .

(٧)

أما (الهدف الخلقى) فبني عندنا كذلك على أساس من الفهم السليم لظاهرة في منتهى البساطة وخلاصة هذه للظاهرة أن الصحيفة (كالخبز واللبن واللحم والخضر والفاكهة) من المواد التي تدخل البيت كل صباح ومساء ، فينبغي إذن أن تكون على جانب كبير من النظافة والنقاء ، بمعنى أن تكون نقية من الجراثيم التي تجلب الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة . ومعنى ذلك أن على الحكومات - كما على الشعوب - أن تساعد على وقاية صحفها من الأفكار السامة ، والآراء الخبيثة ، والنظريات الهدامة ، والصور المريضة أو الضارة بوضع من أوضاع المجتمع ، سواء اتصل هذا الوضع بالدين ، أم بالأخلاق ، أم بالمفهوم العام لكلمة « الوطنية » ، أو الحرية ، أو المسئولية ، الخ ، أما الصحافة الصفراء التي لا هم لها إلا إثارة الجمهور - لا قصد غير ابتزاز الأموال واللعب بغرائز النساء والرجال - فصحافة ضررها أكثر من نفعها ، بل عديمها خير من وجودها .

هل من الخدق الصحفي - مثلاً - أن يعتمد الخبير الصحفي إلى سرقة التقارير من رجال الحكومة والأعمال ، مهما كان الدافع إلى هذه السرقة :

من ادعاء خدمة مصلحة من مصالح الوطن العليا ، أو الكشف عن سر من أسرار مؤامرة كبرى ؟ نظن لا !

هل من صالح الجريدة الشعبية أو من صالح القراء أنفسهم أن تسعى الصحف في نشر الجريمة ، وأن تجعل الغرض من نشرها التشهير بالأسر المعروفة ، أو النيل من الشخصيات المرموقة ، أو المبالغة في وصف الطرق التي اتبعت في تنفيذ الجريمة ؟ نظن لا !

إننا نسكتفي بهذين المثالين ، ونوضح للقارئ موقف « قسم الصحافة » من كل منهما على حدة ، ونربط حكمه هنا بهذا الهدف الثالث من أهدافه ، وهو الهدف الخلقى .

أما سرقة الخبز مهما كان الدافع إليها فإننا نرى أن ذلك إن أصاب الغرض مرة فإنه يخطيء هذا الغرض مرات ، وإذ ذاك تنحط قيمة الخبز الصحفى في نظر المجتمع ، وتفقد الصحيفة ثقة الجمهور والحكومة في وقت ما . وفي شتى الوسائل التي يدرسها الطلبة للوصول إلى الخبز ما يغني عن ارتكاب السرقة . ومن هذه الوسائل — على سبيل المثال — الصداقة التي ينبغي أن يندسها الخبز دائماً مع الناس على اختلاف الدرجات والطبقات ، ومنها الإيهام بالعلم ، بمعنى أن الخبز يستطيع بلباقته أن يوهم مصدر الخبر بأنه على علم به .

وعن طريق الصداقة يستطيع المخبر الناجح أن يدرس نفسية الرجل أو المرأة التي هي مصدر الخبز ، وله أن يبني العلاقة بينه وبينهما على المجاملات والهدايا والطرائف ، وإشباع الهوايات الخاصة التي يكشف عنها الخبز في الشخصية التي هي « مصدر الخبز » ، وهذا وذاك من الأمور الجائزة ، بل المستحسنة عند رجال الصحف ، ولها جزء من ميزانيتها في أغلب الأحيان .

وأما نشر الجريمة على أساس من التشهير والتشجيع والفضيحة والمبالغة — فشيء لا نقره مطلقاً ، بل نرى فيه دليلاً على انحطاط مستوى الشعب ومستوى

الجريدة معاً . وكما قال أحد أساتذة الصحافة في الجامعات الأمريكية لطلبته كلما دخل حجرة البحث أو المحاضرة : « انشروا الخبر - أيها الطلبة - دائماً بالطريقة التي تستطيعون أن تقرءوه بها على آباءكم وأمهاتكم وأخوانكم في منازلكم الخاصة » ، ومعنى ذلك إذن أنك حين تنشر الخبر وترى فيه كلمة نابية ، أو عبارة مقذعة ، أو أسلوباً يخدش الشرف ، وتحس أنك غير قادر على أن تقرأ ذلك على أيك أو أمك أو أختك في منزلك ؛ فن المروءة والشرف في هذه الحالة أن تحذف هذه العبارة وتأتي بأخرى غيرها قد تؤدي معناها على وجه التقريب . ولكن ليس من المروءة والشرف أن تخفى وراء الكلمة المطبوعة وتركها تنفث السموم القاتلة في البيت والطريق والنادى والمقهى الخ .

وقد ذكرتى كلمة الأستاذ الجامعي المتقدمة بما كان يفعله الأدباء المصريون في القرنين السادس والسابع للهجرة ، ففي تلك الفترة من فترات الأدب المصري اخترع النقاد المصريون فنوناً كثيرة من البديع منها فن أطلقوا عليه اسم « النزاهة » ، وقالوا في تعريفه يومئذ :

« النزاهة هي أن ينزه الكاتب أو الشاعر نفسه عن ألفاظ الفحش والبذاءة ، حتى يكون الهجاء - كما قال أبو عمرو بن العلاء - تشده العذراء في خدرها فلا يقبح عليها » .

أليس معنى ذلك أن « النزاهة » صفة من صفات الأدب المصري منذ العصور الوسطى إلى اليوم ؟

أليس معنى ذلك أن « النزاهة » ، طابع يمتاز به الشخصية المصرية في الأدب منذ ذلك العهد ؟

أليس معنى ذلك أن القيم الإنسانية نفسها خالدة مخلود النفس البشرية ذاتها ، وأن في بقائها ما ينذر الأشرار من الكتاب والأدباء بالويل ؟

إننا نرجو حين نؤرخ للصحافة المصرية دائماً أن نجد لها هذا الطابع الذي امتاز به الأدب المصري منذ عصوره الأولى ، وإذ ذلك نطمئن إلى

أن الصحافة - التي هي بلبت الأدب - ستحافظ دائماً على الطابع الذي يمتاز به هذا الأدب ، وإذ ذاك أيضاً نفخر بأن الصحافة المصرية ستحمي على الدوام ظهر الشخصية المصرية ، وتمكنها من النماء والقدرة على مغالبة الزمن.

(٨)

(وبعد) فهذا البحث الذي بين يديك مؤلف من مقدمة وأربعة كتب وخاتمة ، أما (المقدمة) فهي ما فرغت الآن من قراءته .

وأما الكتاب الأول فموضوعه الرأي العام وتعريفه ، والفرق بينه وبين الاتجاه العام والسخط العام ، والحدود التي يلغى أن تحد الرأي العام في ذاته ، ثم كلمة عن تطور الرأي العام في مصر .

وأما (الكتاب الثاني) فموضوعه (فن الخبر) تحدثت فيه عن تعريف الخبر ، وطرق صياغته ، والمذاهب المختلفة في نشره ، ولغة كتابته ، وعلاقته بالمجتمع .

وأما (الكتاب الثالث) فموضوعه (فن المقال) تحدثت فيه عن تعريفه وأنواعه الثلاثة التي هي : المقال الأدبي ، والمقال العلمي ، والمقال الصحفي ، وعن الحيل الصحفية التي تتبع في التحرير في أوقات الأزمات والظروف السياسية الشاذة ، وهي الظروف التي تفرض فيها الرقابة فرضاً شديداً على الصحف .

وأما (الكتاب الرابع) فموضوعه (فن التقرير) ونعني به فن الحديث الصحفي ، وفن التحقيق الصحفي ، وفن الماكريات : قضائية كانت أم برلمانية أم دبلوماسية أم دولية ، وخصائص كل منها .

وفي (الخاتمة) تحدثت حديثاً عاماً عن (مستقبل التحرير في مصر) .
واقه أسأل أن ينفع به طلبة العلم ، ومحترفي الصحافة في مصر والشرق لأنه سميع مجيب ؟

دكتور

عبد اللطيف حمزة

مصر الجديدة في نوفمبر ١٩٥٦

الكتاب الأول
الرأي العام

الرأى العام

(١)

الصحافة والرأى العام :

« الصحافة حارس الأمة الأمين ،

« فن الذى يعلم الوطنى حقوقه . ؟ من الذى يرشده إلى واجباته ؟ من الذى يكون له عوناً فى المعترك الذى يلقى بنفسه فيه ، ومن الذى يدرأ عنه عادية كل من أراد به سوءاً ؟ »

« هى الصحافة وهى وحدها دون غيرها على الدرام . »

« وإذ لم يكن هناك صحافة أصبحت الشجاعة الأدبية أمراً من الأمور الشاذة ، بل أصبحت فى حكم المستحيل ؛ وكذلك شأن الشجاعة الحربية ، فإن الجندى لا يرمى نفسه فوق الخطر ، ولا يقدم على المهالك ، إلا عند ما ترمقه أعين زملائه ، ويشجعه صوت الطبول ورائحة البارود . »

« ولأجل أن يتسكون الرأى العام ، وتتوطد دعائمه ، يجب أن يوجد ذلك الصوت القوى العظيم — صوت الأمة — الذى يعطى كل ذى حق حقه ، فيثنى فى كل يوم على العاملين ، ويؤنب المقصرين ، ويذكر الناس بالمنافع العامة المشتركة ، وبالمبادئ الاجتماعية ، ويوازن بقوته كل حق من حقوق الأفراد (١) . »

ويقول الأستاذ هارولد لاسكى فى كتابه « محنة الديمقراطية (٢) » :

« إن القدرة على توجيه الأخبار وجهة معينة هى نفسها القدرة على حرمان القراء من أن تصل إليهم المادة التى يستطيعون بها أن يكونوا لأنفسهم رأياً فى كل مشكلة ، وإن من يوازن بين الطريقة التى عاجلت بها الصحافة البريطانية موضوع نزع السلاح فى وقت انعقاد مؤتمر جنيف عام ١٩٣٢

(١) الأخبار عدد (٢٩٥٠) بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٢١ .

(٢) الأستاذ هارولد لاسكى فى كتابه « محنة الديمقراطية » ص ٧٤ .

والطريقة التي عاجلت بها تلك الصحافة أخبار السلوك الجنسي عند رجال الدين الانجليز في الفترة نفسها ليشهد أن الصحافة البريطانية أولت كل اهتمامها للموضوع الأخير بقصد إهمال الموضوع الأول على الرغم من أنه خطير . وهنا لا يجد القارىء صعوبة ما في اكتشاف الطريقة التي يتكون بها الرأى العام في بلد من بلاد الديمقراطيات الرأسمالية كإنجلترا

الحق أن الصحافة مرآة الأمة ، ولسانها الناطق بأفكارها وآرائها ورغباتها وحاجاتها ، وآلامها وآمالها ، ومن هنا جاءت قوتها ، وقد أطلق الناس عليها اسم « السلطة الرابعة » - أى أنها رابعة السلطات الثلاث المعروفة ، التي هي السلطة التشريعية ، والسلطة القضائية ، والسلطة التنفيذية . وطريق الصحافة إلى كل ذلك هو التحرير - أعنى تحرير الخبر أو المقال ، وهما مادتا الصحف على اختلاف ألوانها ونوعاتها .

ولتكوين الرأى العام في ذاته وسيلتان هامتان هما :

الكلمة المطبوعة ، والكلمة المسموعة . ولكل من هاتين الوسيلتين مجالات تظهر فيها :

فالكلمة المطبوعة تظهر في الصحيفة وفي المجلة ، وهما مدرستا الشعب وصاحبنا الفضل الأول فيما يصيبه من تطورات سياسية واجتماعية واقتصادية . كما تظهر الكلمة المطبوعة في الكتاب ، وفي اللافتات ، وفي ا. قات وفي شتى ضروب الإعلان .

وتظهر الكلمة المطبوعة أيضاً في أجهزة استقبال الأخبار Tickers ، وهي الأجهزة التي تقوم عليها وكالات الأنباء ، وعلى هذه الأخيرة تعتمد الصحف في حصولها على الأخبار الهامة وغير الهامة هنا وهناك .

أما الكلمة المسموعة فتظهر في الراديو والتلفزيون ، وهما آلة الدهماء في أغلب الأحيان ، لأن الخاصة ليس لديها من الوقت ما تنفقه في الجلوس إليهما واستيعاب الجزء الأكبر من منهج كل منهما اليومي .

وكما تظهر الكلمة المسموعة في السينما، والمسرح، والمدرسة، والجامعة، تظهر أيضاً في المحادثات الخاصة بين الأصدقاء، سواء أكانت هذه المحادثات في المنزل، أم في الطريق، أم في النادي، أم في المركبات العامة. وسواء أكانت همساً، أم نجوى، أم كانت على شكل شائعة، أم اغتياباً، ونحو ذلك.

على أن الوسيلة الأولى منهما هي التي تعيننا في هذا البحث. وهذه الوسيلة هي الكلمة المطبوعة، والعجيب حقاً أن يكون للكلمة المطبوعة كل هذا التأثير القوي في النفوس، أو هذا السلطان الكبير على القول، ومن هنا أصبح الرأي العام عن طريق الكلمة المطبوعة قوة عظيمة لا يمكن أن تقارم؛ فقد تعرض الجيوش نفسها للهزائم، أما الصحف وما تحمله للناس من قوة الرأي العام فقلما تتعرض لذلك، وقلما تستطيع الحكومات نفسها أن تؤثر في الصحافة إلا بطريق الإلغاء أو التعطيل.

والتاريخ حافل بالأمثلة العديدة التي تدل على قوة الرأي العام الآتي من طريق الكلمة المطبوعة في الصحيفة.

فلقد قبضت السلطات الإنجليزية على (عراي)، وعزمت على التنكيل به، وبأصحابه، ثم ظهرت جريدة التيمس معلنة أن عراي سيحاكم محاكمة زبينة، وسيعامل معاملة إنسانية مستقيمة، فاضطرت الحكومة الإنجليزية أمام هذا التصريح أن تعدل من خطتها، وترجع عما عزمت عليه (١).

وأما الآن — ونحن نكتب هذا الكتاب — مثل حي من التاريخ المصري الذي نعيش فيه، وهذا المثل هو تأميم قناة السويس، فنذ أعلنت الحكومة المصرية هذا التأميم في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ هاج (المسترايدن) رئيس الوزارة البريطانية، وأراد أن يعلن الحرب على مصر، ولكن الرأي العام في العالم كله — وفي إنجلترا نفسها — كان لا يريد الحرب في ذلك الظرف.

(١) التاريخ السري لاحتلال الإنجليز لمصر، مؤلفه المستر بلانت، انظر الترجمة العربية للكتاب ص ٣١١ — ٣٢١.

غير أن (إيدن) ومعه (موليه) رئيس الوزارة الفرنسية ، و (بن جوربون) رئيس الوزارة الإسرائيلية ، دبروا أمرهم بليل ، واتفقوا في مؤامرة تجاهلوا فيها الرأي العام ، وتغفلوا هذا الرأي ، واعتدوا جميعاً على مصر . واستنكر الرأي العالمي هذا الاعتداء ، ولولا هذا الاستنكار الصارخ ، ولولا مقاومة الشعب المصرى الباسل ، ولولا الإنذار الروسى للحكومات الثلاث التى اعتدت على مصر ، لمشبت الحرب العالمية الثالثة ، ولأصبح مركز هذه الحرب منطقة الشرق الأوسط ، ولا يدري إلا الله نتيجة ذلك على الحضارة الإنسانية والشعوب الشرقية والغربية .

(٢)

تعريف الرأي العام :

من أجل هذا وجب علينا أولاً أن نعرف المقصود تماماً بكلمة الرأي العام عند إطلاقها ، ما دامت الصلة وثيقة بينه وبين الصحافة على هذا النحو : عرفه الأستاذ « كلاريد كنج » ، فى مقدمة كتابه « قرارات فى الرأي العام » ، فقال :

« إنه الحكم الذى تصل إليه الجماعة فى مسألة ذات بال ، وذلك بعد مناقشات علنية ، ومستوفاة » .

وعرفه الأستاذ « جيمس برايس » ، فى كتابه « الديمقراطيات الحديثة » ، فقال :

« إنه اصطلاح يستخدم للتعبير عن مجموع الآراء التى يدين بها الناس بإزاء المسائل التى تؤثر فى مصالحهم العامة ، والخاصة » .

وعرفه الأستاذ « ألبورت Alport » ، فقال :

« إنه تعبير صدر عن مجموعة كبيرة من الناس عما يرونه فى مسألة ما ، أو اقتراح واسع النطاق ، بحيث يمكن استدعاؤهم لهذا التعبير - سواء أكانوا

مؤيدين للفكرة أم معارضين لها ، وبحيث تكون نسبتهم العددية كافية لإحداث تأثير ما بطريق مباشر ، أو غير مباشر . .

وعرفه الأستاذ (ألبج) Albig فقال :

، إنه ثمرة تفاعل الأفكار في أي وضع من أوضاع الجماعة التي تصدر عنها هذه الأفكار . .

فهذه تعريفات أربعة من عشرات التعريفات التي صدرت عن علماء النفس والاجتماع والصحافة ، وكلها توضح الدور الخطير الذي يلعبه الرأي العام في حياة الأفراد والمجتمعات ، وإن كان بعضها يقلل إلى حد ما من أهمية الدور الذي يقوم به أفراد قليلون في الأمة ، هم المجددون ذوو الأفكار التقدمية فيها ، فبمقدار ما تكون أفكارهم جديدة على المجتمع يكون الأمل قليلا في نجاحهم أول الأمر ، إلا أنهم إذ يوطنون أنفسهم على الكفاح والصبر ، يستطيعون النجاح في نهاية الشوط .

ولكن ماذا يؤخذ من التعريفات السابقة على وجه الإجمال فوق ما ذكرناه حتى الآن ؟ يؤخذ منها ما يلي :

أولا - أن الرأي العام هو الاتجاه الذي تتخذه الجماعة في مسألة بعينها بعد بحث هذه المسألة من جميع وجوها بحثاً علنياً بطريق الصحافة أو بطريق الخطابة أو بطريق الإذاعة أو بغير ذلك من وسائل الإعلام .

ثانياً - أن الرأي العام بالمعنى الصحيح لهذه المشكلة لا يشترط فيه أن يكون رد فعل للتقاليد والعادات التي عليها الأمة ، وإنما هو نتيجة تفكير سليم في المصلحة التي تعود على المجموع ، أو هو محاولة في بعض الأحيان للتوفيق بين هذه المصلحة من جهة ، وبمجموعة التقاليد والعادات التي عليها الأمة من جهة ثانية ، بل إنه إذا أريد التحرر أحياناً من سلطان العادات والتقاليد ، فإنه لا سبيل للمجتمع في هذه الحالة إلا بالرأي العام ، لأنه وحده القادر على إحداث التحرر الذي تطلبه المجموعة التي تصبو إلى التحرر .

ثالثاً : أن الرأي العام استناداً إلى النقطة السابقة لا ينبغي أن يكون ثمرة اندفاع عاطفي في المجتمع ، ولا ينبغي أن يكون نتيجة لتغلب طائفة بعينها ذات مصلحة خاصة من طوائف المجتمع . وليس من الضروري - كما قلنا - أن يكون مرتبطاً كل الارتباط بميراث الأمة من تقاليد وعادات ونحوهما .

ولنضرب المثل هنا بالحركة التي قام بها المرحوم قاسم أمين باسم تحرير (المرأة) ، فقد كان المصريون في القرن الماضي لا يعرفون بالسفور ، ولا بحق المرأة في الاشتغال بالأعمال العامة ، ولا بحق المرأة حتى في التعليم . فجاء قاسم أمين وأخذ يدشر مقالاته التحريرية في جريدة « المؤيد » ، وهاج الرأي العام في مصر ، وتضاربت الآراء في هذا الشأن ، وتعرض الكاتب نفسه لكثير من السخط والسخرية من جانب الشعب ، وأخيراً وبعد لأي أمكن لهذا الرأي أن يؤثر في نفوس الكثرة من المصريين الذين آمنوا بحق المرأة في السفور وفي التعليم . وهكذا استطاعت الصحافة بطريق الرأي العام أن تززع أركان رأي قديم كاديصل في نفوس المصريين إلى حد التقديس ، وأن تهدم عقيدة من العقائد الاجتماعية التي وصلها المصريون بالدين الخفيف . بل هكذا جاءت الصحافة بالدليل القاطع على أن الرأي العام هو وحده القادر على تغيير النزعات العامة ، وزعزعة العقائد الموروثة ، ومحاربة الآراء القديمة لتحل محلها الآراء الحديثة .

رابعاً : أن التعبير عن الرأي العام لا يكون إلا في جو من الحرية التامة ، أما في ظل النظام الدكتاتوري فإنه يتعذر على الرأي العام تحت ضغط من الحكام أن يقوم بهذا التعبير إلا بطريقة سرية ، كثيراً ما تكون أخطر على الحكومة الدكتاتورية من ألد أعدائها ، وشبرخصومها ، وأخطر معارضيهما .

فند تطلعت الشعوب إلى التمتع بحريتها لم تجد الصحافة ضماناً قوياً لبقاء هذه الحرية ، ومن هنا بدأت العناية بأمر الصحف ، والفضل في ذلك يرجع لأولئك الأبطال الذين استخدموا أقلامهم الحرة في الدفاع عن الحرية

وأثبتوا للعالم أن الحياة الحقيقية لا تركز إلا على حرية تلك الأقلام
وإفساح ميادين العمل أمامها ، (١) .

(٣)

الفرق بين الرأي العام ، والنسخت العام ، والانتجاه العام :

تقع أزمة من الأزمات في أمة من الأمم ، فإذا بالقادة والزعماء في هذه
الأمة يسطون آراءهم في أسباب الأزمة ، ويقترح كل منهم علاجاً لها ،
ويروج كل حزب في صحفه لما يراه من رأى .

وباحتكاك الآراء المختلفة ، ووجهات النظر المتباينة تستطيع الأمة أن
تدين وجه الصواب في الأزمة أو المشكلة التي تواجهها ، وتقبل هذه
الآراء والأفكار في خطة واحدة تكاد تجمع عليها الأمة يتألف ما يسمى
« بالرأى العام » ، في لغة العصر الحديث ، أو « حكم الجماعة » ، في لغة العصور
السابقة .

ولكن هل تصلح الجماعة كلها لإبداء الرأى ؟ وهل تصلح كلها لمناقشة
هذا الرأى ؟

هنا ينبغي للباحث أن يفرق تفرقة واضحة بين طبقتين - على الأقل -
من طبقات المجتمع: طبقة المستنيرين أو المثقفين الذين يستطيعون أن يدرسوا
الأمر ، وطبقة السوق أو الدهماء أو المنقادين الذين ينقادون انقياداً أعمى
لرأى من الآراء ، أو فكرة من الأفكار ، لأنهم عاجزون تماماً عن مناقشتها
لمعرفة مقدار الخطأ أو الصواب فيها .

ومن هنا كان تصرف الطبقة المستنيرة في المسائل العامة مخالفاً كل
المخالفة لتصرف الدهماء أو السوق في هذه المسائل .

(١) من كلمة للأستاذ أمين الراضى تعادياً على الكلمة التي اقتبسها من (جول سيمون) -

أما الطبقة الأولى فهي التي تسمع وتقرأ ، وتناقش وتفهم ، وتكون لنفسها رأياً ما في نهاية الأمر .

وأما الطبقة الأخيرة فلا عمل لها إلا السير وراء الزعماء والقادة منساقة لهم ، متأثرة بهم وبارائهم .

ومن ثم نجد أفراد هذه الطبقة الأخيرة يتبعون أول ناعق، ويستجيبون لأول صيحة ، ويسلكون سبيل الهياج أو الثورة ، ولا يملكون لأنفسهم القدرة على مناقشة المسائل التي تاروا من أجلها ، والمشكلات التي أبدوا سخطهم عليها

وعلى ذلك تلجئ التفرقة دائماً بين :

(١) الرأى العام : وهو ما يصل إليه المجتمع الواعى بعد تقليب وجهات النظر المختلفة ، والآراء المتعارضة .

(٢) والسخط العام : وهو ما تصل إليه الجماهير بمجرد الإثارة والانفعال برجل واحد فقط ، أو فكرة واحدة فقط ، أو زاوية واحدة فقط لانكاد تسمح لغيرها من زوايا النظر الأخرى أن تظهر إلى جانبها .

(٣) والاتجاه العام : وهو ما يكون نتيجة لاتفاق الجماهير على شىء معين يرون فيه صيانة لتقاليدهم ، أو دفاعاً عن دينهم ، أو محافظة على تراثهم ، ونحو ذلك .

أجل - تلجئ التفرقة الواضحة بين هذه الكلمات الثلاث :

(فالرأى العام) هو - كما قلنا - نتيجة البحث والدرس والتجربة والفحص . وهو من هذه الناحية يعتبر قوة خالقة ، وإن كان في بعض الأحيان - وإلى حد ما - يعتمد على ماضى الأمة ، وعاداتها وتقاليدها ، وعلى ما يسمى بالنزعات أو الاتجاهات العامة فيها .

ومن ثم كان الوعى القومى في بلد من البلاد إنما يقاس (بالرأى العام) في كل بلد ، ولا يقاس مطلقاً (بالسخط العام) في هذا البلد ، اللهم إلا نادراً

وفي ظروف معينة ، وذلك لسبب واحد فقط ، هو أن الناس في حالة (الرأى العام) ، يتمتع كل منهم بفرديته ، ويستطيع أن يظهر شخصيته ، وأن يظهر بالحرية السكافية لشرح وجهة نظره التي يقتنع بها ، ويرى . أن يقنع غيره بما فيها من صواب .

ولكن الناس في حالة (السخط العام) تنعدم فرديتهم وذاتيتهم أو تكاد ، ففي الزحام والتجمع تتمحى هذه الصفات ، ويفكر الناس بالصور والخيالات ، ويكون المجال واسماً أمام الزعماء والقادة - من غير العقلاء - وهم المعروفون عند الأوروبيين باسم (الديماجوج) ، ممن يثيرون الجماعات ويستغلون سذاجتها وانعدام الفردية أو الذاتية بين أفرادها .

إن الشعب في حالة (السخط العام) يكون أشبه شيء بالنظارة في المسرح ، يتأثرون بالرواية المسرحية وقت مشاهدتهم لها ، فلا يستطيعون الجمع وقتئذ بين المشاهدة والنقد ، ولا يستطيعون التمييز بين شتى المواقف المسرحية المعروضة عليهم في ذلك الوقت .

(٢)

أنواع الرأى العام :

اختلف الباحثون في الرأى العام ، فمنهم من رأى أنه ثلاثة أنواع على النحو الآتى :

١ - الرأى العام المسيطر . ٢ - الرأى العام المستنير أو القارى .

٣ - الرأى العام المنقاد .

والأول - رأى القادة ، والزعماء ، والحكومات في أغلب الأحيان .

والثانى - رأى الطبقة المثقفة في الأمة ، وهى الطبقة القادرة

على الدرس والمناقشة .

والثالث - رأى السواد الأعظم من الشعب ممن لا يستطيعون متابعة

البحث أو الدرس .

ومن الباحثين من رأى أنه - أى رأى العام - ثلاثة أنواع ، ولكن على النحو الآتى :

- ١ - رأى العام الكلى .
- ٢ - رأى العام المؤقت .
- ٣ - رأى العام اليومى .

فالأول - يتصل اتصالاً قوياً بالدين ، والأخلاق العامة ، والعادات ، والتقاليد الموروثة ، وغيرها من الأشياء الثابتة فى الأمة ، ولذا يمتاز هذا النوع بالثبات ، ويشترك فيه السواد الأعظم من الناس .

والثانى - هو ما تمثله الأحزاب السياسية ، والهيئات العامة والخاصة ؛ وذلك عندما تسمى لتحقيق هدف معين فى وقت معين .

والثالث - هو النوع المتقلب كستقلب الجو فى شهر أمشير - كما يقول المصريون - وعليه تعيش الصحف اليومية ، والإذاعة ونحو ذلك .

ومن الباحثين من يرى فى رأى العام كذلك أنه أربعة أنواع :

- ١ - رأى الأغلبية أو الأقلية
- ٢ - رأى الأقلية مجتمعة .
- ٣ - رأى الساحق .
- ٤ - رأى الجامع .

فالأول - هو رأى الجماعة حين تنقسم إلى هذين القسمين : أغلبية ، وأقلية . وقد تتحول الأولى إلى الثانية ، وقد يحدث العكس ، ومن أجل هذا كان رأى الأقلية وزن كبير فى الأمة ، وذلك أن أصحاب الأقلية إنما يعتمدون على بذل الجهود الكثيرة فى سبيل الوصول إلى الأغلبية ، وهذه الجهود تلتفع الأمة .

والثانى - هو رأى الأقليات الكثيرة حين تنفق أحياناً على رأى معين فى ظرف معين ، ولهدف معين ، ولكن قد يفضى هذا النوع من رأى بالأمة إلى التحول السريع من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، ومن أجله قد تسقط وزارة ، وتتعقبها أخرى ، ويستمر الحال على ذلك حتى تتمكن إحدى الأقليات من أن تصبح أغلبية .

وأما الثالث - فكثيراً ما يكون نتيجة لاندفاع الشعب ، أو نتيجة لتكاسله في بحث المشكلات العامة ، والشعب إذا وصل إلى الرأي السالح عن طريق البحث أو الدرس فإنه يكون في مثل هذه الحالة بلغ الذروة ، ولكنه في الواقع قلما يصل إلى ذلك .

والرابع - هو الرأي تجمع عليه الأمة ، ولا يكون ذلك في الأعم الأغلب إلا في الأمور التي ترتكز على ماضى هذه الأمة ، وما ورثته من عادات ، ونزعات ، ومعتقدات . وهذا الرأي هو ما سميناه من قبل بالاتجاه العام ، أو النزعة العامة ، وهو شيء لا يناقش في العادة ، وإذا تعرض أحد لمناقشته عرض نفسه للخطر المحقق .

ومع هذا وذلك ففي استطاعة عدد قليل من القادة في كل أمة أن يقنعوا أمتهم بفساد جزء من أجزاء هذا الرأي الجامع ، بشرط ألا يمس هذا الجزء أصلاً من أصول الدين أو العقيدة ، فن الممكن - مثلاً - أن ينادى مصلح من المصلحين في أمريكا بفساد الفكرة القائمة بالتمييز بين السود والبيض، وإن كان ذلك يحتاج من مثله إلى صبر طويل . وكفاح مرير ، وعمل متواصل . فعلى الصحفي دائماً أن يعرف كيف يفرق بين هذه الأنواع للرأى العام ، وعلية أن يفرق بين ما سميناه بالرأى العام ، والسخط العام ، والاتجاه العام ، فهذه التفرقة بأمن الزلل في تفسير الحوادث التي تجرى في المجتمع .

(٥)

دور الصحافة في تكوين الرأى العام :

نحن نعرف أن الصحافة أقدر من غيرها على التأثير في الجمهور ، وهي بلا شك أقدر في هذه الناحية من الإذاعة ومن الخطابة ، بل هي أخطر منها في الوصول إلى هذه الغاية .

والسبب في ذلك أن الصحيفة تستطيع - بخلاف الخطب والإذاعة - أن تدعو إلى فكرة من الأفكار ، أو رأى من الآراء ، وأن تكرر هذه الدعوة

يوماً بعد يوم بصور مختلفة ، والصحيفة بهذا التكرار أشبه شيء بقطرات الماء التي تسقط تباعاً وباستمرار على صخرة قوية ، ولا بد لها يوماً أن تحرق هذه الصخرة ، وقد تصل إلى تحطيمها وتمشيمها في نهاية الأمر .

غير أنه من الخطأ مع هذا وذاك أن نعتقد أن الصحافة تصنع الرأي العام بكل ما في هذه الكلمة من معنى . فإن الأولى من ذلك أن يقال إن الصحافة تأخذ من هذا الرأي وتعطى ، وتؤثر فيه وتتأثر به ، تقود الشعب وتنقاد له ، توجه الحكومات وتلقى توجيهاتها وهكذا .

ومن ثم نجد الفرق واسعاً بين الرأي العام في أمة متعلمة ناهضة وراعية ، والرأي العام في أمة جاهلة نائمة متغافلة .

الأولى — تستطيع الاستفادة من الصحافة ، أو بعبارة أخرى تؤثر فيها وتتأثر بها .

والثانية — عاجزة عن الانتفاع بالصحافة ، ولا دخل لها تقريباً في تكوين الرأي العام الذي تعنى به الصحف .

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ « توماس جيفرسون » عبارته المشهورة :
« إنني لا أستطيع الاعتقاد بأن الصحافة قد بلغت غايتها إلا إذا أصبح كل إنسان يعرف القراءة والكتابة ويعرف كيف يقرأ الصحيفة . »

(والخلاصة) حتى الآن أن الأمانة الصحفية تحتم على الصحف أن تتوخى الدقة في رواية الأخبار — داخلية كانت أم خارجية . كما تحتم عليها كذلك ألا تنظر إلى الربح المادي وحده ، بأن تعرض الأخبار على الجمهور عرضاً ينطوى على سوء القصد قبل كل شيء ، أو بأن تحرف الأخبار تحريفاً يبعدها عن الحقيقة كل البعد .

ذلك أن الصحافة مسئولة عن توجيه الأمة ، مسئولة عن تكوين الرأي العام الناضج فيها ، وهذه المسئولية في الأمم الضعيفة أو الجاهلة أو المتأخرة أثقل منها بكثير في الأمم القوية المتعلمة المناهضة .

وفي هذا المعنى يقول الزعيم الشاب مصطفى كامل :
« إذا كانت الصحافة في كل بلاد العالم شديدة التأثير ، عظيمة الفائدة ،
فإنها يجب أن تكون في مصر أشد تأثيراً ، وأكبر نفعاً ، لأن الأمم الحية
غنية عن إرشاد الصحف في كثير من الشؤون ،
« أما في مصر وبقية بلاد الشرق فوظيفتها أن تكون المهذبة المؤدبة ،
المنشطة المشجعة ، القائمة مقام المجالس النيابية ، حتى تترقى الأمة وتنال كل
حقوقها . »

ومهما يكن من شيء ففي استطاعتنا أن نقول إن هناك أموراً كثيرة
تؤثر في الدور الذي تؤديه الصحافة في توجيه الرأي العام .

منها صبغة الصحيفة أو الهدف الذي ترمى إليه هذه الصحيفة ، فإذا
كان الهدف تجارياً في مجموعه ، وكان الربح المادي هو الغرض الأساسي
من إصدارها فإنها إذ ذاك تقل عنايتها بتوجيه الرأي العام ، وتزداد عنايتها
بتملق القراء ، فلا تشر لهم إلا ما يلائم رغباتهم ، ولو كان في ذلك
ما يضر بمصلحتهم التي هي مصلحة المجتمع .

ويتصل بهذا العامل عامل آخر هو سياسة الصحيفة ، فإذا كانت سياستها
ترمي إلى العبث بالأخبار أو تلويها تلويهاً خاصاً لغاية من الغايات الخاصة
بها كذلك ، فإن الرأي العام إذ ذاك يتعرض بنفسه لمحنة من أشد المحن ،
ويحار القراء يومئذ في معرفة الحقيقة فتتحرف الأفكار والخطط انحرافاً بليغاً .

وتم مظهر آخر من مظاهر سياسة الصحيفة ، فقد ترغب هذه الصحيفة
في اتباع سياسة الإثارة ، وقد تزهد في هذه السياسة ، ومن الصحف
ما تعتمد اعتماداً تاماً في كتابة الأخبار على الإثارة ، ومنها ما تقتصد اقتصاداً
ظاهراً في ذلك ، والذي لا شك فيه أن الرأي العام يصلح باتباع الطريقة
الآخيرة ، ولا يصلح مطلقاً باتباع خطة الإثارة .

ثم إنه من العوامل المؤثرة في الرأي العام عن طريق الصحافة عامل

الحكومة ، وسيطرة هذه الأخيرة أو عدم سيطرتها على الصحافة ، والذي لا شك فيه أيضاً أن الرأي العام لا يتكون تكوئاً صحيحاً في ظل حكومة من النوع الأول ، ولكنه يقترب من السكال في ظل حكومة تبسط للصحافة من الحرية ما يكفي للتعبير عن جميع الآراء ومختلف الاتجاهات .
وهنا يحلو لنا مرة أخرى أن نسوق عبارة الأستاذ أمين الرافعي ذكرها في افتتاحية السنة الثالثة لجريدة الأخبار (١) قال :

« قامت الصحافة بدور كبير في النهضات الوطنية التي شهدتها الشرق والغرب ، وقد عرفت لها المعروب المختلفة هذا الفضل فجعلت في مقدمة أنظمتها الدستورية أن تكون الصحافة حرة لتستطيع تأدية واجبها العظيم الذي أنشئت من أجله ، وقد تبين قادة الحركات السياسية أن هذه الحركات يصعب نجاحها ما لم تكن الصحافة بجانبها لتقوم بقسطها الكبير فيها . »

وقال « سايبس » : « الصحافة هي الضامن الحقيقي للحرية السياسية ، فإذا أردت إصلاح العيوب العامة وجدت من الصحافة أكبر عضد لك في عملك ، فهي التي تنير الرأي العام ، وتكون بمثابة المصباح يهتدى بضوئه ، ومتى ظهر هذا المصباح أمام أعداء الأمة ، وخصوم الإنسانية استولى عليهم الرعب وبادروا إلى العدول عن تنفيذ نياتهم الضارة التي كانوا يتآمرون عليها في الظلام . »
« فارتكوا الصحافة تعمل لإعداد النفوس لفعل الخير ، ارتكوا توهم العقول للشعور بالواجب الوطني . »

ومضى الأستاذ أمين الرافعي يقول : « وقد ارتأى كثير من الفلاسفة والسياسيين والمؤرخين أن الأمة التي لا تحترم حرية الصحافة لا تستطيع النهوض بنفسها ، ولا يسعها الانتفاع من جميع الحقوق الأخرى التي تكون متمتعة بها ، مهما كانت هذه الحقوق عظيمة الشأن في ذاتها . »

(١) انظر العدد رقم (٥٨٧) بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٢٥ .

وقال جول « سيمون » :

« إذا كان للشعب حق التشريع لنفسه بواسطة النواب الذين ينتخبهم ، وإذا كانت السلطة الحاكمة لا تمتلك سن القوانين ، ولا عرضها ، ولا رفضها ، وإذا كانت الانتخابات للهيئات النيابية حرة وغير مقيدة - إذا كان للشعب كل هذه الحقوق - فإنها تظل جوفاء وهمية خيالية ما لم تتأيد بضمانة كبرى هي حرية الصحافة » .

فالذين يتقدمون للخدمة الوطنية عن طريق الصحافة إنما يتقدمون لتحمل عبء ثقيل لا يجوز أن يستهان فيه بالمسئولية المترتبة عليه ، ولا سيما إذا كانت الصحافة في عهدهم محرومة من التمتع بحريتها ، فهم مضطرون من جهة للنضال في سبيل تحرير صحافتهم ، كما أنهم مطالبون من جهة ثانية بأن يستخدموا الدائرة الضيقة المخصصة لعملهم في سبيل الدفاع عن القضايا الوطنية التي وقفوا أنفسهم على خدمتها ، والسمي في نجاحها مهما تحملوا في هذا الطريق من تضحيات مختلفة .

فذلك إذن هو الدور الذي تقوم به الصحافة في جميع الأمم وهو دور خطير للغاية - ما دامت الصحافة تقوم بواجبها بكل شرف ونزاهة . وهنا يطيب لي أن أستطرد قليلاً فأقول عن الصحافة المصرية : إنها كانت في العشر الأخير من القرن التاسع عشر والعشور الثلاثة الأولى من القرن العشرين - كانت في نظر التاريخ صحافة رأى بالمعنى الصحيح ، وذلك بالرغم مما تعرضت له تلك الصحافة من إيداء وتعطيل ، وبالرغم مما كانت تعانيه من قانون المطبوعات (١) .

كان الصحفيون في تلك الفترة التي نشير إليها يقدرون مهمة الصحافة على الوجه الذي شرحه أحدهم ، وهو هنا الأستاذ أمين الرافعي ، وكانوا يوطنون أنفسهم على البذل والتضحية في سبيل قيامهم بهذا الواجب الأعلى .

(١) ارجع إلى ص ٢٤ من « القانون والرأى العام » .

أما اليوم فالصحافة المصرية قد وجهت كل عنايتها إلى أمرين: هما الإخراج، والتوزيع ، وهما الناحيتان اللتان لم تبد صحافة الأمس عناية كافية بهما في الحقيقة . واسننا نبالغ إذ نقول : إن صحافة اليوم وجدت في الاهتمام بالإخراج الفني كل ما يعوضها عن الاهتمام بإبداء الرأي ، والشبات على المبدأ ، وتوخي مصلحة المحكوم قبل توخي مصلحة الحاكم .

(٦)

القانون والرأى العام :

أيهما أشد تأثيراً في سلوك الأفراد والجماعات : الرأى العام أم القانون ؟
وأيهما أرفع للصالح العام ، وللمثل الاخلاقية ، وللتقاليد والعادات :
الرأى العام أم القانون ؟

وهل يستطيع الرأى العام أن يسن قانوناً أو يلغى قانوناً ؟

الإجابة على هذه الأسئلة توضح لنا قيمة الرأى العام من جهة ، كما توضح لنا الصلة بين الرأى العام والقانون من جهة ثانية ، وتزيدنا معرفة بالدور الخطير الذى يؤديه الرأى العام في حياة الناس آخر الأمر .

والتأمل في حياة الأفراد والجماعات يراها تسير في أكثر الأحيان بقوة التقاليد والعرف والعادات ، وكل واحد من هذه الأشياء إنما هي ثمرة الرأى العام ، أو الأفكار المتفق عليها بين الناس في كل شأن من شئونهم الخاصة والعامة .

ومعنى ذلك بجلاء أن الإجماع بين الناس على نوع من أنواع السلوك يعتبر قانوناً عرفياً من القوانين التى تسيطر على الحياة العامة من جميع جهه انبها ، وتخلق ما يسمى بين العلماء باسم « المناخ الاجتماعى » .

ومن ثم كان (الإجماع) أصلاً من أصول الشريعة الإسلامية ، لا يقل في خطورته أو فائدته عن الأصول الثلاثة الأخرى التى هي : القرآن ، والسنة ، واجتهاد الأئمة .

وكالشريعة الإسلامية في ذلك جميع الشرائع الأخرى ، أي أنه ليس في استطاعة القوانين الوضعية أن تهمل هذا الأساس القوي من الأسس التي تبنى عليها ، وهو الرأي العام ، وخاصة إذا بلغ هذا الرأي مرتبة الإجماع . وفي هذا وذلك ما يدل دلالة صريحة على أن الرأي العام هو الذي يصنع القانون - أو بعبارة أدق - هو الأصل الأول من الأصول التي يعتمد عليها واضعو القانون ، وكثيراً ما نرى بعض المجتمعات البدائية محكومة بالتقاليد السائدة بين أفرادها وبالعرف والعادات التي هي بمثابة القوانين غير المكتوبة . وصف المستر بلانت نظام الحكم البدوي في نجد عام ١٨٧٩ فقال :

... وفي نجد تعيش هيئة اجتماعية طبقاً للنظام الذي يحكم به دعاة المثل الأعلى في بلادنا ، فلا ضرائب ولا بوليس ، ولا تجنيد ، ولا إكراه ، في أي شيء . ولا قانون لهذه الهيئة في حقيقة الحال إلا الرأي العام ، ولا نظام إلا ما تملبه مبادئ النبل والشرف (١) .

ومعنى ذلك أنه لا ضرر من أن نحكم الأمم بالرأي العام الذي يسودها ، وأن في الإمكان أن يحل هذا الرأي محل القانون ، ويقوم بكل وظائفه ، ويأتي بشمرته .

وأكثر من هذا وذلك أنك ترى في بعض الأحيان أن الرأي العام في الأمة المتحضرة يستطيع أحياناً أن يلغي قانوناً مكتوباً بنفس القوة التي استطاع بها أن يسن هذا القانون المكتوب .

وكثيراً ما يكون ذلك في الأوقات التي يبدو فيها القانون المكتوب كأنه يتعارض ومصالحة من مصالح الجمهور ، وفي هذه الحالة يضطر الفقهاء وواضعو القانون ان يخضعوا خضوعاً تاماً لهذه المصلحة ، وفي مثل هذه الحالة كذلك تظهر قيمة الاجتهاد ، كأصل من الأصول التي يبنى عليها التشريع .

(١) التاريخ السري لاحتلال الإنجليز لمصر الترجمة العربية ص ٤٦

وعندى أن الأساس الذى بدت عليه فكرة الاجتهاد فى التشريع هو ماذهب إليه عامة المفكرين من أن رجال القانون فى أى جيل من الأجيال إنما يمثلون فى الواقع جيلا متخلفاً عن رأى العام السائد فى هذا الجيل ، أو بعبارة أخرى : يمثلون الجيل السابق أكثر مما يمثلون الجيل الحاضر أو اللاحق ، فإذا صح ذلك فإنه يفضى بنا إلى القول فى صراحة بأن كل جيل من الأجيال فى حاجة ماسة إلى طائفة من (أهل الاجتهاد) يشرعون له من النظم والقوانين ما يتفق والحالة التى انتقل إليها ، أو ما يتفق والتطور الذى خضع له ، فإذا حرم جيل من الأجيال من هذا الاجتهاد أصبح القانون الذى يخضع له جامداً لا حياة فيه ، وعجز هذا القانون عن أن يحل مشكلة ، أو يحمى مصلحة ، أو يساعد على أى نوع من أنواع التطور أو الرقى .

والذى لا شك فيه أن رأى العام هو وحده القادر دائماً على أن يكشف عما بالقانون القديم من نقص ، ويعبر عما يحتاج إليه الجيل الجديد من إضافة أو تعديل أو حذف .

ومهما يكن من شىء فنحن إذ نتعمق البحث فى طبيعة رأى العام من جانب وطبيعة القانون من جانب آخر ، نجد أن بينهما فروقا من نواح شتى منها :

أولاً — أن رأى العام — كما قلنا — يعتبر أصلا من الأصول التى يبنى عليها القانون ، والعكس قلما يصح .

ثانياً — أن القانون بحاجة على الدوام إلى تأييد من رأى العام ، ولذا فإنه كثيراً ما تتعرض القوانين التى لا تظفر بهذا التأييد إلى خطر الإلغاء فى اللحظة التى يظهر فيها أن هذا القانون ضار بمصلحة من مصلح الجمهور ، ومثال ذلك :

• أن من القوانين الأمريكية ما لم يرض عنه رأى العام الأمريكى ، مثل قانون حظر صناعة الخنور وتناولها سنة ١٩٢٠ ، وقد قامت ضده الدعايات (م — ٣ المدخل)

في كل مكان على زعم أنه يناهض الحرية الشخصية ويقتصر منها ، فظهر رأي عام يطالب بإلغائه حتى تتم إلغاؤه (١) .

ثالثاً - الرأي العام أكثر ملاءمة لنفسية الشعوب والأفراد من القانون . بل هو أكثر منه مرونة وأقدر على التعبير عن حاجات الناس ، وهي الحاجات التي يسن من أجلها القانون في معظم الحالات .

رابعاً - الرأي العام تثيره العواطف، بينما القانون لا يابه لهذه العواطف، بل كثيراً ما نسمع المحامين في بعض القضايا يصيحون في وجه القاضي : الرحمة فوق العدل ، ولكن تذهب صرخاتهم هباء ، ولا يسمع لها القضاة في أكثر الأحيان .

خامساً - الرأي العام من وضع الجمهور على مر السنين ، في حين أن القانون من وضع طائفة قليلة من هذا الجمهور في فترة معينة ، وهم المشرعون .

* * *

والرأي العام بما له من هذه المزايا الخمس على الأقل يعتبر قوة هائلة تستطيع المحافظة على كيان المجتمع ، وتستطيع النهوض بصيانة المثل الأخلاقية التي لهذا المجتمع . وهذه القوة الهائلة تستطيع القيام بكل هذه الأمور الهامة بدون عصا الحاكم أو تهديد المستبد ، أو بطش الدكتاتور .

والمهم أنه في ظل الديمقراطية الصحيحة يزدهر الرأي العام وينمو كما نما بقوة في مثل البيئة اليونانية القديمة ، أو البيئة الإسلامية المجيدة ، على أيدي الخلفاء الراشدين ، ومن جرى على نهجهم من حكام المسلمين .

(٧)

الرقابة على الصحف :

مهما بولغ في حرية الصحف فإن لهذه الحرية حدوداً معينة ، والشارع

(١) الرأي العام : بحث للدكتور حسين عبد القادر ، نشر بمجلة كلية الآداب في مايو سنة ١٩٥٥

حينما وضع القوانين التي تخول الحكومة حق الرقابة على الصحف إنما قصد في الحقيقة إلى حماية المصالح العامة، والدود عن التقاليد التي تواضع عليها الناس، فأخدم بشيء من التحفظ في إبداء الرأي، حتى لا تضر الحرية المطلقة بكيان الفرد أو المجتمع، من أجل ذلك تحرص الحكومات على فرض شيء من الرقابة على الصحف، وتتخذ هذه الرقابة الحكومية مظهرين في الغالب:

أولهما - مظهر الرقابة الاستثنائية في وقت الحروب والثورات، فإذا ذاك تخضع البلاد للأحكام العرفية التي تبيح للحاكم العسكري أن ينظر في كل خبر صحفي قبل نشره؛ وذلك عن طريق الرقيب الذي يكون له مطلق الحرية في حذف ما يريد وإثبات ما يريد.

وثانيهما - مظهر الرقابة الجزئية، وذلك عن طريق القضاء، إذ ينظر القانون إلى رئيس التحرير على أنه المسئول الأول عن كل ما ينشر في صحيفته من خبر يكون ضاراً بالفرد أو بالمجتمع، وكاتب المقال يعتبر شريكاً لرئيس التحرير في هذه الحالة.

وعلى الرغم من هذا وذاك، فمن الحق أن يقال إن الشارع في هذه المحاولات قد يتجاوز الحد في تنظيم حرية الرأي حين لا يكتفى بالقيود الضرورية لحماية الدولة أو المجتمع، بل يعمد إلى وضع العراقيل في سبيل هذه الحرية، وقصده منها - في الأعم الأغلب - حماية الحكام المستأثرين بالسلطان، ومنع الناس من نقد أعمالهم، أو التعليق على تصرفاتهم، أو محاسبتهم على أخطائهم التي يرتكبونها أحياناً ضد شعوبهم، من أجل ذلك حرصت الشعوب كلها - حينما وضعت دساتيرها - على أن تنص في هذه الدساتير كلها نصاً صريحاً على ضمان حرية الرأي، والنظر إلى هذه الحرية على أنها حق طبيعي لا غنى عنه للفرد.

وعلى هذا فالواجب أن تكون الصحافة حرة لا رقيب عليها من جانب

الحاكم ؛ فإن هذا شرط أساسي لنجاحها ؛ إلا أنه يجب ألا تتعارض هذه الحرية الصحفية وصالح الوطن ، وألا تكون أداة لعرقلة نهضته ، كما يجب ألا تقف هذه الحرية في سبيل حركة الشعب الوطنية والقومية بحال ما .
ومهما يكن الأمر فهناك نظريتان تختصان بالتشريع الصحفي من حيث حرية إعلان الرأي .

الأولى - ترى أن الصحافة وغيرها من طرق النشر والإعلان يجب أن تتحرر من كل قيد قانوني مهما كان هذا القيد .

والثانية - ترى فرض القيود القانونية على هذه الحرية مادام من واجب الدولة حماية الأفراد والمحافظة على النظام العام .
ويشكل نظرية من هاتين النظريتين أنصار ، ولكل طائفة من هؤلاء الأنصار حجج .

فإن أنصار النظرية الأولى - على سبيل المثال - ميرابو أحد أبطال الثورة الفرنسية المعروفة ، يحكى أنه قال :
إن حرية الصحافة دواء لكل الأدواء ، وأن تقييدها لا يعوق في الحقيقة إلا الشرفاء (١) .

ومنهم روييه كولا الذي قال في كلامه عن الصحافة :

« خير قانون ألا يكون هناك قانون » .

ومنهم أميل دي جيرردان الذي قال :

« الصحافة التي لا تترك حرة ليست صحافة بالمعنى الصحيح ، ولكنها صحافة متسامح في وجودها ، لأنها صحافة يتضافر عليها للعسف والتعامل في وقت معاً » .

ومع هذا وذاك ففي الصحافة كما يقولون دواء يشفي من دائها ، فقد أضحي القارىء لا يقنع عادة بمطالعة صحيفة واحدة ، والضرر الذي

(١) حرية الرأي وجرائم الصحافة والنشر للدكتور رياس شمس ص ١١٢

تحديثه صحيفة ما تصلحه الصحيفة الأخرى ، بحيث يزيد خير الصحافة في النهاية على ما فيها من شر (١) .

على أنه لا خوف في الحقيقة من هجمات الصحف ، فقد يكون من ورائها خير للفرد الذي هو موضوع هذه الهجمات ، وخير للمجتمع إذا أريد إظهار عيوبه ونقائصه .

ويحدثنا الزعماء والسياسيون أنهم أفادوا من أعدائهم بأعظم مما أفادوا من أنصارهم وأصدقائهم ، حتى لقد ظهر فيهم من يقول . « أن يكون لك في عالم السياسة اسم ردى خير من ألا يكون لك اسم على الإطلاق » .
والأمريكيون يذهبون في حرية إعلان الرأي إلى أبعد حد ، ويرون في الحرية على هذا النحو أماناً من كل شر ، وكذلك يفعل الإنجليز في بلادهم ، وأكثر شعوب القارة الأوربية في وقتنا هذا .

أما النظرية الثانية - وهي النظرية التي تفرض قيوداً قانونية على الحرية - فلها كذلك أنصار كثيرون ، يرون أن من واجب الدولة حماية الأفراد والجماعات ، وتنظيم الحقوق والحريات ، والاحتراس الشديد من أولئك الذين يهاجمونها ويعكرون عليها صفوها وسلامتها ، ومن ثم بادرت الحكومات بوضع القوانين التي تحول دون إساءة استعمال الحريات بوجه عام ، وحرية الصحافة بوجه خاص ، وفي صلب القانون العام جزء هام اسمه (جرائم الرأي) ، وهو مادة تدرس في معاهد الصحافة كلها تقريباً بل يؤمننا هذا ، وقد نص هذا القانون على عقوبات خاصة في أمر السب أو لُقذف وغيرهما من الجرائم التي ترتكب عن طريق النشر .

والقاعدة الأساسية في هذا القانون تتلخص في أن لكل فرد حرية سكرية في أية مسألة دنيوية أو سياسية أو اجتماعية ، ولا عقاب على التفكير . تكوين الرأي مهما كان مخالفاً للقانون ، إنما العقاب على إعلان الرأي

المخالف للقانون بطريقة من طرق العلانية المعروفة ، والعقاب كذلك على استعمال العنف في إقناع الغير بهذا الرأي المخالف .

ومعنى ذلك أن العقيدة شيء وإبداء الرأي شيء آخر ، لأن إبداء الرأي وسيلة من وسائل التأثير في الناس ، وقد يكون في ذلك ضرر ما يجيق بهم . فعلى الحكومة في هذه الحالة أن تحمي المجتمع من الآراء الضارة بمصالحهم ، ولذلك يفرق القانون دائماً بين إبداء الرأي والتحريض على اعتناق هذا الرأي : فالأول مباح في جملته ، أما الثاني فيعاقب عليه القانون ، ومن حقه - عند اتباع النظرية الثانية - أن يفعل .

وجاءت بعض البلاد - ومنها مصر - فنظرت إلى الشيوعية - مثلاً - على أنها من المذاهب السياسية الخطيرة ، وخطورتها في نظر هذه البلاد آتية من أنها تعتمد أولاً على العنف أو القهر ، ولذلك يعاقب القانون المصرى الصادر في سنة ١٩٤٦ كل من يدعو إلى الشيوعية ، ويحاول إقناع الناس بها ، وما زلنا نسير على هذا القانون إلى اليوم .

على أن الرقابة الصحيحة هي التي تكشف عن النيات السيئة والأغراض المصلية . والرقيب الذكي هو الذى يكشف عن هذه النيات السيئة ، حتى ولو لم يقصد الكاتب إلى شيء منها .

* * *

(والخلاصة) أن للصحافة أن تخوض في هذه الموضوعات المختلفة برفق ، وأن تعتمد في ذلك على الجدل المحض ، وألا تتجاوز الجدل إلى غيره من مظاهر القهر ، وهي بهذه الشروط تستطيع أن تنجح في أمور شتى ، مثل تنقية الدين من عار الخرافة ، ومثل إقناع الأمة بفكرة جديدة تحمل محل أخرى قديمة ، وكثيراً ما يكون ذلك حين يثبت للأمة أن الفكرة القديمة قد بليت واستنفدت أغراضها ، كما يقول السياسيون .

* * *

على أن هذه الحدود التي يحدّها بها القانون من حرية الصحافة في بعض الأوقات أشبه ما تكون بعلامة الخطر أو الإنذار التي نجدّها أحياناً في الطريق العام ، وليس من الحكمة مطلقاً أن يتجاهل العاقل هذه الأشياء ، ولكن ليس معنى ذلك أيضاً أن يبالغ في خوفه منها مبالغة تشل حركته ، وتحدّ من نشاطه وقوته فالصحفي المقيد قلباً يكتب شيئاً له قيمة ، والصحفي متى فعل ذلك حكم على نفسه وعلى جريدته بالجمود الأبدي ، وحال بين أمته وبين أن تتطور وتتقدم ، وربما كان ذلك بعض ما عناه الدكتور محمد كامل مرسي حيث قال :

« والذين يدعون مخلصين إلى التوسع في توفير الحريات الفردية إنما يدعون إلى ذلك على اعتبار أن الإنسان بفضل ما بلغه من المستوى الرفيع في أمور الاجتماع ، وفي الأخلاق ، وفي الثقافة ، خليق أن يدرك واجباته نحو الدولة ، ونحو المجتمع ، ونحو سائر المواطنين ، بحيث لا يحتاج الحال إلى تقييده بقيود ونظم تقلل من نشاطه الاجتماعي ، على اعتبار أن الحرية نفسها - مع بعض المراقبة - كفيلة بتنظيم نفسها ، وتطورها مع الزمن إلى الأصلح والأففع (١) » .

* * *

هذا هو منطق الحكام ورجال القانون والقادة والزعماء .

أما الأدباء ورجال الفنون بوجه عام فإنهم يبغونها حرية واسعة لاحدّها ، ويؤمنون إيماناً لا يمازجه الشك بأن الحرية - مهما حشد لها الظالمون ، وبيت لها المتآمرون ، وكاد لها الكائدون - لا بد وأن تبلغ ما تريد .

وقف الأستاذ أنطون الجميل في مجلس النواب المصري يوماً وطالب الحكومة المصرية بمثل هذه الحرية ، واستشهد في كلامه بأبيات للشاعر خليل مطران قال فيها :

(١) « حرية الرأي » مؤلفه الدكتور رياض شمس ، المقدمة بقلم الدكتور محمد كامل مرسي .

كسروا الأقلام هل تكسيرها يمنع الأيدي أن تنقش صخرًا ؟
قطعوا الأيدي هل تقطيعها يمنع الأعين أن تنظر شجرة ؟
أطفئوا الأعين هل إطفائها يمنع الأنفاس أن تصعد زفرى ؟
أخذوا الأنفاس هذا جهدكم وبه منجاتنا منكم شكرا

أجل ، إن حرية الرأي مكفولة لكل صحيفة ، وهى فى الأمم الناهضة القوية أظهر منها فى الأمم الضعيفة المتخلفة ، ولذلك لا تؤثر الحزبية فى الأمم الأولى ولا تضعف قوة الرأى العام فيها ، فلا تراها تعادى الحكومات القائمة بغير سبب ، ولا تراها تعارض فى الأعمال الحسنة كما تعارض فى الأعمال السيئة سواء بسواء ، بل تصل الأمم الراقية فى أكثر الأحيان إلى حد أن تتفق فيها جميع الأحزاب على طائفة من المسائل القومية الكبرى لا تصبح موضعاً للنقاش تحت أى ظرف ، وإذ ذلك تصبح المعارضة مسئولة هى الأخرى عن الحكم . ومن أجل ذلك يطلق على المعارضة فى إنجلترا اسم « معارضة جلاله الملك أو الملكة » أسوة بالاسم الذى يطلق على الحكومة نفسها وهو « حكومة جلاله الملك أو الملكة » .
وفى هذا ما يدل على احترام الحكم البريطانى للمعارضة ، ومدى شعوره بالاشتراك فى تحمل التبعات التى يتطلبها موقف المعارضة .

(٨)

نشأة الرأى العام فى مصر :

سبق أن تعرضنا لهذا الموضوع فى بداية الجزء الأول من (أدب المقالة الصحفية فى مصر) فذكرنا الدوافع التى دفعت إلى ظهور الرأى العام ، ولخصنا هذه الدوافع فى خمسة دوافع وهى :

- ١ - التدخل الأجنبى فى مصر .
- ٢ - استبداد الحكم المصرى منذ تولى محمد على هذا الحكم .
- ٣ - الأزيمة التى وقعت بين الخديو إسماعيل والباب العالى .

٤ - ظهور الدستور العثماني سنة ١٨٧٦ .
٥ - ازدياد الحركة الفكرية في مصر بظهور السيد جمال الدين الأفغاني .
فلقد كان من آثار هذه الدوافع الخمسة ظهور المحاكم المختلطة ، وإقرار
الامتيازات الأجنبية ، وظهور صندوق الدين ، والمراقبة المالية ، ثم
الوزارة الأوربية ، والإكثار من استخدام الأجانب في مصر ، وفساد
القضاء المصري ، وظهور السخرة التي عانى منها الفلاح كثيراً ، وفداحة
الضرائب التي أثقلت كاهل هذا الفلاح ، وظهور إسماعيل بمظهر الرجل
المسرف إلى الحد الذي أضرب سمعة البلاد المالية والأخلاقية ، وبداية
الرغبة الملحة من جانب المصريين في أن يمنحوا الدستور الذي منحه
عبد الحميد للشعب التركي ، وأخيراً ظهور جمال الدين الأفغاني فجأة على
مسرح السياسة المصرية ، ونشاط هذا الرجل في إيقاظ المصريين من
سباتهم ، وحثهم على المطالبة بحقوقهم ، واسترداد الحرية التي لهم .

ثم انتقلنا من ذلك إلى ذكر الحركات الشعبية التي كانت مظهراً للرأي
العام أوصدى له ، وأشرنا إلى أن هذه الحركات كانت تظهر أحياناً على شكل
صحافة أهلية ، وأحياناً على شكل جمعيات علنية ، وأحياناً على شكل
جمعيات سرية .

ولا بأس هنا من الإشارة إلى بعض هذه الجمعيات الأخيرة التي
لم نتحدث عنها في الماضي لنبدل بهذا الحديث على أن هذه المنظمات السرية
كانت كالصحافة العلنية قادرة على تطوير الأمة والانتقال بها من حال
إلى أخرى أفضل منها ، ومن تلك الجمعيات على سبيل المثال :

أولاً : الجمعية السرية للضباط :

وهي أولى الجمعيات السرية في مصر : ظهرت عام ١٨٦٧ م وكان
رئيسها قتي يقال له « علي الروبي » وانضم إليها فيما بعد رجال من أهمهم :
أحمد هرابي ، وعلي فتحي ، وعبد العال حلي ، وغيرهم .

وقد اعتادت الجمعية السرية إذ ذلك أن تسند ظهرها إلى شخصية من الشخصيات المرموقة ، ولذا رأينا هذه الجمعية السرية التي نتحدث عنها الآن تحاول التقرب من الأمير حلیم - وهو الابن الوحيد الباقي من أبناء محمد علي الكبير - وكان مرشحاً لتولي العرش بعد إسماعيل ، لولا سعى هذا الأخير في تغيير نظام الوراثة على نحو ما هو معروف في التاريخ المصري .

وقد وصلت أنباء هذه الجمعية وأنباء الأمير حلیم إلى مسامع الخديو إسماعيل ، فعمل على نفی حلیم من مصر ، وإبعاده إلى القسطنطينية ، فتم إبعاد هذا الأمير قبل أن يتمكن من إشعال ثورة دبرها مع أعضاء هذه الجمعية السرية ، كان الغرض منها قتل الخديو إسماعيل ، وكان الأمير حلیم قد مهد لهذه الثورة (بعريضة) قدمها إلى الخديو إسماعيل مطالباً إياه فيها ببعض الإصلاحات الاقتصادية التي ترمي إلى التخفيف من عبء الضرائب عن كاهل الفلاح ، ولم يكن من اليسير على إسماعيل أن يقوم بإصلاح كهذا في وقت كان فيه غارقاً في ديونه ، بمعناً في إسرافه وملذاته .

وأخيراً أعلنت هذه الجمعية السرية عن نفسها ، وكان ذلك في عام ١٨٧٩ وأطلقت على نفسها يومئذ اسم « الحزب الوطني » ، وهو بطبيعة الحال غير الحزب الوطني المنسوب إلى مصطفى كامل ، ومهما يكن من شيء فقتلك هي المرة الأولى التي سمع فيها صوت يدافع عن « الفلاح » في مصر ، وفي المرات التالية تابع المصلحون ترديد هذا الصوت ، إلى أن كان عهد الثورة العرابية التي دافعت عن مصالح الفلاح ، وسمى زعيمها أحمد عرابي إذ ذلك « بزعم الفلاحين » .

وكان من أعضاء الحزب الوطني يومئذك شريف باشا ، وشاهين باشا وعمر لطفی باشا ، وراغب باشا ، ومحمد سلطان باشا ، وآخرون .

وكانت هذه الهيئة في الواقع صدى لظهور المعارضة في داخل مجلس النواب واحتجاج المجلس على المشروع المالي الذي أعدته حكومة

رياض لتعلن به على الملأ أنها في حالة إفلاس ، وإذ ذاك رأى المستنيرون في هذا المشروع امتحاناً لكرامة الأمة ، وكرامة الحكومة ، وكرامة النوب ، واجتمعوا بدار السيد البكري نقيب الأشراف ، وفكروا في تسوية مالية يحون بها عار الإفلاس ويملنون فيها أن البلاد قادرة على الوفاء بديونها ، وانتهزوا الفرصة يومئذ للطالبة بتأليف وزارة وطنية لا يشترك فيها الوزيران الأوربيان ، على أن تكون هذه الوزارة القومية مسئولة أمام مجلس النواب (١) .

ثانياً : جمعية مصر الفتاة :

نشأت هذه الجمعية في مدينة الإسكندرية ، عام ١٨٧٩ . ولئن كان قوام الجمعية السابقة ضباطاً من الجيش المصري ، فقد كان قوام هذه الجمعية نقرأ من الشبان المثقفين الذين أطلقوا على جمعيتهم اسم (مصر الفتاة) .

ولم تهدنا الوثائق حتى الآن إلى معرفة زعيم هذه الجمعية ، ولكنها تهدي إلى بعض الأعضاء المنضمين إليها ، ومن هؤلاء محمد أمين (نائباً للرئيس) ، ومحمود واصف (سكرتيراً) وعبد الله النديم ، وأديب إسحق وسليم النقاش (أعضاء) .

ثم حدث بتأثير عبد الله النديم أن تغير اسم هذه الجمعية من « مصر الفتاة » إلى « الجمعية الخيرية الإسلامية » ، وهي غير الجمعية الخيرية المعروفة في مصر في أيامنا هذه ، ومن ذلك الحين خرجت هذه الجمعية من السر إلى العلن ، وكانت هذه الجمعية أيضاً قد أعدت لنفسها صحيفة تتحدث بلسانها ، واسم هذه الصحيفة « مصر الفتاة » ، التي ظهرت في أو آخر عام ١٨٧٩ ، وبعد صدورها بعام واحد تولى رئاسة تحريرها أديب إسحق ، وكان النديم يشاركه في تحريرها .

(١) راجع كتاب « أدب المقالة الصحفية في مصر » جزء ٢ - المؤلف ص ١٦

وهكذا تكاملت لهذه الجماعة هي الأخرى مقومات الحزب السياسى ،
ثم ما كاد توفيق يجلس على عرش مصر حتى بادرت الجماعة فقدمت إليه
(عريضة) ضمنها مقترحاتها فى الإصلاح ، ورفعتها إليه يومئذ باسم (اتحاد
الشبيبة المصرية) .

وكانت هذه العريضة تدل دلالة صريحة على مبلغ الثقافة التى تمتع بها
الأعضاء ، فقد شرح هؤلاء الأعضاء فى مقترحاتهم الحالة الاجتماعية ، والحالة
الاقتصادية التى عليها البلاد ، ووصفوا بإسهاب سوء حالة الفلاح ، وأشاروا
إلى عيوب القضاء ، وإلى فساد الإدارة ونحو ذلك ، وأرجعت (العريضة)
سوء الحالة إلى أسباب أربعة هى :

أولاً : حصر السلطة كلها فى يد شخص واحد .

ثانياً : الحاجة إلى قانون ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم .

ثالثاً : فساد القضاء المصرى .

رابعاً : انحطاط التعليم والحاجة إلى العناية الكافية بشئونه .

وقيل إن رئيس هذه الجماعة هو عمر باشا لطفى محافظ الإسكندرية
ومن أعضائها يومئذ السيد إبراهيم أبوهيف ، والسيد إبراهيم مسعود
بك ، والسيد محمد شوباش بك ، والسيد عبد القادر الغريانى .

وفى عام ١٨٨٠ وقف نشاط هذه الجمعية فى مصر . ويبدو أن من أسباب
ذلك انضمام أكثر أعضائها يومئذ إلى الحزب الوطنى الذى تقدم ذكره .

ثالثاً : الجمعية السرية المنسوبة إلى عباس حلى الثانى :

شعر عباس بأنه فى حاجة شدة إلى الاستعانة على السلطات الإنجليزية
بقوة الشعب المصرى ، وقوة المثقفين فيه خاصة ، لى يقوموا بتنظيم
حركة وطنية ، فأرعى إلى مصطفى كامل بعد عودته من فرنسا بتأليف

هذه الجمعية ، فتألفت منه ومن : أحمد شفيق باشا صاحب كتاب « مذكراتي » في نصف قرن ، وآخرين من المصريين والفرنسيين الذي كان يعينهم أن يشتركوا في مقاومة النفوذ الإنجليزي .

و حين علم الخديو عباس بعد ذلك بوجود جمعية سرية غرضها تحرير مصر يرأسها أحمد لطفي السيد ، ومن أعضائها عبد العزيز فهمي ، وأحمد طلعت ، وعبد الحلیم حلمي ، وعلى بهجت ، طلب إلى مصطفى كامل أن يفاوض أحمد لطفي السيد في شأن انضمامه ومن معه إلى الخديو وجماعته ليؤلف الجميع حزباً وطنياً برياسة الخديوي ، فأجابه أحمد لطفي السيد إلى ذلك ، واجتمع هذا الأخير بمصطفى كامل في منزل محمد فريد ، وتم لهم تأليف الحزب الوطني على النحو الذي أراده الخديو عباس إذ ذاك .

رابعاً : جمعية المودة السرية لضباط الجيش :

مرة أخرى عمد ضباط الجيش المصري في وادي حلفا وسواكن إلى إنشاء جمعية سرية ، وذلك بعد حادث مشهور في التاريخ المصري الحديث باسم (حادث الحدود) ، فقد كان ، الخديو عباس في زيارة للسودان فاستعرض إحدى فرق الجيش هناك ، وأبدى بعض الملاحظات في أثناء الاستعراض ، فأحدثت هذه الملاحظات أزمة كبيرة تدخلت فيها بريطانيا واضطرت الخديو إلى سحب ملاحظاته ، وأحدث ذلك امتعاضاً في نفوس الضباط المصريين في السودان ؛ فأرادوا تأليف هذه الجمعية السرية عام ١٨٩٤ وكانت تهدف إلى إرسال التقارير السرية إلى الخديو عن جميع الحركات التي يقوم بها الدراويش في منطقة وادي حلفا وسواكن وتقارير عن حركات الضباط الإنجليز وأعمالهم هناك .

خامساً : جمعية المقاصد الخيرية .

هي هيئة شعبية لم تكن في الواقع على شكل جماعة سرية ، وكان من

أعضائها الشيخ محمد عبده ، وكان من عملها الانغماس في أمور السياسة ، واجتماع الأعضاء من حين لآخر للخطابة ، والتداول في أمور كثيرة ، وتكوين رأى عام في كل أمر من هذه الأمور على حدة ، وذلك للمجاهرة أو المطالبة به في الوقت المناسب . وقد اجتمعت هذه الجمعية في ١٧ فبراير ١٨٨٢ للتصديق على المشروع الأساسى لمجلس النواب وخطب الشيخ محمد عبده خطبة بليغة في ذلك الاجتماع (١) .

وبعد ، فليس من شك في أن جميع هذه المنظمات السرية والعنوية تدلنا دلالة قوية على وجود ما يسمى برأى عام ضد الفساد القائم في مصر في ذلك الوقت ، وهو فساد سياسى واجتماعى وقضائى وإدارى ، ومن أسبابه القوة عدم العناية بأمر التعليم ، والخضوع التام لسيطرة الأوربيين .

وقد رأينا كيف استتبع ظهور هذه الجمعيات على مسرح السياسة المصرية ظهور الأحزاب السياسية من جانب ، وظهور الصحف الشعبية من جانب آخر .

وهكذا كان الشعور بسوء الحالة في مصر يظهر أولاً ثم تظهر الصحف والأحزاب بعد ذلك ، وقد أعان هذا كله على نضج الرأى العام في هذه البلاد ؛ وهو الرأى الذى كان له الفضل في مقاومة الاستعمار الأوربى أكثر من سبعين عاماً ، انحسر بعدها ظل الاحتلال البريطانى عن مصر ، وتحررت في أثناء ذلك أكثر دول الشرق الأدنى من هذا القيد (٢)

(١) انظر المرجع المتقدم من ١٧ و ١٨ .

(٢) يلاحظ القارىء أن موضوع « نشأة الرأى العام في مصر » في هذا البحث مكمل لموضوع « نشأة الرأى العام في مصر » أيضاً في الجزء الأول من مؤلفنا « أدب المقالة الصحفية في مصر » .

مصادر الكتاب الأول

- 1 — Anatomy of Public opinion .
by : Norman Yoem Powell .
- 2 — Public opinion and Propaganda .
by: Leonard Doob .
- 3 — The making of Public opinion .
by Emory Bogardus .
- 4 — Public opinion .
by : William albig.
- 5 — La Prupagande Nouvelle forcee Publicue .
Par : . Drien cout,
- 6 — Das Internationale Zeitungs Wesen ;
Karl Bómer .
- 7 — The Flow of News :
The International Press Institute .

٨ — جرائم الصحافة والذشر ، للدكتور رياض شمس .

٩ — الرأي العام ، بحث بقلم الدكتور حسنين عبد القادر (مجلة كلية

الآداب) جامعة القاهرة بتاريخ مايو ١٩٥٥

١٠ — أدب المقالة الصحفية في مصر ، الجزء الأول للدكتور

عبد اللطيف حمزة .

الكتاب الثاني
فن الخبر

الصحن يجب ألا يتعشى في منزله
(صحن انجليزى)

الفصل الأول

نشأة الخبر وأهميته

الغاية من الصحافة هي جمع الأخبار التي تهم الصالح العام ، والأخبار هي حجر الأساس في بناء الصحافتين القديمة والحديثة ، وعن هذه المادة تصدر جميع المواد الصحفية الأخرى على اختلافها ، أى أن هذه المادة هي الأساس الأول الذي تقوم عليه الصحافة بجميع أوانها المعروفة ؛ كالمقال ، والتعليق ، والعمود ، والتحقيق ، والحديث ، والمجريات الصحفية على اختلافها ، ولولا الخبر ما عرفت هذه الفنون الصحفية التي نشير إليها بحال ما ، غير أنه من الخطأ أن يظن أن نشأة الصحافة مرتبطة بنشأة المطبعة ؛ فالأصح من هذا أن يقال : إن الصحافة ترتبط في الواقع بالصفات الإنسانية والاجتماعية في نفوس البشر ، وإن كان لاختراع المطبعة أعظم الأثر في تطور الصحافة ذاتها ، فقد تأثرت الصحافة بها كما تأثر غيرها من مظاهر الحضارة في المجتمع . وآية ذلك أن المجتمعات البدائية تناقلت الأخبار بطرقها الخاصة منذ القدم ، فقد كانت تنقل أخبار الصيد والقنص ، وأخبار الحرب والسلم ، وأخبار الزواج والعبادات والدين ، ونحو ذلك بطريق النقش على الصخر ، أو بطريق الأبواق ، أو بطريق المنادين الذين يجوبون الأماكن الأهلة بالسكان ؛ أو بطريق الرواة الذين يروون الأخبار والأشعار في كل مكان ، أو بطريق الرسل الذين تناط بهم مثل هذه الأمور . ثم ارتقت الصحافة من هذه المرحلة الصوتية إلى مرحلة الكتابة الخطية التي ظهرت أولاً في شكل خطابات دورية ، ثم ظهرت بعد ذلك في شكل كتب صغيرة ، وبق الحال على هذا حتى ظهرت المطبعة في منتصف القرن الخامس عشر للميلاد ، ومع ذلك لم تنتفع الصحافة بهذه الأداة

الجديدة قيل أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر .
والحق أن أهمية الأخبار ليست وليدة العصور الحديثة ، ولكنها
بعض ما ورثته هذه العصور الحديثة عن العصور القديمة ، فقد كان الناس
قديمًا - وخاصة في الأمم المشهورة بالتجارة والملاحة - يستقون
الأخبار من التجار ، ومن البحارة ، وكان تجار البندقية بنوع خاص
من أهم من نقلوا الأخبار عن الشرق ، ووصفوه بالغموض والغرابة
وغيرهما من الصفات التي لفتت إليه أنظار الغرب .

وهكذا منذ القدم ووسائل الحصول على الأنباء متنوعة تنوعاً ظاهراً :
فن شعراء ورواة للأشعار ، إلى سفراء تبعث بهم الحكومات إلى البلاد
البعيدة ، ومن تجار وبحارة يركبون متن البحار ليجلبوا فيما يجلبون
إلى بلادهم مادة الخبز ، إلى غير هؤلاء وأولئك . أليس معنى كل ذلك أن
الحكومات والشعوب والأفراد والجماعات تدرك أن العلم بالأخبار خير
من الجهل بها ، وأن الوقوف على هذه الأخبار يعتبر نوعاً من التسليح ضد
الحوادث والمحن المستقبلية ، أي أن الأخبار في ذاتها ليست إلا نوعاً
من الإنذار في الوقت المناسب عما حدث أو ما سيحدث للفرد أو للأمة .
وما الصحافة في الواقع إلا مظهر راق من مظاهر الإعلام في العصور
الحديثة ، وهي وسيلة من وسائل الإعلام إلى جانب الوسائل الأخرى
المعروفة ، وهي الوسائل التي تكاد تنحصر حتى الآن في أربع ، هي :
الصحافة ، والإذاعة ، والسينما ، والتلفزيون .

ولا ننسى أن كل وسيلة من تلك الوسائل الثلاث يمكنها أن تعين
الأخرى في سبيل الحصول على الأنباء ، ومن هذا القبيل ما نعلم إليه بعض
الصحف في الوقت الحاضر من أنها تدشء لنفسها قسماً من أقسامها يدعى
(قسم الإصغاء الإذاعي) ، وبهذه الطريقة تمكنت إحدى الصحف
الإنجليزية من التقاط النبأ الذي أذاعته وكالة تاس السوفيتية ، وهو نبأ
وفاة (ستالين) ، وحققت الصحيفة بذلك سبقاً صحفياً لا شك فيه .

ولكن إلى متى بقى الخبر فى الصحافة هوكل شىء فىها تقريباً ؟ وما الأسباب التى من أجلها قلت أهمية الخبر بالقياس إلى غيره من مواد الصحيفة ؟
أما فى مصر فقد كانت الصحف التى أصدرها القائد الفرنسى بوناپارت تهتم بأخبار الحملة الفرنسية وحدها ، وتحمل للجند الفرنسيين فى مصر أهم الأبناء فى بلادهم التى أتوا منها ، وتمدهم كذلك بالأخبار التى يعرفون بها شيئاً عن الديار التى أتوا إليها ؛ وكذلك كانت الجريدة التى أصدرها محمد على باسم الوقائع المصرية تعنى عناية تامة - جهد المستطاع - بأخبار المحاكم ، وبشعر الأوامر التى يصدرها الوالى إلى كبار موظفيه .

ثم فى ظروف سياسية خاصة من أهمها - ظروف الاحتلال البريطانى - تحولت الصحافة المصرية من صحافة خبر إلى صحافة رأى ، وظهرت الصحف التى تحمل كل واحدة منها اسم زعيم من الزعماء المصريين الذين لهم آراؤهم فى السياسة المصرية فى ذلك الوقت ثم فى منتصف القرن العشرين أو قبله بقليل عادت للخبر الصحفى أهميته الأولى ، وأصبح مقدماً على مقال الرأى ، وأصبحت الصحيفة غير محتاجة إلى الأسماء العظيمة تلتمس الرواج عن طريقها ، وتعتمد عليها فى بقائها حية بين الناس .

أما فى أوروبا - وخاصة فى إنجلترا - فقد كانت الناحية الغالبة عليها هى ناحية الخبر ، ثم بتقدم الطباعة من جهة ، وتقدم الحياة السياسية من جهة ثانية ، وتقدم الديمقراطية التى جعلت من الشعب مصدر السلطات من جهة ثالثة ، ظهرت صحافة الرأى إلى جانب صحافة الخبر ، وحدث أحياناً فى بلاد (كإنجلترا) أن صدرت الصحف وهى لا تشمل على أخبار مطلقاً وإنما تشمل على مقالات فقط ، والسبب فى ذلك أن الحكومة كانت تفرض الضرائب هناك على الخبر ، ولا تفرضها على غير ذلك من مواد الصحف كالمقال وغيره .

ومهما يكن من شىء فنحن إذ ننظر فى الصحافة الحديثة ندرك بوضوح أن أهم العناصر الأساسية لصحيفة من الصحف هى :

أولاً : الخبر

ثانياً : المقال .

ثالثاً : التقرير .

فالخبر هو الوظيفة الأولى للصحف ، والمهمة الأساسية لها ، والمقال
ثى في المرتبة الثانية مباشرة بعد الخبر ، لأنه كثيراً ما يكون تعليقاً على
ذا الخبر ، أو بياناً لمغزاه السياسى أو الاجتماعى أو الثقافى ؛ ونحو ذلك .

والقارىء الحديث لا يكتفى بأن يعرف الخبر ؛ بل يتوق دائماً إلى
معرفة معنى الخبر ، ومقدار تأثيره فى المجتمع ، وإن كانت حاجة الطبقة
قى تمثل الرأى المنقاد فى الأمة إلى قراءة المقال أشد من حاجة الطبقة التى
تل الرأى النابه بها ، ومع ذلك لا تجرد من هذه الطبقة المنقادة من يقرأ
لقال فى الجريدة .

وإذن فعلى الصحافة الحديثة واجب عظيم فى العصر الحاضر هو توجيه
لأمة عن طريق المقال توجيهاً صحيحاً فى النواحي السياسية والاجتماعية
الاقتصادية ، وعليها كذلك واجب آخر لا يقل عن الأول فى الأهمية .
هو تثقيف الشعب نفسه ثقيفاً يمينه على المشاركة القوية فى الحياة السياسية
الحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية ؛ وطريق ذلك كله هو المقال .
هنا يجوز لنا أن نستطرد قليلاً لنقول عن صحف الرأى : إنها نوعان :
صحف مستقلة ، و صحف حزبية ، .

والاستقلال فى الصحافة ليس معناه الحياد ؛ والوقوف موقف المتفرج
بىال المشكلات العامة فى المجتمع ، لا يندى الصحيفة فيها رأياً ، ولا تعبر
ن فكرة ، وإلا أثر ذلك فى انتشارها . وربما أفضى إلى موتها واختفائها .

وأما الصحف الحزبية فهى التى تعبر عن آراء حزب معين ؛ وتقرض
لى نفسها اتجاهها معيناً ، ومع ذلك لا يلبهى أن تسرف الصحف الحزبية
، الدعاية .

ولدينا مثال يوضح هذه الحقيقة ، هو جريدة الديلي هرالد الانجليزية .
وهي جريدة حزب العمال في انجلترا ، فقد كانت في أول أمرها تملأ كل
صفحاتها بالدعاية لحزبها ، فسرعان ما منيت بالفشل ، وقل انتشارها إلى
درجة لا تحتمل ، فلم يكن من مجلس الإدارة إلا أن اجتمع ، وقرر ألا تزيد
نسبة الدعاية الحزبية في الصحيفة عن عشرة في المائة ، وفي النسبة الباقية من
هذه الجريدة تنشر الموضوعات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، بما يعنى
به الجمهور القارئ هناية كاملة .

بفي أن نشير في ختام هذا الفصل إلى أمرين هامين يتصلان اتصالاً
قويًا بما للخبر من خطورة كبيرة في الصحف :

أما أول الأمرين : فهو الحاسة السادسة ، التي لا بد منها للصحفي.
حتى يكون أقوى من غيره من الناس فهما لقيمة الخبر ، وتقدير أهميته
ويكون أعظم قدرة على التمييز بين خبر جدير بالنشر ، وآخر لا يستحق
هذه الصفة . والحق أنه كما يمتاز الشاعر بأنه رجل مرهف الحس أكثر من
غيره من الناس ؛ فهو إذا فرح كان فرحه أكثر من فرحهم ، وإذا حزن
كان حزنه أشد من حزنهم ، وهو إذا انفعل بالأحداث كان في انفعاله
بالأحداث أعظم وهكذا ، فكذلك ينفرد الصحفي بقدرته على فهم
الأحداث الجارية ، والتمييز بين الأخبار العامة . ومن الخطأ كل
الخطأ - كما يقول الصحفيون المجرّبون - القول بأن الأنباء إنما تولد من
غير أن نشعر بها ، فإن هذه الحاسة الصحفية - أو الحاسة السادسة -
التي نتحدث عنها هي التي ترشد الصحفي دائماً إلى أهمية الخبر من ناحية ،
وإلى المصادر الصحيحة التي يستقى منها هذا الخبر من ناحية ثانية .

وأما ثاني الأمرين اللذين يتصلان اتصالاً وثيقاً بالخبر من حيث هو :
فقدسية الخبر ، وواجب الصحفي نحو الأخبار دائماً هو الواجب الذي

عليه عليه الشرف ، وتحض عليه الأمانة والنزاهة ، وهذا الواجب هو نقل الأخبار نقلاً صحيحاً ، وتسجيل المعلومات المتصلة بهذه الأخبار تسجيلاً صحيحاً كذلك .

فلو قدر الصحفي أن الخبر هو الأساس الأول لكل ما يكتب في الصحف من تعليق ، وعمود ، وطرائف ، وحديث ، وتحقيق ، ونحو ذلك ، ولو قدر الصحفي أن الخبر هو الأساس الأول لكل تصرف يبدو من جانب الحكومة ، أو الأفراد ، أو الهيئات ، أو الشعوب - لو قدر الصحفي كل ذلك لأدرك أن عليه واجباً لا مفر من أدائه ، وهو تحرى الصدق والأمانة في الحصول على أخبار من مصادرها الصحيحة ، ثم المحافظة التامة على سرية هذه المصادر ، متى رأى أصحابها ذلك . ثم الأمانة الكاملة في نقل الخبر ذاته ، ومعنى ذلك أنه لا ينبغي للصحيفة - حرصاً منها على ما يسمى بالسبق الصحفي - أن تستهين بهذه الأمانة ، أو تعيث بسرية الأخبار .

حدث في أمريكا أن اختطف طفل رضيع من عربته الصغيرة ، ووضع الخاطف ورقة صغيرة يطلب فيها الفدية ، وأبلغ الحادث إلى البوليس الذى رأى من المصلحة إذ ذلك عدم إذاعة الخبر إلى أن يعاد الطفل إلى والديه ، ووعدت الصحف بعدم النشر ، إلا صحيفة واحدة رأت في الموضوع خبراً مثيراً للقراء ، فنشرت الخبر ، وتبعها الصحف الأخرى في ذلك بعد إذ أصبح الخبر معروفاً ، وكان من أثر ذلك أن فشلت خطة رجل البوليس ، وعثر على الطفل الذى كان وحيد والديه بعد أيام جثة هامدة وضاع كل أثر من آثار هذه الجريمة ، وهكذا أفسد هذا السبق الصحفي الذى حرصت عليه الصحيفة خطة البوليس للتعرف على الجناة ، وانحطت قيمة الصحيفة التى سعت إلى ذلك (١) .

(١) جلال الحامصى : صحافتنا بين الأمس واليوم ص ١٢٦ و ١٢٧ .

الفصل الثاني

تعريف الخبر

لماذا نحرص على تعريف الخبر أولاً ؟ وهل لذلك صلة ما بطريقة اختيار الخبر الذي ينشر في الجريدة ؟ .

الحق أن الصحف تختلف طوعاً ومبارهاً لدى القارئ باختلاف فهمها للخبر الصحفي من حيث هو :

فهناك صحيفة من الصحف ترى أن حوادث الجريمة وأخبارها أهم من سواها من الأخبار والحوادث ، ولذلك تختار لهذه الأخبار أحسن الأمكنة في الصحيفة .

وهناك جريدة أخرى ترى أن الأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية بشكل ما أولى بالنشر عما عداها من الأخبار الأخرى ، ولذلك تتوخى ألا تكون الجذابة في الجريدة وتخص بها هذه الأخبار الكبيرة أو الصغيرة ، واختلاف الصحف في تقدير الأخبار على هذه الصورة - هو المؤثر الحقيقي في اتجاهات الشعب واتجاهات الحكومة ، والعكس صحيح أيضاً ؛ فإن هذه الاتجاهات من جانب الشعب أو الحكومة كثيراً ما تؤثر في الصحف من ناحيتين هما :

١ - ناحية اختيار الأخبار .

٢ - ناحية التوزيع والانتشار .

وهكذا يصبح اختيار الأخبار عملاً مهماً في نظر الحكومات ، ونظر الشعوب معاً ، كما سبق القول في ذلك ، ومن أجل هذا يجب أن يدرس

الصحفيون موضوع « تعريف الخبر » دراسة جيدة ، ويكونوا لانفسهم رأياً واضحاً في هذه المسألة .

« الخبر الصحفي هو الجديد الذي يتلفه القراء على معرفته ؛ والوقوف عليه بمجرد صدوره في الجريدة ، ومعنى ذلك أن أحسن الأخبار الصحفية هو ما أثار اهتمام أكبر عدد ممكن من الناس » .

هذا التعريف للخبر الصحفي هو ما ذهب إليه الأستاذ ويلارد بلاير Willard G. Bleyer في كتابه « الصحيفة وتحريرها » .

وذهب أستاذ آخر ، هو (وليم هولسبي Willim maulsby) في تعريف الخبر الصحفي إلى أنه « وصف أو تقرير دقيق غير متحيز للحقائق الهامة حول واقعة جديدة تهم القراء » . لهذا تبقى أن تتوفر للخبر خصائص الدقة والإثارة والتجاوب مع الوقت والوضوح التام ونحو ذلك . وهناك تعريف ثالث للخبر الصحفي يمثل الناحية الواقعية أو العملية Pragmatic للصحيفة ، وهو تعريف ماكدوجل Mac Dongall . وفيه يقول :

« الخبر الصحفي تقرير عن حادث معين ترى الصحيفة في نشره وسيلة للربح المادي » .

وتم تعريف للأخبار يقول إنها « أي حادث أو فكرة أو رأى ابن ساعته يمكنه أن يفهم أو يؤثر في عدد كثير من الأشخاص في مجتمع ما . ويكون مفهوماً منهم » .

أما لورانس كاميل ، R ؛ وولسلي في كتابهما Exploring Journalism فيذهبان إلى أن الخبر « وصف أو تقرير عن حادث أو موقف أو فكرة تنشره الصحيفة لأنه يهم القراء ، ولأنه يدر الربح على الناشرين » .

ويقول كارل وايرين في وصف الأخبار الصحفية « إنها بعض وجوه النشاط الإنساني الذي يهم الرأي العام ويسليه ، ويضيف إلى معلوماته

جديداً . وتفسير ذلك : أن الذي تعتبره ، موسكو ، خبراً ربما كان شيئاً
تافهاً في بلاد كاهند ، وأن المادة التي تهتم بها صحيفة المحافظين في إنجلترا
تلقى بها صحيفة الأحرار في سلة المهملات .

وبوجه عام فإن (الأخبار هي كل شيء لم تعلم به أمس) .

ومعنى ذلك أن تعريف الخبر الصحفي أمر ليس بالهين ، فقد عقدت
مجلة كولير الأسبوعية الأمريكية ندوة جمعت إليها عدداً كبيراً من محرري
الصحف في أمريكا لكي يمدوا المجلة بتعريف صحيح للخبر الذي يلمس
في الصحف ، ولكن أعضاء الندوة اختلفوا اختلافاً كبيراً في ذلك .
فظهرت المجلة وبها عدد كبير من التعريفات ، منها على سبيل المثال :

١ - الخبر هو كل ما يهم القراء أن يعرفوا عنه شيئاً ما .

٢ - الخبر هو كل شيء يرغب عدد كاف من الناس في قراءته بشرط
ألا يكون خارجاً على قواعد الذوق العام ، وقوانين السب والقذف .

٣ - الخبر هو كل شيء يحدث ويهتم به الناس .

٤ - الخبر هو كل ما قد يتحدث عنه الناس ، وكلما كان الاهتمام الذي
يشيره فيهم أكبر ، كانت قيمته أعظم .

٥ - الخبر هو الاستطلاع الدقيق للأحداث الإنسانية ، والكشوف
والآراء التي تهتم الناس وتؤثر فيهم .

٦ - الخبر هو كل ما يحدث وكل ما توحى به الأحداث وكل
ما ينجم عنها .

٧ - الخبر هو الوقائع الأساسية التي تتعلق بأى حدث أو مناسبة
أو فكرة تستحوذ على اهتمام الناس ، وتؤثر على الحياة وعلى السعادة البشرية .

٨ - الخبر قائم في أساسه على الناس ، ويجب أن يكون محدوداً بما
يعنيهم ، وما يرضيهم دائماً .

٩ - الخبر يشمل كل أنواع النشاط الجارى الذى يستحوذ - بصفة عامة - على اهتمام الناس . وأحسن الأخبار ما أثار اهتمام أكبر عدد من القراء .

١٠ - الخبر كل ما يتعلق بالصالح العام . وكل ما يهم القراء أو يترك أثراً فى علاقاتهم ونشاطهم وآرائهم وأخلاقهم وسلوكهم .

١١ - الخبر هو الذى تقول الصحيفة عنه إنه خبر .

والنتيجة من كل هذه التعاريف السابقة أن الخبر الصحفى مادة من أهم مواد الصحيفة ، وأنها تهتم القراء من جانب ، وتهتم الصحيفة من جانب آخر ، وأنها تعتبر مورداً من موارد الثروة للصحف .

والحق أن الأخبار لم تعد حاجة من حاجات الصحف وحدها ، وإنما أصبحت حاجة من حاجات الأمة كلها ، ولذلك اتخذت الأخبار مكانها الممتاز فى جميع وسائل النشر ، ومنها الصحف والإذاعة والسينما والتلفزيون . الخ حدث أن أضرب العمال فى إنجلترا حوالى سنة ١٩٣٠ فاضطرت الحكومة إلى وقف إصدار الصحف ، ولكنها - أى الحكومة - لم تجد مفرًا من إذاعة الأخبار على الجمهور ، فأصدرت باسمها نشرة إخبارية أطلقت عليها اسم « الجازيت البريطانىة Britanic Gazette » ، ودلت بهذه النشرة على أن مسئولية الإعلام - من حيث هى - تعتبر إحدى المسئوليات التى تقع على عاتق الحكومات .

وان هذه الحكومات والشعوب التى تخضع لها لا تستغنى عن الخبر بحال ما وإلا أحست بنقص ظاهر فى حياتها لا يمكنها أن تصبر عليه ، ومن أجل هذا أثر عن عملاق الصحافة الإنجليزية « لورد نور ثكليف » ، أنه قال :
« الشيء الوحيد الذى يساعد على زيادة توزيع الجريدة هو الخبر ، والخبر هو كل ما يخرج عن محيط الحياة العادية المألوفة ، ويكون مدار حديث العامة والخاصة » .

ومن ثم كانت للخبر أهميته التي أشرنا إليها في الفصل السابق ، وأصبحت رسالة الصحفي تنحصر أو تكاد تنحصر في جمع الأخبار بأمانة ، وسردها ونشرها بأمانة ، ثم التعليق عليها بأمانة ، حتى أن الصحفي الذي يخل يوماً بهذه الأمانة يصبح في نظر الحكومة والجمهور أشبه رجل بالصانع الغشاش ، أو التاجر المطفف ، أو الطبيب ، أو المعلم الذي هان عليه العيث بشرف المهنة .

وهنا يعود الباحث ليوافقه المشكلة مرة أخرى ، وهي إلى أى حد يجب أن يتصرف الصحفي المسئول بالأمانة التامة حيال الخبر الذي ينشره في الجريدة ؟ هل يحق له أن يساير عواطف الجماهير فيعمد من أجلهم إلى نشر الخبر حيناً وإلى تشويبه حيناً آخر ، حتى يصبح الخبر متفقاً والرأى العام . .

والجواب على هذا ، أن الصحيفة ليست إلا عقداً اجتماعياً بين ناشريها من جهة ، وقرائها من جهة ثانية ، وفي هذا العقد الاجتماعى اتفاق ضمنى بين هذين الطرفين على أمور كثيرة ، من أولها أداء هذه الأمانة .

وهذا الاتفاق الضمنى - كما يقول الاستاذ - ويكهام استيد ، في كتابه المعروف عن الصحافة - إنه من نوع العلاقة الصحفية التى تقوم بين الطبيب والمرضى مع فارق واحد ، هو أن رجال الطب يعملون طبقاً لنظام خاص ، بينما الصحافة لا تزال مهنة حرة لا تخضع إلا لعدد محدود من القيود الخارجية ، ومن القيود الداخلية .

وانظر إلى الأستاذ استيد ، هذا يمضى فى بيانه قائلاً :
« إنى أعتقد - كما يجب أن يعتقد كل إنسان - أن الأخبار الكاذبة أكثر ضرراً من الأطعمة المغشوشة أو الفاسدة ، ذلك أن الصحافة ذات الكلمة الممتازة فى نفوس القراء ، مادتها الأولى فى العقل العام ، وبضاعتها القيم الإنسانية بوجه عام ، وهدفها الأخير هو السعى نحو الكمال . »

ولكن ليس معنى هذا أن تكون الصحيفة راكدة أو غير جذابة ، فإنه ليس شيء أخطر على الصحافة من الركود ، فالركود مدعاة للكساد ، والكساد طريق إلى الموت ، ومن هنا تحرص على الجريدة على نشر الأخبار الغريبة متى وجدت إليها سبيلا .

وهنا نسمع صوت من يقول في سخرية مريرة لا تخفى على سامعيها : ولكن الفضيلة لا تحوى غير العادى من الأمور ، أما الرذيلة فتحوى كل المادة التى تشتمها الصحافة ، كما تشمل عنصرى الإغراب والإثارة ، ومن هذه الثغرة الاخيرة تنفذ الصحافة الصفراء ، أو الصحافة المثيرة ؛ وحجتها فى ذلك أنها لا تريد أن تكون صحافة بلولة ، وهذا صحيح - إلى حد ما - ولكن متى وقفت الصحافة الرشيدة على هذه الحقيقة عرفت أن أمامها صحابا كثيرة ، وأن عليها أن تغلب كل يوم على واحدة منها ، وإذ ذلك تحاول هذه الصحافة أن تستعصم بالتدرج عن عنصر الغرابة عنصراً آخر: هو عنصر التنويع فى عرض مواد الصحيفة .

فهذه أخبار سياسية يهتم بها السياسيون .

وهذه أخبار اقتصادية يهتم بها الاقتصاديون .

وهذه أخبار رياضية يهتم بها الرياضيون .

وتلك أخبار علمية أو أدبية أو فنية يعنى بها ذرو العلم والأدب والفن .

وبمقدار ما تنوع الصحف يزداد عدد قرائها ، وتنشأ صداقة وطيدة الأركان بينها وبين القراء ، فتراهم (يتعلقون بها ، ويزدادون مع الأيام وفاء لها) ، ويؤثرونها على غيرها من الصحف التى تعتمد على الإغراب والإثارة وما إليهما .

ومعنى ذلك أنه يجب على الصحفي أن يشعر دائماً بهذه الأمانة الصحفية ، وأن يكون له ضمير يقظ يمنع من نشر خبر من الأخبار ما لم تكن وراء نشره مصلحة تعود على القراء أو المجتمع .

كما ينبغي للصحفي أن تكون العلاقة طيبة بينه وبين مصدر الخبر ،
فإن هذه العلاقة هي الأساس الذي تبنى عليه عملية استنقاء الأنباء .
ويجب على الصحفي ألا ينسى مطلقاً أن مصدر الخبر هو وحده صاحب
الحق في نشر الخبر أو عدم نشره متى أراد .

وباختصار شديد يجب على الصحفي أن يدرك أن الخبر ليس ملكاً
له ولا ملكاً للصحيفة التي يعمل بها ، ولا ملكاً للرأى العام ، ولكنه
ملك للحقيقة فقط .

وكل هذه الاعتبارات هي التي أملت على « هدوله لاسكى » أن ينصح
طلبة الصحافة في كتابه « الصحافة والشئون العالمية » بأن يضعوا نصب
أعينهم الحقائق الأربع التالية :

الأولى — أنه لا توجد حكومة في العالم لا تعمل على توجيه الأخبار
الوجهة التي تخدم مصالحها .

الثانية — أن هناك هيئات كثيرة تعمل في جمع الأخبار على أساس
تلوينها بما يميله عليها ميولها وتجهزها .

الثالثة — أن للراسلين وزناً خاصاً في عرض الأمور ، وهم لذلك
يعمدون إلى تلوين الأخبار التي يبعثون بها إلى الصحف .

الرابعة — أن مكاتب التحرير هي الأخرى شخصيتها الخاصة التي
تضيفها على الأخبار ، وطريقتها الخاصة التي تقدم بها هذه الأخبار للقراء .

(والخلاصة) أن الأخبار وجمعها واختيارها وطرق صياغتها إنما
تعتمد اعتماداً تاماً على المصدر الذي أتت منه . وعملية امتحان هذا المصدر
والتحقق من نزاهته هو أصعب عملية تواجه المخبر الصحفي ، وتقف أمامها
الصحيفة نفسها موقف المحكمة أمام الشهود .

الفصل الثالث

في سبيل الحصول على الخبر

تحصل الجريدة على الأخبار الداخلية عادة بطريق المخبرين الصحفيين أو مندوبي الأخبار الذين توزعهم على المصالح والوزارات والإدارات المختلفة، وتجمل كل واحد منهم مختصاً بمصلحة أو وزارة أو إدارة، ونادراً ما يقع الخبر على موضوع يكتبه من تلقاء نفسه، فإن تسعة أعشار الأعمال التي يقوم بها المخبر الصحفي يكلف بها من قبل رئيس قسم الأخبار، وهو الشخص المكلف من قبل الجريدة بوضع خطة يومية يسير عليها المخبرون تكون مبنية على الحس الصحفي الدقيق عند هذا الأخير، فهذا الحس الصحفي يستطيع أن يعرف مواطن الأخبار الجديرة بالنشر في الصحيفة التي يعمل بها ومع هذا وذاك قد يحدث أن يجد المخبر في طريقه شيئاً يستحق الإخبار عنه، وإذا ذلك يتجه إلى أقرب (تليفون) ويبادر إلى تبليغ الجريدة هذا الخبر الذي عثر عليه بطريق المصادفة، ثم يعود إلى تنفيذ الخطة التي وضعها له رئيس قسم الأخبار، ومعنى ذلك أن المصادفة تلعب دورها أحياناً في الحصول على الخبر، وفي السبق الصحفي إلى هذا الخبر. وكثيراً ما تريح الجريدة مادياً من وراء ذلك.

وقد اطلع الشعب المصري يوماً في جريدة «الأهرام» على خبر زواج (توفيق نسيم باشا) رئيس مجلس الوزراء، وهو في السبعين من عمره، من فتاة نمسأوية في السابعة عشرة من عمرها؛ وكانت جريدة الأهرام أولى الجرائد المصرية التي سبقت إلى نشر هذا الخبر الذي شغل بال الرأي العام في مصر مدة ليست بالهينة.

وسمعت يوماً منذ أن السبب في نشر الخبر يرجع إلى الأستاذ جبرائيل تقلا صاحب (الأهرام) حينذاك، وقرأت في كتاب الأستاذ جلال الدين الحامصي

(صحافتنا بين الامس واليوم) (١) بعد ذلك ما يلي :

في ذلك الوقت الذى اشتعل فيه الغرام بين السياسى المعجوز والشابة النسوية مر المرحوم الأستاذ (جبرائيل تقلا) بقرية من القرى ، وأراد أن يبقى فيها ليلة واحدة ، وبينما هو يسجل اسمه فى دفتر الفندق لاحظ صاحبه أنه كتب أمام جديسته أنه مصرى ، فأخبره بأن بين نزلاء الفندق مصرى آخر كبيراً اسمه توفيق نسيم ، وأن هذا السياسى الكبير سيتزوج من ابنته ، وأحس الأستاذ جبرائيل تقلا بأنه وقع على نبال هام ، نبأ لا بد أن يحدث دويماً فى مصر ، وأمسك الأستاذ تقلا بالورقة التى سجل عليها اسمه فشطب ليلة واحدة ، وكتب : عدة ليال ، فقد شعر بأن مكانه كصحفى ، هذا الفندق حيث تولد قصة صحفية ضخمة ، وبالفعل كانت القصة من الضخامة بحيث شغلت قراء الأهرام عدة أشهر .

وقد أصبح من المعتاد أن نرى فى كل وزارة من الوزارت أو مصلحة من المصالح الحكومية وغير الحكومية قسماً يقال له : إدارة الشؤون العامة ، أو مكتب الصحافة ، ، ومن هذه الأقسام يستقى المخبرون الصحفيون أخبارهم فى أغلب الأحيان ، وفى استطاعة المخبر اللبوق أن يحصل على أخبار الوزارات بطرق فيها شيء من الخفاء ، كأن يحصل عليها من طريق السعاة وصغار الموظفين ، وبذلك يصل إلى الأخبار التى تبالغ بعض الوزارات والمصالح فى إخفائها ، ولكن يشترط فى هذا الخفاء ألا يصل بالمخبر الصحفى إلى حد الإخلال بالشرف ، أو ارتكاب جريمة السرقة أو غيرها من الأساليب التى تعافها الصحافة الشريفة النزوية ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك فى المقدمة .

ويعود المخبرون إلى الصحيفة ، ويقضى كل منهم وقتاً فى كتابة أخباره ، وفى ركن من الورقة يكتب اسمه ومصدر النبأ الذى أتى به ، ويحسن به

إذ ذلك أن يكتب كل موضوع أو كل خبر من ثلاث نسخ : واحدة يحتفظ بها لنفسه ، والثانية توضع في ملف خاص به ، والثالثة تأخذ طريقها إلى رئيس التحرير مرة في أثناء ذلك بعدة مكاتب في إدارة الصحيفة .

ومن أهم هذه المكاتب : مكتب المراجع Rewriter الذي يعيد كتابة الأخبار بعد غربلتها غربلة جيدة ، ثم يبعث بها إلى رئيس الأخبار ليقوم فيها بوظيفته ، ثم ترسل إلى سكرتير التحرير الذي يحدد لكل خبر مكانه في صفحة الأخبار الداخلية ، ثم ينتهي بها المطاف إلى رئيس التحرير كما سبق القول في ذلك ، وليس على هذا الأخير أن يقرأ جميع ما يصل إليه منها ، وإنما يكتبني بما له من صلة قوية بالسياسة أو بالمشكلات العامة ونحو ذلك .

ثم توصل الأخبار رحلتها إلى أن تصل في النهاية إلى غرفة الجمع ، فتجتمع ثم تؤخذ عليها تجارب (بروفات) ، ويقوم المصححون بتصحيحها قبل أن تدور مجلة المطبعة دورتها النهائية .

هذا كله من حيث الأخبار الداخلية . أما الأخبار الخارجية فتأتي إلى الصحف عن طريق وكالات الأنباء ، أو عن طريق المرسلين الخارجيين للصحيفة في مختلف الأنحاء (ولكل صحيفة قسم خاص بالترجمين الذين يتولون ترجمة هذه الأخبار من اللغات الأجنبية إلى اللغات العربية) ثم ترسل الأخبار مترجمة ليميد سكرتير التحرير ، أو من يقوم مقامه إذ ذلك قراءتها، ويحدد مكانها من الجريدة ، وأخيراً تعرض الأخبار الخارجية على رئيس التحرير ، لعله يحدد فيها ما يستحق التعليق بكلمة خاصة ، هي في الغالب كلمة الجريدة ، أو ما يسمى (بالمقال الافتتاحي) أو (العمود الرئيس) فيها .

* * *

ولاحظ إن في أن وكالات الأنباء هي المصدر الرئيس لجميع الأخبار الخارجية التي تنشر في صحيفة من الصحف ، وإن كان إلى جانب هذا المصدر

الرئيس نجد هناك مصادر أخرى أشرنا فيما مضى إلى شيء منها .
فن ذلك « القسم الإذاعي » ، للصحيفة ، فقد تذييع المحررات الخارجية نبأ
له أهمية خاصة ، فإذا صادف أن سمعه بعض رجال الصحيفة ، وسارع في
تسجيله وتوصيلة إلى قسم الأخبار ، فإنه يكسب لصحيفته سبقاً صحفياً
كما قدمنا .

ومن تلك المصادر التي نشير إليها بعض الشخصيات الكبيرة التي
يلتقي بها الصحفيون بطريق المصادفة ، ويستطيعون الحصول منهم على
بعض الأخبار الهامة . كـ : الشخصيات الكبيرة : سفراء الدول
الأجنبية ، ورجال السلك السياسي متى أمكن للصحفي أن يحصل منهم
على معلومات أو أخبار هامة ، وقلبا يتمكن الصحفيون من ذلك
في الحقيقة .

ونعود إلى المصادر الرئيسة للحصول على الخبر فنجملها فيما يلي :

- ١- مندوب الأخبار في الصحيفة .
 - ٢- مراسل الصحيفة في الداخل ، ومراسلها في الخارج .
 - ٣- وكالات الأنباء المحلية والدولية أو العالمية .
 - ٤- وكالات الأعمدة الصحفية وسنشرحها فيما بعد .
 - ٥- المتطوعون بالأخبار من أصدقاء المحرر أو المخبر وغيرهم .
 - ٦- أماكن الشرطة (أو نقط البوليس) .
 - ٧- دور الخدمة ، وبها (إدارات في الشؤون العامة) الخاصة بإعطاء
الأخبار .
 - ٨- المؤسسات العامة ، وبها كذلك (إدارات الشؤون أو العلاقات
العامة) .
- ومن عمل هذه الأخيرة إعطاء الأخبار الخاصة بالمؤسسة .

- ٩ - المحاكم على اختلافها .
- ١٠ - الشخصيات العامة أو الكبيرة في المجتمع .
- ١١ - الاجتماعات العامة والنوادي العامة ونحو ذلك .
- ١٢ - المؤتمرات الصحفية على اختلاف أنواعها .
- ١٣ - المصادفة في الطريق العام .

والمهم أن الصحفي هو الذي يدعم المصادر الروتينية بمصادر أخرى ذاتية أو شخصية ، ولا يتيسر هذا التدعيم إلا عن طريق الصداقات والعلاقات الطيبة التي له ببعض الأفراد أو بالشخصيات الكبيرة التي يمكن أن تكون مصدراً للخبر ، ولنا أن نقف وقفة قصيرة أمام المرتحلين وهما :
المخبر والمراسل :

المخبر الصحفي أو مندوب الأخبار :

مندوب الاخبار هو العنصر الهام في عملية جمع الاخبار ووظيفته واحدة ، وهي أن يذهب بنفسه إلى مسرح الحياة ويحصل بنفسه على المعلومات التي يتكون منها النبأ الذي يهم القراء ، وقد يتذرع المخبر إلى ذلك بصفتين هما :

١ - صفة الاهتمام الشديد بعملية الصحفي ، وهو العمل الذي جعل منه مراقباً للركب الإنساني في مروره بطريق الحياة وجعله مضطراً إلى مشاهدة المسرحيات المياسية من خلف الكواليس كما يقول رجال التمثيل ، وأما الصفة الثانية فهي :

٢ - صفة الفضول ما دام العمل الصحفي ينطوي على شيء من المشقة ، ويحتاج إلى شيء من المراحة ، ولذلك يقول أحد رجال الصحف :

« إن المندوب الذكي أعلى عند صحيفته بكثير من المحرر الذكي » .

المراسل الصحفية :

مهمته إمداد الصحيفة بمواد غزيرة من حقله بداخل البلاد إن كان مراسلا داخليا ، أو بخارج البلاد إن كان مراسلا أجنبيا ، غير أن العمل الذى يقوم به المراسلون فى الخارج أشد صعوبة وخطورة من العمل الذى يقوم به المراسلون فى الداخل .

وأشد ما تكون مهمة المراسل الخارجى خطورة حين يشترك فى مؤتمر صحفى فى بلاد أجنبية ويحاول أن يعطى أخبار هذا المؤتمر ، وأن يشترك فى توجيه الاسئلة إلى رئيس المؤتمر ، أو الشخص المسئول فى الدولة المضيفة للمؤتمر .

والمراسل الخارجى هو المسئول عن بيان قيمة الأحداث التى ينقلها إلى صحيفته ، وعن تفسير هذه الأحداث وإعطاء صورة دقيقة للشخصيات الكبيرة التى تقترن بكل حادثة منها ، ومن ثم أصبحت لهذا المراسل الخارجى أهمية عظيمة يعرف بها فى المسرح الدولى .

والمراسل الخارجى كالمراسل الحربى - تواجهه صعاب كثيرة - ينبغى له أن يواجهها بشجاعة تامة ، منها سوء المعاملة التى يلقاها أحيانا من أهل البلد أو من حكومته ، ومنها الشعور بالوحشة ، وبالريبة فى كل من يلتقى بهم فى هذه البيئة الجديدة ، ومنها الرهبة الشديدة من الوقوف فى المعركة التى يجمع منها الأخبار ليبعث بها إلى الصحيفة ، وحسبه كل ذلك لى يكون شخصاً فدائياً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى (١)

طرق متروعة للحصول على الخبر :

قبل أن ندع الكلام عن كيفية الحصول على الأخبار ، ينبغى أن نشير إشارة عابرة إلى بعض الطرق التى يعتمد عليها المراسل الصحفى فى الحصول

(٢) ارجع إلى كتاب (أخبار المشرق الأوسط و الصحافة الصحفية) ترجمة الدكتور عبداللطيف حمزة ووليم الاميرى .

على الأخبار، وذلك فيما خلا الطريقة المعتادة التي منها الذهاب إلى المصالح الحكومية المختلفة، أو أقسام البوليس، أو المحافظات والمديريات، والمحاكم والمدارس، والمعاهد والجامعات، ونحوها.

ويستطيع المخبر الصحفي أن يحصل على أهم الأخبار من المصادر الهامة بطرق سليمة لا تخرج في مجموعها عن طريقة العلاقات، أو الصداقات، التي ينشئها المخبر بين حين وآخر مع الشخصيات التي تعتبر مصادر هامة للأخبار.

وهنا يجب على المخبر اللبث أن يدرس ميول الشخص الذي هو مصدر الخبر، وعلى أساس متين من هذه الدراسة يستطيع أن يتقرب منه، وأن يندل أقصى جهده في مجاملته وملاطفته، وإذا لزم الأمر أن يقدم إليه الهدايا والألطفات فليفعل، فإن الهدية في هذه الحالة لا تعتبر نوعاً من الرشوة. أو هي - على الأصح - رشوة يضاء لا تحمل غير معنى المجاملة التي يأنس الناس إليها.

ومن طرق الحصول على الخبر فيما عدا (الصداقة) طريق آخر، هو ما يسمى الإيهام بالمعرفة، وكثيراً ما تجوز هذه الحيلة على مصدر الخبر، فيتساهل في التصريح به ما دام هذا الخبر قد أصبح معلوماً لكثيرين من الناس، كما أوهمه المخبر بذلك.

وهناك طرق أخرى كثيرة لا نخفي على ذكاء المتمرتين، ولا مجال هنا لسرد هذه الطرق أو الإلمام بها أو نقدها والحكم عليها.

وإليك مثلين منهما: أحدهما على طريقة الإيهام بالمعرفة، والثاني على طريقة الصداقة وإنشاء العلاقات الخاصة بمصدر النبا:

المثل الأول (وهو مثل على الإيهام بالمعرفة) (١).

حكى أحد الصحفيين الاتجليين عن نفسه قال:

(١) راجع كتاب أزمة الضمير الصحفي للمؤلف ص ١٦٠ و ١٦١

إنه كان جالسا في مقهى من مقاهى الاسكندرية على شاطئ البحر ،
وتصادف أن جلس معه على نفس المائدة أحد كبار تجار النخر المعروفين ،
وجرى الحديث بينهما في أمور عدة أشار التاجر الكبير في بعضها - عن ضمير
قصد - إلى إلحاح الخديوي لإسماعيل في بيع نصيب مصر من أسهم قناة
السويس وإلى أن هذا التاجر الكبير يتمنى لنفسه أن يربح هذه الصفقة .
وهنا تغير لون الصحفي الإنجليزي وأحس كأنه جالس على برميل من
البارود - على حد تعبيره - ولكن المهنة الصحفية أوجبت عليه في هذه
اللحظة أن يتماسك أو يتظاهر بالثبات التام ، كما أوجبت عليه المهنة كذلك
أن يلجأ إلى طريقة الإيهام بالمعرفة .

فأوهم التاجر الكبير أنه على علم بهذا السر الخطير ، وهنا اطمأن
التاجر إلى أنه لا يذيع سرا من الأسرار ، وأفاض في الحديث عن أسهم
القناة ، ثم ما كاد التاجر يغادر المكان حتى أسرع الصحفي الإنجليزي إلى
مكاتب البرق ، وأرسل برقية إلى دزرائيلي رئيس الوزراء البريطانية
حينذاك ، وما كان من دزرائيلي هذا إلا أن اتصل من فوره بالروتشلد -
وهم من كبار رجال المال في إنجلترا - وطلب منهم المال اللازم لشراء أسهم
القناة . ولم ينتظر دزرائيلي ريثما يحصل على إذن بهذا المال من مجلس
الوزراء ، أو مجلس العموم ، أو من الجالس على عرش إنجلترا إذذاك .

المثل الثاني : (وهو مثل على استخدام الصداقة) :

هو حادثة جرت للأستاذ مصطفى أمين حكاها عن نفسه قال :

إنه كان بلندن في الوقت الذى دارت فيه مفاوضات (صدق - يفتن)
وقد تم الاتفاق بينهما على نصوص معينة ، غير أن مستر يفتن اشترط
أن تبقى هذه النصوص سرا من الأسرار فلا تشر إلا بإذنه في الوقت
الذى يحدده هو ، وإذ ذلك ساقط الظروف مصطفى أمين فتعرف إلى

السيدة الخضع أنها تعمل في مكتب مستر بيغن ، وبطريقة غير مباشرة علم مصطفى أمين بأن هذه السيدة هي التي كتبت على الآلة الكاتبة نصوص الاتفاق ، فدعاها مصطفى أمين مرارا للجلوس معه في مقهى من مقاهى العاصمة ، ولاحظ في كل مرة يجلس إليها أن هذه السيدة تلتظر قطع السكر التي يقدمها المقهى وتمسك بيدها هذه القطع باحتراس تام واهتمام وتدسها في حقيبة يدها (شنتها) بخفة وعجلة ، إذ ذاك أحضر مصطفى أمين في اليوم التالي كل نمونه من السكر وأسلمه إلى هذه السيدة العظيمة ، ففرحت به فرحاً عظيماً .

ونظرت إليه على أنه أعظم هدية لأطفالها الصغار الذين لا يكفهم نمونهم من السكر الذي يوزع عليهم بالبطاقة .

ومن ذلك الوقت نشأت صداقة متينة بين مصطفى أمين وهذه السيدة ، وعن طريق هذه الصداقة استطاع مصطفى أمين أن يحصل على ورق الكربون الذي كتبت عليه نصوص الاتفاق وما لبثت هذه النصوص أن نشرت في بعض الصحف الصادرة في مصر ، وفوجيء بها (مستر بيغن) كما فوجيء بهار رئيس الوزارة المصرية إذ ذاك السمانفيل صدق .

إلا أننا نحرص الحرص كله هنا على القول بأن الحصول على الأخبار يجب ألا يحتظر الخبير الصحفي بحال من الأحوال إلى سلوك الطرق غير الشريفة ، كالسرقة والتساهل في العرض ، وخراب الذمم ، والتضليل ، والغش ، ونحو ذلك من الأمور الضارة بالسمعة والشرف ، فليكن معلوماً أن الصحافة شيء ، والجاسوسية شيء آخر ، والصحفي الشريف ليس جاسوساً للمجتمع ولا للدولة ، ولا ينبغي لأحد أن يطالبه بشيء من ذلك ، وبهذا نفى عن الصحافة كل عمل يشينها أو يسئ إلى كرامته المشتغلين بها .

على أنه لا مناص من القول بأن الوسائل الميكيفالية التي تقول : ، بأن

الغاية تبرر الوساطة ، لا تجوز مع المخبر الصحافي إلا في حالات شاذة كإوقات الحرب مع دولة أجنبية ، وظروف الاحتلال الأجنبي الذي يلبس أظفاره في الأمة ، ففي مثل هذه الأحوال يجوز للمخبر الصحفي أن يلجأ إلى طرق يخدع بها العدو الأجنبي ، ويحاول أن يتغفله ليحصل من أتباعه على الأخبار ذات الصلة الوثيقة بسلامة الوطن (١) وذلك كله على القاعدة القائلة (الحرب خدعة) .

وتاريخ الصحافة المصرية يحفظ لنا مثلاً من أقوى الأمثلة على ذلك وهو:

قضية التفرافات :

وهي القضية التي تعرضت لها صحيفة المؤيد ، وخرج بها السيد على يوسف بطلا من أبطال الصحافة المصرية ، وزعيماً من زعماء الشعب المصرى .

وخلاصة هذه القضية أنه في مايو سنة ١٨٩٦ أصدرت نظارة الحربية أمراً بعدم إمداد المؤيد بأية معلومات عن الحملة المصرية على دنقلة ، مع السماح في الوقت نفسه بهذه المعلومات للصحف الموالية للاحتلال البريطانى يومئذ ، ومنها جريدة المقطم ، وبذلك تفقد المؤيد - التي هي جريدة الشعب المصرى - قيمتها الإخبارية ، ويفضى بها الحرمان من الأخبار إلى الموت الابدى .

ومعنى هذا وذاك أن الأمر أصبح مكيدة مدبرة ، ومؤامرة منظمة ضد الشعب المصرى ، والصحافة المصرية ، وهكذا تحولت المسألة يومئذ إلى مسألة عداء بين سلطة قوية قاهرة هي سلطة الاحتلال البريطانى ، وشعب أعزل من السلاح هو الشعب المصرى .

(١) ارجع الى كتاب أزمة الضمير الصحفي من ١٥٩ - ١٦٢

في مثل هذه الظروف وحدها يباح للصحفي الوطني أن يحصل على الخبر بطريقة أو بأخرى من الطرق الغامضة ، وهذا ما فعله السيد على يوسف صاحب جريدة المؤيد ، فقد اتهم بأنه اتصل في الخفاء بمواطن من أقباط مصر هو « توفيق أفندي كيرلس » الموظف بمكتب بريد الأزبكية - وهو المكتب الذي كان يتلقى البرقيات الخاصة بالحملة المصرية على دنقلة - ووافق معه على الوصول إلى هذه البرقيات الخاصة بالحملة ، وعبثاً حاول القضاء المصري بعد ذلك لإثبات الصلة بين السيد على يوسف وتوفيق أفندي كيرلس ، وأكثر من ذلك رأينا هذا الأخير يعترف في المحكمة بأن المعتمد البريطاني هو الذي حمله على الاعتراف بهذه الصلة ، وسلك سبيل العنف والضغط عليه في الاعتراف بها ، والحقيقة أنه لا صلة بينه وبين السيد على يوسف ، وإزاء هذا الاعتراف الصريح حكمت المحكمة ببراءة السيد على يوسف ، وخرج السيد إذ ذاك محمولا على الأعناق ، والشعب يهتف بحياته وحياة المؤيد ، وبقي أمر الحصول على هذه التلغرافات سرا لا يعرفه أحد من رجال الوكالة البريطانية إلى اليوم .

فذلك ظرف من الظروف التي يضطر فيها الصحفي إلى سلوك الطرق الغامضة ، ومنها طريق الرشوة بالمال على سبيل المثال ، ذلك أن الصحيفة - والأمة معها في مثل هذه الحال - تعتبر نفسها في حرب ، والحرب خدعة . وظروف التآمر على سلامة الوطن ، أو إماتة الروح الوطني في أهله ، تبيح للصحف يومئذ سلوك جميع الطرق التي من شأنها إحباط المؤامرة .

الفصل الرابع

تقويم الخبر

بم تقويم الخبر؟ أو ما هي الخصائص التي ينبغي توافرها في الخبر حتى يكون هاماً في نظر الصحيفة؟ أو ما هي الاسس التي يبني عليها تقديم خبر من الاخبار على سواه؟ لا شك أن هذه الخصائص أو القيم كثيرة منها:

١ - الجودة أو عنصر الزمان

ومعنى ذلك أن أغلب ما ينشر في الصحيفة من الاخبار إنما هو أحداث أمس واليوم والغد. أما أحداث الاسبوع الماضي فلا تصلح للنشر إلا إذا كانت قصتها لم تتم بعد.

ذلك أن الاخبار هي في الواقع أسرع البضائع في السوق استعداداً للتلف أو للفساد، ولذا نرى المخبر الصحفي يبدأ موضوعه دائماً بكلمة «اليوم، إذا كانت الصحيفة مسائية أو «أمس، إذا كانت الصحيفة صباحية.

وعلى هذا فالزمن عامل هام جداً في الخبر، حتى أن ساعة أو ساعتين قد تؤثران في قيمة الخبر الصحفي من حيث هو، ولذا نرى أن «آخر الأنباء» أكثرها افتتاً لأنظار القراء، وفي موضوع الجودة في الخبر يعرض لنا سوزالان هاملان:

أولها - أيها أولى بعناية الجريدة: التثبت من صدق الخبر، أم السابق الصحفي في نشر الخبر؟. والذي نراه أن التثبت من صحة الخبر هو الأهم دائماً، ولو أدى ذلك إلى التأخر في نشر الخبر يوماً أو يومين، فإن في اتباع هذه الطريقة الاخيرة أماناً من خطر كبير على الجريدة، هو خطر «التكذيب»، والتكذيب يفقد الجريدة ثقة القراء بها، وفي فقدان هذه الثقة ضياع لها.

حدث مرة أن تناقلت وكالات الأنباء نبأ قالت فيه : « إن سلطان باشا الأطرش قدم مات » ، وتسابقت الصحف المصرية في نشر هذا الخبر ، عدا « الأهرام » ، فلما سئل أنطون الجليل رئيس تحرير هذه الصحيفة يومئذ عن سبب ذلك لجلب بقوله متهاكماً :

« من لم يميت في الأهرام فإنه لم يميت » . وبالفعل أذاعت وكالات الأنباء في اليوم للتالي خبراً قالت فيه : إن الذي توفي هو والد سلطان باشا وليس هو سلطان باشا نفسه .

ثانيهما — ما موقف الجريدة من الخبر التاريخي ؟ أو بعبارة أخرى : هل يصح أن تكون مادة التاريخ خبراً مثيراً يستحق النشر ؟

والجواب على ذلك : أن التاريخ يمكن أن يكون خبراً صحفياً مثيراً في حالات خاصة ، فإذا استطاعت صحيفة مصرية في الوقت الحاضر أن تدرش وثيقة أو خطبة من خطب أحمد عرابي لم تكن قد نشرت من قبل في كتاب من السكتب التاريخية فإن هذه الوثيقة أو الخطبة تثير اهتمام القراء ، وتكون لها صفة (الجدة) التي نتحدث عنها الآن .

قيل إن ماتي صحيفة أمريكية دفعت كل منها آلاف الدولارات لكي يكون لها قبل غيرها الحق في نشر قصة للكاتب الإنجليزي « تشارلز ديكنز » كتبها في أيام صباه ، ولم يسمع أحد بها من قبل .

٢ — المحلية « أو عنصر المكان »

كل إنسان في الوجود يهتم بنفسه أولاً ، ثم بالوسط المحيط به بعد ذلك ، والأشياء المحيطة به تدرج عنده في الأهمية ، فيلتفت من هذه الأشياء إلى الأقرب فالأقرب ، بمعنى أنه يهتم بذويه وأصدقائه ، ومكان عمله ، ومكان عبادة ، ومكان لهوه وهكذا . وحادث يحدث لأحد أصدقائه لا بد أن يثير اهتمامه ، ولا بد أن يفعل به انفعالاً عظيماً ، ولكن حادثة تحدث لوالده في الطريق أو في المدرسة تجعله يقفز من مقعده ، ويخرج هائماً على وجهه .

وتراهى الصحف هذه الصفة من صفات الخبر مراعاة دقيقة ، وتفرق من أجل ذلك بين الطبعة التي توزع في العاصمة ، والطبعة التي توزع في الأقاليم ، فإذا وقعت الحادثة في العاصمة عنيت بها الطبعة التي توزع في العاصمة عناية تامة ، وقلت هذه العناية بالقياس إلى طبعة الأقاليم أو المدن ، والعكس بالعكس .

ومن الأمثلة على هذا العنصر - وهو المحلية - أن فلاناً من القراء حين يقرأ في صحيفة ما أن شركة السيارات العامة على خلاف مع العمال ، ربما لا يأبه لشيء من ذلك ، ولكنه إذا قرأ أن العمال سيبدون غداً حركة إضراب عام ، وأنه سيمشى على قدميه إلى مقر عمله ، فهنا يدخل الخبر دائرة اهتمامه الخاص ، ويقرأ الخبر بلهفة .

٣ - عنصر الإيحاء .

قد تنشر الجريدة خبراً من الأخبار ، بل تتسابق الصحف كلها أحياناً في نشر هذا الخبر بالذات ، لأنها تعلم جيداً أنه يوحى للقراء بشئ الأفكار والاحتمالات ، فن قارىء يذهب إلى أن إسناد الوزارة العراقية - مثلاً - إلى فلان سيضر بقضية الجامعة العربية ، ومن قارىء يذهب إلى أن ذلك نجاحاً للسياسة الاستعمارية في الشرق الأوسط ، ومن قارىء يذهب إلى أن فيه نجاحاً لسياسة تركيا ، ومن قارىء يقول : بل إن فيه نجاحاً لسياسة الأحلاف ، ونحو ذلك إلخ .

وهكذا نجد أن الخبر الذي من هذا النوع يوحى إلى قراء الصحيفة باحتمالات شتى ، وقد يكون لهذه الاحتمالات آثار ملموسة في سياسة الدول المرتبطة بالعراق بصلة من الصلات .

ومعنى ذلك أنه بمقدار ما يكون للخبر الصحفي من قوة الإيحاء ، أو بمقدار ما يثير في نفس القارىء من شتى الأفكار والاحتمالات تكون أهمية هذا الخبر في نظر الصحيفة ، وذلك بغض النظر عن ضخامة الشخصية التي يدور حولها الخبر ، وبغض النظر أيضاً عن طرافة الموضوع الذي يتصل به هذا الخبر .

ولا يحتاج الباحث إلى ضرب الأمثلة الموضحة لهذا العنصر من عناصر الخبر الصحفي في ذاته ، فالأمثلة عليه كثيرة تطالعنا بها الصحف يوماً بعد آخر .

٤ - عنصر الضخامة

إن الضخامة هنا ليست بمعنى التهويل أو المبالغة ونحو ذلك ، ولكن بمعنى إثارة اهتمام أكبر عدد من الناس ، فمن الأخبار الصحفية ما يمس جماعة قليلة من الناس في المجتمع فلا يؤبه له كثيراً في الصحف ، وإن كان ولا بد من كتابته ففى ركن من أركان الصحيفة قد لا يلتفت إليه أحد .

ومن الأخبار الصحفية ما يمس أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع ، أو يمس مرفقاً من أهم المرافق الحيوية في هذا المجتمع ، أو يمس مشكلة من أكبر المشكلات السياسية أو الخلقية أو الاقتصادية التي تهم المجتمع ، وإذا ذلك ترى الصحف تخصص لهذا الخبر الضخم مكاناً ظاهراً فيها ؛ وتدعه يشغل حيزاً كبيراً من مساحتها ، وقد يكون ذلك في الصفحة الأولى من صفحات الجريدة .

وسكريير التحرير هو الحكم عادة في مثل هذه الأمور ، ولكن كثيراً ما يرد عليه من الأخبار يوماً بعد يوم نراه (ذواقة) لهذه المادة الصحفية (نقادة) لها بارها في هذا التدقيق والنقد ، كبراهة الصيرفي الماهر في معرفة الزائف من الصحيح في النقد ، أو الجوهرى الحاذق في معرفة الجواهر الثمينة التي تعرض عليه في كل وقت .

ومهما يكن من شيء فالأساس الذي نزن به حكمنا (بالضخامة) هو اهتمام الرأي العام بالخبر ، أو اهتمام أكبر عدد ممكن من الناس بمثل هذا الخبر ، وما أيسر ما يعرف القارئون على الصحيفة هذه الأوزان .

والخبر الضخم في ذاته خبر متعدد الزوايا ، ولا بد للصحيفة من تغطية هذه الزوايا جهد المستطاع .

والأمثلة على الأخبار الضخمة كثيرة في صحف العالم ، ونريد أن نذكر القارىء ببعضها ، ومنها :

أولاً .. دهرع الرئيس كينيدي في الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر سنة ١٩٦٣ ، وقد شغل هذا الحادث بال رأى العام العالمى فترة كبيرة منها : الجريمة وكيف حدثت ؟ والدوافع إلى حدوثها ، وصدى الجريمة فى رأى العام العالمى ، ومنها كذلك الزاوية الإنسانية الخالصة ، وذلك فيما يختص بزوجة الرئيس الأمريكى الراحل وأولاده ، ومنها الزاوية السياسية الخالصة ، ونقصد بها النظر فى سياسة أمريكا بعد مقتل الرئيس كينيدي الذى كان معروفاً بحبه للسلام العالمى وحبه لتحقيق هذا الأمل ، وبغضه للتميز العنصرى ، وهو العيب الذى وصمت به السياسة الأمريكية وما زالت موصومة به إلى اليوم .

ثانياً - تأميم قناة السويس فى ١٩٥٦/٧/٢٦ ، فقد كان مفاجأة ضخمة للعالم كله ، وأخذت الصحف العربية تتحدث عن هذا الموضوع الضخم ، وتناولته من زوايا كثيرة منها : وصف النبأ الخطير الذى أعلنه الرئيس جمال عبد الناصر والخطاب العام الذى تضمن هذا النبأ ، ومنها : الطرق التى استولى بها المصريون على أملاك الشركة فى كل من السويس والاسماعيلية وبورسعيد ، وكيف احتلوا مكاتب الشركة فى هذه المدن الثلاث وفى مدينة القاهرة أيضاً .

ومن هذه الزوايا كذلك الصدى العالمى لهذا النبأ الضخم ، وتبع هذه الأحداث فى العواصم الأوروبية والأمريكية .

ثالثاً - اجتماع الملوك والرؤساء العرب فى أوائل سنة ١٩٦٤ لبحث المشروع الخاص بتحويل مجرى نهر الأردن ، وهو المشروع الذى الذى أقدمت عليه إسرائيل ، وكان لابد للدواة العربية من أن ترد على هذا

المشروع ، وأن تضع مشروها عربيا يقابله ، وقد عنيت الصحف المصرية بهذا النبا الخطير، وتناولته من زوايا كثيرة ، منها : قدوم الملوك والرؤساء العرب إلى القاهرة على الرغم من وجود التوتر السياسى بينهم فى ذلك الوقت ، ومنها : وصف المؤتمر الذى عقد لهذه الغاية ، وهى البحث فى المشروع الإسرائيلى ، ومنها : وصف المشروع العربى المقابل لهذا المشروع ، ومنها : وصول مائة صحفى ومصور من شتى أنحاء العالم لتغطية هذا الخبر ومنها : وصف الفندق الذى نزل به الملوك والرؤساء ، وهو فندق هلتون ، وكيف انقلب فى لحظة من فندق عام إلى قصر جمهورى .

٥ - الدراما أو المسرحية

(أو مراكز الاهتمام فى الانسان)

إذا صح ما يقال من أن الحياة مسرح عام ، وأن الناس جميعا يمثلون على خشبة هذا المسرح ، فعنى ذلك أن الصحف هى المسؤولة عن تسجيل هذه المسرحية بأحداثها وأشخاصها ومناظرها وألوانها ، لا تدع شيئا من ذلك إلا تحدثت عنه ، وليس شك فى أن المشهورين من الناس غالبا ما يكونون أبطال هذا المسرح العام ، ولذلك تعنى الصحف بأخبارهم أكثر من غيرهم ، وكما تكون الشهرة للأشخاص تكون كذلك للأماكن وللأحداث والأعمال ، فأسماء الزعماء والقادة من الناس ، وأسماء فلسطين ومراكش من البلاد ، وتحديد النسل ، ونظام المعاش والمرتبات ، كل ذلك من الأمور التى تثير اهتمام عدد كبير من قراء الصحيفة .

والسبب فى ذلك أن بالإنسان ميلا إلى الاهتمام بالبطولة وبالأبطال ، ولا بد للصحف من إشباع هذا الميل فى نفوس القراء ، والتحدث إليهم كثيرا فى هذا الباب ، وعلى هذا (فالشهرة) فى ذاتها موضوع هام من

موضوعات المسرحية التي تهتم بها الصحافة ، وهي مسرحية الحياة ،
وهي في الوقت ذاته مقوم من مقومات الخبر الصحفي .

ثم إن مسرحية الحياة كثيراً ما تلبس ثوب الغموض والإبهام ، وهذا
العنصر هو ظهوراً قوياً في (الجريمة) ، فكلما استعصى على رجال الأمن
الوصول إلى أسباب الجريمة أو أشخاص الجريمة كانت أكثر إثارة لفضول
القراء ، فإذا قبض رجال الأمن على المجرم انتهت القصة وأسدل عليها
الستار .

ومسرحية الحياة كثيراً ما تظهر أيضاً في شكل رواية مضحكة
(كوميدية) ، وإذ ذلك تكون الحوادث الطريفة التي تتألف منها القصة
المضحكة بمثابة التوابل على مائدة الصحيفة ، ومن الأمثلة على ذلك : حكاية
الغزال الهارب من حديقة الحيوان . . . وحكاية الجمل الذي فر من صاحبه
حتى وصل إلى باب عابدين ، وكأنه لاذ بصاحب هذا القصر الكبير ،
وحكاية الثور الذي وصل إلى المجمع اللغوي ، وأشباه ذلك .

ولعل أهم ما في مسرحية الحياة أيضاً (عنصر الغرابة) ، التي تثير
في القراء أشد الرغبة في القراءة ، وتشبع فضولهم دائماً عن هذا الطريق ،
ومن الأمثلة على ذلك :

قصة الطفل الذي يولد في طائرة .

وصياح الديك الذي تسبب في موت أسرة كاملة .

وخبر الرجل الميت الذي نهض في نعشه .

وحكاية الرجل الذي باع الأراضي في القمر .

وحكاية الصعيدي الذي اشترى الترام في مصر .

وقصة الشحاذ الذي عثر فجأة على عقد من الماس . . الخ .

والحق أن الفضول الإنساني شيء لا يمكن إشباعه ، ولذا تتسابق

الصحف في هذا الإشباع ، ولسكنها لا تبلغ منه كل ماتريد .
وفي مسرحية الحياة لا يمكننا أن ننسى مطلقاً عنصر (الصراع) .
فغريزة القتال من الغرائز التي لا يمكن أن تموت في الإنسان ، ومن مظاهر
هذه الغريزة صراع الرجل ضد الرجل ، وصراع الدولة ضد الدولة ،
وصراع العلم ضد الجهل ، وصراع الصحة ضد المرض ، وصراع الإنسان
ضد الطبيعة ، وصراع العقيدة ضد العقيدة .

والصحافة لا غنى لها مطلقاً عن استغلال هذه الغريزة ، ولذلك تهتم
بتزويد القراء بأخبار من هذا النوع ، ومن الأمثلة عليها : المنافسة بين
مرشحين على مقعد من مقاعد مجلس الأمة ، وهي مادة تستحق أن تملأ
عموداً في جريدة ، ومنها قصة الحرب بين معسكرين أو دولتين ، وهي مادة
قد تتحدث عنها الصحف أياماً وشهوراً .

وفي مسرحية الحياة أيضاً لا ينبغي أن ننسى (الغريزة الجنسية)
وكيف أنها تلعب دوراً هاماً في جميع الصحف ، وقد رأينا منذ أعوام
كيف أن زواج أميرة من أمراء البيت المالكي في مصر إذ ذاك - هي
الأميرة (فتحية) أخت فاروق - من شاب مسيحي هو (رياض غالى)
- أتاح للجرائد المصرية أئمن الفرص للكتابة الصحفية المتصلة ، ونخص
من هذه الجرائد المصرية بالذكر جريدة « أخبار اليوم » ، فقد اتخذت من
هذه القصة مسرحية من أعجب المسرحيات التي مثلت على مسرح الحياة
المصرية في عهد الملك السابق .

للصحافة إذن أن تستغل جميع الغرائز في الإنسان ، حتى غريزة البحث
عن الطعام ، ومن هنا كانت أسعار الخبز واللحم والفاكهة ، وأخبار
التقنين ، والضرائب التي تفرض على الدخسان وغيره أموراً هامة لدى
القراء ، ولا مفر للجريدة من العناية بها من أجلهم .

وكل هذه الأشياء مظاهر لمسرحية الحياة ، أو بعبارة أخرى مراكز

لاهتمام القراء ، فعلى الصحافة أن تعنى عناية تامة بهذه المراكز كلها ، وعليها أن تدبر الأخبار بمثل هذه الطرق .

٦ - سياسة الصحيفة

وأخيراً نصل إلى عنصر هام من عناصر تقويم الصحيفة للخبر ، وهذا العنصر هو سياسة الصحيفة ، والحق أن من أهم خصائص الخبر الصحفي أن يكون مطابقاً لهذه السياسة ، ومع هذا فن الباحثين من يرى غير ذلك الرأى ، ويحاول أن يدشر الخبر طليقاً من كل قيد ، على أن يكون التعليق الصحفي على الخبر مستقلاً تمام الاستقلال عن الصورة التي نشر بها ، وعقلاً للاتجاه السياسى الذى تعرف به الجريدة .

والنزعة الأخيرة فى رأينا أدنى إلى الصواب ، فلا ينبغي للجريدة أن تتحكم فى قرائها مرتين : مرة عندما تشر الخبر مصبوغاً بلونها السياسى الذى تعرف به ، ومرة عند ما تعلق على الخبر تعليقاً يتفق وهذا اللون ، والصحيفة باتباعها للنزعة الأخيرة تكتسب لنفسها احترام القراء ، وتحظى منهم بالثقة ، ذلك أن الزام الحيده فى تحرير الأخبار أمانة صحفية ينبغي أن تتحلل بها الصحف ، وهى بعد حرة فى تكييف الأخبار وشرحها وتفسيرها وصيغها بالصيغة التى تريدها .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فى الرأى فإن سياسة الصحيفة ، هى التى تستطيع أن تتحكم فى خصائص الخبر ومقوماته ، فتقدم واحداً منها على غيره ، أو تهمله إهمالاً تاماً ، ونحو ذلك ، فصحيفة من الصحف تنظر إلى الضخامة على أنها أهم مقومات الخبر ؛ وأخرى تنظر إلى الجدة على أنها الأهم ، وعلى هذا الأساس تقدم خبراً وتؤخر آخر .

وليت الصحف تقف عند حد التحرير المعرض للأخبار ؛ بل إنها تتعداه إلى كتابة العنوانات المثيرة لهذه الأخبار . خذ لذلك مثلاً مجانية

التعليم ، فإن الصحيفة التي ترضى عن هذا المشروع تتخذ له عنواناً كهذا
العنوان :

« التعليم حق لكل فرد من أفراد الشعب » .

أو « الحكومة تفتح المدارس والجامعات لجميع أبناء الأمة » .

وأما الصحيفة التي لا ترضى عن المشروع فتنشر الخبر بعنوان كهذا
العنوان :

« الحكومة تبذر في أموال الخزانة العامة » .

أو « الحكومة تحابى الطلبة وترشونهم بالمجانبة » .

ومثال آخر : « تجميل مدينة القاهرة وإعادة تخطيط الأحياء الشعبية

أو بعض المدن الهامة في الأقاليم » ، فنرى الصحف المحبذة للموضوع تنشره

تحت عنوان : « تجميل مدينة القاهرة » ، و « انتعاش المدن الكبرى في

الجمهورية العربية » ، ونحو ذلك . أما الجرائد الأخرى - إن صح أنها

توجد في ذلك الوقت - فتنشر الخبر تحت عنوان :

الحكومة تبذر في أموال الخزانة العامة ، وتتملق الجماهير على حساب

المشروعات النافعة » .

وخير من هذه وتلك صحيفة تنشر الخبر كما هو ، وتأتى بنص القرار

الذى اتخذته الوزارة في هذا الصدد أو ذلك . ثم في مكان آخر بالجريدة

تستطيع التعليق عليه بما تشاء ، وبهذه الطريقة يتوفر للخبر عنصران : هما

« الدقة » ، و « الموضوعية » .

على أن هذا وذاك يدعونا إلى التفكير في الموضوع بطريقة أوسع

من هذه الطريقة ، كما يضطرنا إلى الإفاضة في المذاهب المختلفة لنشر الخبر ،

وهو ما سنتحدث عنه في الفصل التالى :

الفصل الخامس

مذاهب نشر الخبر

عرضنا لطائفة من التعريفات المختلفة للخبر ، وهرنا شيئاً من خصائص الخبر أو الصفات الأساسية التي ينبغي أن تتصف بها هذه المادة من مواد الصحف ، وأهم هذه الصفات أن يكون الخبر مثيراً لأكبر عدد من القراء ، ولكن ما السبيل إلى هذه الغاية ؟ هناك اتجاهات ثلاثة في هذه المسألة :

الاتجاه الأول :

هو الاتجاه الذي يهدف أولاً وأخيراً إلى إثارة القراء . وهو الاتجاه الذي يمتاز به الصحف الشعبية في كل بلد من بلاد العالم في عصرنا هذا ، وهذه الصحف الأخيرة لا تجارياً صحف أخرى في سعة الانتشار وضخامة التوزيع ، ومثلها : صحف (أخبار اليوم) في مصر ، وصحيفة (الديلي اكسبريس) في إنجلترا .

ومادام القراء هم الهدف الأول والأخير في هذا المذهب من مذاهب نشر الخبر ، فعنى ذلك أنهم - أى القراء - هم الذين يملون على الصحيفة نوع الأخبار ، وهم الذين يكون لهم دخل كبير في اختيارها عادة ، وفي ذلك يقول الإنجليز عن رائد الصحافة الشعبية في بلادهم ، وهو نورثكليف (١)

لم يعد هذا الرجل هو الذي يحرر الجريدة ، لأن محرريها الحقيقيين هم القراء .

(١) هو صاحب جريدة The Evening News

ولا شك أن من أهم الصفات التي تثير رغبة القراء في الأخبار صفة الغرابة أولاً، وصفة الدراما ثانياً، ومن الأخيرة صفات المجلس، والغموض والشهرة، والأمور الشخصية، ونحو ذلك (١).

من أجل هذا يقول أصحاب الصحف المتمرسون بها إلى اليوم: «إن الأخبار هي كل شيء خارج المألوف»

ويقول الصحفي المشهور «نور ثكليف» الذي تقدم ذكره:

«في شارع تسكنه مائة أسرة وأسرة لا يلتفت الناس إلى مائة أسرة تعيش عيشة مأوفة هناك، بينما يلتفتون إلى أسرة واحدة تكون لها حالة شاذة كحالة طلاق أو جريمة، ونحو ذلك».

ومعنى هذا بعبارة وجيزة أن الصحيفة التي تؤثر هذا الاتجاه تقصد دائماً إلى إشباع رغبات الجمهور عن هذا الطريق، وتعترف بحق الجمهور المطلق في السيطرة على الصحيفة على هذه الصورة؛ وتعتبر أن من أول ما يجب عليها البحث عما يعجب هذا الجمهور، ولا تعتمد مطلقاً إلى مقاومته، أو إهمال رغباته وميوله من هذه الناحية.

ولهذا أيضاً نرى الصحف الشعبية التي من هذا النوع تتجنب صفة (الجفاف) في الأخبار، ولا تبدى عناية تامة بالأخبار الجديدة التي تتصل بموضوعات العلم أو السياسة وما إليها.

والملاحظ عادة أن الأخبار الجديدة تخلو من عنصر التشويق، ولهذا تقدم الصحف الشعبية أخبار الجريمة والجمال والمسرح أولاً، ثم تأتي أخبار المجتمعات الدواية والهيئات الرسمية والمؤتمرات والميزانية والقرارات الحكومية العامة فيها بعد ذلك.

(١) إن الصحفي الأمريكي جون بوجارت من كتاب القرن الـ ١٩ ينسب القول المشهور: «إذا عض كلب إنساناً فليس هذا هو الخبر، أما إذا عض إنسان كلباً فهذا هو الخبر»: كتاب الصحفي الأمريكي.

ويبدو كذلك للمتأمل في الصحف الشعبية التي تؤثر هذا الاتجاه ، أنها تضطر في بعض الأحيان إلى أن تتجاوز هذه الحدود إلى ما هو أخطر منها بكثير ، ويكون من نتيجة ذلك أن تولى هذه الصحف كثيراً من الأخبار التافهة عناية كبيرة ، وبدلاً من أن تبذل جهودها في الحصول على الخبر الهام ، ثم التعليق عليه ، ثم تفسير كل ما يتصل به — نراها تعمد — غير مشكورة — إلى تلك الأخبار ذات الطعوم الحريفة ، إثارة لشهوة القراء ، وانحرافاً بهم إلى العناية بهذه التوافه ، وما تزال الصحافة الشعبية بقراءتها تجذبهم إلى هذه الطعوم ، وتعودم الاكتفاء (بالتوايل) و (المشبهات) من ألوان الأخبار ، حتى يعتاد القراء منها ذلك ، وينصرفوا انصرافاً تاماً عن الألوان الصحفية الأخرى .

وقد حدث في مصر أن صحيفة شعبية نشرت أخباراً عن الجن والشياطين الذين ظهروا بزعمها في حي شبرا ، كما نشرت خبراً عن شيخ أو درويش مر على جسده القطار ولم يميت ١١ .

ومن الحق أن يقال إن التبعة في هذه الحالة لا تقع فقط على الصحافة ، ولكنها تقع في الغالب على حالة القلق التي يعانيها الناس في العصر الحاضر ، أو إلى حالة التوتر النفسى والإرهاق العصبى الذى يصيبهم في حياتهم العامة ، أو إلى حالة الجهل التي عليها أكثر طبقات الشعب في وقتنا هذا ، أو إلى الفراغ الذى تشعر به الكثرة من الشباب والفتيات والنساء ، أو إلى جميع هذه الأسباب .

ومع هذا وذاك فإن الصحف الشعبية التي تسير في هذا الاتجاه تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً من حيث تقديرها للأخبار ، أو من حيث حاسة الشم التي تميز بها بين مختلف هذه الأخبار ، فبعض الصحف الشعبية تميل إلى شيء من الحكمة والرزانة والشعور بقيمة الصحافة ، ومن ثم تحتاط بعض الشيء في إيراد الأخبار التي تتصف بالدراما أو بالغرابة .

ولكن من الصحف الشعبية في نفس الوقت ما لا تقيم وزناً ما لهذه

الاشياء ، فتراها تندفع اندفاع السيل في إيراد الأخبار المثيرة ، ولو كانت جارحة للأخلاق أو منافية لبعض القيم الإنسانية والاجتماعية والدينية في الأمة ، وهذا الصحافة الأخيرة هي الصحافة الصارخة أو صحافة الجاز Gazz Journalism كما يصفها بعضهم بهذا الوصف أو الصحافة الصفراء كما تسمى في أمريكا .

وإلى أتباع هذا الاتجاه من الصحفيين نوجه الانتباه إلى هذا السؤال ؟
هل الأخبار دائماً سيئة ؟

ويجيب « جون هونبرج » صاحب كتاب « الصحفي المحترف » فيقول :
« يقال إن الأزمات والكوارث والمصائب تستخدم دائماً من أجل بيع الصحف ، ويقولون إن معظم الصحف تتألف بشكل واضح من مجموعة الفظائع التي تحدث للأفراد والمجتمعات على حد سواء » .

وفي هذه الأحوال تكون « طبيعة الحال شيء من الصدق ، ولكن ليس كل الصدق ، فالصحفيون - بتقربهم من الناس - يفضلون الأخبار السارة على الأخبار السيئة .

وقد منحت جائزة بوليتزر إلى محرر صحفي كاد يفقد حياته أثناء محاولته إنقاذ حياة طفلة صغيرة ، كما منحت هذه الجائزة إلى محرر نجح في إنهاء إضراب عن طريق التقریب بين وجهات نظر الفريقين المتعارضين ، كما منحت لمصور التقط صورة لأحد رجال الشرطة وهو يحادث طفلاً في استعراض عيد رأس السنة الصيدية .

وليست هذه إلا أمثلة بسيطة (١) .

أما الاتجاه الثاني ، فهو الاتجاه المحافظ ، وفيه تنظر الصحيفة إلى اعتبارات أخرى إلى جانب الاعتبار الأول الذي هو اهتمام القراء ، ومن هذه الاعتبارات التي تنظر إليها الصحيفة :

(١) الترجمة العربية للكتاب للأستاذ فؤاد ص ٦٩

أولاً - توخى الصالح العام دائماً ، فإذا تعارض هذا الصالح العام مع عنصر الغرابة أو عنصر الدراما أو عنصر الجلس أو عنصر الغموض آثرت الصحيفة الصالح العام على هذه العناصر ، وضحت في هذه الحالة بجزء كبير من القراء ، أو بعبارة أخرى بجزء من الربح المادى للجريدة .

ثانياً - أن تكون المادة الصحفية نفسها - خيراً كانت أم مقالا - بما يرشد الأفراد ويعلمهم ويشقفهم ويهديهم في علاقاتهم بالناس وبالحكومة وبالعالم .

ثالثاً - أن تكون هذه المادة الصحفية بما يتفق وقواعد العرف أو الذوق ، ولا يخالف قانون البلاد .

وعلى ذلك فأصحاب هذا المذهب الثانى من مذاهب نشر الخبر لا يعترفون بالمبدأ القائل : « قدم إلى قرائك ما يحبونه فقط » . ولكنهم يرون أن على عائق الصحف واجبا كبيرا هو أن تخلق فى نفوس قرائها الاهتمام بالأخبار الهامة والمسائل العامة ، والأمور التى تتصل بسعادة الجماهير ورفاهية الشعوب ، وتقدم الجماعات الإنسانية ، ونحو ذلك ، وفى هذه الحالة - أى باتباع الاتجاه الثانى من اتجاهات نشر الأخبار - يصبح للخبر الصحفى عندهم تعريف آخر يخالف التعريفات المتقدمة من بعض النواحى ، وهذا التعريف الجديد هو قولهم :

« الخبر الصحفى هو كل شىء يهتم به القراء ، ويكون ذا صلة واضحة بشئونهم الشخصية وأحوالهم الاجتماعية وعلاقاتهم بالدولة والأشخاص » .

وهكذا تتسع هوة الخلاف بين الاتجاه الأول المسرف فى التحديد ، والاتجاه الثانى المائل إلى المحافظة والتقييد ، ويظهر هذا الخلاف بينهما - لأم من حيث مادة الخبر ذاتها فقط - ولكن من حيث طريقة العرض أيضاً ، فبينما تهتم الصحف الأولى عند نشر الأخبار بإثارة الغرائز ، وتعتمد دائماً على رغبة القراء فى معرفة الأسرار والوقوف على الخبايا ، إذ بالصحف

المحافظة تؤثر العناية بالموضوع الهام من حيث هو دون نظر إلى القراء ،
مراعية في ذلك المطابقة التامة لقواعد الذوق والأخلاق ، وما يتطلبه منها
الحرص على الصالح العام والتشريف العام .

لقد اتسع ميدان الأخبار اتساعاً لا يقاس بما كان عليه في بداية هذا
القرن ، وقد بما كانت دوائر الشرطة والمحاكم ودوائر الحكومة تقدم معظم
مصادر الأخبار للصحف ، أما اليوم فلا يمكن لأى محرر يحترم نفسه
أن يتجاهل العلوم والصحة والتعليم وشئون المنزل ، وإعادة لإصلاح
الضواحي وأخبار الإذاعات ومحطات التليفزيون وعشرات من الميادين
الأخرى التي قلما عولجت في السنوات الماضية ، وقد انتقلت أخبار العمل
والعمال من الصفحة المالية حتى استقرت في الصفحة الأولى جنباً إلى جنب
مع أخبار الثورات والانقلابات ، كما أصبحت أخبار العمال شاملة لأشياء
أكثر من الاضرابات وما إليها ، أما أخبار الحريات المدنية فتأتى
في الدرجة الأولى من الأهمية :

• وقد كانت جمهرة القراء يوماً تهتم بأخبار الأثرياء والمشاهير ، وأخبار
الحسان والأشرار من بنى الإنسان فيما مضى ، غير أن هذه الأخبار لم تعد
كافية في وقتنا هذا (١) .

خذ لذلك مثلاً - خطبة لرعيم من الزعماء - فالصحيفة الأولى تنشرها
مراعية في ذلك النواحي التي تجتذب القراء ، معنية في ذلك بالمظهر الخارجى
للخطيب ، فتصف لنا ملابسه ووقته وحركته ، وصوته ونبراته ، وما يتخلل
خطبته أحياناً من النكات ، وما يقابل السامعون به ذلك من شتى الحركات
أو التعبيرات ، على حين نجد الصحيفة المحافظة تعنى عناية تامة بالخطبة ذاتها .
تقسمها إلى موضوعاتها ، وتهتم بنص الخطبة نفسها ، فتأتى بها كاملة في أغلب
الأحيان ، وباختصار تعتمد الصحف المحافظة على عنصر الدقة والجدة

(٢) المصدر السابق س ٧٠ - بتصرف .

في إيراد الخبر ، على حين أن الصحيفة الشعبية لا تتم بهذا الجوهر ، وإنما تكتفى بالطلاع الخارجي فقط ، وفي هذه الحالة تصل الصحف الشعبية أحياناً إلى اختراع التفاصيل ، والاهتمام الزائد بشئ عوالم الإثارة والتشويق .

ومهما يكن من شيء فعلى هذا النوع المحافظ من الصحف تعتمد الحكومات دائماً في توضيح سياستها وإقناع الجماهير بها ، فجريدة (التيمس) الإنجليزية تعتمد عليها الحكومة البريطانية في وضع سياستها الداخلية وسياستها الخارجية ، وجريدة (الطان) الفرنسية تعتمد عليها الحكومة الفرنسية في مثل ذلك .

وهذه الصحف المحافظة ، وإن كانت قليلة الانتشار ، محدودة التوزيع ، إلا أنها ضرورية للشعوب والحكومات معاً ، ولا تستطيع حكومة منها أن تجد في نفسها غنى عن مثلها في وقت من الأوقات (١) .

ولذلك تتمتع الصحف المحافظة بسعة النفوذ والسلطان ، حتى لقد يتجاوز نفوذها الإقليم الذي تطبع فيه إلى بلاد الدنيا كلها ، ويصيح لها صوت مسموع في كل بلد منها ، ويهتم بها الرجال الرسميون وغير الرسميين في أنحاء العالم المتمددين .

ولا شك أن هذه الصحف المحافظة إنما تستمد سلطانها ونفوذها من دقتها أولاً ، وتوخيا المصلحة العامة ثانياً ، وارتفاع مستوى مادتها ومستوى قرائها آخر الأمر ، وكثيراً ما يكون قراؤها من أفراد الطبقة الحاكمة ، أو من الذين يمثلون الرأي العام المستنير في الشعب .

(١) يقال إن جريدة التيمس لا يكاد توزيعها يزيد على ٣٥٠ ألف نسخة في إنجلترا ، وحين أن جريدة الديلي ميرور يرتفع توزيعها عادة إلى خمسة ملايين نسخة في كل يوم ، ومع ذلك فإن التيمس تتمتع بميزات كثيرة منها جلال القدم ، والسيطرة التامة على سياسة الحكومة هناك .

والاتجاه الثالث والأخير من اتجاهات نشر الخبر ، هو الاتجاه الذى عليه .
الآن أحدث الصحف ، والصحافة الحديثة - كما يقول بعضهم - كأن حتى
يتطور بتطور المجتمع ، ولذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه الثالث والأخير
أن السياسة الخبرية الصحيحة ليست فى الجمود على طريقة واحدة ، ولكن
فى التطور والتجدد بتجديد المجتمعات الإنسانية ذاتها ، وتغير الظروف
المحيطة بها ، ومعنى ذلك باختصار أن أصحاب هذا المذهب الأخير فى نشر
الخبر يحاولون المرح بين المذهبين السابقين والتقريب بين الاتجاهين السالفين .
والسبب فى انتهاج هذا المذهب الثالث والأخير هو التقدم الذى أصاب
المجتمعات الحديثة فى العلم والحضارة ، وثم سبب آخر لانتهاج هذا المذهب
أيضاً ، هو أن الصحافة كانت من العوامل الكبيرة التى قربت بين طبقات
المجتمع ، وانتهت إلى إيجاد نوع من التجانس العقلى بين أفرادهم ، بحيث
لم يعد الفرق كبيراً فى الثقافة بين طبقة وأخرى ، كما كان الشأن فى
الأجيال القديمة .

والذى لا ريب فيه أن هذه المشاكلة بين طبقات الأمة دليل على الصحة
العقلية لهذه الأمة ، والذى لا ريب فيه أيضاً أن الصحافة صاحبة الفضل
الأول فى استمتاع المجتمعات الحديثة بهذه الصفة .

فإذا صح ما نقول - وهو صحيح فى كثير من مجتمعات العالم الحديث -
فقد وجب على الصحافة الحديثة أن تعنى بأمرين اثنين عناية متساوية
فى كليهما :

الأمر الأول - هو تسلية الجمهور .

الأمر الثانى - هو تثقيف الجمهور .

والعناية المتساوية بهذين الأمرين معاً تحمل الجريدة على الجمع بين
المذهبين السابقين من مذاهب نشر الخبر ، فإن المذهب الأول لا يصلح
إلا مخاطبة العوام من الناس ، والمذهب الثانى يعنى فى سموه وترفعه على الناس .

والمزج هو الطريقة المثلى لمخاطبة العدد الأكبر من جمهور الشعب على اختلاف طبقاته .

كان الصحفيون قديماً يقولون :

« إن كاتباً عض رجلاً ، ليس خبيراً يستحق النشر ، ولكن رجلاً عض كاتباً ، هو الخبر الذى يستحق النشر »

فأصبح الصحفيون حديثاً يقولون :

« إن رجلاً عض كاتباً ، ليس خبيراً ينشر ، لخلوه من الدلالة والقيمة بالنسبة للقراء الذين لا يهتمون بهذا الخبر إلا إذا عرفوا : أن هذا الكلب مسعور ، أو أنه أصبح خطراً يهدد سكان المدينة أجمعين » .

وهكذا أصبح جمهور القارئ لا يعبأ بالمبالغات الصحفية التى تظهره بمظهر الأطفال أو المغفلين ، بل أصبح هذا الجمهور يسعى وراء الدقة والنهاية بالجواهر وبغير ذلك من الأمور التى تظهر قراء الجريدة بمظهر الكبار الراشدين ، ولعل هذا الشعور هو ما أفضى بجريدة فرنسية يقال لها la Press إلى التوقف تماماً عن الصدور ، وذلك فى سنة ١٩٢٧ بعد أن بالغت فى التغرير بالجمهور ، وأمعنت فى تزويده بالأخبار الشاذة الغريبة التى خلا أكثرها من الصحة ، فاضطر الجمهور إلى مهاجمة هذه الجريدة الكاذبة فى دارها ، وحكم عليها بالتوقف عن الصدور (١) .

وحدث مرة أن نشرت جريدة « كوكب الشرق » فى مصر خبراً عن زيارة الرئيس السابق مصطفى النحاس لبنى سويف ، وبالغت فى وصف الزيارة ، وجرت وراء الخيال فى هذه المبالغة ، ثم ظهر أن النحاس لم يغادر مدينة القاهرة ، فسقطت الجريدة من أعين القراء ، وعانت كثيراً من هذه الحالة .

(١) من الأخبار التى نشرتها هذه الجريدة خبر عن وصول طيارين مغامرين إلى نيويورك بعد أن عبرا المحيط الأطلنطى لأول مرة ، ثم تبين فيما بعد أن الطائرة سقطت فى المحيط !

الحق أن « موضوعية » الخبر - أو بعبارة أخرى - الاهتمام به من حيث الموضوع أهم في نظر الصحافة الصحيحة من « ذاتية » الخبر؛ بمعنى ترك الخبر يحمل رأى ناشره ، والذي لاشك فيه أن الاتجاه الثالث والأخير أضمن « لموضوعية » الخبر من الاتجاهين السابقين .

والحق أن الدقة في نشر الخبر من أزم الصفات لنجاح الصحف ، وفي ذلك يقول الصحفي (جوزيف بولتيزر) صاحب جريدة العالم The world « الدقة للصحيفة كالعفة للمرأة » .

وإذن فلا عذر لصحيفة من الصحف في تساهلها بعض الشيء في صفة « الدقة » إلا في حالة واحدة فقط ، هي توخي الصالح العام للمجتمع ، وفي هذه الحالة تستطيع الصحف أن تقصد إلى بعض التحريف في الخبر ، وهذا ما يسمى عند الصحفيين (الأكاذيب البيضاء) ، فإذا فرض أن وباء عاماً انتشر في البلد ، وخافت الحكومة من نشر الأخبار الصادقة الدقيقة عن هذا الوباء حتى لا يستولى على الناس الطمع ، فهنا توحى الحكومة إلى الصحف باستعمال الكذب ، وهو حلال في هذه الحالة وأمثالها فقط .

وباختصار ينبغي للصحف الحديثة أن تؤثر الاتجاه الثالث والأخير من اتجاهات نشر الخبر ، ولا بد لهذا الاتجاه الأخير من أن يتصف بطائفة أخرى من الصفات ، فضلا عن صفتي الموضوعية والدقة اللتين تحدثنا عنهما ، ومن هذه الصفات الأخرى :

١ - صفة « التنوع » ، فلا يجمل بصحيفة ما أن تكتفى بطعام واحد من الطعوم التي تقدمها للقراء ، بل عليها أن تتخذ من نفسها مائدة حافلة بألوان مختلفة من الطعام ، حتى يقبل عليها القراء ويصيب كل منهم ما يرغب فيه من هذه الألوان .

٢ - صفة « الشمول » ، وهي تلك البرعة الحديثة في الصحافة ، واتباعها يصبح على الصحف أن تكون واسعة الأفق ، حاروية لكثير

من المعلومات التي تتصل بالمسكان الذي تصدر فيه ، والأماكن الأخرى البعيدة عنها في أطراف هذا العالم المتحضر . والقراء في حاجة مستمرة إلى الإحاطة بكل ما يجد في جميع أنحاء العالم . ويلاحظ السكثيون أن الأخبار ذات الصبغة العالمية أصبحت تحتل مكاناً عظيماً في أكثر الصحف ، وفي ذلك تقول مجموعة صحف هرست الأمريكية التي أربى توزيعها على ٢٠ مليوناً من الدسوخ : « إن أمريكا تلح في أن تعلم كل ما يحدث ، وكل ما هو خطير وحيوي ، وكل ما هو أقل خطورة وحيوية . لأنها يجب أن تعلم ما إذا كان ملك من ملوك البلقان قد أزيح عن عرشه أم لا ؟ كما يجب أن تعلم في الوقت نفسه بما حدث أمس في المدينة أو الدولة ، وبمن مات ، وبمن تزوج ونحو ذلك ، فإنه من تلك الأشياء الدقيقة والجليلة والتأفة ، والخطيرة ، تتألف مجموعة الاخبار اليومية التي لا بد أن تملأ بها الصحف .

على أن الخبر الصحفي مهما كانت الطريقة التي ينشر بها ، أو المذهب الذي يتبع في ذلك لا بد له من صفتين هما : التشويق والإيجاز ، فقد مضى الوقت الذي كانت تسلك فيه الأخبار مسلك الإسهاب ، وأصبحنا في زمن يلبني ألا نقدم فيه هذا الطعام الصحفي في أطباق يجلس لها الطاعمون إلى الموائد العظيمة ، بل يجب تقديم هذا الطعام الصحفي على شكل شطائر كما أمكن ذلك .

وهذا وذاك يجرنا إلى الخوض في موضوع جديد من الموضوعات التي تتصل بالخبر الصحفي ، وهو موضوع « صياغة الخبر » ، أو « القوالب الفنية لصياغته » :

الفصل السادس

قوالب صياغة الخبر

لصياغة الخبر الصحفي حتى الآن قوالب ثلاثة أو أربعة ، هي :

أولاً - قالب السرد الصحفي .

ثانياً - قالب الحديث المنقول .

ثالثاً - قالب القصة الإخبارية .

رابعاً - قالب غير الفنئ .

وسنفضل القول بعض الشيء في القوالب الثلاثة الأولى لصلتها الوثيقة بالفن الصحفي من حيث هو ، أما القالب الاخير الذى لاصلة له بهذا الفن فقد دعا إلى ذكره هنا رأى لبعض العلماء ذهبوا فيه إلى أن من الجائز أن يصاغ الخبر صياغة غير فنئية ، أى بدون عنوان ، وبدون خطة ، وبدون شرح ، فإن ذلك ربما يضطر القارئ إلى قراءة الخبر كله من أوله إلى آخره ، وبهذه الطريقة تكون معلومات القراء كافية لتكوين الرأى العام ، أما الناقد فى كتابة الخبر ، والمبالغة فى اتباع الطرق الفنئية فى صياغته فقد تصرفان بعض القراء عن مطالعته ، وتحملهم على الاكتفاء بالعنوان أو على الاكثر بجزء يسير من مقدمات الاخبار .

غير أن هذا الرأى لا يظفر إلا بعدد قليل جداً من الأنصار ، وإن كانت بعض الصحف تسلك هذه الطريقة فى طائفة قليلة من أخبارها التى قل أن تلتفت إليها أنظار القراء .

وقبل أن نخوض فى الكلام عن القوالب الثلاثة التى أشرنا إليها يجدر بنا أن نلفت النظر إلى ما يلى :

« إنه كثيراً ما يحدث أن يكلف الصحفي بتغطية موضوع شامل لكل هذه القوالب الثلاثة ، وفي هذه الحالة يتطور التكوين الفني لكتابة الخبر ويصبح أدنى إلى التعقيد، ولكنه لا يخرج في مجموعه عن الشكل الفني لكتابة الخبر ، وهو الشكل الذي سئشرحه بعد الفراغ من الكلام عن الأشكال الفنية الثلاثة لكتابة الخبر .

وهذا بالقالب الأول من القوالب الفنية .

قالب السرد :

تعتبر طريقة السرد أيسر الطرق الفنية على الإطلاق ، ومع هذا وذاك فإن أنسب الصور الفنية لصياغة الخبر بهذه الطريقة هي صورة الهرم المقلوب ، بمعنى أن يكون للخبر صدر Lead ، وجسم أو صلب Body ، وسئشرح بعد قليل ما هو المقصود بهذين اللفظين ، ففي الصدر تكتب خلاصة الأخبار بعبارة قصيرة فيها عنصر الإثارة ، وفي الجسم أو الصلب تكتب الحقائق واحدة إثر الأخرى حتى نهايتها .

ولنضرب لذلك مثلاً من حياة الطلبة في الجامعة ، وهو :

نتائج امتحانات الفترة الأولى بكلية الآداب .

ويمكن نشر هذا الخبر بطريقة السرد على هذا النحو :

نسبة النجاح في الفترة الأولى لامتحانات كلية الآداب لا تتجاوز ٢٠٪ ، وهذا هو مصدر الخبر ، أما الجسم فإنه يتألف من الحقائق الآتية :

الحقيقة الأولى - أعلنت كلية الآداب اليوم نتيجة امتحان الفترة الأولى .

في جميع الأقسام للعام الدراسي ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .

الحقيقة الثانية - « ظهر أن النتيجة غير مرضية ، لأن نسبة النجاح

في جميع الأقسام بوجه عام لا تتجاوز ٢٠٪ فقد تقدم للامتحان عدد

كذا ... ونجح من هؤلاء عدد كذا .. ورسب الباقون وعددهم كذا ..
ونجح من هؤلاء عدد كذا .. ورسب الباقون وعددهم كذا .. ،

الحقيقة الثالثة - غير أن نسبة النجاح في أقسام اللغة العربية والصحافة
والتاريخ كانت أعلى منها في بقية الأقسام الأخرى ، فقد بلغت هذه النسبة
في قسم اللغة العربية ٤٠٪ ، وفي قسم الصحافة ٥٠٪ ، وفي قسم التاريخ
٦٠٪ .

الحقيقة الرابعة - وقد تبين من الإحصاء الأخير أن الراسين بسبب
المرض أو الأعذار القهريّة التي حالت دون دخولهم الامتحان تبلغ
نسبتهم ٧٪ من جميع المتقدمين لامتحان الفترة الأولى ، ولهؤلاء الحق في
امتحان الدور الثاني .

على أن قالب السرد يأخذ أحياناً شكل الحكاية الصغيرة ، وهنا تحكي
الجريدة الخبر لا على شكل هرم مقلوب ، ولكن على شكل هرم معتدل ،
وذلك كما في الخبر البسيط الذي نشرته جريدة « أخبار اليوم » القاهرية
بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٦٧ على النحو التالي :

هس ، ولا كلمة

الزبون يجلس على كرسي الخلاقة ، ووجهه مغطى بالصابون وجاكتته
معلقة على الحائط وراه ، ورأسه محشوة بكلام الخلاق الذي لا يفرغ .
شاب يتسلل إلى الصالون ، جسمه في حركة غريبة ، أصبعه فوق أنفه ، وفه
في حركة تحذير للخلاق بألا يتكلم . كعب رجله مرفوع ، وهو يمشی على
أطراف أصابعه ، ابتسامة شفّيته تطل من عيابه ، وفي هدوء مد يده وأخذ
جاكتة الزبون وخرج ، والخلاق يتسمهزلا وهو يكتم السر - سر صديق
يعايبه صديقه ويعمل فيه مقلباً طريفاً . الزبون ينتهي من الخلاقة ويقف
على الأرض ملتفتاً إلى الوراء يسأل عن جاكتته ، الخلاق بضحك
(م - ٧ المدخل)

ثم يضحك ، وهو يشير إلى الخارج وشفتاه تتمم : ماخذها صاحبك :
واختفت الابتسامة وابتلع الحلاق ضحكته عندما انقلبت المسألة جداً .
كان الاثنان ضحية لص ظريف ، وانتقل الامر إلى قسم البوليس .

قالب الحديث المنقول :

في هذه الطريقة من طرق نشر الخبر ، تظهر عناية الصحيفة بالخطب
والبيانات والرسائل ، ونحوها من المواد التي يسجلها المخبر الصحفي ،
ويسلك في كتابتها طريقة المستطيلات الكبيرة والصغيرة ، حتى ينتهي من
نقل هذه المادة .

ونمثل المستطيلات الصغيرة الكلام المنقول بنصه تماماً ، كما تشمل
المستطيلات الكبيرة ملخص هذا الكلام وشرحه للقراء ، وذلك على
النحو الآتي :

| | |
|------------|--|
| ملخص | |
| كلام منقول | |
| ملخص | |
| كلام منقول | |
| ملخص | |
| كلام منقول | |

وهكذا ...

ومن السهولة بمكان أن نتصور حديثاً منقولاً عن رئيس الحكومة
المصرية حول موضوع تسليح الجيش ، فإن هذا الحديث يمكن تقطيعه
إلى أجزاء مستقل كل جزء منها بفكرة من الأفكار المتصلة بالموضوع ،
ثم نرى المخبر الصحفي يتبع هذا الجزء بشيء من التلخيص أو الشرح ،

ولا أقول التعليق، لأن التعليق وظيفة أخرى ، وطريقته في الكتابة مخالفة .
وغنى عن البيان أن الحديث المنقول شيء ، والحديث الصحفي المعروف
شيء آخر ، كما سنعرف ذلك في فصول أخرى من هذا الكتاب إن شاء الله .

مثال ذلك ما نشرته صحيفة الأهرام بتاريخ ١٢/٢/١٩٥٩

استئناف العلاقات الدبلوماسية

بين الجمهورية العربية و إنجلترا

اتفقت حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة المملكة المتحدة على
استئناف علاقاتهما الدبلوماسية بدرجة قائم بالأعمال ، اتفقتا على أن يكون
السيد كمال الدين خليل هو القائم العربي في لندن ، وأن يكون المستر كولن
كرو هو القائم البريطاني في القاهرة .

(وهذا هو صدر الخبر أو خلاصته) ، ثم أخذت الأهرام بعد ذلك
في التفاصيل ، متبعة في ذلك طريقة الحديث المنقول على النحو التالي :

كرو يعلن اغتياطه بعودة العلاقات

قال مستر كرو : إنه يعتبر البيان المشترك خطوة مفيدة للغاية في تنمية
العلاقات بين البلدين .

وأضاف كرو : إنه ينتظر وصول : غاب تعيينه من مستر سلوين لويد
وزير خارجية بريطانيا ليقوم بتقديم الخطاب إلى وزارة الخارجية
العربية .

ثم أتت الصحيفة بتفسير عارض لهذه العبارة السابقة فقالت مايلي :
والمعروف أن أوراق اعتماد القائم بالأعمال إنما تقدم إلى وزير الخارجية

طبقاً للعرف الدبلوماسي ، بينما تقدم أوراق الوزير المفوض أو السفير إلى
رئيس الدولة .

(ثم مضت الأهرام تقول) :

وقال كرو - الذي يعمل لأول مرة في القاهرة ومنطقة الشرق الأوسط :
إن عملية تسلم السفارة البريطانية من جديد سيستغرق ثلاثة أسابيع
على الأقل إلى أن يصل باقي موظفي السفارة من لندن وخاصة القنصل
الجديد ، وإلى أن يتم ذلك ستمضي السفارة السويسرية في تصريف أمور
البريطانيين ومنح تأشيرات السفر .

وعلمت الأهرام من تصريح لمستر آرثر جفري المستشار الاقتصادي
للسفارة البريطانية أن عملية استئناف العلاقات ستم في هدوء ، ولن يرفع
العلم البريطاني فوق مبنى السفارة إلا بعد تسلمها نهائياً .

عنوان الخبر

للخبر في أية صيغة من صيغه ، أو قالب من قوالبه ، عنوان يعرف به ،
ويدل عليه ، وكتابة العنوان بحاجة إلى مهارة فنية ، يمكن الحصول عليها
بالممارسة وطول التجربة .

غير أنه يشترط في كتابة العنوان - على أية حال - أن تتوافر فيها
أمور منها :

أولاً - المطابقة التامة بين عنوان الخبر وموضوع هذا الخبر ، فكثيراً
ما نرى بعض الصحف الشعبية تضع للخبر عنواناً مثيراً جذاباً ، ولكنه
ليس مطابقاً لواقع هذا الخبر بحال ما ، وليس من شك في أن هذا نوع من
الكذب على القراء يضر بالصحيفة ، ويدخل البأس إلى قلوب قرائها
ثانياً - الإنارة ، ولكن بشرط ألا تعتمد هذه الإنارة على التهور بل
الكذب والمخرفة المعية ، والتهويش الخداع ، وإلا فقدت الجريدة ثقة القراء
بها ، وصعب عليها أن تسرد هذه الثمة .

والملاحظ أن بعض الأخبار ربما احتاج إلى عنوانات كثيرة يوضع بعضها تحت بعض ، وتخالف الجريدة في نوع الحروف التي تكتب بها هذه العنوانات ، فهي تخالف الجريدة في نوع الخطوط التي تستعمل في كتابتها كأن تكتب السطر الأول بالخط الثلث ، والثاني بالخط الرقعة ، والثالث بالخط الفارسي ، وهكذا .

ثالثاً - القصر ، ولا بد للعنوان على أية حال من أن يكون قصيرا بقدر الإمكان ، وأن يكون في الوقت نفسه قوى الدلالة على فحوى الخبر وكثيرا ما نجد الصحف تختار من موضوع السرد الصحفي أو الحديث المنقول أهم جملة فيه لتسكون عنواناً للخبر نفسه ، وقد تكون هذه الجملة تصريحا لوزير ، أو لرجل مسئول ، مثال ذلك قول بعض الصحف :
وزير التموين يقول : « إن الرغيف الأبيض سيظهر غدا » .

أو قول بعض الصحف :

« مجلس الأمن يقرر فرض العقوبة على إسرائيل » .

رابعاً - كثيراً ما يكون العنوان في العادة جواباً لسؤال : « ماذا » ، وقبلها يكون جواباً « لسؤال : أين : أو لسؤال : متى » .

قالب القصة الإخبارية :

في هذا القالب تتبارى الصحف ، ويظهر الصحفيون مقدرتهم الفنية ويتفاوتون تفاوتاً كبيراً في صياغته .

وللقصة الإخبارية أصول عند أهل هذه الحرفة قلما يتعدونها إلى غيرها ، وقلما يتصرفون تصرفاً ظاهراً في بعضها ، ومن هنا كان الفرق كبيراً بين الكتابة الأدبية الخالصة ، والكتابة الصحفية الخالصة .

فبينما نرى الصحفي مقيداً بهذه الأصول أو الصور الفنية للقصة الإخبارية ، إذ بنا نرى الأديب طليقاً من جميع هذه القيود ، حرراً في الوقت

نفسه في اختيار الوقت الذي يكتب فيه لإنتاجه الأدبي ، حراً كذلك في المادة التي يخلق منها هذا التناج . فما هي القوالب الصحفية التي يجب على الصحفي أن يصب فيها قصته الإخبارية ؟



اتفق رجال الصحف على أن تكون هذه القوالب Patterns على شكل (هرم مقلوب) بمعنى أن الصحفي يأتي بالفكرة الرئيسة أو ما يسمى بالصدر The lead أولاً : ثم يأتي بالتفاصيل أو الجسم بعد ذلك .



وعكس هذا تماماً يحدث في المقال ، فإن الفكرة النهائية أو الخلاصة تأتي في النهاية ، وأما الشواهد والتفاصيل فتكون قبل ذلك أي أن القالب الفني للمقال الصحفي يجب أن يكون على شكل هرم قائم أو معتدل .

* * *

ر ويشترك في تحرير الخبر الصحفي عادة رجلان : هما المنخب أو المحرر الصحفي خارج الدار ، والمراجع أو المحرر الصحفي داخل الدار ، فالمنخب أو المحرر خارج الدار - واسمه Sub Editor - هو الذي يأتي بالأخبار مصوغة على عجل ، وبشكل من الأشكال حينما اتفق

ولكن متى وصلت هذه الأخبار إلى المراجع فإنه يقوم بصياغتها من جديد ، ثم يبعث بها - كما سبق أن قلنا - إلى سكرتير التحرير ، وهذا الأخير هو المسئول الحقيقي عن أخبار الصحيفة ، وعن الملاءمة التامة بين جميع المواد من حيث الموضوع ، والسياسة العامة ، والإخراج الفني في النهاية .

ونعود إلى القصة الخبرية فنرى أنها تتألف - كما قلنا - من جزئين
هامين هما : الصدر The lead ، والجسم The Body .

أما صدر الخبر

فينبغي أن تتوافر فيه شروط منها :

أولاً - أن يشتمل على أهم النقط الرئيسة للقصة الخبرية .
ثانياً - أن يكتب في جملة واحدة ، أو جمل قصيرة ليست بالكثيرة ،
ولكنها مثيرة بقدر المستطاع ، وليس من المفروض أن تكون بينها
أدوات الربط .

ثالثاً - أن يكون إجابة واضحة عن ستة أسئلة معروفة ، وهي :

من ، ماذا ، متى ، أين ، كيف ، ولماذا .

فن الذي اشترك في الحادث ؟

وماذا حدث فيه ؟

ومتى كان ذلك ؟

وأين كان هذا الحادث ؟

وما الطريقة التي تم بها ؟

رابعاً - أن تكون ملامح القصة الخبرية واضحة في صدرها بحيث
تتميز عن غيرها كي يستطيع القارئ أن يكتفي بها - أي بلامح القصة
الإخبارية في صدرها - عن تكلمة قراءة القصة كلها إن ضاق وقته عن
هذه التكلمة .

الأسئلة الستة وطريقة أخذها :

قلنا إنه ينبغي للمحرر الصحفي قبل كتابة الخبر بأية طريقة من الطرق

أن يلقى على نفسه الأسئلة الستة المعروفة التي هي :

من ، ومتى ، وأين ، وماذا ، وكيف ، ولماذا؟

غير أن من الأخطاء التي يتورط فيها المبتدئون من غير المحررين أن يحاولوا الإجابة على هذه الأسئلة بطريقة آلية بحتة ، لاحظ لها من الذوق وحسن التناول ، على حين أنه ينبغي للمحرر الذكي دائماً قبل الإجابة على هذه الأسئلة أن يوازن بينها موازنة دقيقة وسريعة وجيدة في وقت معاً ، فيبدأ بالأهم منها ، ثم المهم وهكذا .

ومقياس الأهمية هنا هو القارئ قبل كل شيء آخر ، فمن الجائز في بعض الأحيان أن يكون اسم الشخص الذي وقع عليه الحادث من الأسماء اللامعة في المجتمع ، وفي هذه الحالة تكون الإجابة عن السؤال (من ؟) هي المقدمة على بقية الأسئلة ، ومن الجائز أن تكون الطريقة التي حدث بها الحادث غريبة كل الغرابة ، فتصبح في نظر القارئ هي الأهم ، وفي هذه الحالة تكون الإجابة عن السؤال (كيف ؟) هي المقدمة وهكذا .

نعم ، يجب على المحرر أن يفاضل بذوقه الصحفي بين الأسئلة الستة المعروفة ، وعليه مع هذه المفاضلة أن يقوم بعمل آخر ، هو أن يرجح الإجابات على بعض هذه الأسئلة إلى فقرة أخرى من الفقرات الاستهلالية التي يتألف منها (صدر الخبر) ، ففي ذلك توفير للحرية التي يجب أن يتمتع بها المحرر في تحرير الخبر ، وفيه إطلاق له ولقلبه من القيود المصطنعة التي يضعها نقاد الصحف ، وبغير هذا كله تخرج المادة الصحفية بعيدة عن الذوق الصحفي الذي أشرنا إليه ، وتبدو وكأنها مفتقرة إلى المعنى الإنساني ، أو اللون الاجتماعي ، أو الجذب النفسي الذي يحتاج إليه القارئ دائماً في قراءة الخبر .

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ نيل Neal (١) :

(١) في كتابه : News Getting & news writing P. 314

لـسـكـي يـنـجـح المـحـرـر الصـحـفـي فـي كـتـابـة الخـبـر الداخـلـي يـجـب عـلـيـه أن يـحـسـب حـسـاب القـارـئ العـادـي أو لا ، و الـذـي لـاشـك فـيـه - مثـلا - أن الإحـصـاءات قـلـمـا تـهـم هـذا القـارـئ العـادـي ، و لـكـن الـذـي يـعـنـيـه حـقـيـقـة إنـمـا هـو انـفـعـالـه بـالـحـادـث الـذـي يـقـرؤه ، كـمـا لو كـان أـحـد شـهـودـه ، أو كـان أـحـد المـشـرـكـين فـيـه ، و إذ ذـاك قـطـب يـتـخـيل القـارـئ نـفـسـه فـي هـذا المـوقـف ، فـيـقـبـل عـلـى قـرأة الحـادـث ، و يـتـابـع قـرأته إـلى نـهـائـته ، :

وعلـى ذـلك فـالمـحـرـر الصـحـفـي يـأـزـاء الأـسـئـلة التـقـلـيـديـة المـعـروـفـة يـؤـدى بـسـرعة كـبـيـرة و لـبـاقـة ظـاهـرة عـمـلـين فـي و قت مـعاً ؛

أولـهـما - المـفاضـلة السـريـعة بـين الإـجـابـات السـت السـابـقـة .

ثانـيـهـما - إـعـمـال الذوق الصـحـفـي فـي هـذه المـفاضـلة .

وإـلـيـك أـيـها القـارـئ بـعض الأمـثـلة الـيـسـيرة لتـوضـيـح هـذه القـاعـدة :

قـرأت عـن الحـادـثة المـفـرعة الـتي غـرقت فـيـها السـيـدة أسـماء فـهـمـى عـمـيدة مـعـهد التـريـبة العـالـي للـعـلـمـات ، و عـرـفت أـنـها كـانـت تـقـود سـيـارتـها و هـي عـالـمة بـفسـاد شـكـائـمـها (فراملـها) ، و مع ذـلك فـقد جـازفت السـيـدة المـذكـورة ، و قـادـت سـيـارتـها إـلى تـرعة عـند أول شارـع الـهـرم ، و كـان مـن نـتـيـجة هـذا أـنـها غـرقت دـون أن يـنقـذها أـحـد .

فـي هـذا المـثـال و جـدنا اسـمـاً لا مـعاً فـي المـجـتـمـع ، هـو اسـم السـيـدة أسـماء فـهـى ، و لـذا رأينا جـمـيع الصـحـف تـبـدأ قـصـة هـذا الخـبـر بـذـكـر الـاسـم أو لا ، و لو مـانـت هـذه السـيـدة بـطـريـقة طـبـيعـية لـمـا اـحـتـاج الأـمـر إـلى أكـثـر مـن ذـكـر اسـمـها فـي قـائـمة الوـفـيات بـشـكـل مـن الأشـكـال ، و لـكـن لـأنـها مـانـت بـهـذه الطـريـقة المـروعة ، و لـسـكـونـها عـلـماً مـن الأعلام المشـهـورة فـي مـصر فـي تـلك الأـونة ، فـقد اـقتضى ذـلك ذـكـر اسـمـها أو لا ، ثم كـيفـية الحـادـث نـفـسـه ثـانـياً ، ثم تـفـصـيل الحـادـث فـي نـهـاية الأـمـر .

أما أفعال القراء بهذا الحادث فيأتي بطريقتين :

أولاهما - صلة السيدة أسماء فهمى بكثيرين من المشتغلين بالتعليم الجامعي ، وغير التعليم الجامعي ، وبالطالبات اللاتي يتعلمن بالمعهد العالى ، وبأسر الطالبات .. الخ .

والثانية - أن يتخيل القارئ نفسه في موقف مشابه لهذه الحادثة المفزعة ، وهذا يضطره إلى متابعة القصة الخبرية ، وإلى أن يدخر في أعماق نفسه هذه التجربة أو الموعظة .

وإليك مثلاً آخر :

هب أنك أيها القارئ علمت نبأ صبية صغار كانوا يلعبون في بيت أحدكم ، ودخلوا غرفة من غرف البيت هي غرفة المكتيب ، وفتح الصبي مكتب والده ، وأخرج من أحد أدراجة « مسدساً » ، فدعت غريزة حب الاستطلاع في هذا الصبي إلى معرفة كنه هذه الآلة الغريبة في نظره ونظر زملائه من الصبية ، وبينما تداعب أنامله الصغيرة هذا المسدس - وكان محشواً بالرصاص - انطلق في صدر المسكين ، فوقع قتيلاً لساعته .

لا شك أنك تلاحظ أن الطريقة التي وقع بها هذا الحادث هي الأهم ، وهي التي تلفت نظر القارئ قبل غيرها ، وهنا وجب على الصحيفة التي تنشر هذا الخبر أن تعنى بكيفية الحادث أولاً ، وتجعل من العناوين الكبيرة والعناوين الصغيرة ، ومن الجمل التي يتألف منها صدر الخبر أداة طيبة لبيان الصورة التي وقع بها هذا الحادث المؤلم . أما الزمان والمكان وأسماء الأشخاص فأمور تأتي بعد ذلك .

ومهما يكن من شيء فالذي نلاحظه غالباً في القصص الشبرية بالصحف أن (سبب) وقوع الحادث من جهة ، و (كيفية) الوقوع من جهة ثانية هما العنصران اللذان : ' إن حادثة ما عن الحوادث الأخرى ، ثم يزداد

القارىء معرفة بهذا الحادث بعد ذلك عند ذكر المكان والزمان ،
وذلك كله ما لم يكن الشخص المصاب فى الحادثة من الأسماء المشهورة .
أوالتي تسمى البارزة ، وذلك كله أيضاً ما لم يكن فى الأسماء المتصلة بالحادث .
ما يحرك اهتمام طائفة بعينها من سكان القطر أو المدينة التى تدر فى الصحيفة .
مثال ذلك :

غرق عشرون شاباً كانوا فى زورق صغير لم يتسع لهم جميعاً إلا بصعوبة .
حين اصطدم هذا الزورق بصخرة فى النيل لم ينتبه لها الشبان الراكبون .
نزاحهم فى الزورق .

فى مثل هذا الحادث نجد أن سبب الوقوع وصورة هذا الوقوع هما
الذاتان استرعيا اهتمام القراء بالصحيفة . وفى مثل هذه الحالة تجد الصحيفة
نفسها مضطرة إلى العناية التامة بهذين العنصرين من عناصر الخبر ، مضطرة
إلى قلة العناية بالأشخاص الذين غرقوا ، أو الوقت الذى غرقوا فيه ،
أو قل مرجحة ذلك كله إلى الفقرة أو الفقرات التى تأتى بعد الفقرات
الأولى عادة .

وعلى هذا فإن المهم فى صدر الخبر دائماً أن يكون من المرونة الكافية
بحيث يتشكل بأشكال الحوادث . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ينبغى أن
يحذر المحرر التفاصيل الكثيرة التى يحشو بها صدر الخبر ، فإن فى ذلك
ما يعوق القارىء منذ اللحظة الأولى - عن متابعة القراءة .

وهذا وذاك يتطلبان من المحرر على الدوام أن يكون واسع الخيلة .
حسن تناول ، جميل الذوق ، دقيق التصرف فى كل حالة من حالات نشر
الخبر ، وهو فى هذا كله أشبه بالمحامى الذى يعد لكل قضية من القضايا حلاً
مخالفاً كل المخالفة للحل الذى يعده للقضية الأخرى ، أو أشبه بالمدرس
الذى يفهم الأطفال بطريقة تخالف طريقة المراهقين ، ويشرح لهؤلاء
بطريقة غير طريقة الشبان الذين تجاوزوا العشرين وهكذا .

طرق التجديد في صياغة صور الخبر :

لاحظنا بما تقدم أن لصدر الخبر أهمية خاصة في الصحف ، فعليا تعتمد هذه الصحف دائماً في إثارة القراء ، وصحيح أن الإجابة عن الأسئلة الستة المعروفة تساعد في الغالب على إشباع فضول القارىء . ، وتدفعه إلى متابعة القراءة مادام لديه متسع من الوقت لذلك . ولكن المحرر الخبير بثنون الصحافة يستطيع الخروج أحياناً على القوالب المعروفة ، ويمكنه أن يستحدث بعض الطرق التي يصوغ فيها أخباره ، وكثيراً ما يكون ذلك منه استجابة لرغبات القراء ، أو مطابقة لمقتضى الحال ، أو استرعاء للأذهان ، ونحو ذلك .

ومن طرق التجديد في صياغة الأخبار على سبيل المثال ما يلي :

أولاً - حشد جميع عناصر الإثارة في الجملة الأولى من الجمل التي يشتمل عليها المصدر ، ، وهي الجملة التي تقوم مقام العنوان في معظم الأحيان ،
كأن يقول :

• صياح ديك يسبب موت طيب .

• فار صغير يعطل حركة المرور .

• جمل المحمل يلوذ بماهدين .

• زوجة رئيس وزراء ترى في نقطة البوليس .

• سفيلتان من سفن الفضاء توشكان أن تصطدما .

ولكن على الصحف بعد ذلك أن تحافظ على حماسة القارىء الذي يقرأ صدرأ من هذا النوع .

ثانياً - من طرق التجديد في صدر الخبر أن تعتمد الصحيفة إلى رسم صورة وصفية تلفت النظر إلى الشخص الأول والأهم في القصة الإخبارية .
كأن تبدأ عنه بمثل هذه العبارة :

« كان وجهه ممتعماً ، وكانت شفاته تتمتان بحركات وألفاظ غير مفهومة . . الخ ، .

ثالثاً — من طرق التجديد كذلك الاعتماد على المفارقات والمفاجآت ،
كان تقول : « فلان الكناس يكتشف أنه الوريث الوحيد لأكبر رجل .
إقطاعي في الصعيد . . . » .

مثال آخر :

« في صوت هادى واضح الذبرات ، وبألفاظ محددة لا غموض فيها ولا لبهام ، وفي ثقة كاملة بسلامة الموقف ، واقتناع تام واطمئنان كامل ببراءة الذمة — استطاع رئيس الوزراء أن يواجه سيل الأسئلة التي وجهت إليه أمس في مؤتمر صحفي عقده بمكتبه ليرد فيه على الحملات الصحفية الأخيرة بشأن التصرفات التي نسبتها إليه بعض الصحف في الأيام القليلة الماضية ، .

رابعاً — الإتيان أحياناً بالمقدمة الاستفهامية ، كأن تقول :

« هل من حق الزوج أن يضرب زوجته إذا رفضت أن تعلق ثيابه ؟
تلك هي المشكلة التي واجهت قاضي محكمة الوايلي صباح أمس ، .

وتستخدم المقدمات الوصفية كذلك عندما يكون المكان الذي حدث فيه الحادث أهم من الحادث نفسه ، ومن الأشخاص المشركين فيه ، وأكثر ما يكون ذلك في الحفلات والمهرجانات والمعارض العامة ، والحدايق ، والأماكن التي تبدو فيها الطبيعة في أحسن زينتها ، وفي الرحلات التي تحتاج لركوب البحر أو لصعود الجبل ، ونحو ذلك .

خامساً — المقدمة الاستفهامية ، مثال ذلك :

هل من حق الزوج أن يضرب زوجته إذا رفضت أن تعلق ثيابه ؟
تلك هي المشكلة التي واجهت قاضي محكمة الوايلي صباح أمس .

هل ظهر بالأسكندرية قائل مجمول ارتكب نفس الجريمة الغامضة التي ارتكبت في الصعيد ؟

سادسا - من طرق التجديد في صدر الخبر أيضاً الاعتماد على التصريحات المنقولة ، فكثيراً ما يأتي الكاتب في أول الخبر الصحفي بتصريح هام الشخصية كبيرة مرموقة ، ويظل هذا التصريح - رغم ذلك - أهم نقطة من نقط القصة الخبرية كلها ، فإذا صادف الصحفي مثل هذه التصريحات يبادر بأن يؤلف منها صدرأ للقصة الإخبارية . مثال ذلك أن صحيفة من الصحف نقلت قول المستر تشمبرلين :

« أستطيع أن أجد حلاً للقضية المضرية في وقت أقل من الوقت الذي يكفي لشرب فنجان من القهوة » .

سابعا - ومن طرق التجديد في صياغة صدر الخبر أيضاً الطريقة التي يسميها الأوربيون في كتبهم « أنت وأنا » ، ويقصدون بها نقل القارىء إلى جو القصة منذ بداية الأمر ، كان يبدأ المحرر قصته الإخبارية بقوله : « نحن الآن في مكان كذا ، ثم يتم القصة ، غير أن هذه الطريقة أقرب للإذاعة وأشبه بها وأصلح لها .

ثامنا - المقدمة الإنسانية ، كالتى نحكى قصة رجل فقد بصره وفقد مولده الوحيد وصبر على ذلك سنوات عدة وبعدها رجع إليه بصره بعد أن اهتدى إلى ولده .

تلك وأمثالها طرق لتجديد صدر الخبر ، وهى لا تعدو كونها في الواقع مجرد أمثلة من هذا التجديد ، وفي وسع الكاتب الصحفي اللبيق أن يهتدى إلى أحسن منها ، وليس ما قدمناه من الحديث عن (صدر) الخبر إلا وصفاً موضوعياً لهذا الجزء من الخبر ، وهو وصف يستعين به المبتدئون في الصحافة ، أما الذين مارسوها زمنا طويلا فإنهم يختارون كل يوم جديداً في كتابة هذا الجزء الهام من أجزاء الخبر ، وهو الصدر أو المقدمة .

على أن التجديد في صياغة الخبر لا يقتصر فقط على الجزء الأول من أجزائه وهو (الصدر) ، بل يتعداه إلى الطريقة التي يختارها المحرر .

والطريقة هنا غير القوالب الفنية لصياغة الخبر ، وهي القوالب التي تحدثنا عنها فيما سبق .

فهنالك — كما يقول الأستاذ جلال الحامصي — (١) طريقتان لنشر الخبر :
أولاهما — الطريقة التقليدية المعتادة — أو الطريقة الإخبارية
المباشرة — وهي التي تعتمد على تركيز المقدمة (بريد الصدر) حول أهم
ما في الخبر ، محاولين بذلك الإجابة على واحدة أو أكثر من الشقيقات
الخمس (بريد الأسئلة الخمسة) .

والثانية — أن يحول التركيز إلى زاوية أخرى من زوايا الخبر على
أساس أن هذه الزاوية تضيف على النبأ ضوءاً يجذب القارئ إلى قراءته .
وهي طريقة تستعمل كثيراً في كتابة الأخبار ذات الطابع الشخصي . .
وهنا يسمى الشخص أو المكان الذي يدور حوله الخبر « المحور الأساسي ،
في الخبر ، فهو الذي يجب أن تسلط عليه الأضواء في المقدمة (المصدر)
وما يليها .

مثال للطريقتين معاً

يصح أن نضرب المثل هنا بالعامل الذي عثر على ثلاثة آلاف جنيه
مصرى في شرفة منزل لأحد التجار ، وهو يشتغل بدهان هذا المنزل
في غيبة صاحبه ، وقد كافأته الحكومة بتعليكه (شقة) جميلة في أحد
المنازل المبنية حديثاً .

وتمكن كتابة هذا الخبر بإحدى الطريقتين الآتيتين :

الطريقة الأولى — وهي الطريقة المعتادة :

الصدر :

تسلم عامل نقاش من السيد رئيس الوزراء ووزير الداخلية عقداً

(١) انظر كتاب : من الخبر إلى الموضوع الصحفى ١١٧ و ١١٨ .

بتمليك شقة جميلة في منزل من المنازل التي بنيت حديثا ، وهذا العقد مكافاة له على أمانته .

الصلب :

كان العامل النقاش حامد إبراهيم يجاس مع أسرته للغداء ظهر أمس حين وقفت ببابه دراجة (موتوسيكل) ففتح الباب وإذا بجندى من جنود الشرطة يسلمه خطابا يدعى فيه إلى المتول بين يدي رئيس الوزراء ليسله عقدا بتمليكه شقة جميلة في البيت رقم ١٥ بمدينة النصر (قرب مهر الجديدة) .

وفي اليوم التالي ذهب حامد إبراهيم إلى وزارة الداخلية حيث سلمه السيد رئيس الوزراء هذا العقد بعد أن أثنى عليه لأمانته وشهامته .

الطريقة الثانية (محور الخبر) :

روى العامل حامد إبراهيم قصة عنوره على مبلغ ثلاثة آلاف جنيه مصرى في شرفة المنزل الذى كان يشتغل بدهانه في غيبة صاحبه ، قال حامد لبعض أصدقائه في المقهى الذى تعود الجلوس فيه كل مساء :

فرغت من دهان الغرف التي يتألف منها المنزل ، ثم وصلت إلى الشرفة ، فوجدت بها على الأرض كومة من الجرائد القديمة ، وعندما أردت أن ألقى بها في الطريق تبين لى أن بها حزمة كبيرة من الأوراق المالية ، وأخذت أعد هذه الأوراق فإذا بها ثلاثة آلاف جنيه فارتعشت أنا ملي واشتد حفقان قلبي ، وذهبت على الفور إلى مركز البوليس وسلمتها له .

ودعاني بعد ذلك السيد رئيس الحكومة وأثنى على أمانتى وسلبي عقدا أصبحت به مالكا للشقة الجميلة التي أسكنها .

والعامل حامد إبراهيم يعيش الآن في هذه الشقة مع زوجته وأرلامه وأمه العجوز .

وبعشر المبلغ الذي عشر عليه - وهو ما يستحقه بنص الشرع - حصل حامد على أثناس جديد ، وزود بيته بجهاز تليفزيون .

بالطريقة الأولى : صيغ الخبر صياغة تقليدية حكمت تسلم العامل للجائزة من السيد رئيس الوزراء ، وتمليكه الشقة الجديدة مكافأة له على أمانته .

وبالطريقة الثانية : دارت القصة الإخبارية كلها حول محور واحد فقط هو (العامل حامد ابراهيم) وكيف عشر على هذا المبلغ وسله إلى مركز البوايس ، وكيف يعيش في منزله الجديد ، وبهذه الطريقة الأخيرة ظهرت العناية (بروح الخبر) دون مايشتمل عليه من المعلومات الشكلية . ومنها مقابلة العامل للسيد رئيس الوزراء .

ولاشك في أن الطريقة الأخيرة أدنى إلى نفوس القراء من الأولى ، وأكثر حيوية ، وأكثر إشباعاً لقولاء القراء واجتذاباً لاهتمامهم . وهكذا يكون التجديد في صياغة الخبر إما في صياغة الصدر ، وإما في الطريقة التي يكتب بها الخبر نفسه على النحو الذي شرحناه .

صلب الخبر

يفرغ المحرر من كتابة الصدر على الوجه المتقدم ، وبعد ذلك يأخذ في كتابة التفاصيل شيئاً فشيئاً . والمتبع في كتابة التفاصيل عادة أن تكون على شكل فقرات متكاملة Block Paragraphs . كل فقرة منها تؤلف وحدة مستقلة بذاتها ، بحيث يمكن حذف أية فقرة عندما تحتاج الصحيفة إلى ذلك ، بشرط عدم الإخلال بالمعنى العام ، أو بالقيمة العامة للخبر نفسه إذ ذاك .

وهذا فرق آخر بين الأدب والصحافة ، فنحن في الأول نرى أن جميع الفقرات التي يتألف منها المقال الأدبي آخذ بعضها ببعض ، بحيث

إذا حذفنا فقرة منها أضر ذلك بالمعنى ، لكننا في الخبر الصحفى نستطيع أن نستغنى عن بعض الفقرات التى يتألف منها عند الحاجة .

والخبر الصحفى فى هذه الحالة يكون أشبه بالقصيدة العربية ، كل بيت فيها وحدة قائمة بذاتها ، ويستطيع الشاعر أو القارىء أن يحذف من هذه الوحدات ما يشاء ، أو يقدم بعضها ويؤخر بعضها متى شاء ، فلا يضر ذلك بالقصيدة .

وكما سبق أن ذكرنا ، تستطيع الصحيفة أن تفرق من حيث القصة الخبرية بين الطبعة التى تصدر فى العاصمة ، والطبعة التى تصدر فى الأقاليم ، فهناك قصة خبرية تهتم العواصم الكبرى فى الجمهورية العربية ، وهناك قصة خبرية تهتم الأقاليم ، وعلى الجريدة أن تراعى هذا الفرق بينهما مراعاة دقيقة ، وتستطيع أن تملأ الفراغ الناتج عن هذا الإجراء بشتى الأخبار التى تهتم القراء .

ولا شك أن ذلك مزية من مزايا الشكل الهرمى فى كتابة الخبر الصحفى ، فلو لم يكن الخبر مصوغاً على شكل هرم مقلوب لما استطاعت الصحف أن تحدث هذه التغييرات المطلوبة عند الحاجة ، ولعجزت الصحيفة عن أن تمد كل بيئة محلية بالأخبار التى تناسبها .

والآن نعود إلى الكلام عن الخبر الذى يكتبه المحرر الصحفى مستخدماً فيه جميع القوالب الفنية المعروفة إلى الآن ، وهى : قالب السرد ، وقالب الحديث المنقول ، وقالب القصة الإخبارية .
وسنضرب المثل هنا بخبر من الأخبار هليلنا أولاً أن نحكى خلاصته كما يلى (١) :

فى إحدى نقابات العمال جاء المرشح الجديد لمركز النقيب واتهم النقيب السابق بأنه أساء استعمال أموال النقابة وتصرف فيها لمصلحةه ويديه .

(١) أورد هذا الخبر الأستاذ الجماصى فى كتابه « المندوب الصحفى » ص ١١١ .

وفي اليوم السابق للانتخابات تجمهر أفراد هذا الفريق أمام دار النقابة يريدون اقتحامها بالقوة ، وإذ ذاك تحصن النقيب السابق ومؤيدوه بمبنى النقابة .

وتصل الشرطة إلى مكان الحادث وتحاول التدخل .

ولكن المرشح الجديد لمنصب النقيب يخطف في الحال ويدلى بتصريحات هامة .

وتخشى الشرطة أن يفلت الأمر من يدها فتستعمل الغازات المسيلة للدموع ، ثم تضطر بعد ذلك إلى إطلاق بعض الأعيرة النارية فيصاب عدد من العمال وينقلون إلى المستشفى .

كيف نكتب صدر هذا الخبر

إن خبراً كهذا لا بد أن يكون صدره طويلاً ، لأنه يشتمل على وقائع كثيرة ، ولا بد في خبر مثله أن تتركز نقطة البداية في تجمع العمال حول دار النقابة ، لأن هذا التجمع هو الذي أدى إلى إلقاء الخطب والتصريحات المثيرة ، وإلى الصدام بين الشرطة والعمال ، وإلى وجود ضحايا .

بعد ذلك يمكن للحرر الصحفي أن ينتقل إلى الإجابة عن سؤال ماذا ؟ أى ما الذى حدث حتى أدى إلى هذه النتائج ؟

وفي فقرات قصيرة ومركزة بعد ذلك يذكر المحرر وقائع الحادث واحدة بعد أخرى ، ويقدم للقارئ (هيكلارميا) لهذه الوقائع ، وكل ذلك دون أن يغرق القارئ في مزيد من التفصيلات التي لا مكان لها إلا « صلب الخبر » .

وعلى هذا تمسك كتابة (صدر الخبر) على النحو التالي :

صدر الخبر

حاول ألف عامل من عمال نقابة (كذا) اقتحام دور نقابتهم بعد

ظهر أمس ، متأثرين بأن أحد زعمائهم (فلان) متهم باسم النقيب السابق ،
وتصرف في مبالغ كبيرة من أموال النقابة لمصلحة مؤيديه .

وقع تصادم بين الشرطة وبعض النقابيين أدى إلى حدوث إصابات
من الفريقين ، والسبب في ذلك أن الاتهام جاء في الليلة السابقة لموعد اجتماع
الجمعية العمومية لإجراء انتخاب النقيب وأعضاء مجلس النقابة .

بادرت الشرطة إلى محاصرة مبنى النقابة، وفي داخل المبنى تحصن النقيب
السابق ومعه مؤيدوه .

حاولت الشرطة إبعاد العمال قليلا عن مبنى النقابة ، ولكن العمال
رفضوا ذلك .

اضطرت الشرطة إلى استخدام الغازات المسيلة للدموع ، ثم إلى إطلاق
بعض أعيرة نارية أصابت عشرة من العمال بجروح بالغة ونقلوا
إلى المستشفى .

بنى زعيم العمال الثائرين (فلان) اتهامه للنقيب السابق على تقرير وضعته
لجنة خاصة كلفتها الجمعية العمومية غير العادية وبحثت في الإعانات العالية
التي صرفت في العام الماضي .

وقد جاء في هذا التقرير أن اللجنة تشك في أن هذه الإعانات اتبعت
في صرفها الإجراءات التي نص عليها قانون النقابة :

وأخيراً نأتى إلى :

صلب الخبر

وفيه يأتي الصحفي بالتفصيلات الكثيرة لما تضمنه الصدر من الوقائع
الكثيرة ، فيبدأ مثلا في شرح المزيد من البيانات المتصلة بالحادث ، ويتكلم
عن الطريقة التي حدث بها التجمع أمام دار النقابة ، فهل كانت هناك دعوة
سابقة ، أم أن التجمع جاء بمحض المصادفة ؟

ثم يأتي بتفاصيل أخرى عن الصدام الذي وقع بين المتظاهرين ورجال الشرطة ، ويشرح للقارىء كيف نصح رجال الشرطة بالامتناع عن التظاهر ، ثم يصف حالة المصابين الذين نقلوا إلى المستشفى ويذكر أسماءهم واحداً واحداً كما استطاع ذلك ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى وصف زعيم العمال الساخطين وهو يقف بينهم ويده نسخة من تقرير اللجنة يلوح بها لمؤيديه وينذرهم بأن النقابة على وشك الإفلاس بسبب تصرفات المجلس السابق والنقيب السابق .

وهنا يجب على المحرر أن يقتبس من كلام زعيم العمال الساخطين بعض أقواله ، ومنها على سبيل المثال :

إن ما وصلت إليه حالة النقابة المالية يهددنا جميعاً بخطر كبير ، ويحتم علينا جميعاً أن نتخذ الإجراء الحازم لحفظ حقوقنا .

ومثل قوله :

« لقد سرقوا أموالنا وأتم الضحايا ، بل إن أولادكم أيها العمال هم الذين سيدفعون الثمن ، وهكذا .

ويعود المحرر الصحفي بعد كل ذلك إلى سرد الوقائع الباقية وأحدة بعد أخرى ، ثم يعود إلى المزيد من الأقوال المقتبسة من تقرير اللجنة ، وهي الأقوال التي استشهد بها زعيم العمال الثائرين في تحريضهم ضد الثورة .

وأخيراً يصل المحرر الصحفي إلى :

الفقرة النهائية أو الختامية للخبر

وهذه ليست لها قواعد مضبوطة في الحقيقة على الرغم من أن لها أهمية كبيرة ، لأنها آخر ما يقرع سمع القارىء من القصة الإخبارية ، ويتوقف اختيار الفقرات الختامية على طبيعة الموضوع الصحفي ذاته ، والمهم ألا يترك الصحفي قراءه معلقين أو حائرين ، فإن كلمة واحدة في هذه الحالة

تزيل الشك والتردد ، وعلى ذلك يمكن أن تكون الفقرة الختامية لهذه القصة الإخبارية بصورة من هذه الصور فمثلا :

الصورة الأولى

وما زال الخلاف بين الفريقين المتنازعين على أشده ، وستحسم هذا النزاع نتائج الانتخابات التي ينتظرون إعلانها في ساعة متأخرة من مساء اليوم .

الصورة الثانية

وتواصل النيابة التحقيق، وستستمع إلى أقوال رئيس النيابة السابق في الساعة العاشرة من صباح اليوم .

الصورة الثالثة

وإذا ظلت الاضطرابات مستمرة اليوم كذلك فقد يصدر وزير الشؤون الاجتماعية قراراً بتأجيل الانتخابات إلى وقت آخر .

وفي هذا المثال المتقدم من أمثلة الخبر الصحفي وجدنا المحرر يصطنع الطرق الفنية الثلاث المتبعة إلى الآن في تحرير الأخبار ، وهي طريقة السرد ، وطريقة الحديث المنقول ، وطريقة القصة الإخبارية .

فاستخدم طريقة السرد ، لأنه سرد وقائع الحادث واحدة بعد أخرى وبالتزيب الذي وقعت به تماما ، واستخدم طريقة الحديث المنقول ، لأنه أورد كثيراً من كلام زعيم العمال الساخطين ومن كلام التقرير الذي كتبه اللجنة ، واستخدم طريقة القصة الإخبارية ، لأن الخبر كان له صدر أجاب عن الأسئلة التقليدية ، ومن سؤال (لماذا) وأن السبب في هذا الحادث كان هو الأهم في الواقع ، كما كان للخبر صلب اشتمل على التفاصيل كما رأينا .

الفصل السابع

الحوادث الداخلية أو المحلية

كيف تصاغ في قصة إخبارية

تشغل الحوادث الداخلية أو الأخبار المحلية حيزاً هاماً في الصحافة اليومية منذ نشأتها ، غير أن طريقة صياغتها في الوقت الحاضر تختلف اختلافاً كبيراً عنها في الماضي ، ولذا يحرص الكشيريون من المشتغلين بالصحافة في وقتنا هذا على معرفة الأصول والقواعد التي يحسن اتباعها في كتابة هذا النوع من الأخبار بنوع خاص .

وقد يكون الحادث الداخلي من الأهمية والخطورة في بعض الأحيان بحيث يلفت أنظار القراء على اختلاف درجاتهم ، وإذ ذلك تعنى الصحيفة اليومية بهذا الحادث الداخلي عناية خاصة ، وتكتبه في الصفحة الأولى ، وهي الصفحة المخصصة في الغالب للأخبار الخارجية ، وتكتب له العناوين الضخمة ، وفي نفس المكان - أعنى بالصفحة الأولى - تشر الصحيفة صورة قوية الدلالة على هذا الحادث ، وتكتفي بكتابة صدر الخبر في هذا المكان الممتاز من الصفحة الأولى ، ثم في الصفحات التالية يأتي الجسم ، أو الصلب مشتملاً على التفاصيل .

* * *

ولسنحاول في هذا الفصل أن نشير إلى بعض الأصول والقواعد التي تلج في صياغة مثل هذا الخبر ، وسنشجع ذلك ببعض الأمثلة من بيئتنا المصرية الحاضرة ، ليقين عليها الصحفي كلما تعرض للحالات المشابهة .

ومن القواعد الصحفية التي يرددها الصحفيون دائماً قولهم :

« إن الأسماء هي التي تصنع الخبر » .

وهي قاعدة صحيحة لا اعتراض عليها ، ولكن الخطأ يأتيها من جانب المبتدئين في التحرير غالباً ، إذ نرى هؤلاء يمدون إلى المبالغة في تكديس الأسماء وازدحامها في صدر الخبر ، فيشوشون بذلك على القارىء منذ اللحظة الأولى ، فينصرف عن قراءة الخبر .

والحقيقة أنه كما تكون المبالغة في التفاصيل مسيئة إلى الخبر متى احتلت مكان الصدارة منه على خلاف المتبع ، فكذلك ازدحام الأسماء يسيء إلى الخبر إذا صدم به القارىء منذ بداية هذا الخبر ، فالأحرى بالمحررين في هذه الحالة أن يقدموا الأسماء المهمة أو المألوفة للقارىء العادى ، ثم في أجزاء أخرى من صلب الخبر الداخلى يصح لهم أن يذكروا الأسماء غير المألوفة له ، وهكذا .

وليس معنى ذلك مطلقاً أن على الصحيفة اليومية أن تقلل من عنايتها بالأسماء ، أو أن تغفل عن ذكرهم عمداً في بعض الأحيان ؟ كلا ، فإن القاعدة التي أشرنا إليها صحيحة من جميع الوجوه ، واتباعها واجب في جميع الظروف .

وإليك مثلاً يوضح هذا العنصر الهام من عناصر الخبر الداخلى ، ونعنى به عنصر الأسماء - أو بعبارة أخرى - عنصر الإجابة عن سؤال (من ؟) من الأسئلة الستة المعروفة .

وازن معي أيها القارىء بين صيغ أربع للإخبار عن حادثة بسيطة على النحو الآتى :

الصيغة الأولى

غرق صبيان ونجا ثالث مساء أمس عندما انقلب بهم زورق في النيل قرب الزمالك .

الصيغة الثانية

غرق صبيان من سكان شارع عباس بالجيزة ، ونجا ثالث لهم عندما انقلب بهم زورق في النيل قرب الزمالك .

الصيغة الثالثة

غرق صبيان من سكان شارع عباس بالجيزة ، ومن تلاميذ المدرسة الإعدادية الأميرية ونجا الثالث ، وهو من سكان هذا الشارع ومن تلاميذ المدرسة نفسها عندما انقلب بهم زورق في النيل قرب الزمالك .

الصيغة الرابعة

غرق صبيان هما فلان وفلان ، ونجا الثالث وهو فلان ، وثلاثتهم من شارع عباس بالجيزة ، ومن تلاميذ المدرسة الإعدادية الأميرية ، وكانوا مساء أمس يستقلون زورقاً في النيل انقلب بهم قرب الزمالك .

هذه صور أربع (صدر) هذا الخبر المفرع ، ولكن ليس شك هناك في أن الصيغة الأخيرة هي الأقرب إلى الفن الصحفي بالمعنى الصحيح ، إذ هي الصورة التي عنى فيها المحرر بذكر أسماء الصبية واحداً واحداً ، وذكر عنوان كل منهم ومدرسته وهكذا ، وهذه الأسماء - وإن كانت في ذاتها مجهولة لأغلبية القراء - باستثناء سكان شارع عباس ، وتلاميذ المدرسة الأميرية الإعدادية - إلا أنها تعطي الخبر أهمية خاصة ، وتكمله من الناحية الفنية الصحفية الخالصة ، وبدونها يعتبر الخبر ناقصاً ، ولا يجذب انتباه العدد الكافي من قراء الصحيفة .

• • •

وكالحوادث الخاصة بالفرق ، أو التصادم ، أو التشاجر ، أو السرقة ، أو القتل والانتحار - تكون الحوادث الداخلية الخاصة (بالحريق) .

غير أن حوادث الحريق بالذات يجب أن يعنى بها المحرر الصحفي عناية-
من نوع آخر ، ذلك أن عنصر (المكان) أو الإجابة عن السؤال (أين ؟)
هو الذى ينبغى أن يقدم فى هذه الحالة ، وهنا يجب على المحرر الصحفي أن
يكون واضحاً كل الوضوح فى تحديد هذا الموقع .

فإذا قال مثلاً إن ناراً شبت فى العمارة رقم ٥٠ بشارع ٢٣ يوليو وجب
عليه فى هذه الحالة أن يتبع ذلك بكلمة (فؤاد سابقاً) ، فليس كل الناس
يعرفون أن اسم هذا الشارع الرئيسى من شوارع القاهرة حدث فيه مثل هذا
التغيير فى التسمية . وأكثر من هذا وجوباً على المحرر فى تحديد موقع
الحريق أن يعنى بتعريف هذا الموقع أو المسكان للقراء باسم موقع أو مكان
آخر يجاوره ، ويكون أعظم منه شهرة لدى الخاص والعام ، كأن يقول
المحرر فى هذه الحالة ، شبت النار بالعمارة رقم كذا شارع ٢٣ يوليو
(فؤاد سابقاً) وهى العمارة المجاورة لسينما ريفولى ، أو الأمريكين ، أو
محلات شمالاً ، وهكذا .

* * *

وتم قاعدة صحفية ثالثة لا بد من الاهتمام بها فيما يتصل بالحوادث
اليومية ، وهذه القاعدة هى :
« أن الإنسان أغلى ما فى الوجود ، وفيه ينبغى أن يتركز اهتمام
الجريدة » .

وأتباعاً لهذه القاعدة يجب على الصحيفة أن تعنى دائماً بذكر الضحايا
من الناس قبل الضحايا من الأموال والمتاع .

بل إن الضحايا البشرية ذاتها تتفاوت فى نظر القراء ، فيكون موت
طالب من طلاب المدارس الثانوية أو الجامعات فى مظاهرة سياسية ، أهم
فى نظر القراء ، من موت رجل من رجال الأمن الذين عهد إليهم لإخماد
هذه المظاهرات .

فالمعروف أن عمل الشرطى فى مثل هذه الظروف عمل محفوف بالخطر دائماً ، وموت الشرطى فى هذه الحالة ، قد يكون نتيجة من نتائج هذا العمل المحفوف بالخطر ، ثم إن موته فى مثل هذه الحالة يعتبر فى نظر الحكومة والجمهور موتاً فى سبيل الواجب الذى قام به .

أما موت طالب أو طالبين ، أو عامل أو عاملين فى مظاهرة سياسية فإنه ليس متوقفاً دائماً ، فوق أنه يتصل اتصالاً قوياً بالمعنى أو الغرض الذى قامت من أجله المظاهرة ، وهو غرض يلفت نظر القراء قبل أى غرض سواه . ومعنى ذلك باختصار أنه يدبغى للصحيفة اليومية أن تعنى بذكر (الضحايا المدنيين) قبل (الضحايا الرسميين) وذلك فى الجمل الافتتاحية ، أو الفقرات الاستهلاكية التى يتألف منها صدر الخبر . وللصحيفة بعد هذا وذلك أن تذكر الضحايا الرسميين فى الفقرة التالية للفقرة الأولى مباشرة ، وقد لا يجوز إرجاء ذلك إلى الفقرة الثالثة أو الرابعة .

هذه طائفة من القواعد المتبعة فى تحرير الخبر الداخلى عادة . أما الطرق المتبعة فى صياغته على شكل قصة فكثيرة ، سنشرح بعضها فيما يلى :

طرق صياغة القصة الخبرية لحادث دافلى :

من الأصول التى يجب اتباعها فى كتابة القصة الخبرية - على وجه العموم - تقسيم الخبر نفسه إلى أجزاء يستقل كل منها بجانب من جوانبه أو بحقيقة من حقائقه ، وإذا كانت هذه القاعدة ضرورية فى كتابة الأخبار بوجه عام ، فإنها أكثر ضرورة فى الواقع للخبر المحلى بوجه خاص ، ذلك أن الأخبار المحلية عرضة للتغيير المستمر من لحظة إلى أخرى ، والمطبعة لا تمهل المحرر حتى يعيد صياغة الخبر المحلى من أوله إلى آخره ، ففى لا تدع له أكثر من الوقت الذى يسمح له بحذف فقرة وإثبات أخرى مكانها ، أو إضافة فى فقرة جديدة لم تكن موجودة فى الأصل إذا لزم . هذا الإجراء .

وندع هذه القاعدة جانباً لننظر في الطرق التي يمكن أن نتبعها في كتابة الخبر الداخلي، أو صياغة القصة الإخبارية التي تمم القراء بحقائق هذا الخبر .

وهنا نستطيع أن نضع أيدينا على طرق ثلاث، هي :

- ١ - طريقة الترتيب الزمني المعدول .
 - ٢ - " " " المعكوس .
 - ٣ - " " " التشويق المسرحي (أو التغلب على فتور القاريء) .
- واليك الأمثلة :

١ - بطريقة الترتيب الزمني المعدول

يمكننا أن ندرج الخبر الآتي بالصيغة التالية :

(أ) حدث أمس - في طريق مصر الجديدة - أن أخرج سائق (المترو) رأسه من العربة ، وكان المترو سائراً بسرعة كبيرة ، فاصطدم رأس السائق بعمود من أعمدة الكهرباء ، فقتله في الحال ، وقذف به في الطريق . وبقي المترو سائراً إلى الأمام بنفس السرعة .

(ب) وشد ما انزعجت سيدة في غرفة (السيدات) حين رأت المترو يسير وحده بدون سائق في الطريق ، فصرخت صرخات عالية لفتت إليها أنظار الركاب الذين ارتبكوا ارتباكاً شديداً ، وصرخ النساء بعدها صرخات مدوية كذلك .

(ج) وتقدم الكساري - وهو لا يعرف شيئاً عن القيادة - وطلق يحاول وقف المترو حتى وقف لحسن الحظ في تلك اللحظة الدقيقة .

(د) وكان وقوف المترو - لحسن الحظ أيضاً - قبيل المنحنى السابق لمحطة روكسي مباشرة بما لا يزيد عن ثلاثين بوصة .

(هـ) ولو وصل المترو بسرعه إلى هذا المنحنى الحاد قبيل محطة روكسى لانقلب بركابه ، ولأصبح ضحايا الحادث يعدون بال عشرات .

٢ - بطريق الترتيب الزمنى المعكوس

يمكننا أن ننشر الخبر بالصيغة التالية :

(أ) نجار كواب المترو فى طريق مصر الجديدة من الموت بأعجوبة حين وقف المترو فجأة عن السير قبيل المنحنى السابق لمحطة روكسى بما لا يزيد عن ثلاثين بوصة .

(ب) ولو وصل المترو بسرعه السابقة إلى هذا المنحنى الحاد قبيل محطة روكسى لانقلب بركابه ، ولأصبح ضحايا الحادث يعدون بال عشرات .
(ج) أما الذى تنبه إلى ذلك فسيده فى (الحریم) صرخت صراخاً عالياً حين لاحظت أن المترو يسير وحده بدون سائق وبسرعة عظيمة ، فلفتت إليها أنظار الركاب الذين اضطربوا اضطراباً شديداً ، وصرخ النساء منهم صرخات مدوية كذلك .

(د) وإذ ذاك تقدم الكسارى - وهو لا يعرف شيئاً عن القيادة - وطفق يحاول وقف المترو حتى وقف لحسن الحظ فى تلك اللحظة الدقيقة .
(هـ) أما السبب فى سير المترو بهذه الصورة فهو أن السائق كان قد أخرج رأسه من العربة ، فاصطدم بعمود من أعمدة الكهرباء ، فقتله فى الحال وقذف به بعيداً عن مكانه .

٣ - بطريفة التشويق المسرحى

تستطيع الصحيفة أن تنشر الخبر بالصيغة الآتية :

(أ) صرخت سيده فى غرفة (السيدات) بالمترو فى طريق مصر الجديدة حين رأت أن هذا المترو يسير وحده بدون ، سائق وبسرعة عظيمة .

(ب) واضطرب الركاب ، وعلا صراخ النساء والأطفال ، وشعر الجميع بالخطر الدام ، خصوصا أن المترو يقترب سريعا من المنحنى السابق لمحطة روكسى ، التي هي أولى محطات مصر الجديدة .

(ج) ولو وصل المترو إلى هذا المنحنى الحاد لانقلب بركابه جميعا ولعظمت فداحة الحادث ، وأصبح الضحايا يعدون بالعشرات .

(د) وشامت الأقدار أن يجرى الكسارى إلى مكان السائق ، وعلى الرغم من أنه يجمل كل شيء عن القيادة ، فإنه أخذ يحاول وقف المترو عن السير . والعجيب أن المترو وقف في تلك اللحظة الدقيقة ، وكان وقوفه قبل المنحنى الحاد بما لا يزيد عن ثلاثين بوصة .

(هـ) واتضح فيما بعد أن السبب في سير المترو على هذه الصورة هو أن السائق كان قد أخرج رأسه من العربة ، فاصطدم بعمود من أعمدة الكهرباء ، فقتل في الحال ، وقذف به بعيداً عن القضبان .

تعليق على الطرق الثلاث

إذا نظرت معى أيها القارئ إلى الطريقة الأولى - وهي طريقة الترتيب الويفنى المعدول - لاحظت أنها أسهل الطرق جميعا بالنسبة للمحرر وللقارئ في وقت معا ، أما المحرر فإنه لم يعمل فكره كثيراً في تقسيم الخبر إلى وقائع ، وترتيبها بحسب وقوعها ترتيباً زمنياً لاتصرف فيه ، وأما القارئ فإنه لم يجد عسرا في تتبع القصة الخبرية على هذا الوجه .

غير أن الطريقة الأولى تفتقر إلى العنصر الدرامى ، والعناية فيها بجميع أجزاء الخبر متساوية تقريبا ، مع أن المتبع عادة هو المخالفة في هذه العناية ، وذلك بتقديم بعض الأجزاء وتأخير الأخرى ، والاهتمام ببعض الأجزاء أكثر من الاهتمام بالأخرى ، وهكذا .

على أن أهم ما يوجه إلى هذه الطريقة الأولى من نقد هو أنها مبينة في الواقع على نظام الهرم المعتدل . وقد سبق أن قلنا عن هذا النظام لأنه يصلح لنشر المقال، ولكنه لا يصلح دائماً لكتابة الأخبار . ومعنى ذلك أن اتباع هذه الطريقة الأولى في صياغة الأخبار من شأنه ألا يجعل الفرق واضحاً أو مفهوماً بين صياغة الخبر وصياغة المقال ، وفي ذلك ما فيه من الخلط بين الفنون الصحفية من حيث الصياغة .

والقائل بهذه الطريقة الأولى من أساندة الصحافة هو الأستاذ نيل Nela ، ولكننا لا نوافق على ما ذهب إليه من الإشارة إليها على أنها من بين الطرق الثلاث المتبعة في صياغة القصة الخبرية ، بل نميل إلى القول بالطريقتين الأخيرتين إلى أن يأتي الوقت الذي يبتدع فيه المحررون الناهيون طائفة من الطرق الأخرى .

وإذا نظرت معي أيها القارئ في الطريقة الثانية - وهي طريقة الترتيب الزمني المعكوس - وجدتها تعنى بنتيجة الحادثة أولاً - فتأتي بها في أول القصة ، ثم تندرج منها إلى الوقائع التي أدت إليها .

وهذه الطريقة الثانية أكثر اتباعاً في الصحف السيارة ، وإن احتاجت من المحرر إلى جهد أكبر ، ووقت أطول .

أما الطريقة الثالثة والأخيرة - وهي طريقة التشويق - فإنها أفضل الطرق جميعاً ، وفيها يستطيع المحرر أن يتغلب على فتور القارئ ، وذلك بأن يوفر له العنصر الدرامي ، وفيها كذلك إهمال تام للعنصر الزمني ، إذ المهم في هذه الحالة هو الحادث نفسه وصورة وقوعه ، وحتى النتيجة نفسها تأتي في الأهمية بعد الصورة أو الكيفية أو العنصر الدرامي في مثل هذه القصة .

غير أن هذه الطريقة الأخيرة تتطلب من التحرير تفكيراً أطول ؛

ومهارة أكبر ، ولذا لا يحسنها في الواقع إلا كاتب بارع ، أو محرر متمرن ، وهو بهذه البراعة ، وهذه المرونة قادر على التصرف في القصة الخبرية تصرفاً صحفياً سليماً جاريماً في الوقت نفسه مع الأصول والقواعد التي أشرنا إليها .

وقبل الفراغ من هذا الفصل يجدر بنا أن نذبه القارئ هنا إلى أننا في تطبيق الطرق الثلاث على صياغة الخبر إنما عنينا بشيء واحد فقط ، وهو كتابة صدر الخبر والطرق المتبعة غالباً في كتابة هذا الصدر ، وأهمنا العناية (بالعنوان) من جهة و (صلب الخبر) من جهة ثانية .

والحقيقة التي لا نزاع فيها أن صدر الخبر أهم في نظر الصحيفة ونظر القارئ من صلب الخبر ، لأن هذا الأخير - وهو الصلب - هو مكان التفاصيل التي تملأها الصحيفة فراغها غالباً ، وهي لذلك إنما تكتب دائماً (بالبنط) الدقيق أو الخفيف ، ويقع جزء منها في الصحيفة التي كتب فيها صدر الخبر ، وتقع الأجزاء الباقية من هذه التفاصيل في الصفحات الأخرى من الصحيفة . أما القراء فلا يمتنع منهم في قراءة هذه التفاصيل عادة إلا من يسمح له وقته بهذه القراءة ، ومن هنا جاء اهتمام الصحيفة دائماً بصدور الأخبار دون جسمها أو أصلها ، وكان الجهد الفني الذي يبذل في كتابة هذه الأصلا أقل بكثير جداً من الجهد الفني الذي يبذل في كتابة الصدور .

وذلك ما أردنا أن نلفت إليه نظر القارئ حتى يفهم أن القصة الإخبارية على الصورة التي قدمناها له يجب أن تكون لها بقية تقصر وتطول حسب التفاصيل التي استطاع مخبر الصحيفة جمعها وتزويد صحيفته بها حتى تستطيع كتابة القصة كاملة .

والصحيفة ذاتها بعد ذلك أن تتصرف في هذه التفاصيل فتكتب منها ما تريد في الطبعة الخاصة بالماصحة ، وتكتب منها ما تريد أيضاً في الطبعة

الخاصة بالأقاليم ، وإن كان المتبع في الغالب أن طبعة الأقاليم - حيث يتسع الوقت أمام الجمهور القارىء - تكون مزودة بقدر أكبر من التفاصيل التى لا تتسع لها طبعة العاصمة ، وحيث لا يتسع الوقت فيها للقارىء لسكى يأتى على هذه التفاصيل من أولها إلى آخرها .

الأخبار الكبيرة أو الأخبار ذات الزوايا المتعددة

من الأخبار الداخلية أو الخارجية ما يمس عددا محدوداً من القراء ، ومنها ما يمس عدداً كبيراً منهم ، وقد ألمعنا إلى ذلك عند الكلام عن (تقويم الخبر) ، وسمينا النوع الأخير بالأخبار الضخمة ، أى التى يهتم بها أكبر عدد ممكن من القراء ، أو التى تمس مشكلة من أهم المشكلات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية .

وهذا النوع الأخير من الأخبار فوق أنه يوصف بالفخامة فإنه يوصف كذلك بأنه متعدد الزوايا . والمقصود بالزوايا هنا (الوحدات) أو النواحي الكثيرة التى يتألف منها الخبر الصحفى أو الجهات العديدة التى يهتمها الخبر . وهنا تحتاج كل وحدة من هذه الوحدات أو ناحية من النواحي إلى مندوب صحفى خاص يأتى بمعلومات عنها ، وعلى الصحيفة فى النهاية أن تؤلف من جميع هذه الزوايا أو النواحي خبراً كبيراً يهتم القراء أن يقرأوا عليه . وكثيراً ما يقوم رئيس التحرير بدراسة الموضوع الخبرى فى ذاته ، ثم يتولى تقسيم المحررين أو المندوبين الإخباريين على نواحي هذا الخبر وزواياه بعد ذلك .

ولنبداً أولاً بضرب الأمثلة على هذه الأخبار الضخمة أو الأخبار المتعددة الزوايا ، فمنها على سبيل المثال :

• خبر ثورة داخلية كبرى كثورة مصر فى ٢٣ (تموز) يوليه ١٩٥٢

• وثورة العراق فى ١٤ تموز (يوليه) سنة ١٩٥٨

• خبر عدوان خارجى على البلاد كالعدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦

(م - ٩ المدخل)

- خبر حادث كبير كحادث تأمين قناة السويس الذى كان سبباً فى العدوان الثلاثى على مصر كما هو معروف .
- حادث انتشار وباء خطير كالطاعون أو الكوليرا .
- حادث زلزال أو انفجار بركان .
- حادث عصابة كبيرة تتجر فى المخدرات .
- حادث سقوط جسر من الجسور فى جهة كالقناطر الخيرية بالقاهرة ، وهو المعروف هناك (بالكبرى الهزاز) .

وسنضرب المثل هنا أولاً ، بحادث تأمين قناة السويس :

عندما أعلن الرئيس عبد الناصر تأمين شركة قناة السويس ، وكان ذلك فى مساء اليوم السادس والعشرين من يوليو (تموز) سنة ١٩٥٦ شعرت الصحافة العالمية عامة والصحافة المصرية بوجه خاص أنها أمام خبر فى غاية الضخامة ، واهتمت الصحف المصرية يومئذ بالنواحي الآتية وهى :

الناحية الأولى : الخطبة التى ألقاها الرئيس عبد الناصر واستمعت إليها الجماهير بأعصاب متوترة وأنفاس مبهورة ؛ بينما كان الملايين من الناس فى الإسكندرية وغيرها من المدن المصرية يمدقون بأجهزة الراديو .. أما المعلقون السياسيون من الأوربيين فوصفوا هذه الخطبة بأنها كانت أقوى من قبلة مدوية أصمت آذان الاستعمار وأذهلته عن نفسه .

الناحية الثانية : كيف تم الاستيلاء على مركز الشركة فى السويس ، وذلك فى أثناء الخطاب الذى ألقاه الرئيس ، وكيف طرد الضباط المصريون جميع الأجانب التابعين لهذه الشركة من مكاتبهم واحتلوا هذه المكاتب .

الناحية الثالثة : كيف تم الاستيلاء كذلك على مكاتب المركز العام للشركة فى القاهرة نفسها .

الناحية الرابعة : من هم أعضاء مجلس الإدارة الجديد بعد أن ألقى
القرار الذي أصدره جمال عبد الناصر مجلس الإدارة القديم .
الناحية الخامسة : ماذا تقول وكالات الأنباء الخارجية عن هذا
الحادث ، وماذا تقول الصحف والإذاعات الأجنبية كذلك ؟

كل هذه الأمور تشعبت عن حادث واحد ، هو حادث تأميم قناة
السويس ، وثم أمور أخرى تشعبت عنه كذلك لا نريد الإطالة فيها ، وكل
واحد من هذه الأمور ، أو كل زاوية من هذه الزوايا تحتاج إلى محرر
مسئول لتغطية الأخبار والمعلومات التي تتصل بهذه الناحية أو الزاوية .
ومن مجموعة هذه الأخبار والمعلومات تتألف القصة الإخبارية الضخمة
ذات الزوايا المتعددة ، وتبذل هيئة التحرير مجهوداً فنياً كبيراً في صياغتها
حتى يفهمها القارئ فهما مستقيماً من جهة ، وكاملاً من جهة ثانية ، وحتى
لا تحمل القارئ مهمة ترتيب الوقائع ، أو استخلاص النتائج وتفسير
البيانات والتصريحات ونحو ذلك .

كيف تصاغ القصة المتعددة الزوايا :

قلنا إن على رئيس التحرير أن يوزع محرريه في الصحيفة على جوانب
الموضوع الإخباري الكبير بحيث يستقل كل واحد منهم بجانب واحد
فقط من جوانبه ويستطيع كل واحد من أولئك المحررين بعد ذلك أن
يكتب الموضوع كما لو كان هذا الموضوع سينشر في الجريدة مستقلاً عن
سائر الموضوعات أو الأجزاء التي يتألف منها الخبر . . . وبهذه الطريقة
يستطيع المحرر المختص بزاوية من الزوايا أن يضع خلاصة لائحته ما حصل
عليه من المعلومات خاصاً بزاوية ، ثم يقدم كل هذه الجوانب أو الزوايا
إلى رئيس التحرير ، وفي استطاعة هذا الأخير بعد ذلك أن ينظر
في (صدور) هذه الموضوعات الخبرية ليعرف من أين يبدأ كتابة الخبر
الكبير في الصحيفة ، كما يستطيع رئيس التحرير بعد ذلك أن ينظر

في (جسوم) هذه الموضوعات الإخبارية ليعرف أى التفاصيل أهم من الأخرى ، ويرتبها ترتيباً خاصاً بحيث يقدم الأهم على المهم منها وهكذا .

ومرة أخرى نعود إلى شرح الطريقة التى تكتب بها القصة الكبيرة أو الضخمة أو ذات الزوايا المتعددة .

فكيف يكتب الصدر أولاً ؟ :

يمكن لرئيس التحرير أن يكشف بذوقه الصحفي عن المحور الذى تدور عليه القصة ويبدأ به كتابتها .

كما يمكن لرئيس التحرير بعد ذلك أن يعرف أبرز ما فى القصة كلها من موضوعات لكى يقدمها للقارىء ثم يأتى بما هو أقل أهمية. ومن الجائز أن يتسع صدر الخبر الكبير لأكبر من موضوع واحد ، بل إنه ليتسع أحياناً إلى موضوعات كثيرة فى وقت واحد متى رأى رئيس التحرير أنها متساوية فى الأهمية .

مثل للخبر المتعدد الزوايا :

يضرب أحد الصحفيين مثلاً لذلك خبراً عن إضراب سائقي السيارات المسماة (بالورى) احتجاجاً على إجراء معين اتخذته أصحاب هذه السيارات ضد سائقيها ، ولذلك انفق السائقون على الالتجاء إلى العنف فى حركة الإضراب التى سيقومون بها .

وبدأ الإضراب فعلاً ، وجاءت الأنباء إلى المحرر المسئول من مختلف المندوبين الموزعين فى أماكن مختلفة .

وينظر المحرر المسئول فى كافة العناصر التى وصلت إليه ، ثم يختار منها واحداً يدل على العنف الذى اتفق العمال عليه فيجعل منه أول جملة أرفقرة من فقرات الصدر أو الجمل التى يتألف منها ، كأن يكتب الفقرة الأولى بهذه الصورة :

« خمسمائة جالون من اللبن سكبت في الطريق الزراعى العام بين القاهرة
وقليوب عندما هاجم عدد كبير من العمال ست سيارات لورى محملة باللبن
وهى فى طريقها إلى مصنع الألبان .
أو أن يقول :

وقف العمال القافلة وأرغموا السائقين على النزول من السيارات ، وبدءوا
فى سكب اللبن قبل أن يتدخل رجال الشرطة الذين أسرهم إلى مكان
الحادث ، وفى الفقرة التالية من فقرات الصدر يقول :

« كان هذا الحادث أبرز ما وقع أمس بعد أن أعلن سائقو سيارات
اللورى إضرابهم » (١) .

وإلى الآن عنيت القصة الإخبارية بجانب واحد فقط هو حركة
الإضراب فى ذاتها ، غير أن على رئيس التحرير ومعلونه أن يعنوا فوق
ذلك بالجوانب أو الزوايا الأخرى من زوايا هذه القصة الإخبارية الكبيرة
ومنها الزاوية الإخبارية التى تهتم أصحاب المصنع .
والزاوية الإخبارية التى تهتم الجمهور المنتفع .
والزاوية الإخبارية التى تهتم الحكومة .

وينبغى أن يشتمل صدر الخبر على جمل أو فقرات توضح هذه الزوايا
الأخيرة ، ثم يأتى جسم القصة الإخبارية بعد كل ذلك وبه جميع التفاصيل
التي وردت إلى الصحيفة عن كل زاوية من زوايا القصة الإخبارية كلها .
وبذلك تلتهى هذه القصة .

(١) جلال الدين الحامصى « الندوب الصغرى » ص ١٢٥ و ١٢٦ .

الفصل الثامن

الأخبار الخارجية

أصاب الأستاذ (أدمون برك) Edmond Burke حين قال ، إن الصحافة هي تاريخ العالم كله في يوم ، .

ذلك أنه كان على الصحيفة منذ نشأتها أن تطلع القراء على ما يحدث في الداخل وما يحدث في الخارج ، والصحيفة بدون هذا العمل بشقيه الداخلي والخارجي لا قيمة لها في الواقع .

أهمية الخبر الخارجي

تحتاج الشعوب الآن أكثر من أى وقت مضى إلى أن يفهم بعضها بعضاً ، وأن يتعاون بعضها مع بعض ، وأن تؤمن كلها بهذا المبدأ الذى يسود غيره . من المبادئ الأخرى فى عصرنا هذا ، وهو (مبدأ التعايش السلمى) ، ولكي تفهم الشعوب بعضها بعضاً على الوجه الصحيح يجب أن يعرف بعضها بعضاً على الوجه الصحيح ، وطريقها إلى ذلك واحد دائماً ، هو العناية التامة بوسائل الإعلام المختلفة ، ومن أهمها الصحافة ، فعلى هذه الصحافة إذن أن تعبر الحدود السياسية بين الدول ، ليس فقط فى أوقات الحروب والتوتر الدولى ، والأزمات السياسية ، بل فى أوقات السلم أيضاً ، وعلى الصحافة دائماً أن تقوم بدور الوسيط بين هذه الدول والشعوب ، وأن تكون طريق التعارف السلمى بينها دائماً ، وفى ذلك وحده ما يضمن السلام العالمى والاستقرار الدولى ، والتعايش السلمى ، وبدونه يصبح السلام أمراً صعباً فى عالم تهدده هوامل الانحلال ، وتسرى فى جسده حمى الانقسام ، وينزود النوم عن أجفانه شبح الحرب !

إننا بدون الأخبار الخارجية نعيش في ظلام تام ، ونشعر أننا غرباء في هذا العالم الذى ربطت بين أجزائه مصالح مشتركة ، ووصلت بين أطرافه شتى طرق المواصلات ، وأصبح كالأسرة الواحدة في البيت الواحد ، لاغنى لآى فرد منها عن الوقوف على أخبار الآخرين .

والباحث في تاريخ الصحافة المصرية منذ نشأتها إلى يومنا هذا لايسعه إلا الاعتراف بهذه الحقيقة ، وهى أن الصحف المصرية ربما كانت من أكثر صحف العالم اهتماماً بالأخبار الخارجية ، فهى تقدمها دائماً على الأخبار المحلية ، وهى تفسح لها حيزاً كبيراً من صفحاتها اليومية والدورية ، وإلى عهد قريب كانت الصحف المصرية تفرد الصفحة الأولى لهذا النوع من الأخبار ، وبقى الحال على ذلك حتى ظهرت أهمية الأخبار الداخلية فاحتلت جزءاً كبيراً من حيز الصفحة الأولى ، وإذا قيست المساحة التى تشغلها الأخبار الخارجية من للصحف المصرية بالمساحة التى تشغلها هذه الأخبار من الصحف الأمريكية وجد أن هذه الأخيرة لا تنشر من تلك الأخبار إلا مايعطى ثلاثة أعمدة فقط من مائة عمود تشتمل عليها الصحيفة الأمريكية غالباً . وأكثراً ما تصل إليه الصحف الكبرى هناك أنها تشغل ما بين الثمن والخمس من مساحتها لهذا الغرض . . . وقبل نصف قرن من الزمان لم تسكن الصحف الأمريكية تنشر من الأخبار الخارجية إلا ماله أهمية قصوى .

وإذا كانت مصر - أو الجمهورية العربية المتحدة - فى الوقت الحاضر قد اتسعت علاقاتها أكثر من ذى قبل فى المجال الدولى ، وإذا كان ظهور الكتلة الآسيوية الأفريقية قد أحدث نوعاً من التوازن بين المعسكرين الشرقى والغربى ، فعنى ذلك أنه أصبح للأخبار الخارجية مكان مرموق فى الصحف العربية فى وقتنا هذا ربما كان أعظم بكثير من مكانها فى أى وقت مضى .

طبيعة الخبر الخارجي :

سبق لنا أن تعرضنا لتعريف الخبر من حيث هو ، سواء أ كان هذا الخبر محلياً أم خارجياً ، وسواء أ كان هذا الخبر سياسياً أم غير ، وقلنا عن الخبر إنه الشيء الجديد الذي يهتم به القراء فور صدور الصحيفة ، والحق أننا لا نجد صعوبة ما في تعريف الخبر الداخلي ، فكل ما يقع في مصر أو في الجمهورية العربية المتحدة هو خبر داخلي أو محلي ، وكل ما يتعلق بمصر أو بالجمهورية العربية المتحدة من الحوادث أو الأخبار التي تقع في الخارج هو أيضاً خبر داخلي أو محلي .

فإذا صح ذلك - وهو صحيح بأغلبية الآراء - فإن الأخبار الخارجية هي أخبار ما يقع في خارج مصر أو خارج الجمهورية العربية ، وهي الأخبار التي يكون مصدرها الخارج في جميع الأحوال ، وهي الأخبار التي تحتل الصفحة الثانية من أكثر الصحف المصرية في الوقت الحاضر . ومن الأمثلة عليها :

- بريطانيا تتجاهل قرار الأمم المتحدة لحل مشكلة قبرص .
- اليونان تبلغ الأمم المتحدة استياءها من خطة بريطانيا .
- خمس هزات أرضية في ثمانى ساعات تحدث خسائر فادحة .
- بطلة عالمية في الرقص يحكم عليها القدر بالارتقاء أبدأ .
- مليون عامل يهدمون الإضراب في بريطانيا .
- أمريكا تزود بريطانيا بصواريخ ذرية .
- زعيمة شيوعية تفر من فينا .
- رئيس وزراء روسيا يجتمع بالسفير البريطاني .

تلك إذن أخبار خارجية : منها ما وقع في لندن ، ومنها ما وقع في أثينا ، ومنها ما وقع في فينا ، ومنها ما وقع في موسكو ، وهي أخبار تشترك جميعها في صفتين أساسيتين :

أولاهما - أنها أخبار تصف أحداثاً وقعت في بلاد أجنبية تقع خارج حدود الجمهورية العربية المتحدة .

والثانية - أنها جاءت إلينا من مصادر خارجية .
وهنا يصح لنا أن نسأل :

هل يفهم من هذا أن كل ما يقع خارج حدود الجمهورية العربية
المتحدة يعتبر أخباراً خارجية ، ومكانه من الجريدة هو صفحة الأخبار
الخارجية ؟ أو بعبارة أخرى :

ما القول في أخبار السودان ، وأخبار الدول العربية الشقيقة ؟ أعتبر
أخباراً خارجية ؟ .

لقد أجمع المسئولون عن الصحف المصرية على إجابة واحدة عن مثل
هذه الأسئلة ، وهذه الإجابة التي أجمعوا عليها هي النظر إلى أخبار السودان
والأقطار الشقيقة ، بل الشرق الأوسط كله على أنها أخبار داخلية وليست
خارجية بحال من الأحوال .

ونحن نعلم أن الأستاذ مصطفى أمين رئيس تحرير أخبار اليوم - على
وجه التمثيل - يقسم الأخبار إلى قسمين :

الأول - هو الأخبار الداخلية ، وهي أخبار مصر والجمهورية العربية
المتحدة ، والسودان والعالم العربي والشرق الأوسط .

والثاني - هو الأخبار الخارجية ، وهي أخبار بقية العالم :

وصحيفة (أخبار اليوم) تعتبر نفسها صحيفة الشرق الأوسط ،
وليست صحيفة محلية بالمعنى الضيق ، فتتنظر مثلاً إلى سياسة أمريكا تجاه
أندونيسيا على أنها مسألة داخلية ، في حين أنها تنظر إلى النزاع بين أمريكا
والصين الشعبية على أنه مسألة خارجية .

ولهذا رأينا في الصفة الأساسية الأولى من صفات الخبر الخارجي ،
أنه خبر يصف أحداثاً وقعت في بلاد أجنبية خارج حدود الجمهورية
العربية المتحدة .

أما الصفة الأساسية الثانية من صفات الخبر الخارجى ، وهى أن هذا الخبر آت إلينا من مصادر أجنبية ، فاعتراضنا عليها : أنه ليس كل ما يأتى من مصادر خارجية يكون خبراً خارجياً؛ إذ المعلوم أن هناك أخباراً خارجية تتصل بمصر أو بالجمهورية العربية المتحدة ونشاطها فى المجال الدولى ، ومثل هذه الأخبار لا بد أن ننظر إليها على أنها داخلية محلية ، ولا يجوز لنا أن ننظر إليها نظرة أخرى .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فإننا نرى أن بعض الأخبار الخارجية تآى من مصادر مصرية : فقد يحدث مثلاً أن تستقى صحيفة مصرية بعض أخبارها الخارجية من بعض الدبلوماسيين الأجانب الموجودين فى البلاد المصرية ، وقد يحدث مثلاً أن تكون مصر مسرحاً للنشاط دبلوماسى أجنبى من نوع خاص ، وعلى هذا فإن أخبار هذا النشاط الدبلوماسى ، أو الأخبار المستقاة من دبلوماسيين غير مصريين يقيمون فى البلاد المصرية . لا يمكن بحال من الاحوال أن ننظر إليها على أنها أخبار محلية داخلية ، ولكنها من غير شك أخبار خارجية ، (وإن أبدت الصحف المحلية اهتماماً خاصاً بمثل هذه الأخبار) ، لا شىء إلا لأنها تقع على مرأى ومسمع من القارىء المصرى أو القارىء العربى .

والذى نخرج به من مناقشة هذه المسائل ، أنه ليس كل ما يقع فى خارج حدودنا خبراً خارجياً ، وليس كل ما يأتى من خارج حدودنا خبراً من هذا النوع أيضاً ، إنما الأخبار الخارجية هى الأخبار التى تصف أحداثاً تقع فى الخارج ، ويكون مصدرها الخارج ، ولا تكون مصر أو الجمهورية العربية طرفاً فيها بحال ما ، ولا تكون لها صلة بالعالم العربى ، بل بالشرق الأوسط كله - فى نظر بعضهم - كما رأينا .

وبعبارة أخرى : يمكن تحديد الأخبار الخارجية بأنها الأخبار التى تصف النشاط السياسى وغير السياسى مما يقع فى الدول الأجنبية خارج

حدود الجمهورية العربية المتحدة أو النشاط الأجنبي الذي يقع في داخل حدود هذه الجمهورية ، ولا تكون مصر أو سوريا أو أى جزء من أجزاء هذا العالم العربي طرفاً فيه بحال ما ، ويكون مصدر هذه الأخبار خارجياً في الأعم الأغلب ، ومحلياً في حالات قليلة الوقوع .

أنواع الأخبار الخارجية :

الأخبار الخارجية هي كل ما ينشر في الصحيفة بالمعنى المتقدم ، ويهم القراء أن يطلعوا عليه ، وهي أنواع ، منها :

أولاً - الأخبار السياسية : وهي تولى الغالبية العظمى من صفحة الأخبار الخارجية ، وكثيراً ما تكون لها الصدارة في الصحف العربية . فتحتل مكاناً مرموقاً بالصفحات الأولى .

ومن الأخبار السياسية ما يصف تطور العلاقات بين الدول ، كأخبار المحادثات ، والمفاوضات ، والمؤتمرات ، والاتفاقات ، والمعاهدات ، والانقسامات ، ونحو ذلك .

ومنها ما يصف النشاط السياسى لدولة من الدول ، كخبر استقالة وزارة ، وتأييد أخرى ، وخبر معركة انتخابية ، أو ثورة محلية ، أو حرب أهلية ، أو فتنة سياسية .

ومنها ما يصف سير الحرب بين دولتين مما يهتم له السواد الأعظم من القراء ، وتعنى به الصحف عناية خاصة .

ثانياً - الأخبار ذات الطابع الإنساني ، كأخبار الأطفال ، والحيوان ، والكوارث الطبيعية ، والحوادث التي تسبب خسارة في الأرواح والممتلكات ، وأخبار العلاقات الاجتماعية : من زواج ، وطلاق ، وخاصة منها ما اتصل بالمشهورين والمشهورات .

ثالثاً - الكشوف العلمية ، وفي مقدمة هذه الكشوف أخبار الذرة ،

والقنابل الذرية ، والقنابل الهيدروجينية ، ثم الأخبار الطبية العلاجية ،
وأخبار القضاء ، والأخبار الصناعية ، وما إلى ذلك .

وقريب من هذه الأخبار كذلك أخبار الأدب ، والجوائز الأدبية ،
وخاصة جائزة نوبل ، وأخبار الفلاسفة ، ودعاة السلام ، وحماة الأخلاق
ورجال الإصلاح ونحوهم .

رابعاً — الجرائم ، وقد أصبح لأخبار الجريمة مكان عظيم ، وأهمية
كبيرة في الصحافة الحديثة ، باستثناء الصحافة الروسية السوفيتية .

خامساً — الطرائف ، وهي ضروب شتى ، وألوان متباينة ، ومصدر
للخبر الخارجي لا ينضب له معين ، ولا تجف له مياه ، ولا يسكت له صوت .
فهذا نور مات وثمانه خمسون ألف دولار ، وهذا طائر فرعوني عثر
عليه في إنجلترا ، وتلك علبة للتدخين كان يملكها نابليون بوناپرت ، وهذه
ساعة ثمينة كان يملكها قيصر ، وهكذا .

مصادر الأنباء الخارجية :

تستمد الصحيفة هذه الأخبار عادة من المصادر الآتية :

المصدر الأول — وكالات الأنباء . ولعل هذا المصدر هو أهم المصادر على
الإطلاق ، وقد تبين من الإحصاءات أن أكثر من ٩٥٪ من الأخبار
الخارجية تأتي عن هذا الطريق ، وأن من تتاح له زيارة هذه الصحف
يرى كيف تعمل أجهزة استقبال هذه الأخبار Tickers ليل نهار ، وتمد
الصحف بأخبارها أولاً بأول ، ولا تتوقف عن العمل لحظة واحدة في اليوم ،
ولا تستريح فترة معينة في الأسبوع ، ولا تتمتع بإجازة معلومة في السنة ،
ومع هذا وذاك فإن الصحف لا تنشر من برقياتها — التي تتدفق عليها
كالسيل — إلا جزءاً يسيراً للغاية .

وتزداد الحاجة إلى هذه الوكالات ، لأن تكاليف المراسلين والمندوبين

الخصوصيين من قبل الصحيفة إلى مختلف أنحاء العالم ، وتكاليف البرقيات التي يبعث بها أولئك المراسلون أو المندوبون إلى صحفهم ، هي في الواقع ، فوق طاقة الصحف في الوقت الحاضر ، ومن يدري لعلها تصبح عما يمكن تحمله في المستقبل .

وقد درجت الصحف اليومية في الجمهورية العربية على أن تستقى البرقيات الخارجية من الوكالات الآتية :

- وكالة رويتر الإنجليزية .
- وكالة اليونيتدبرس الأمريكية .
- وكالة الأسوشيتدبرس الأمريكية أيضاً .
- وكالة أنا الإيطالية .
- الوكالة الفرنسية (وقد تعطلت الآن) .
- وكالة تاس السوفيتية .

وعلى الرغم من أن هذه الوكالات تحاول أن تكون أمينة دقيقة في برقياتها إلا أن أنباءها لا تسلم من التحيز . والذي لا مرأ فيه أنه مادام الاستعمار قائماً ، ومادامت الدول الكبرى لا تنزع هذا المنزع إلى يومنا هذا ، فإنه لا معنى لهذه الوكالات عن مثل هذا التحيز الذي يصدر عنها ، ومن هنا تظهر أهمية الاقتراح الذي تقدمنا به في كتابنا (مستقبل الصحافة في مصر) ، وهو أن تكون هناك وكالة أنباء تابعة للأمم المتحدة بحيث يتسنى لهذه الوكالة أن تشر الأخبار الصحيحة التي لا تخدم دولة بعينها ، ولا مذهباً بعينه ، وإذا انحرف عضو من أعضاء هذه الوكالة عن الصواب تعرض للعقاب من جانب هذه المنظمة العالمية وحدها ، لا من جانب حكومة من الحكومات ، وبذلك يتمتع أعضاء هذه الوكالة

بحصانة دولية تمكنهم من القيام بعملهم على أحسن وجه مستطاع (١) ، .
والمهم أن هذه الوكالات السابقة ترسل برقياتها إلى الصحف إما باللغة
الإنجليزية أو بالفرنسية ، ومن هنا كان العمل الرئيسي لمحبرى القسم الخارجى
فى الصحيفة هو ترجمة هذه البرقيات إلى اللغة العربية . وإن من الحق أن
يقال أيضاً إن عمل محبرى القسم الخارجى لا يقتصر فى الواقع على الترجمة ،
ولنما يتعداه إلى شىء آخر سندشرحه فيما بعد .

أما وكالة « آنا » الإيطالية فانها تقوم بترجمة برقياتها إلى اللغة العربية ،
وذلك عن طريق الفرع التابع لها بمدينة القاهرة ، وقد بدأت وكالة
« رويتر » تحذو حذو الوكالة الإيطالية فى ذلك ، وترسل برقياتها المترجمة
إلى العربية عن طريق وكالة أنباء الشرق الأوسط .

المصدر الثانى : المراسل الخارجى أو الأجنبى ، وهو مصدر هام من
مصادر الأخبار الخارجية فى الواقع . وما من صحيفة كبرى تستطيع أن
تستغنى عن هذا المراسل إلى جانب اعتمادها اعتماداً ظاهراً — كما قدمنا
— على وكالات الأنباء . ولسلك صحيفة مصرية مراسلوها فى كل من
لندن ، وباريس ، ونيويورك ، وروما ، وأثينا ، ودلهى ، وأنقرة ، وغيرها
من العواصم الكبرى .

ومع ذلك يمكن القول هنا بأن وكالات الأنباء حصرت عمل المراسل
الأجنبى فى أضيق نطاق ، فلم يعد هذا المراسل مطالباً أمام صحيفته بأن يرسل
إليها كل أخبار البلد الذى يعمل فيه ، وإلا جاءت برقياته التى تكاف الصحيفة
أماناً باهظة — تكراراً لما تأتى به وكالات الأنباء على اختلافها ، ولذلك
نجد أن أهم ما يعنى به المراسل المصرى ، أو العربى فى الخارج ، إنما هو
موافاة الصحيفة بالأخبار الخاصة بمصر والجمهورية العربية المتحدة ، والعالم
العربى ، والشرق الأوسط عامة .

(١) انظر الكتاب المذكور ص ٢٢٠ و ٢٢١ .

على أن هذا المراسل الأجنبي الذي تبعث به صحيفة مصرية إلى عاصمة
من تلك العواصم الكبرى إنما يكتب برقياته إلى الصحيفة باللغة الإنجليزية
أو الفرنسية ، وأحياناً باللغة الإيطالية .

ويمكن القول باختصار : إن الصحيفة تعتمد على هذا المراسل الأجنبي
غالباً في تكوين شخصيتها الإخبارية التي تتميز بها عن شخصيات الصحف
الأخرى ، مادامت جميع هذه الصحف تشترك في الاعتماد على وكالات الأنباء ،
ثم تنفرد كل واحدة منها بمراسلين تبعث بهم من قبلها إلى البلاد الخارجية .
المصدر الثالث - الإذاعات الأجنبية .

الحق أن نشرة الأخبار التي تذيعها الإذاعات الأجنبية على اختلافها
تعتبر مصدراً هاماً من مصادر الأخبار الخارجية ، وقد توسعت الإذاعات
في مثل هذه النشرات حتى أصبح تقديم الأخبار من أهم الأغراض التي
تشأ من أجلها محطات الإذاعة في العالم .

وفي وسع الصحف دائماً أن تحصل بسهولة على طائفة من الأخبار
« الجاهزة » بسرعة عظيمة عن طريق هذه النشرات التي نشير إليها مع
الالتفات التام إلى هذه الحقيقة ، وهي أن النشرة الإخبارية الصادرة
عن الإذاعة إنما تخضع خضوعاً تاماً في أكثر الدول لإشراف الحكومة .
وهنا يجدر بنا أن ندعو كذلك إلى إنشاء محطة للإذاعة تكون تابعة تبعية
مباشرة للأمم المتحدة أسوة بوكالة الأنباء التي اقترحنها تبعيتها كذلك
لهذه المنظمة الدولية .

المصدر الرابع - الصحف الأجنبية :

لا ينكر أحد أن الصحف العالمية الكبرى تعتبر مصدراً هاماً من مصادر
الأخبار ، وخاصة إذا علمنا أن هذه الصحف الكبرى تعتمد على مجموعة
بمنازاة من مراسليها في الخارج ، وفي مقدمة هذه الصحف في الواقع :

- جريدة التايمز اللندنية .
- جريدة النيويورك تايمز .
- المانشستر جارديان .
- الديلي ميل .
- الايكونومست .
- الديلي هيرالد .
- سي سوار .

ومن ثم أوجبت الصحف العربية على نفسها الاشتراك في تلك الصحف الأجنبية والاعتماد عليها أحياناً في كتابة المهم من الأخبار الخارجية .

* * *

تلك هي أهم المصادر التي تستقى منها الصحافة العربية أنباءها عادة ، وأنت ترى أن هذه المصادر تبعث ببرقياتها باللغة الأوربية لا العربية إلا نادراً ، ومن ثم كانت الصحف العربية تعاني من الصعوبات المضنية في تحرير الأخبار الخارجية ما لا تحتاج الصحف الأجنبية إلى معاناته ، ولا شك أن هذا عبء من الأعباء الثقيلة التي تواجهها الصحافة العربية ، ولا تواجهها الصحف التي ياحدى اللغات الأوربية .

وهذا يجرنا إلى النقطة الهامة والأخيرة من نقط هذا الفصل ، وهي :

تحرير الخبر الخارجي .

عرفنا فيما سبق أن أهم ما يميز الخبر الخارجي :

أولاً — أنه يأتي من الخارج غالباً .

ثانياً — أنه يأتي مكتوباً بلغة أجنبية غير اللغة التي تصدرها الصحيفة العربية .

ثالثاً - ان موضوعات الخبر الخارجى بعيدة عن القارىء العادى ، بعيدة كذلك عن محرر الخبر الخارجى نفسه ، إلى أن يكتب عنها بقلمه .

رابعاً - ان الخبر الواحد تتعدد مصادره ، وتختلف وجهات النظر فيه اختلافاً بيناً ، فأزمة وزاوية فى فرنسا تعتبر خبراً يحملها البرق ويطير به من وكالة أنباء إلى وكالة أخرى ، وينقله المرسلون الأجانب من بلد لآخر ، وتشره الصحف الأجنبية ، كل بطريقة الخاصة ، وبما يتفق وسياستها التى تدير عليها فى إصدار هذه الصحف .

خامساً - هكذا يجد محرر الخبر الخارجى نفسه أمام سيل من البرقيات الخارجية ، كلها تتحدث عن موضوع واحد ، وكلها تحاول أن تفسر هذا الموضوع الواحد ، ويكون على المحرر وقتئذ أن يفاضل بين هذه الطرق والتفسيرات والاتجاهات المختلفة ، ويستخلص منها الخبر الذى يريد أن يبشره فى الصفحة الخارجية نشرأ يتفق والصحيفة التى يعمل فيها .

الترجمة

على محرر القسم الخارجى بعد ما تقدم أن يقوم بدور الترجمة ، ولعله منذ تعطيل وكالة الأنباء الفرنسية أصبحت اللغة الإنجليزية هى اللغة الوحيدة التى ترد بها البرقيات من وكالات الأنباء . والمحرر الخارجى يرى نفسه ملزماً بقراءة هذه المواد التى تمده بها وكالات الأنباء ، وترجمتها على النحو المتقدم ، ومن هنا لم يزل القسم الخارجى فى الصحف المصرية يسمى « قسم الترجمة » ، ومن هنا أيضاً جاءت أهمية هذه المادة بين مواد الدراسة فى أقسام الصحافة بالجمهورية العربية إلى اليوم .

فالترجمة إذن عنصر من عناصر تحرير الخبر الخارجى ، وربما اقتصر عمل المحرر الخارجى أحياناً على مجرد الترجمة . على أن النجاح فى هذا الفن من فنون الصحافة العربية - وهو الترجمة - يقتضى فى الواقع مهارة (م - ١٠ الد ل)

وتفوقاً في اللغة المترجم منها ، واللغة المترجم إليها في وقت مآ ، والمحرف الضعيف في إحدى اللغتين لا ينتظر له نجاح في هذا العمل .

وهذان المطلبان يستوي ديهما ، ترجم الصحفى والمترجم الصحفى ، صحفى ، ولكن الترجمة الصحفية في الأقسام الخارجية تتطلب من المحرف أموراً أخرى أهمها ما يلي :

أولاً - أن يكون دقيقاً في ترجمته أبعده ما تكون الدقة ، وخاصة حين يتعرض لترجمة التصريحات الهامة ، والبيانات الرسمية ، والمعاهدات أو الاتفاقات الرسمية ، ريث في ترجمة هذه الموضوعات ، قد ترتب عليه أمور جسام ، وحوادث كبيرة ، ونتائج على جانب من الخطورة في العلاقات بين الدول ، فقد يؤدي الخطأ في الترجمة إلى سوء فهم بين دولتين من هذه الدول ، ويؤدي سوء الفهم إلى قيام حرب ، أو على الأقل يفرض بأحد الطرفين إلى سلوك معين ، ويرد عليه الطرف الآخر بسلوك مماثل ، وبذلك تسوء العلاقات ، وتسوء العواقب .

وقد تتطلب البرقية من المحرف أن يقوم بترجمة النص الذى أمامه ترجمة حرفية ، وهذا الأسلوب من أساليب الترجمة لاغنى عنه في ترجمة المعاهدات والمواثيق الدولية ، وقرارات الهيئات ، والمؤتمرات ، والتصريحات الرسمية التى تصدر عن المسؤولين ، وبخاصة في الأوقات التى تشتد فيها الأزمات السياسية .

ولكن ليس معنى ذلك أن تجور الدقة في الترجمة على سلامة الأسلوب العربى ، وتفقد رونه وصحته وروعته ، فلا بد إذن من المحافظة على خصائص الأسلوب العربى نحواً وتركيباً وصياغة وترتيباً ، وإلا أضحت الترجمة نفسها غير مفهومة ولا مستساغة .

ثانياً - أن يكون المحرف عارفاً بالمصطلحات السياسية ، أو التعبيرات الدبلوماسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، والأدبية ، والفنية ، والعلمية ونحوها ، ما يرد في البرقيات على اختلافها ، وعلى المحرف ألا يخلط بين هذه

المصطلحات بشكل أو بآخر ، فاللفظ الواحد قد يكون له قصد ما في موضوع من الموضوعات العسكرية ، ويكون له قصد ثان في موضوع آخر ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالمرآة ، وليس على المحرر ضرر ما في هذه الحالة في أن يستعين بالمعجم الخاصة التي ربما أفادته في فهم المصطلح الذي يرد ذكره في برقية من البرقيات ، وخاصة إذا كانت البرقية ، مما يعالج موضوعاً فنياً خالصاً ، أو عالياً خالصاً ، أو نحو ذلك ، ولا بأس على المحرر أيضاً من الاتصال في هذه الحالات بالمختصين في كل مادة من المواد ، يستوضحهم بعض هذه المصطلحات ، ويعرف منهم ما يقابلها في اللغة العربية ، فلا بد أن هؤلاء المختصين قد اهتموا قبله إلى مثل ذلك لحاجتهم الماسة إليه ، وذلك بطبيعة الحال أسلم للتدرج في قسم الأخبار الخارجية من التخطيط في ترجمة ربما لا تكون دقيقة ولا آمنة ، على حين أنه قد تكون لهذا المصطلح أو ذاك ترجمة دقيقة عند المتخصصين قد جرت بها أسلتهم ، وكتبوها واستخدموها في كتبهم ومؤلفاتهم .

ثالثاً - يلغى للمحرر أن يتعرف قدر المستطاع على أساليب وكالات الأنباء ، وأن يميز بين أسلوب كل وكالة منها وبين بقية الوكالات الأخرى . وقد دلت التجربة على أن لكل واحدة من هذه الوكالات طريقته الخاصة في عرض الأنباء ، وأن لكل منها طريقته الخاصة كذلك في الحكم على هذه الأنباء ، ولا شك أن معرفة المحرر لهذه الأساليب تعينه في الحكم على مدى الدقة التي تتوخاها كل وكالة منها في نقل الخبر ، كما تعينه على كشف التحريف أو التهويش الذي تعتمد إليه الوكالة في بعض الأحيان لغرض من الأغراض .

ويتصل بهذه الناحية كذلك أن يجتهد المحرر في معرفة الأساليب التي يمتاز بها كبار المسؤولين العالميين من ترد أسماؤهم بكثرة في ثنايا الأخبار ، وبذلك يستطيع المحرر أن ينقل هذه التصريحات نقلاً صحيحاً إلى القارئ العربي .

والمعلوم أن لكبار الساسة لغة ليست كاللغة المعتادة ، وكثيراً ما تصدر عنهم تصريحات لها ظاهر ولها باطن ، وأحاديث وبيانات تحتمل عدة معانٍ في وقت واحد ، وإذن فمعرفة اللغة التي يتكلم بها هؤلاء الساسة تعين المحرر على فهم تصريحاتهم وبياناتهم وخطبهم وأحاديثهم ، وتكشف عما وراءها من الحقائق والأغراض .

هذا كله من ناحية الترجمة ، أما من ناحية التصفية أو الغرلة فنقول :
ليس عمل المحرر الخارجى كله ترجمة ، ونحن نعرف كذلك أن المحرر الخارجى قلما يترجم البرقية بحذافيرها ، اللهم إلا إذا كانت هذه البرقية تشتمل على تصريح أو بيان رسمى ، أو تحتوى على نصوص اتفاق .

إن الذى يحدث عادة هو أن المحرر يجد أمامه كومة من البرقيات عن حادث معين ، ويأتى رئيس القسم الخارجى فيطلب إليه أن يخرج من هذه الكومة أو تلك خبراً معيناً على عمود ، بمعنى أنه لا يكاد يزيد عن عشرة أسطر ، وأمام المحرر أكوام كثيرة من هذا النوع تنبئ عن أحداث تسمى أكثر أهمية من الحدث الأول ، ورئيس القسم الخارجى يلج كذلك على المحرر فى أن يستخلص من هذه الأكوام موضوعاً خبرياً على عمودين أو ثلاثة أو أربعة على الأكثر ، وإذا عمد المحرر إلى ترجمة جميع البرقيات التي أمامه ضاق وقته ووقت صحيفته عن ذلك ، فماذا يصنع المحرر الخارجى في هذه الحالة ؟

الواقع أن تحرير الأخبار الخارجية عمل شاق فى طبيعته ، ونحن إذا حملنا هذا العمل وجدناه يتألف من الخطوات التالية :

أولاً - تصفية البرقيات الواردة إلى الصحيفة ، واختيار أكثرها أهمية ، والمفاضلة بين برقيات الوكالات المختلفة فى الحادث الواحد ، وهذه التصفية والاختيار والمفاضلة إنما تقوم على أساس من أهمية الموضوع من جهة

ومن تجربة المحرر نفسه مع هذه الوكالة أو تلك من جهة ثانية .

ثانياً - تصفية البرقية الواحدة ، فإنها غالباً ما تتألف من أجزاء متفرقة ، منها المهم ، ومنها غير المهم ، وفيها الحشو ، وفيها غير ذلك . وعمل المحرر الخارجى هنا هو استبعاد ما لا حاجة له به . والإبقاء على ما يحتاج إليه .

ثالثاً - عدم التقييد بترتيب عناصر الخبر ، كما أوردته الوكالة تماماً ؛ نقس تبدأ الوكالة بناحية لا تعد مهمة في نظر الصحيفة ، ولا في نظر القارىء العربى ، وقد تعتمد هذه الوكالة إلى وضع جزء من الخبر في نهاية البرقية يوحى بعدم أهميته . وعمل المحرر في هذه الحالة هو أن يقرأ برقيات الوكالة قراءة فاحصة ، ويلم بكل العناصر والنواحي الهامة في الخبر على عجل ، ثم يتصرف في هذه العناصر بما يتفق وسياسة الصحيفة من جانب ، واهتمام القراء من جانب آخر .

رابعاً - على المحرر الخارجى دائماً ألا يعتمد على وكالة واحدة بينياً حتى يطلع على غيرها من الوكالات الأخرى في نفس الموضوع الذى يقدمه القراء صحيفته .

خامساً - بعد الفراغ من تجميع العناصر المختلفة ، والموازنة كذلك بين الوكالات المختلفة تبدأ صياغة الخبر الخارجى ، أو تبدأ المهمة الحقيقية للمحرر ؛ إذ أن جميع الخطوات السابقة ليست إلا مهددة لهذه الخطوة الهامة .

على أن هذه الصياغة تختلف باختلاف حجم الخبر هادة ، فإذا كان الخبر قصيراً وعلى عمود واحد فالمحرر يرى نفسه مضطراً إلى الاكتفاء بنقطة واحدة ، أو ناحية واحدة ، لأن الخبر القصير لا يحتمل أكثر من ذلك . وهنا تظهر مقدرة المحرر الخارجى في اختيار أهم النقاط التى يشتمل عليها الخبر ، أو الزوايا التى يتألف منها . وكثيراً ما يحدث أن محررين يكسبنون بأن يترجموا مقدمة البرقية أو صدرها لاشتغال هذا الصدر عادة على خلاصة الخبر .

أما إذا كان الخبر الخارجى كبيراً ، كأن يكون موضوعاً من الموضوعات - كما هو مصطلح على تسميته بهذا الاسم في الأقسام الخارجية للصحف - فإن الصياغة تتطلب من المحرر في هذه الحالة أن يصيغ مقدمة أو صدرأ للموضوع الإخبارى ، ولا بد أن يخضع هذا الصدر في صياغته لجميع الشروط التى يخضع لها الصدر عند كتابة الأخبار المحلية ، وقد سبق أن ذكرنا طرفاً من ذلك في فصول أخرى ، وبعد كتابة المقدمة أو الصدر تأتى الأجزاء الأخرى أو الصلب ، فيكتبه المحرر في فقرات أو جمل تقصر وتطول حسب الجزء الذى تعبر عنه هذه الجمل من أجزاء الخبر . ومن المحررين من يفضل الفصل بين هذه الفقرات بعنوان صغير ، ومتمم من لا يفعل ذلك ، وإذا كان الموضوع كبيراً ، أو كان يتألف من فقرات كثيرة وجب أن يراعى المحرر التوازن بين أجزائه ، بحيث لا يطفى جزء على آخر ، ولا يتوسع المحرر في جزء على حساب آخر ، ولكن يجب أن يراعى المحرر التناسب بين هذه الأجزاء قدر المستطاع .

وبعد الانتهاء من صياغة الموضوع الإخبارى تأتى مهمة « وضع العنوان المناسب » ، وفى بعض الصحف يتولى رئيس القسم الخارجى وضع العنوان ، وفى بعضها الآخر يترك للمحرر الذى تولى تحرير هذا الخبر مهمة وضع العنوان . والاتجاه السائد بين الصحف الآن هو ترك هذا الأمر للمحرر ؛ وإن كان من حق رئيس القسم دائماً أن يتحدث ما يشاء من التغيير فى صيغة العنوان بعد ذلك .

وكتابة العنوان ليست بالعمل السهل ، وبعض المحررين يظهرون نبوغاً فى ذلك ، وبعضهم يتعثرون كثيراً ، ويجدون عسراً شديداً فى كتابة العنوان الناجح لموضوع الخبر ، وإن كان للممارسة والتجربة دخل كبير فى هذه الناحية .

وتم ملاحظة هامة ؛ وهى أننا كثيراً ما نرى أن عنوان الخبر الخارجى

في صحيفة من الصحف يحمل في طياته رأى محرره في مضمونه عادة ، بل يعد تعليقا عليه ، وتوجيها منه للقراء في فهم هذا المضمون على نحو خاص ، من أجل ذلك وجب على المحرر الخارجى أن يجيء بعنوان معبر عن فحوى الخبر تعبيراً دقيقاً بقدر المستطاع من غير زيادة ولا نقصان ، وأن يكون هذا العنوان متفقاً تمام الاتفاق مع سياسة الصحيفة التى تنشر هذه الأخبار .

تلك هى طريقة تحرير الخبر الخارجى في صحفنا المصرية أو العربية ، وهى طريقة تتطلب من المحرر - إلى جانب القدرة على الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية - محافظة تامة على فحوى الخبر ، وبراعة فائقة في جمع أجزائه ، وسرعة وصبراً على فحص هذه الأجزاء ، والموازنة بينها في جميع الوكالات التى تعرضت لها ، وموازنة سريعة وسليمة بين هذه الأجزاء لتقديم الأهم منها على المهم دائماً ، وأمانة تامة في القيام بكل هذه المهام على أحسن وجه مستطاع .

الفصل التاسع

طبيعة اللغة التي يكتب بها الخبر

في اللغة التي يكتب بها الخبر ، يقول بعض أساتذة الصحافة (وهو هنا الأستاذ ر . فليش R Flesh) :

ما دامت الصحافة تنهج بالخبر إلى الطبقات الديمقراطية في الشعب ، وما دامت هذه الطبقات تتزايد في كل بلد من بلاد العالم يوما بعد يوم ، فلا مفر من مسابقة اللغة الصحفية مسابقة تامة لهذه الطبقات ، (١) .
ومعنى ذلك أننا نكتب ليفهمنا الناس .

ومعنى ذلك أيضا أن اللغة التي تكتب بها المادة الصحفية لا بد أن تتوافر فيها جملة أشياء منها :
أولا - إثارة الجمل القصيرة على الطويلة ، بحيث لا تزيد الجملة عن قدر معين من الألفاظ .

وقد أجمع المشتغلون بالصحافة على وجوب تحذير محرر الأخبار من استخدام الكتابة الأدبية أو الكتابة المنمقة في التحرير . . .
وانفقوا جميعا على العمل بهذه النصيحة التي تقول :
استعمل الجمل القصيرة واكتب بلغة سلسة ومفهومة .

استعمل الكلمة التي تصيب الهدف ، بدلا من استعمال الكلمات العامة التي قد تعنى أشياء كثيرة منها مضافة إلى الهدف ، فالألفاظ في أيامنا هذه يجب أن نعتد على الدقة في استعمالها .

ثانيا - إثارة الفقرات القصيرة على الفقرات الطويلة ، حتى تضمن الصحيفة انتباه القراء دائما ، وتحتاج هذه المسألة إلى ما تحتاج إليه سابقها

(١) راجع الملحق بالصفحة ٢٦ من كتاب « الإعلام »

من التجارب الإحصائية . ولغة الأرقام في مثل هذه الأبحاث لا تحتل الشك ، ولا تضلل الصحف بحال ما .

ثالثاً - الحرص على استعمال الألفاظ المألوفة للقراء ، وتجنب الألفاظ غير المألوفة . وليس المقصد من ذلك هو الحرص على سلامة اللغة من أن تنكسر بها الألفاظ الأجنبية عنها ، فالصحف أن تقول « ماركة رالى » ، في الدراجات ولا تقول « علامة رالى » ، ولها أن تقول « محطة الأوتوبيس » ، ولا يصح أن تقول « محطة السيارات العامة » ، وتقول « ضاحية مصر الجديدة » ، ولا يصح أن تقول « ضاحية هليوبوليس » . وتقول « راديو وتليفون » ، ولا يصح أن تقول « مذيع ومسرة » .

وحتى في مجال العلم الخالص أو الفن الخالص يذهب للصحيفة عندما تشر خبراً من هذا النوع أن تقتصر ما أمكنها على استخدام المصطلحات المعروفة لأهل هذا الفن أو العلم ، إذ من الجائز أن يطلع على هذا الخبر بعض الجمهور غير المثقف بهذه الثقافة ، ولكنه يرغب في الاستفادة . وليس من شك في أن نشر الثقافة هدف من أجل أهداف الصحافة ، فعلينا أن نجعل الطريق سهلاً إلى هذا الهدف ، كما أروضنا ذلك في كتاب « فن المقال » .

رابعاً - الحرص على استعمال الأفعال المجردة وتفضيلها على الأفعال المزيدة أو المبالغ في اشتقاقها على صورة من الصور ، ولا بأس هنا من استخدام الألفاظ المنحوتة حديثاً لتدل على معنى من المعاني الحديثة أيضاً ، كما في قولهم : تأقلم وتمذهب ، وتبلشف ، وكما في قولهم التعايش السلمي ، واللامركزية ، والروتين الحكومي ، ونحو ذلك .

خامساً - اصطناع الألفاظ والتراكيب التي يألفها القراء ، أو التي تشعرهم بشيء من الإيناس . وهنا يحسن بالمحرر الصحفي أن يكثر من استعمال ضمائر الخطاب ، وأن يتجنب ضمائر الغيبة بقدر المستطاع ، وأن يشعر

القارىء باسمرار أنه يتحدث إليه كصديق، بل أخ شقيق يلذ له أن يستمع إليه، ويصنف بكل جوارحه امكمل كلمة من كلماته فى الصحيفة، غير أن هذه النصيحة الخامسة ألزم فى كتابة المقال منها فى كتابة الخبر فتنبى مراعاة ذلك.

سادساً — استعمال الفعل المبني للعلوم، وتجنب استعمال الفعل المبني للمجهول إلا عند الضرورة القصوى، أو عندما يستخدم المحرر فى كتابته بعض الألفاظ التى اشتهرت بالبناء للمجهول كلفظ (عنى بأمره)، (وأسقط فى يده) ونحو ذلك.

سابعاً — لا يجوز للخبر الصحفي أن يستعان فيه بالأشعار والحكم والأمثال وكلام الفحول من السكتاب والخطباء، فهذه الأشياء أدخل فى باب الأدب الخالص، فضلا عن أنها من أمارات الكتابة الأرسطراطية التى لا نفهمها إلا طبقة خاصة من القراء. والجريدة إنما تخاطب الطبقات الدنيا أو الوسطى، وألتي سماها العلماء بالطبقات الديمقراطية كما قدمنا، ومعنى ذلك باختصار أن المحرر يلبنى له دائماً أن يضع نصب عينيه مستوى القارىء، فإذا كان قراء الصحيفة على جانب كبير من العلم وجب عليه أن يكتب لهم بأسلوب يتناسب وهذا القدر من العلم، وإذا كانوا متوسطى الثقافة وجب عليه أن يراعى هذا المستوى فى تحريره مراعاة دقيقة. وفى هذه الأحوال جميعها لا تكون وظيفة المحرر الصحفي إثارة إعجاب القارىء بروعة الأسلوب وجمال التراكيب، وبلاغة الجمل ونحو ذلك، فهذا كله لا يتلاءم وصياغة الأخبار، ولكنه يتفق مع المقال فى حالات خاصة من حالاته، أو صورة معينة من صورته، كما ستعرف ذلك فيما بعد.

ثامناً — فى كتابة الخبر الصحفي المتصل بمحدث من الحوادث الداخلية، كخادث حريق أو حادث تصادم أو نحو ذلك من الأحداث التى تتعرض للتغير بين لحظة وأخرى، ينبى للمحرر الصحفي أن يخفف من عنايته بإيجاد الروابط الأسلوبية القوية بين أجزاء الخبر الواحد، من أمثال: (وفى أثناء ذلك)، أو: (ولما كان الأمر كذلك) الخ.

ومن حقاك أيها الصحفي أن تعرف لماذا نسوق إليك هذه النصيحة.
الآخيرة :

فاعلم أن السبب في ذلك هو أن الخبر الصحفي لحادث من الحوادث الداخلية-
بنوع خاص عرضة - كما قلنا - للتغيير والتبديل بين لحظة وأخرى .
فإذا كانت الروابط بين أجزاء الخبر من هذا القبيل صعب عليك إجراء.
هذا التغيير المطلوب ، على حين أنه إذا كانت أجزاء الخبر الصحفي مستقلة.
بعضها عن بعض ، وغير مرتبط بعضها ببعض إلى هذا الحد ، أمكنك أن
تحذف جزءاً ، وتضع مكانه آخر إذا اقتضى الحال ذلك ، دون أن يؤثر
هذا في الخبر الصحفي نفسه من حيث الصياغة ، ودون أن يكون لذلك
تأثير ما في سير الطبع ، وترتيب مواد الصفحة الخاصة بمثل هذه.
الأخبار الداخلية .

الفرق بين القصة الإخبارية والقصة الأدبية

مهما يكن من شيء فإن الفرق عظيم جداً بين القصة الأدبية والقصة-
الخبرية ، وهو فرق يتضح من جانبيين :

جانب (العقدة) أولاً ، وجانب (الأسلوب) بعد ذلك .

فالمعروف أن القصة الأدبية لا بد لها من (عقدة) ، وأن مهارة الأديب .
تظهر في إخفاء هذه العقدة أولاً ، والسير بالقصة رويداً رويداً نحو حلها آخر
الامر . أما القصة الخبرية فإن عقدها تظهر أولاً ، ولا يجوز للحرر أن يؤجل .
ظهورها إلى ما بعد ذلك ، فأهم حادث في القصة الإخبارية ينبغي أن يحدث
مكان الصدارة ، ثم تأتي الأحداث التي تقل عنه في الأهمية .

والقاعدة عند محرر الخبر في الصحيفة أن يسأل نفسه أولاً جميع الأسئلة-
التقليدية المعروفة في صياغة الخبر ، : وهي (من ومتى وأين وكيف وماذا
ولماذا) ، ثم يختار لصدر الخبر أهم هذه الإجابات الست كلها ، وليس عليه

في هذه الحالة أن يضمّن الصدر جميع الإجابات الست دفعة واحدة متى رأى ضرورة لذلك .

أما من حيث الأسلوب : فطبيعي أن الأديب أوسع مجالاً من الصحفي في التعبير عن الحوادث التي تتألف منها القصة ، وطبيعي كذلك أن الأديب أغنى في الأدوات والأساليب والوسائل التي يعبر بها عن حوادث القصة الأدبية ، في حين أن الصحفي مقيد أبداً باللغة التي يفهما قراؤه ، والطرق التي عودهم عليها في كتابة القصة الخبرية .

ولكن : هل معنى ذلك أن القصة الخبرية ليست ذات حظ وافر من الجمال ، أو مقضى عليها بأن تكون كذلك على الدوام ؟ كلا ، فإن الكاتب اللبق يستطيع أن يخلق منها شيئاً جميلاً حقاً ومثيراً حقاً ، وإن ذلك لا يعهد في الصحف بتحرير القصة الإخبارية إلا للمحررين الذين قضوا وقتاً كافياً في التدريب عليها .

الفصل العاشر

تحرير العنوان (١)

لم يكن للصحف العربية إلى وقت قريب كبير عناية بالعنوان من حيث العرض أو التحرير ، وليست الصحف العربية وحدها هي التي أهملت العنوان ، بل إن الصحف الأوروبية والصحف الأمريكية شاركتها أيضاً في هذه الظاهرة .

لكنك حين تتصفح نسخة من صحيفة يومية تصدر في أى بلد من بلاد العالم المتحضر في أيامنا هذه تجد الأمر على عكس ذلك ، بل تجد أنواعاً شتى من هذه العناوانات ، وكل نوع منها يؤدي وظيفة خاصة ، ويستطيع القارئ الحديث بنظرة واحدة سريعة يلقبها على الصحيفة أن يلم بجميع الأنباء ، وأن يعرف في الوقت نفسه أهم هذه الأنباء ، فإن كان لديه متسع من الوقت انتقل من العناوانات إلى صدور الأخبار ليزداد بقرائها علماً بالحوادث ، وإن كان لديه وقت أكثر من هذا فرغ لقراءة التفاصيل ، ولا يحدث ذلك في الواقع إلا نادراً .

نخلص من كل هذا إلى أن الصحيفة الحديثة مضطرة إلى أن تبذل أكبر جهد مستطاع في كتابة العنوان ما دامت ظروف القراء - وخاصة في المدن الكبيرة - لا تسمح لهم بأكثر من قراءة السطور القليلة التي يتألف منها العنوان ثم السطور القليلة التي تتألف منها صدور الأنباء .

(١) رجعت في هذا الفصل إلى كتب من أهمها كتاب بعنوان : News Editing . by Westey فانظر الفصلين التاسع والعاشر من هذا الكتاب .

أن صليح الصحف الحديثة في ذلك كصليح المحال التجارية في الوقت الحاضر حين تعنى هذه المجلات (بالفترينات) .

والحقيقة - كما يقول الأستاذ دوستلي ، في كتابه (تحرير الأخبار) أن العناونات لا ينبغي أن ننظر إليها فقط على أنها النواقد التي نطل منها على الصحف ، بل يجب أن ننظر إليها كذلك على أنها من المصادر الرئيسة للإعلام ، وخاصة بالنسبة للقراء الذين تضطروهم ظروفهم دائماً إلى القراءة العجلى على نحو ما أشرنا إليه فيما سبق .

ومع هذا وذاك فهناك الحقيقة التي تقول : ثلاثة أشياء تجذب القارئ إلى قراءة المقال :

أولها العنوان ، وثانيها طريقة العرض ، وثالثها اسم الكاتب والمحرر الذي كتب المقال ، ومعنى ذلك أن الطريق إلى شهرة الكاتب الناشئ إنما هو في حسن اختيار العنوان وفي حسن كتابة المقال بعد ذلك ، فالشهرة آتية بعدهما لا محالة .

من ترى يقوم بصياغة العنوان ؟

يقوم بصياغة العنوان في الغالب قسم بالصحيفة يقال له « قسم المراجعة » ، ويتألف هذا القسم عادة من رؤساء الأقسام المختلفة ومعهم نائب رئيس التحرير ، وهذا الأخير يشترط فيه أن يكون ذا حس دقيق بالأخبار على اختلافها ، وقدرة تامة على التمييز بين هذه الأخبار من حيث «القيمة الخبرية ذاتها ، وبذلك يستطيع في سهولة ويسر أن يختار لصحيفته العناونات الدائرية العريضة ، أو ما يسمى في اللغة الأوربية « المانشات » ، (١) وقد اعتادت الصحف المصرية الحالية أن تبذل قصارى

(١) فكرنا كثيراً في ترجمة صحيحة لكلمة «مانشيت» فأثرنا أن نترجمها بكلمة «العنوان الدائري» لتكون الترجمة دقيقة وسليمة ومطابقة للفظ الأصل في وقت معاً، فالمانشيت =

جهداً في العناية بهذه العنوانات الدائرية ، وهي عناية لم تشهد لها مثيلاً في الصحافة المأخوذة التي كانت تصدر في البلاد العربية ، كما أنها لا تشهد لها مثيلاً في الصحف الأوربية .

ومهما يكن من شيء فعلى نائب رئيس التحرير ومعاونيه أن يسألوا أنفسهم دائماً :

لماذا نكتب العنوان ؟ وهل للعنوان وظيفة في الحقيقة ؟

وهل تكتب الصحيفة العنوان لمجرد العادة والجرى وراء التقاليد ؟ أم أنها تعنى بكتابة العنوان لأنه يخدم غرضاً بالذات من أغراض الصحيفة ؟ إن عليهم أن يناقشوا كل هذه الأسئلة ، أو يجعلوها على الأقل في أذهانهم دائماً عند كتابة العنوانات التي تحتاج إليها الصحيفة ، ثم عليهم بعد هذا كله ، أو مع هذا كله ، أن يجيبوا عن هذه الأسئلة من وجهة نظر الصحيفة أولاً ، ومن وجهة نظر القراء بعد ذلك .

ومع هذا وذاك فهناك حقيقة لا ينبغي أن نغفل عنها أو نتجاهلها ، وهي أن نائب رئيس التحرير - سواء رضى هو أو رضى رؤساؤه ، أم لم يرض هو ولم يرض رؤساؤه - هو المسئول الحقيقي عن الخبر .

ومعنى ذلك أنه مضطر أن يعكس شخصيته إلى حد ما على صياغة الخبر بعنوانه وصدره وبقية أجزائه ، ذلك أن الأخبار لا تحدث في الفراغ ولا يمكن أن تصاغ بشكل آلي .

وهذا وذاك لا يطعن في قدسية الخبر التي سبق أن أشرنا إليها والزمناء جميع الصحف بالمحافظة عليها ، وذلك أن انعكاس شخصية المحرر على

== في اللغات الأجنبية لفظ يطلق على رذن القميص الذي يدور حول معصم اليد ، وأنت حين تسك بنسخة من صحيفة لتطويها وتجعل منها دائرة تجذ (العنوان الدائري) يلتف حول عنق الصحيفة تماماً كما يلتف الرذن حول معصم اليد .

صياغة الخبر ليس معناه مطلقا العبث بجزئية واحدة من جزئيات الخبر ،
ولكن معناه صياغة الخبر بالطريقة التي تم عن شخصية محرره أو شخصية
الصحيفة التي تنشره .

وعلى نائب رئيس التحرير ومعاونيه أن يبرزوا جدية الخبر، معتمدين
في ذلك على إجادة التحرير من جانب ، وعلى طريقة العرض أو نوع
الحروف التي تستخدم في عرض العنوان من جانب آخر ، فلعلمهم يشيرون
بكتابة العنوان بالخط الثلث ، ولعلمهم يشيرون بكتابتته بالخط المسخ ،
ولعلمهم كذلك يشيرون بكتابتته بالخط الرقعة . وهم لسبب أو لآخر يتحكمون
في أحجام الحروف واختيارها من أي نوع من هذه الأنواع الثلاثة ، وهكذا .
وهنا ينبغي أن نلفت أنظار الطلبة الذين يدرسون الصحافة بالجامعة
إلى الفرق بين الصحف العربية والصحف الأجنبية من هذه الناحية .

فالصحف العربية تعتمد على الخطوط ، كما أوضحنا ذلك ، والصحف
الأجنبية لا تعتمد على الخطوط وإنما تعتمد على الحروف ، ولهذا تملك
المطابع والصحف الأجنبية مجموعة كبيرة من طرز الحروف (جمع طراز) ،
كالطراز القوطي ، والطراز الروماني ، والطراز الحديث ، ونحو ذلك ، ولكل
واحد من هذه الطرز علامة خاصة ، أو رقم معين يعرف به في المطبعة ، وما
على المحرر إلا أن يشير إلى علامة هذا الطراز أو ذلك ليعرف عامل المطبعة
نوع الطراز الذي اختاره المحرر ليحقق به غرضاً معيناً في ذهنه .

ونعود إلى عمل نائب رئيس التحرير ومعاونيه ، فزاهم يجتهدون في تحرير
العنوان بحيث يجذب نظر القارئ بسرعة كبيرة ، وزاهم يحاولون
أن يكون العنوان متفقاً كل الاتفاق مع شخصية الصحيفة ، إذ المعروف
لدى الجميع أن لكل صحيفة من الصحف أسلوبها الخاص في عرض الخبر ،
ونائب رئيس التحرير هو المسئول الأول عن مطابقة العنوان لشخصية
الصحيفة التي ينتمي إليها ، ففي ذلك ما يعين على شهرتها من جانب ، وعلى

انتشار التوزيع عن طريق البيع في « الأوكشاك » ، والأماكن العامة من جانب آخر .

ومعنى ذلك باختصار أن فن كتابة العنوان من الفنون الدقيقة التي تتطلب مهارة خاصة وذوقاً خاصاً ، ولا يستطيع أى شخص في أسرة التحرير أن يدعى لنفسه السكال في الوصول إلى هذه الغاية ، ما دام متفقاً معنا في أن العنوان يجب أن يحتل المسكينة الأولى من وظائف الإعلام ، ويجب أن يعتمد عليه أولاً في القيام بهذه الوظائف .

وقبل أن ندع الكلام عن نائب رئيس التحرير ومعاونيه ، وعن الواجب عليهم نحو كتابه العنوان المعبر عن شخصية الصحيفة يجب أن ننبه الأذهان هنا إلى شيء هام ، وهو أن يكون العنوان مفهوماً فهماً تاماً للقراء ، فلا يصح للمحرر بحال من الأحوال أن يلجأ إلى ألفاظ تكون غامضة لدى القراء ، واختصارات ومصطلحات يعجزون عن فهمها ، وإن كان من الحق أن يقال عن ظاهرة استخدام الاختصارات وأوائل حروف الكلمات إنها أوضح في الصحف الأجنبية منها في الصحف العربية ؛ فالصحيفة الأجنبية - على سبيل المثال - تستخدم الحرفين A.F. لتدل بهما على وكالة الأنباء المعروفة باسم « الأسوشيتيد برس » ، تستخدم الحروف U. S. A. للدلالة على الدولة التي تحمل اسم الولايات المتحدة الأمريكية . . وهكذا .

أما نحن في الصحف العربية فلا نلجأ إلى شيء من ذلك ، كأن ذلك ليس من طبيعة اللغة العربية التي تكتب بها هذه الصحف .

ما هو العنوان ؟ وما أهم أنظار في الصحف ؟

يمكن تعريف العنوان في الصحيفة بأنه السطر أو مجموعة الأسطر التي جمعت بحروف كبيرة لتسبق موضوعاً أو قصة خبرية ، وتلخص هذا

الموضوع أو القصة الخبرية. غير أنه من الخطأ أن نعتقد أن كلمة «عنوان» تنصب فقط على العناوين الدائرية «المانشيتات» وغيرها من عناوين الصفحة الأولى وحدها، كما أنه من الخطأ أيضاً أن ننظر إلى كلمة «عنوان» على أنها تعنى الجزء العلوى وحده من عناوين الصحف دون سائر الأجزاء الأخرى. من الخطأ أن نعتقد ذلك، إذ أن العنوان في الواقع يشمل كل الوحدات التي تسبق صدور الأخبار والموضوعات التي تنشر عنها الصحيفة. وهذا كله من حيث تعريف العنوان.

أما أشكال العنوان أو أنواعه فأمرها بسيط في الصحف العربية، على حين أن هذه الأشكال والأنواع تتعدد في الصحف الأجنبية :

فهنالك في تلك الصحف الأجنبية العنوان المكتوب على شكل هرم مقلوب؛ وفيها العنوان المكتوب على شكل سلم متدرج، وهناك العنوان المكتوب على شكل أسطر متساوية في بداياتها، متساوية في نهاياتها.

ولكل شكل من هذه الأشكال، أو نموذج من هذه النماذج عدد خاص من الكلمات، وحجم خاص للحروف التي تجمع منها الكلمات، ورقم خاص يدل عليه، ويهدى المطابع إليه، وما على كاتب العنوان في الصحيفة الأجنبية إلا أن يشير إلى رقم النموذج الذي يختاره لكتابة العنوان، ومن السهل بعد ذلك على عامل الجمع في المطبعة أن يقوم بتنفيذ ذلك على الوجه الذي أراده المحرر.

والأمر على خلاف ذلك في الصحف العربية، فليس لها مثل هذا النظام إلى الآن، وربما يكون لها مثله في المستقبل القريب، وليس أمام الصحف العربية في الحالة الراهنة إلا أن تقيد نفسها بحدود الأعمدة التي تنشر عليها هذا العنوان أو ذلك، فيبعث المحرر إلى الخطاط في الصحيفة بتعليمات خاصة يشير فيها إلى عدد الأعمدة التي يمتد عليها العنوان، وإلى السعة

أو العمق الذي يشير به ، وما على الخطاط إلا أن يقوم بتنفيذ ذلك .
وإذا كان ولا بد من أن يتألف العنوان من أسطر يكمل بعضها
بعضاً فيلبي أن تراعى في ذلك بعض القواعد الهامة ومنها :
أولاً — أن يشتمل السطر الأول على كلمات قليلة توضح المعنى العام
للمقال .

ثانياً — أن يشتمل السطر الثاني على ألفاظ تزيد رغبة القارئ
في القراءة وتفتح شهيته لها .

ثالثاً — أن يشتمل السطر الثالث — إن وجد — على معلومات
تساعد في الربط بين العنوان ومقدم المقال .

رابعاً — أن تكون ألفاظ العنوان بأسطره الثلاثة أو الأربعة
مطابقة لمضمون المقال ، وبدون ذلك يشعر القارئ بنوع من الغرابة ،
ويرى أن الفجوة واسعة بين العنوان والمقال ، وقد يجعله ذلك زاهداً
في قرأته ، كما سيشير إلى ذلك بعد .

خصائص كتابة العنواين :

للصحف أن تختلف في الطريقة التي يكتب بها العنوان ، وللصحف أن
تعبّر كل منها عن شخصيتها المميزة لها في كتابة العنوان ، ولكن ثم أصول
عامة لا مفر لجميع الصحف من اتباعها في كتابة عنواناتها بحيث تتوافر لها
خصائص منها :

أولاً — تركيز عبارات العنوان بحيث يجب تجريدّه من جميع الألفاظ
التي يمكن الاستغناء عنها .

ثانياً — تفضيل الفعل المضارع في صياغة العنوان ، والحكمة في ذلك
هي أن يشعر القارئ بأنه يعيش في جو الموضوع أو الحادث الذي تنشر

عنه الصحيفة ، وإن كانت هذه الطريقة مألوفة في الصحف الأجنبية أكثر منها في الصحف العربية ، على أن هذه الطريقة معروفة لدى البلغاء ورجال الأدب وكتاب القصة بنوع خاص .

ثانياً - أن تكون ألفاظ العنوان ملائمة بقدر المستطاع لطريقة عرضه ، وللطراز أو النموذج الذي جمع به ، أو الخط الذي اختاره المحرر لكتابه .

فالعنوان الكبير الحجم ، أى المكتوب بالخط العريض ، تلائمه الألفاظ المختصرة ، أو القليلة العدد ، والعنوان الأصغر ، أو العنوان غير الرئيس ، وهو المجموع في حروف متوسطة الحجم ، يمكن أن يحتاج لألفاظ أكثر ، وهكذا .

والغاية من هذه التوصيات هي تركيز عبارات العنوان وتوفير الخبر الذي يمكن استغلاله في إضافة حقائق هامة من حقائق الخبر .
وأنت ترى من ذلك أنه لكي يحقق المحرر كل هذه الأغراض لا بد له من أمور كثيرة :

أولاً - استيعاب دقيق لكنه الخبر أو الموضوع الذي يكتب له العنوان ، فيحاول المحرر أن يعرف جيداً أى أجزاء الخبر أو الموضوع أولى بالتقديم ، وأياها أشد لفتاً لأنظار الجمهور ، وأياها كذلك أهم من سواه في نظر الصحيفة .

ثانياً - حيلة لغوية كبيرة تعين المحرر على حسن اختيار الألفاظ بحيث تقوى على تأدية الوظائف التي للعنوان ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك .

ثالثاً - حاسة دقيقة وقدرة ظاهرة على بناء الجملة أو الجمل التي يشتمل عليها العنوان ، بحيث لا تحتل غرضاً أو إبهاماً ، ولا تتسع لتأويلات مختلفة ، ولعل خير ما يعين المحرر على بناء هذه الجمل ، وعلى نجاحها في تأدية الغرض المطلوب منها المفاضلة بين الأسئلة التقليدية الستة عند

الإجابة عنها ، والأسئلة هي : (من ، متى ، أين ، ماذا ، كيف ، لماذا ؟) .
ويستطيع المحرر عن طريق هذه المفاضلة أن يخلص إلى الإجابة التي تهم
القراء والصحيفة أكثر من الإجابات الأخرى ، فيقدمها على سواها ،
ويجعلها مادة العنوان .

نعم ، إن كل جزء من العنوان يعتبر وحدة لغوية ، أو جملة مفيدة
قائمة بذاتها ، ولسكن لا يلغى أن يتعارض ذلك مع مبدأ تجريد العبارة
أو الجملة أو الوحدات اللغوية التي يتألف منها العنوان من جميع الألفاظ
التي يمكن الاستغناء عنها .

وغنى عن البيان بعد هذا وذلك أنه يجب على المحرر أن يتجنب تكرار
الألفاظ التي ترد في العنوان الواحد ، كما أن عليه أن يختار الألفاظ
والمصطلحات الصحيحة الدلالة بقدر الإمكان ، وأن يبذل جهداً واضحاً
في اختيار الفعل المضارع الذي لا يصح أن يحل محله فعل آخر بحال ما .

كتابة العنوانات الفرعية :

تعتمد الصحف كثيراً إلى تقسيم الموضوع أو القصة الخبرية إلى أجزاء ،
وتجعل لكل جزء منها عنواناً فرعياً ، وتنظر إلى هذه العنوانات الفرعية
على أنها فواصل بين أجزاء الموضوع الواحد أريد بها التغلب على ملل
القارئ ، كما تنظر الصحف إليها كذلك على أنها معالم في طريق القراءة
تجذب إليها نظر القارئ ، وتهديه في أثناء القراءة ، وتلقى في روعه أن
الموضوع الذي يقرؤه لم يطل عرضه بالصحيفة إلا لفائدة جديدة بالحصول
عليها ، وقد تستخدم الصحف بدلاً من العنوانات الفرعية فواصل طباعية
كالنجوم ، أو الرسوم الصغيرة ، أو الفراغات البيضاء ونحو ذلك .

وعلى هذا فالعنوانات الفرعية في الصحيفة تعتبر في نظر الكثرين
فواصل أكثر منها عنوانات بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة ، ومع هذا فإن

كثيراً من الصحف تبذل في تحرير هذه العناوانات الفرعية مثل العناية التي تبذلها في العناوانات الكبرى أو الأصلية . والمتبع في أكثر الصحف هو أن يتضمن العنوان الفرعي إحدى الحقائق الهامة التي تشتمل عليها الفقرة التالية لهذا العنوان الفرعي .

ومهما يكن من شيء فلا ينصح الخبراء كثيراً بالإسراف في استخدام العناوانات الفرعية حتى لا تتجاوز الغرض المقصود منها .

على أننا نلفت النظر هنا كذلك إلى العناوانات الخاصة ببقايا الموضوعات أو القصص الخبرية التي سبق نشرها في صفحات متقدمة ، فقد يحدث أن ينشر موضوع كبير في الصفحة الأولى ، وتُنشر بقيته في صفحات أخرى ، وهنا تشير الصحيفة إلى مكان هذه البقية ، وعند كتابة البقية إما أن يكرر المحرر نفس العنوان الأساسي للموضوع أو للقصة ، وإما أن يكتفي بالجزء الأول منه ، مثال ذلك : إذا كان العنوان الأساسي « زيارة الدكتور نيكروما للرئيس جمال عبد الناصر » ، فللمحرر — عند كتابة البقية — أن ينشر العنوان كاملاً ، وله أن يكتفي بقوله : (زيارة الدكتور نيكروما) .

• • •

لك أيها القارئ أن تطبق هذه الأصول على تحرير العناوان في الصحافة التي تقرأها ، وفي وسعك أن تنقد الطرق المختلفة في تحرير العناوان بهذه الصحف ، وأن تتعرف على شخصية الصحيفة من خلال عناوانها على النحو الذي أشرنا إليه .

الفصل الحادي عشر

التعليق على الخبر

ليس هناك شك في أن الأخبار في ذاتها لا تؤثر في حياة الناس ما لم تكن لها صلات وثيقة بمصالحهم الخاصة والعامة ، ولذا يحتاج القراء إلى فهم هذه الأخبار وإدراكها إدراكاً صحيحاً على ضوء هذه المصالح ، وهذا ما يسمى عند علماء الصحافة « الوعي الصحفي » ، وعلى الصحافة واجب عظيم هو الوصول بقراءها إلى هذا الوعي ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الشرح لمداول الأخبار ، وتكليفها بحيث تمس وجدان الناس ، وتخطب شعورهم ومصالحهم في وقت معا ، ولا يكون ذلك في أكثر الأحيان إلا عن طريق « التعليق الصحفي » .

والتعليق الصحفي على هذا النحو يجعل للأحداث التي تنشرها الجريدة معنى ومغزى ، ويكسبها رائحة وطعماً ، وهو فوق هذا وذاك يتحكم في نظرة القراء إلى هذه الأحداث : فمرة يحكم التعليق الصحفي على بعض الأخبار بأنه تافه ، وأخرى يحكم على بعضها بأنه خطير ، وتارة يصفها بأنها حوادث عابرة ، وأخرى يصفها بأنها مقدمات لازمة حادة تؤدي لنتيجة ما ، وهكذا ..

ومن هنا كان سلطان الصحافة عظيماً على نفوس الجماهير ، ومن هنا كانت الصحافة مسئولة إلى حد كبير عن الثورات ، والانقلابات ، والتغييرات التي تخضع لها الشعوب ، وفي هذه المسئولية الأخيرة يشترك الأدب مع الصحافة ، فليس يكفي أن يقع الظلم على الشعوب حتى تثور ، وإنما يشترط للثورة التي يقوم بها الشعب أن يحس هذا الشعب إحساساً قوياً بظلم الظالمين ، ولن يكون هذا الإحساس الخطير إلا عن طريق الأدب من

جانب ، والصحافة من جانب آخر ، والأمثلة على هذا موفورة في التاريخ ، فالثورة الفرنسية ، والثورة المصرية ، والثورة الإيطالية ، والثورة الروسية كلها مدينة لأقلام الكتّاب في ميدان الأدب ، والمحرفين في ميدان الصحافة ، ولولاهم لظل الناس يجهلون آلامهم ، ويصبرون على يؤسهم وشقاتهم ، ولا يشعرون بهما يوماً ما .

وفي ذلك يقول علماء النفس :

« إن الحكم على الشيء جزء من تصوره ، فلا تستطيع أن تحكم على شيء ما بأنه نافع أو ضار إلا إذا تم تصورك له ، وإدراكك لمعناه . »

ثم إن القراء ليس لديهم الوقت الكافي دائماً لإدراك الأخبار ، وبعضهم عاجز تماماً عن مثل هذا الإدراك ، ومن ثم كان على كتّاب الصحف أن يقوموا لقراءهم بهذه المهمة العقلية والنفسية ، وبها يستطيع القراء أن يضمنوا إلى معرفتهم « الخبر » معرفتهم كذلك به ، وما وراء الخبر .

على أن التعليق الصحفي في ذاته له أنواع كثيرة ، والمعلقون الصحفيون قنات كثيرة أيضاً : فهناك المعلقون السياسيون ، والمعلقون الاجتماعيون ، والمعلقون في مجال العلم ، والمعلقون في مجال الأدب ، ولن يستطيع المعلق الصحفي أن يتذوق خبراً من الأخبار كأنها ما كان ما لم يكن له رصيد كاف من العلم الذي يعينه على إدراك هذا الخبر إدراكاً صحيحاً .

والصحفي الذي حرم قدرأ من المعرفة يكفي لفهم نوع من الأخبار المتقدمة لا يستطيع بحال ما أن يتصدى للتعليق على هذا النوع بالذات ، وإن تصدى لذلك على غير علم منه أضل القراء ، وجنى على صحيفته جناية تقضى بها إلى السقوط والاختفاء .

وتم سبب آخر من أسباب أهمية التعليق على الخبر ، ولعله من أخطرهما في الحقيقة ، وهو سبب يتصل بوكالات الأنباء ، وتفسير

ذلك أن بعض هذه الوكالات تهدف في كثير من الأحيان إلى خدمة المصالح الاستعمارية ، ويدأب على نشر الأخبار بطريقة ملتوية تساعد على تحقيق هذه الغاية السياسية ، وبذلك تلحق الضرر بمصالح البلاد الشرقية أو العربية ، وفي هذه الحالة يصح للصحيفة أن تعلق على الأخبار الصادرة عن هذه الوكالات تعليقاً تميز به الجانب الصحيح من الجانب المغرض .

ولعله من أجل هذا السبب الخطير فكرت الحكومة المصرية في إنشاء وكالة أنباء جديدة ، وكانت شركة أنباء الشرق الأوسط أثراً من آثار هذا التفكير ، بل إن الجمهورية العربية المتحدة في هذا الوقت تمكنت من إنشاء وكالة أنباء عربية عالمية سيكون مقرها جريدة الأهرام الحالية .

وهناك واجب آخر على الصحافة - من حيث التعليق - ونعني به واجبا نحو المجتمع في مجال الجريمة .

نعم ، على الصحف في كل وقت أن تعني عناية تامة بالتعليق على أخبار الجريمة ، وعليها أيضاً أن تهدف من وراء هذا التعليق دائماً إلى بيان الدوافع الحقيقية لارتكاب الجريمة ، وطرق الوقاية منها ، ودفع أولى الرأي في الأمة لكي يعاونوها مماونة صادقة على أداء هذه المهمة الوقائية الهتة .

هذا هو التعليق الصحفي ، وتلك هي أهميته للصحيفة وللقرء ، وهو بهذا الوصف يعتبر نوعاً من أنواع المقسال ، ولا يصح - في نظرنا - أن يعتبر جزءاً من أجزاء الخبر بحال من الأحوال ، وسنرى أن التعليق على الأخبار كثيراً ما يكون موضوع المقال الافتتاحي ذاته في الصحيفة . أما الذي يعتبر جزءاً من أجزاء الخبر نفسه فهو الجانب التفسيري الذي يتخلل الصلب عادة ، ويكون من جملة التفاصيل التي يتألف منها هذا القسم الهام من أقسام الخبر .

مثال ذلك أن صحيفة من الصحف قد تنشر خبراً عن رئيس وزراء

في السويد أو النرويج ، أو الصين الشعبية ، أو الصين الوطنية ، وتفترض .
الصحيفة إذ ذاك أن القارىء العادى لا يعرف شيئاً ما عن هذا الرجل
أو ذاك ، وأنه لا يستطيع لذلك أن يفيد فائدة ما من الخبر ما لم تعد
الصحيفة في جزء من أجزاء هذا الخبر - وهو الصلب عادة - إلى ذكر
شئ عن هذا الرئيس ، وكثيراً ما يبدأ هذا الجزء التفسيرى بقولها : « ومن
المعروف عن هذا الرجل أن ميوله السياسية كذا وكذا ، أو « والقراء
يعلمون عن اتجاهاته السياسية كذا وكذا » ، وبهذه الطريقة تضمن الصحيفة
أن الخبر سيقراً أولاً ، وسيستفح به في هداية القارىء بعد ذلك .

وقد اصطلح العلماء على تسمية هذا اللون الصحفى باسم « تفسير
الأخبار » ، وذلك في مقابل اللون المعروف فى الصحافة باسم « التعليق
على الأخبار » ، كما اصطلحوا على تسمية هذا الهدف فى ذاته « الوظيفة
التفسيرية فى الصحافة » ، وهى شئ مخالف لوظيفة المقال ، أو التعليق ،
أو العمود ، ونحو ذلك ، ولكنه يتصل اتصالاً تاماً بالخبر ، ويعتبر جزءاً
هاماً من أجزائه ، أو تفصيلاً مهماً من تفصيلاته ، بحيث إذا خلت منه
بعض الأخبار أصبحت ناقصة من الناحية الفنية الخاصة .

وهذه الوظيفة التفسيرية للصحافة هى التى دعت العلماء إلى مراجعة
أنفسهم فى البحث عن وظائف الصحافة ، فقد اتفقوا قبل الآن على أن
للصحافة وظائف أربعاً هى :

- ١ - وظيفة الإعلام .
 - ٢ - وظيفة التوجيه والإرشاد .
 - ٣ - وظيفة التسلية والإمتاع .
 - ٤ - وظيفة التسويق أو الإعلان .
- أما الآن ، فقد اتفقوا على أن للصحافة الحديثة خمس وظائف ، هى :

تلك التي ذكرناها مضافة إليها « وظيفة تفسير الأخبار » التي فرغنا من شرحها بطريقة موجزة .

والخلاصة أن الفرق كبير بين الخبر ، وتفسير الخبر ، والرأي المبني على الخبر .

فالخبر هو الوقائع التي حدثت بالفعل ، وتفسير الخبر جزء هام من أجزاء الخبر يراد به شرح نقطة المفاهيم ، أو بعض المسميات الواردة في صلب هذا الخبر .

وأما الرأي المبني على الخبر ، فهو المراد بكلمة « التعليق الصحفي » . يقول المستر ماركل رئيس المعهد الدولي للصحافة ومعهد الصحافة الأمريكي في شرح الفروق المتقدمة (١) :

« إن ذكر أن الكرملين يشن حملة من أجل السلام يعتبر خبراً .
« وإن شرح أسباب شن الكرملين لهذه الحملة في هذا الوقت بالذات ، هو التفسير .

« والقول بأن كل حملة للسلام تصدر عن الكرملين يجب أن ترفض ، هو الرأي .

« أما الشرح فهو جزء هام من أجزاء الخبر ، أما الرأي فلا مكان له غير أعمدة التعليقات .

وليس من شك في أنه كما يحتاج التعليق الصحفي إلى ثقافة واسعة ومنوعة من جانب المحرر ، كذلك يحتاج التفسير الخبرى إلى هذا القدر من الثقافة ، وذلك من حيث السعة والتنوع ، حتى يتمكن المخبر الصحفي من القيام بهذه الوظيفة الجديدة من وظائف الصحافة خير قيام .

على أن هذا الأمر الهام - وهو تفسير الأخبار - كثيراً ما يقتضى .

(١) الصحفي المحترف : الترجمة العربية لكتاب جون هوهبرج س ٣٥ و ٣٦ .

أمن محرر الصحفي أن يكون له « أرشيف » خاص عدا « الأرشيف العام » الذى للصحيفة ، وفى هذا الأرشيف الخاص يستطيع المحرر الصحفي أن يجمع المعلومات الجديدة أولاً بأول عن الشخصيات الجديدة عليه وعلى القراء ، وهو يعلم علم اليقين أنه محتاج إليها يوماً ما عند تفسير خبر من الأخبار التى تتصل بإحدى هذه الشخصيات .

ومن هنا تبدو أهمية هذه الأداة من أدوات المحرر الصحفي ، التى هى أزم له من « كراسة التحضير للمدرس » ، ونعنى بها المجمعات الإخبارية ، الخاصة والعامة ، أو ما اصطاح الصحفيون أنفسهم على تسميته باسم « الأرشيف » . . .

وتستطيع الجريدة أن تجمع فى التعليق على الأخبار - وخاصة السياسية منها - بين طريقتين :

الأولى - الطريقة المباشرة ، وبها يتولى أحد المحررين كتابة التعليق الذى يتفق وسياسة الجريدة .

الثانية - الطريقة غير المباشرة - وهى التى تعتمد فيها الجريدة إلى استعارة تعليق من التعليقات الهامة من أية جهة من جهات الإعلام المعروفة ، كالصحف والمجلات ، والإذاعة ، ووكالات الأنباء العالمية ونحو ذلك .

ولقد كانت جريدة الأهرام المصرية - إلى وقت قريب - تتبع الطريقتين معاً ، فتكتب تعليقاً خاصاً على شكل مقال افتتاحى ، أو عمود صحفي عادى ، وتستعير فى الوقت نفسه تعليقاً آخر من وكالة أنباء أجنبية ، وكانت تكتب هذا النوع الآخر من التعليق تحت عنوان « العالم يفكر » ، فيها ، أى فى هذه المادة ، تأتى بتعليق لجريدة أمريكية أو إنجليزية ، وكثيراً ما يكون هذا التعليق بقلم صحفي كبير متخصص فى التعليقات السياسية

كالأستاذ ليمان Lippmann وسنختصه بكلمة قصيرة في نهاية هذا الفصل .
وفي الجرائد العراقية تنشر أحياناً تعليقات محمد حسنين هيكل مأخوذة
من الأهرام .

والحق أن شهرة رجل كالأستاذ ليمان في كتابة التعليق السياسي
آتية من ثقافته الواسعة من جهة ، ومن علمه الدقيق بالاتجاهات السياسية
في العالم كله من جهة ثانية ، ومن معرفته الدقيقة كذلك بأخلاق الشعوب
التي يكتب عنها ، وأخلاق الزعماء والقادة الذين يشير إليهم ، ونيات
الحكومات التي يتعرض لنقد سياستها آخر الأمر .

ومن هنا تعدت شهرة هذه التعليقات جريدة الهرالد تريون التي
يكتب فيها ليمان إلى جرائد كبرى في شتى أنحاء العالم المتمدن ، فضلاً عن
وكالات الأنباء في جميع هذه الأنحاء .

وكالأستاذ ليمان في فن التعليق الصحفي كل من :

جون ديني في جريدة الأوبزرفر

ووليم كلارك بنفس الجريدة .

وديفيد بورانس في جريدة الهرالد تريون

ومارجريت هيجنز بنفس الجريدة .

ومحمد حسنين هيكل في جريدة الأهرام ، وذلك بالنسبة للقضايا العربية
بنوع خاص ، وهكذا .

وبعد أن اختفت صحيفة ورق عام ١٩٣١ تحول ولتر ليمان إلى
كاتب رواية ، وكان عمود صحفي ، وغزت كتاباته في عموده المعروف
اليوم وغداً ، قطاعاً واسعاً من جمهور القراء ، فهو كثيراً ما يوفق
في لقاء الضوء أمام القارئ العادي ، وكثيراً ما يمهّد له الأرض الصلبة
التي أمامه حيث تلتقي السياسة بالاقتصاد ، فإذا القارئ العادي قادر على أن

يفهم هذه المسائل الصعبة فهما مستقيماً في أكثر الأحيان .

تتبع الخبر . Following up :

على الصحيفة - فضلا عن واجب التعليق - واجبات أخرى كثيرة
نحنا المهمة الخاصة «بتتبع الأخبار» ، ولها في ذلك طرق كثيرة فهي تستطيع
أن تتبع الخبر الصحفي :

أولاً - بنشر تفاصيل جديدة لم يسبق نشرها في المرة الأولى .

ثانياً - بنشر أحاديث صحفية يدلي بها المسترولون أو الأشخاص
المشتركون في الحادث بأحاديثهم .

ثالثاً - بكتابة التحقيقات الصحفية إن احتاج الأمر إلى ذلك .

رابعاً - بكتابة الطرائف الصحفية Features .

وهذه الأخيرة هي التي سنتحدث عنها أولاً في الفصل التالي :

إن أول من اشتهر بذلك هو والتر ليبمان الذي يملك صحيفة علمية وخبرة
صحفية تمكنانه دائماً من أن يكتب بثقة ، وهو يملك فوق ذلك براعة غير
عادية في التعبير عن رأيه بوضوح وبساطة ، ذلك أن والتر ليبمان - وهو
ثمرة دراسات ورحلات كثيرة في ربوع أوروبا - استطاع وهو صغير
السن ، أن يغدو طالباً عملياً ، ثم طفر فكان باحثاً اختصاصياً في الإدارة
العامة والاقتصاد وفاز بتدريبات صحفية مبكرة ونافعة في جريدة
نيوزبا بليك ، ورأس تحرير جريدة نيويورك ورلد القديمة عندما كانت هي
الصحيفة الأولى الحرة في البلاد (١) .

(١) تقلال عن فريزر بوند : مدخل إلى الصحافة ، الترجمة العربية للكاتب من ٢٣٧ و ٢٢٨

الفصل الثاني عشر

الطرائف المتصلة بالخبر

يميل الكثيرون من الباحثين إلى تشبيه مواد الصحيفة أيضاً بهرم ،
قاعدته الأخبار ، وكل ما فوق هذه القاعدة من مواد تنشر في الصحيفة
لا بد أن تعتمد على هذه الأخبار ، فالمقال ، والعمود ، والحديث ، والتحقيق
والمجريات ، والطرائف ، كلها مواد ترتكز ارتكازاً قوياً جداً على هذه
القاعدة ، وبدونها لا يكون هناك مبرر ما لإحدى هذه المواد لكي تملأ بها
الصحيفة جزءاً من فراغها بشكل أو بآخر .

فالخبر إذن هو الأساس الذي تبنى عليه الصحيفة من أساسها ، ثم تأتي
بعد ذلك بقية المواد التي يرتفع بها بناء الصحيفة ، فمن هذه المواد بطبيعة
الحال التعليق على الأنباء ، ومنها كذلك المقال الافتتاحي الذي يعبر عن
رأى الصحيفة في الأهم من هذه الأنباء .

ولكن : هل بهذا التعليق الصحفي ذي المقال الافتتاحي تنتهى الصحيفة
من واجبات نحو القراء ؟

كلا ، فإن أمام الصحيفة واجباً من نوع آخر ، هو النظر في هذه الأنباء
من زاوية أو زوايا جديدة .

هذه الزوايا الجديدة هي التي تعطى للخبر قيمة ، وهي التي توضح للقراء
كيف أن مندوب الأخبار لديه حاسة سادسة ، هي هذه الحاسة التي يشتم بها
الأخبار ، ويقدر بها كل خبر منها تقديراً خاصاً .

فإذا كان من هذه الأخبار - في نظر الصحيفة - ما يستحق أن تبحث
فيه عن طائفة من التفاصيل الهامة ، أنت بهذه التفاصيل وهي واثقة من أنها
ستجذب اهتمام القارئ ، وستجمله يفهم الكثرة ، فهماً جديداً قد يخالف

فهمه الأول عند قراءته الخبر مجرداً من التعليق ، وقد يخالف فهمه الثاني عند قراءته الخبر بهذا التعليق ، وقد يتفق معهما ، ولكن بزيادة هامة لما خطر لها في نظر الصحيفة من جانب ، ونظر القارئ من جانب آخر .

وكثيراً ما تكون هذه التفاصيل التي تأتي بها الصحيفة ذات طابع إنساني بحت ، ومثل هذا الطابع من التفاصيل قل أن يتسع له مجال القصة الإخبارية ، وقل أن يكون واضحاً فيها وضوحاً تاماً ، وقلما يعني به كاتب الخبر على أية صورة من صور هذه الكتابة .

هذه التفاصيل التي تنشرها الصحيفة استجابة منها لرغبة كامنة في نفس القارئ ، يطلق عليها الصحفيون الأوربيون اسم Features ، أي «طرائف» وهذه « الطرائف » تعتبر جزءاً من الأخبار لا ينفصل عنها كما قلنا ، والغاية منها في الأعم الأغلب إنما هي تسلية القارئ ، وإذا ذهبت تسأل : ما هي أكثر المواد قراءة في الصحيفة الحديثة في الوقت الحاضر ؟ أي مادة المقال الافتتاحي ؟ أم صفحة الأدب ، أم العلم ، أم الفن ؟ فالجواب : كلا ، لا هذه ولا تلك ، وإنما هي مادة « الطرائف » .

خذ لك مثلاً : خلع الملك فاروق عن العرش ، إنه يعتبر خبراً من الأخبار الهامة ، والطريقة التي تم بها هذا الخلع ، والزمان والمكان ونحو ذلك يعتبر قصة من القصص الخبرية الخطيرة . أما الحديث عن طباع الملك فاروق ، أو عاداته في النزهة والرياضة والصيد والحفلات ونحو ذلك فتعتبر من « الطرائف » . والقارئ بحاجة فاسدة إلى عشرات من هذه الأخيرة ليشبع بها نفسه من جهة ، وليزداد بها إحساساً بالخبر في ذاته من جهة ثانية .

مثال آخر : اغتيال رئيس حكومة من الحكومات ، إنه خبر من الأخبار ، أما إذا أتى من يقص علينا قصة هذا الخبر ويبحث لنا عن أسبابه ونتائجه ، ويحكى لنا كثيراً عن الظروف التي أحاطت بهذا الحادث ، ويتنبأ

سبب ناره في المستقبل ، ويذكر لنا علاقات القتل ببعض النساء
أو الرجال ونحو ذلك ، فهذه هي « الطرائف » .

مثال ثالث - يأتي مندوب الصحيفة أحياناً بلباً حريق لم يسبب إلا
خسائر بسيطة ، وترى الصحيفة أن مثل هذا الخبر قد لا يحظى بقدر ما من
الإثارة ثم سرعان ما تزداد قيمة هذا الخبر في نظر الصحيفة وفي نظر
القارىء. إذا تضمن أنه كانت في البيت الذي احترق عجز شطاء استطاع
الجيران أن ينقذوها أو أن الحريق إنما تسبب عن عيب أطفال كانوا
يعدون بأنفسهم حفلة عيد الميلاد في منزل أحدهم ؛ فالخبر في ذاته خبر
من الأخبار المحلية ، وطريقة الحدوث وزمانه ومكانه والأشخاص
الذين أصيبوا به هو القصة الخبرية ، أما التفاصيل الأخرى فإنها من
« الطرائف » .

مثال رابع - عندما يأتي المندوب للصحيفة بلباً تصادم يشعر إذ ذاك
بأن القراء قد سمعوا مثل هذه الأخبار ، واعتادوها ، وأنهم قد لا يضيعون
وقتاً ما في قراءتها بالصحيفة ، ولكن إذا قيل لهم بعد ذلك : إن هذا
التصادم جاء بسبب أن السائق أفلتت من يده عجلة القيادة ، لأن لحظة قرصته
وطارت فإن الخبر يصبح له وجه آخر ، وإذ ذاك تعنى الصحيفة بمثل هذه
التفاصيل وتكتبها في شكل « طرائف » .

وهنا يقفز سؤال إلى ذهن الباحث : ما الفرق في هذه الحالة بين القصة
الخبرية « والطرائف » ؟ .

والجواب عن ذلك : أن القصة الخبرية إذا اشتملت على العنصر
الإنساني ، وغلب عليها عنصر التسلية فإنها تصبح شيئاً قريباً جداً من
الطرائف ، وقد قلنا مراراً : إنه ليس هناك خط يفصل تماماً بين كل فن
من فنون الصحافة الحديثة والفن الآخر ، فالأصح دائماً أن يقال : إن هذه

الفنون يتداخل بعضها في بعض كتداخل الألوان في قوس قزح ؛ ولكن لا يمنع ذلك مطلقاً من تمييز كل لون من هذه الألوان عن الآخر .

ومن هنا كانت « الطرائف » ، Features من الأمور التي يختلف العاملون في حقل الصحافة اختلافاً كبيراً في تحديد معناها ، فمنهم من يشترط في هذه المادة اعتمادها فقط على الجانب الانساني ، ومنهم من يشترط فيها أن تهدف فقط إلى مجرد التسلية ، ومنهم من يقول إنها أى نوع أو قدر من المعلومات تملأ به الصحيفة ما تخلف عندها من الفراغ بعد كتابة الأخبار بأنواعها ، والأعمدة على اختلافها ، وما إلى ذلك ، وعند هؤلاء أنه ما دامت هذه التفاصيل أو المعلومات ليست مطلقة في الهواء أو بمعنى آخر : ليست مقطوعة الصلة بالأخبار فإنها تصلح لأن يطلق عليها اسم « الطرائف » .

أما نحن فلا نتصور الأمر فوضى على هذا النحو ، وإلا لكانت مادة « الطرائف » من المواد التافهة في الجريدة . على حين أن الإحصاءات دلت على أنها هي التي تستحوذ على اهتمام القراء أكثر مما عداها من مواد الجريدة .

أجل ، ليست الطرائف في نظرنا هي المواد التافهة في الصحافة الحديثة ، لأنها في الحقيقة هي التي تعطى للخبر قيمة ، فضلاً عن أنها تزود القارئ بمعلومات شائعة لا يتسرخ لها الخبر في ذاته من جهة ، ولا يمكن إيرادها بطريقة التعليق عليه من جهة ثانية .

بل إن الطرائف الخبيرة ترفع من قدر الصحيفة في نظر القارئ . وتدفعه إلى قراءتها ، ولو كانت سياستها مما يخالف رأى هذا القارئ . وطريقتها مما تتنافى مع ذوقه تماماً ، ومن هنا رأينا أن الصحافة الأمريكية قالت - وهي على الحق فيما قالت - إنها لا تحتاج لكي تكون صحافة للانتماء إلى حزب سياسي لكي تعيش ، وذلك أنها تستمد بقاءها وتعتمد في قوتها على عناصر ذاتية ، ومقومات فنية تستميل بها قراءها ، ومن هذه الفنون - بل من أولها في الواقع - فن « الطرائف » .

وهذا الذى يقال فى الصحافة المقررة يعال مثله كذلك فى الصحافة
المسوعة ونعنى بها « الإذاعة » والصحافة المرئية « التليفزيون » .
فهل يستمع الجمهور للبرنامج الثقافى ؟ وهل يستمع لنقد الكتب ؟
وهل يستمع للتعليق على الأنباء ؟ الواقع أنه قل أن يستمع إلى شىء مما
سبق بقدر ما يستمع للطرائف ، ، ولما يشبه الطرائف من شتى أنواع
التسلية .

وليس معنى ذلك أننا ندعو القارىء بطريقة غير مباشرة إلى إهمال
المواد الصحفية والإذاعية كلها فيما عدا مادة الطرائف ؟ لا ، بل نحن ندعوه
إلى الأخذ من كل مادة من هذه المواد بقدر معين ، وإلا لكان كمن يجلس
إلى مائدة حافلة بألوان الطعام ، ولكنه لا يصيب إلا واحداً فقط من هذه
الألوان ، ومثل هذا الرجل لا بد أن يكون مريضاً بمرض يمنعه من أن
يكون حراً فى أن يمد يده ليشى الطعام الذى تولى المائدة .

وصدق من قال (١) :

لقد أصبحت النظرية القائلة بأن الناس يقرءون الأخبار لأنها تهزم
أو تثيرهم نظرية أثرية فقدت تأثيرها لكثرة ما كررها الناس . . والواقع
أن الناس يقرءون الصحف للاطلاع على ما فيها من معلومات ، وبدافع
من حب الاستطلاع ، وبقصد المتعة والتسلية .

وقد جاء فى نتيجة إحصاء لبعض المجمعات الأمريكية فى ٢٣ من آب
أغسطس ، سنة ١٩٥٨ ما يلى :

- ١ - أن قراء الأخبار المحلية يشكلون نسبة ٤٨ ٪ .
- ٢ - أن قراء الأخبار العامة يشكلون نسبة ٤٠ ٪ .
- ٣ - أن المهتمين بالطب والصحة العامة يشكلون نسبة ٣٧ ٪ .
- ٤ - المتتبعين لأخبار الجرائم يشكلون نسبة ٢٨ ٪ .

(١) عن الصحفى المحترف ، الترجمة العربية ، لفؤاد مويساتى ص ٧١ .

- ٥ - المتابعين لأخبار العلوم يشكلون نسبة ٢٨٪ .
- ٦ - المتابعين للأخبار الفكاهية يشكلون نسبة ٣٠٪ .
- ٧ - المتابعين للأخبار السياسية الوطنية يشكلون نسبة ٢٣٪ .
- ٨ - المتابعين للأخبار الخارجية يشكلون نسبة ٢١٪ .

ومن ثم أصبح على مؤسسات الإعلام، على اختلاف أشكالها ودرجاتها كالصحيفة، والمجلة، والكتاب، ومحطة الإذاعة، والتلفزيون، ونحو ذلك أن تستجيب لرغبات الجمهور، وأن تدرس هذه الرغبات بين حين وآخر، وأن تتعرف ذوق الجمهور، وأن تقدم له ما يتفق معه تماماً، وألا تتعالى عليه بوجه من الوجوه، وإلا جاء يوم اضطرت فيه كل وسيلة من وسائل الإعلام التي تقدم ذكرها أن تعلن إفلاسها، وتشر عجزها عن مجاراة القراء والمستمعين على السواء.

كيف تجمع الطرائف؟

الطرائف المتصلة بالأخبار هي - كما قلنا - التفاصيل التي تكمل هذه الأخبار، وتلقى عليها ضوءاً خاصاً، وتزيد من قدرتها على جذب القارئ، وتضفي عليها من الرواء والصفاء ما يضمن بقاءها عنصراً هاماً من عناصر الصحيفة الناجحة في الوقت الحاضر.

من أجل هذا كثيراً ما ترى سكرتير التحرير يطلب إلى معاونيه أن يقوموا بتحويل مادة من المواد الخبرية في الصحيفة من صورة أخبار إلى صورة طرائف، فإذا أتى إلى الصحيفة خبر عن شخصية بارزة في العالم بادر سكرتير التحرير إلى إحداث نوع من المنافسة بين المحررين في أنه يستطيع أن يزود الصحيفة بأكبر قدر ممكن من المعلومات حول هذه الشخصية البارزة، ويراجع سكرتير التحرير كل ذلك، ويختار أكثره

إمتاعاً للقارىء أو يجمع من المحررين كل ما جمعه من المعلومات التي
يضمن أنها تجذب القارىء .

ويكون عمل سكرتير التحرير في هذه الحالة تأليف إسبج إنسانى
من طراز معين يعتبر في الواقع من أروضح الأمثلة للطرائف ، ويوضح
الجوانب الغامضة في تلك الشخصية ، بشرط أن تكون موضع اهتمام
القارىء في ناحية من النواحي .

وإذا حدث مثلا أن زار رئيس إحدى الجمهوريات مسجداً من مساجد
القاهرة فإن الصحيفة في هذه الحالة تبادر إلى الحصول على معلومات تاريخية
وإنسانية . . مسلية عن هذا المسجد ، وتتحف بها القارىء ، وهنا تقدم
الصحيفة لوناً جديداً من ألوان الطرائف يكون مخالفاً للون الأول .

وإذا فرمنا أن هدهداً طار من قفصه في حديقة الحيوان ، وأن الصحيفة
أرادت أن تقدم بعض الطرائف إلى القراء بمناسبة هذا الحادث ، فإنها
في هذه الحالة قد تتحدث عن صيد أول هدهد في العالم ، وقد تتحال على
القارىء حتى تسوق له شيئاً من قصص القرآن مثل قصة الهدهد وسليمان ،
ونحو ذلك .

وفي صحيفة الأخبار التي كان يحررها الصحفي المعروف « أمين
الرافعى ، نشر خبر (١) عن فارة تسيبت في إطفاء نور القاهرة ، هذا نصه :

فارة أطفأت نور القاهرة

« حدث مساء السبت الماضى عادت غريب في باهه ، ويكاد يكون
غريداً فيه ، ذلك أن فارة كانت تسيير بح الآلات البخارية الكهربية
بمعمل شركة النوا ، وكان ينتقل من مكان إلى آخر و ضامينة ؛ لحدث

(١) رجع صحيفة الأخبار بتاريخ ٢٨/٢٢/١٩٢٢

أنها وقفت على سلك من أسلاك الآلة المولدة للكهرباء قوتها أربعة آلاف كيلو واط ، وتعطى الكهرباء تحت ضغط عشرة آلاف فولت ، ولو أن الفأرة مشت على سلك واحد لما حدث حادث ، ولكنها قفزت من سلك إلى آخر ، ولطول ذيلها لمست السلكين معا في آن واحد ، فأحدث ذلك اتصالا بين السلكين ، وعليه مر تيار قوى جداً أحدث قوسا كبيرا من النار ، فصعقها وأذاب بعض الأسلاك النحاسية ، فوقفت الآلة وانطلقا نور العاصمة ، وبعد الحادثة وجدت الفأرة يابسة فوضعت في كمية من الكحول لحفظها .

لا شك أن هذه قصة إخبارية صغيرة تصلح في الوقت نفسه لأن تكون طرفة من الطرائف التي تسوقها الصحافة الحديثة ، وفيها عنصر الغرابة ، وهو العنصر الذي جعل لهذا الخبر قيمة ، كما أن فيها كذلك عنصر الطرافة ، لأن القراء لم يعتادوا على مثل هذه الحوادث العجيبة ، ولأن الفأرة الضئيلة استطاعت أن تحرم سكان القاهرة من نعمة الضوء مدة ليست بالهينة .

ولو أن حادثاً كهذا حدث في أيامنا هذه لتساقبت الصحف إلى شركة النور تسأل المدير والعمال ، ثم يخرج المندوبون إلى الجماهير في الطرقات والدور فيسألونهم : كيف فوجئوا بهذا الحادث ، وكيف كان تصرفهم وقت وقوعه ؟ وما الذي صنعه الطيب وهو يجرى في تلك الأثناء عملية جراحية دقيقة ؟ وما الذي صنعه سائق السيارة وهو ينهب الأرض نهبا ليسعف راكبا في مهمة خطيرة ؟ ومن مجموع هذه الإجابات يستطيع الصحفي أن يستكمل هذه الطريقة .

إن الطرائف ، إذن بمثابة التوابل أو المشهيات في مائدة الصحافة . وهي من أجل ذلك محبوبة من جانب القراء جميعاً ، وتكون مقبولة في نظرهم أكثر من ذلك إذا كانت ذات أنواع شتى ، وصور متعددة ، وفي هذا المجال تتنافس الصحف وتبارى أذهان المحررين ، فقد تكون

الطرائف الإخبارية ذات طابع تاريخي ، أو ذات طابع جغرافي ، أو ذات طابع إخباري يشبه القصة الإخبارية ، وهنا ينبغي للكاتب أن يؤخر نهاية القصة أو يبطئ في الكشف عن عقدها الفنية بقدر المستطاع ، ذلك لأن الطرائف الخبرية لا تشتمل في الغالب على أخبار هامة ، ولا تهدف إلى تزويد القارئ بهذه الأخبار الهامة ، وإنما هي أشبه شيء بالمشهيات فوق المائدة لا تحتوى على العناصر الرئيسية للغذاء ، وإنما تشتمل على عناصر تثير شهوة الآكلين باستمرار .

أنواع الطرائف :

تستطيع بسهولة أن تدرك أن الطرائف على أنواع شتى ، وألوان متعددة ، ولكن أشهرها في الغالب هذا الذي نعرضه فيما يلي :

- أولاً - الطرائف الإنسانية .
- ثانياً - التاريخية .
- ثالثاً - الخاصة بتراجم الرجال .
- رابعاً - الجغرافية .
- خامساً - الخاصة بالأدب .
- سادساً - بالعلم (١) .
- سابعاً - بالفن .
- ثامناً - الهزلية .

وذلك فضلا عن أنواع أخرى - وبما كانت أقل أهمية - مثل الطرائف الموسمية ، وطرائف أيام الإجازات ، والطرائف الخاصة بأصحاب المهن ونحو ذلك .

(1) L, Compbell, Exploring journalism; ch; Entertainment P, 484.

والملاحظ دائماً أن الصحيفة اليومية أكثر عناية بالطرائف التي تتوافر فيها صفة « الحالية » ، على حين أن المجلات الدورية هي التي تهتم بالطرائف الفنية والأدبية والعلمية .

والملاحظ أيضاً أن مادة الطرائف بوجه عام أقرب إلى المجلة الدورية منها إلى الصحيفة اليومية . ومع ذلك فعلى الطرائف تعتمد الصحيفة دائماً في ملء الفراغ المتخلف عن المواد الصحفية المعتادة ، ولهذا يجب أن يكون لها رصيد كاف من هذه الطرائف كلها أمكنها ذلك .

وكما أن للأخبار الخارجية وكالات تحصل منها الصحف على هذه الأخبار فكذلك « للطرائف » المتصلة بالأخبار وكالات تقسّم هذه الطرائف للصحف التي تطلبها بين حين وآخر ، وفي مثل هذه الحالة تستطيع الوكالة أن توفر على الصحف مهمة البحث عن معلومات من هنا وهناك ، وتعفيها من مشقة الاتصال المباشر بالأشخاص الذين ذكرت أسمائهم في الخبر ، أو الأماكن التي وقع فيها الحادث .

أسلوب كتابة الطرائف :

الحق أن قوة هذه المادة من المواد الصحفية - وهي مادة الطرائف - إنما تأتي دائماً من الطريقة التي تتبع في كتابتها ، من أجل ذلك ينصح علماء الصحافة كل من يمارسون كتابة هذا النوع أن يتوخوا دائماً أن تكون كل كلمة من الكلمات أو عبارة من العبارات قادرة على المشاركة في هذا الموضوع ، مضيقة إليه أثراً من الآثار لا يكون إلا بها ، ولا معنى له بدونها .

كما ينصح العلماء أيضاً ألا يحرص الكاتب على أن يقدم كل ما يعرفه من التفاصيل عن الموضوع ، بل يكتفى بالإشارة ، عن العبارة ، ويكون بمثابة المضيف اللبق ، لا يقدم إلى ضيوفه كل ما يملك في بيته من شتى ألوان العلم ، ولكن يقدم إليهم ما يشتهونه منها فقط .

كما ينصحونه كذلك بأن يصطنع في كتابة الطرائف أسلوباً قريباً من أسلوب القصة أو الرواية ، ومعنى ذلك أن يتوخى الطرق التي من شأنها أن تخلق التأثير في نفس القارئ ، كما يؤثر استخدام الأساليب الخفيفة الروح بما فيها من تشبيهات لطيفة ، وعبارات جمالية ، وألوان ساخرة ، وأساليب تتدفق بالحياة والحركة .

وأخيراً يوصى النقاد بأن يقسم كاتب الطرائف موضوعه إلى فقرات ، كما تقسم القصة أو المسرحية إلى فصول ومشاهد بحيث لا تظهر للقارئ كأنها كتلة مصبوغة ، أو شيء ملقى في الطريق ، أو مادة تملأ فراغاً في الصحيفة لا أكثر ولا أقل .

وما أشبه هذه المادة من مواد الصحافة الحديثة - وهي مادة الطرائف - بمادة نجدتها دائماً في كتب الأدب العربي ، ولا يخلو منها كتاب من كتب الجاحظ على الأخص ، وهي مادة النوادر والملح (١) .

والقارئ لسكتب الأدب العربي من جهة ، والمتتبع لسير الأدباء - ونخص بالذكر منهم السكتاب - من جهة ثانية ، يرى كيف كان لهذه النوادر والملح تأثير كبير في ذوق الأديب العربي ، وكيف كانت مادة من أهم المواد في تثقيفه وتأهيله لأن يصبح كاتباً له شأنه ، وله قلبه ، وله ظرفه ، وله أدبه .

ولا يتسع المجال هنا لضرب الأمثلة على هذه النوادر والملح من الأدب العربي ، فهي أكثر من أن تحصى من ناحية ، وأشهر من أن ندك عليها من ناحية ثانية ، ومن هنا نصح كل من الجاحظ في كتبه الكثيرة ، والأبشهي في كتابه المستطرف في كل فن مستظرف ، وابن حجة الحموي في كتابه

(١) وما لا ... ما يؤدي العلم كل يوم من خدمات جليلة للصحافة وغيرها من المؤسسات الكبيرة ، ومن ذلك اختراع المناسب الإلكتروني ، وهو جهاز يريد المعلومات بامة ويعمقها ويضودها ااغب فيها فور اطلب .

« ثمرات الأوراق » ، وأبو الفرج الأصفهاني في كتابه « الأغاني » ،
والمبرد في كتابه « السكامل » ، وابن عبد ربه في كتابه « العقد الفريد » .
في أن يكونوا « صحفيين » ، ناجحين بالقياس إلى العصور التي عاشوا فيها ،
فقد استطاعوا أن يمدوا قراءهم بطائفة صالحة من « طرائفهم » حول
الموضوعات ، والأشخاص ، والحوادث ، والتجارب ، والأماكن ،
والكائنات التي تعرضوا لها في كتبهم ، ومن ثم أقبل قراؤهم على هذه
الكتب يقضون في قراءتها والاستمتاع بها أكبر وقت مستطاع :

ومعنى ذلك أن لهذا الفن من فنون الصحافة الحديثة - وهو فن الطرائف -
أصلاً في الآداب القديمة ، ومنها الأدب العربي .

ربما أن النوادير والملح تعتبر على الدوام من الأدب الواقعي ، فكذلك
الطرائف تعتمد الاعتماد كله على الواقع الملبوس ، ولا صلة لها مطلقاً بالخيال
أو الصور الوهمية بحال ما ، ولا شك في أن من أغراض فن الطرائف مد
القارىء بما يسمى « الصورة الخلقية » (١) للحوادث ، وهي صورة تساعد
على شرح الأسباب والنتائج والحقائق ، ونحو ذلك .

من نظم كتاب الطرائف :

تعتمد المجلة أو الصحيفة في كتابة « الطرائف » على نوعين
من الكتاب في الغالب :

أولها - أعضاء في هيئة التحرير روضوا أقلامهم على كتابة هذه
الطرائف ، ومالوا إليها كثيراً ، ووقفوا دائماً وراء الأخبار يعملون على
تسجيلها ، ويستعينون على ذلك إما بالكتب والمراجع الأدبية والعملية
على اختلافها ، وإما بالاتصال بالأشخاص الذين تدور ولهم الأخبار
الحامدة في الصحف ، ومن هؤلاء المراسلون الخارجيون للصحيفة .

(1) Booky round

وثانيتها - كتاب يتصلون بالمجلة أو بالصحيفة عن طريق المصاحفة ، ولا يكونون في هذه الحالة أعضاء في هيئة التحرير ، ولكن تنظر إليهم المجلة أو الجريدة على أنهم من أصدقائها .

والمشاهد أن النوع الثاني من كتاب الطرائف أكثر نجاحاً في الغالب من النوع الأول ، ذلك لأن الكتاب الذين من هذا النوع الثاني يكتبون بوحى من أنفسهم ، كما يفعل الشعراء أو الكتاب الأحرار سواء بسواء . ثم إن هذا النوع الأخير من كتاب الطرائف يدرك تماماً أن من أهم مصادر هذا الفن من فنون الصحافة الحديثة الأفراد الذين يتصل بهم ، والقصص التي يسمعها من أفواههم ، والمناظر الطبيعية التي يراها في المحيط الذي يعيش فيه ، والتجارب التي مرت به ، ونحو ذلك .

على أن أهم مصدر لكتابة الطرائف في الواقع هو نفس المصدر الذي تستقى منه الأسفار والحوادث الداخلية ، ونعني به أماكن الشرطة ، أو البوليس في المدن والقرى ، وكثيراً ما يختلف الخبير أو كاتب الطرائف إلى هذه الأماكن ويعود وحقيقته مملوءة بشتى القصصات ، والبيانات ، والمذكرات ، والصور ، وغير ذلك من المواد التي تساعد على كتابة الطرائف .

ما الفائدة التي تعود على القراء من الطرائف ؟ :

لا شك أن الإقبال الذي نراه من القراء على هذا الفن أثنى من فنون الصحافة يبين - كما قلنا - إلى أي حد يسهل على القراء بالثقافة العالية في وقت معاً من هذه القراءة .

فالكتاب الذي يكتب ، الطرائف ، الكثير من الشخصيات البارزة ، أو الشخصيات المعقدة ، أو الشخصيات المكافئة في الحياة ، يقدم أحياناً الخدمات للشباب الذين يجدون صعوبة في إحياء حياتهم الشخصية ،

فيشعرون من مطالعة هذه الطرائف بالراحة النفسية التي لا حد لها .

والكاتبة المحترفة أو المصاحفة التي تجسد من وقتها ما يكفي لكتابة الطرائف التي تمس الشئون المنزلية للمرأة ، أو تشير من قريب أو من بعيد إلى مشكلاتها الزوجية ، أو المادية ، أو النفسية ، تساعد الكثيرات من الزوجات على التخلص من متاعبهن ، أو تحسين حالاتهن ، مسترشدات في ذلك بالتأثير النفسى الذى ربحنه من مطالعة هذا اللون من ألوان الصحف .

وبهذه الطرق وأمثالها يصبح الجيل الجديد من الثعبان والفتيات أكثر ثقافة من الأجيال السابقة ، ويخوض غمار الحياة بنفوس أكثر صفاء وتحرراً من تلك الأجيال ، بل بهذه الطريقة تؤدي الصحافة وظيفة الأدب الواقعى ، وتحل محله في أوقات كثيرة ، وتكفى - إلى حد ما - في تغذية الجيل الحاضر من هذه الناحية .

على أن الأمر عسير على المحرر المحترف أو المصاحف بقدر ما هو يسير على القارئ أو المستمع ، فالمحرر عليه دائماً أن يبحث عن احتياجات القراء ، وعن مطالب المجلة أو الصحيفة ، أو الإذاعة ، وعليه أيضاً أن يحسن استخدام النقد عند الضرورة ، وعليه أن ينمى اتصالاته بالناس على اختلاف طبقاتهم ، وعليه أن يضيف كل يوم جديداً إلى معلوماته وتجاربه الخاصة ، كما أن عليه أن يأخذ نفسه بالصبر والمثابرة في الوصول إلى المعانى الجديدة والألفاظ التي تناسب هذه المعانى الجديدة .

ثم هو بعد هذا كله لا يبدأ الكتابة إلا حين يشعر بالرغبة الشديدة فيها ، فقد ، مثلاً ، هذه المادة أ ب . إلى المجلات الدورية منها إلى الصحف يومية ، أو بجوار أخرى : أقرب إلى طبيعة الأدب منها إلى طبيعة الصحافة .

ويستطيع القارىء أن يطلع في كل يوم على الصحف المحلية أو الصحف الأجنبية فيجد العدد الوفير من الطرائف على اختلاف أنواعها ، وخاصة منها الطرائف ذات الطابع الإنساني ، ومنها - هلى سبيل المثال - مقال قرأته في جريدة الجمهورية الصادرة ببغداد ، وإليك خلاصة له :

قطع الراديو برامجه وأعلن النبا

عادت « تينا » .. وعطست . . في وجه الملك

قبل حلول عيد الميلاد بأسبوعين خرجت هانا « ٢٣ سنة » متوجهة إلى أسواق « ديبيل » التي تقع في وسط مدينة « كوبنها - كره » لتختار هدية لزوجها السيد بيتر فيكيل « ٢٦ سنة » الطالب في كلية الهندسة ، وقد صحبت معها طفلتها « تينا » التي كانت قد أكملت الشهرين من عمرها ، وتركت الأم الطفلة في عربتها الصغيرة أمام أحد مداخل السوق المزدهم ودخلت لشراء الهدية .

وبعد برهة خرجت الأم إلى حيث تركت ابنتها ، ولكن العربية والطفلة التي في داخلها لم يكن لهما أثر . وقد أجرى البوليس تحقيقاً روتينياً ووجد الأم برجوع طفلتها خلال ساعات من نفس اليوم ، كما حدث في حالات مماثلة ، ومرت أيام على الاختفاء وبعد أن وجه البوليس نداء إلى كل من لديه معلومات يدلى بها عن الموضوع ، وبعد أن وقف البوليس مكافأة قدرها « ١٧٠٠ » دينار على من يساعد في العثور على الطفلة ، أجمعت أكثر من ثلثائة شهادة على أن امرأة متوسطة الطول داكنة الشعر مستديرة الوجه ، لها شفاه ممثلة في حوالى الثلاثين من عمرها شوهدت في فترة الظهر وقت اختطاف الطفلة ، وهي تحمل طفلة صغيرة وتسير متجهة ناحية الميناء البحرى .

وقامت الصحف الدانماركية الكبرى بتحقيقاتها للعثور على الطفلة ،

١٤٠٠ : جده ي : وأعلنت جمعية سائقى التاكسيات الدانماركية
المساهمة بألفين وستمائة سائق للعمل على إيجاد « تينا » .

وعقدت الآمال على ليلة عيد الميلاد ، وموسم عيد الميلاد فى الدانمارك كله
سفرح واحتفالات عائلية ، ولكن اكتنف الاحتفالات هذا العام وجوم
ثم ردت ، لقد الدانما كبرى ، شئت سنة : أيام الاحتلال النازى ، وذلك بسبب
غياب أنظفمة « تينا » عن والدتها . حين حل عيد رأس السنة ظهر رئيس
ورراء الدانمارك كعادته على شاشة التلفزيون ووجه كلمة للشعب الدانماركى
. ونداء خاصاً للحاشية ، ووعدها بمعالجة خاصة للحادث .

وعاد مدير البوليس البنى قطع إجازته مع مئات من مساعديه الذين
قطعوا عطلتهم اختيارياً من أجل مواصلة التحقيق ، وأعاد قراءة أ كثر
من خمسة آلاف رسالة كانت قد وردت من المواطنين ، وفى إحدى الرسائل
قال كاتبها : إن إحدى قريباته فى مدينة تبعد ٥٠ كم عن كوبنها كره قد
ولدت فى نفس التاريخ الذى اختفت فيه « تينا » ، وقد لفت نظره كبر حجم
الطفلة الوليدة .

وتوجه البوليس إلى العنوان المذكور ، وفتح باب الشقة وظهرت
أمرأة تنطبق عليها الأوصاف التى ذكرها أ كثر من ثلثمائة شاهد ، وطلب
البوليس النظر إلى الطفلة ، كما طلب رؤية أوراق المستشفى . . فانهارت
أعصاب المرأة واعترفت بأن الطفلة هى « تينا » .

وعلى أثر هذا الاعتراف حملت سيارة البوليس الأم حيث تعرفت
على ابنتها ، احتضنتها وهى تبكى بعد أن غابت « ٢٩ » يوماً عنها . . وقطع
الراديو برأيه وأعلن الخبر ، وقد شهدت الدانمارك يوماً مماثلاً لذلك
اليوم قبل إحدى وعشرين سنة ، يوم أعلن تحرير الدانمارك من قوات
الاحتلال النازى ،

وقد ظهر من استجوابات البوليس أن الجانية تعاني حالة نفسية معقدة ،
و خوفاً من أن تفقد زوجها اضطرت للكذب وادعاء الحمل ، وقد توجه
رئيس البوليس لدار « فيكيل » وقبّل الطفلة ، محاولاً أن يريح نفسه
من عناء الليالي والأيام التي قضّاها وهو يمتنّى أثرها .

وبعد ساعات أرسل الملك فردريك ملك الدانمارك برقية إلى الأم
يهنئها باجتماع الشمع ، وقد رغبت الأم الشابة في أن تعرب له عن امتنانها
فاتصلت بالقصر الملكي ونظمت للملك زيارة خاصة لتمثل أصغر زائرة
رسمية بين يدي جلالة الملك .

وفي إحدى الصالات الملكية توجه الملك فردريك إلى زائرته الصغيرة
وحملها بين يديه مبتسماً .

أما الطفلة الصغيرة فرفعت رأسها ونظرت إليه بعينين بريئتين ثم
هتخت فها وعطست في وجه الملك (١) .

الفصل الثالث عشر

الخبر والمجتمع

الخبر مادة صحفية ذات أثر كبير في المجتمع ، كما رأينا ، غير أن هناك طائفة من الأخبار تدور حول الجريمة ، أو الأشياء المثيرة للضمير الإنساني ذاته ، بغض النظر عن الضمير الذي يخلقه الدين والأخلاق ، فما موقف الصحافة من هذه الأخبار؟ أتشرها وتحمل وزرها كاملاً؟ أم تخفيها وهي قطعة من الحياة التي تحياها المجتمعات ؟

لقد اختلف العلماء اختلافاً كبيراً في ذلك ، فهم بين مؤيد للنشر الجرائم الخلقية والاجتماعية كما هي ، ومعارض للنشر على هذا النحو. والذي نشاهده عادة أن في نشر الجريمة تعظيماً لها ، وأن هذا النشر في ذاته يجعل من مرتكبيها أبطالاً في نظر المجتمع — في بعض الأحيان — ونخص بالذكر منهم الصبية ، والصغار ، والمراهقين ، ومن إليهم .

والذي نعلمه مع ذلك أننا في عصر يلبني أن يعرف فيه الصبية والصغار ، والمراهقون ، كل ما في الحياة من خير وشر ، وأن نعرض على أبصارهم وأذهانهم صوراً من المآسى التي ربما تعرضوا لمثلها في مستقبل الأيام .

ولا يستطيع أحد منا أن ينكر — مع هذا كله — أن الصحافة كثيراً ماتمين رجال الأمن على القيام بأعمالهم في تعقب المجرمين ، وفي الكشف عن النواحي الناقصة في قصة الجريمة .

على أننا نلاحظ مع ذلك أن كثيراً من الصحف تخوض في بعض القضايا المنظورة أمام المحاكم ، وتحاول التأثير في القضاء ، وفي القهود ، وفي

المحاميين ، والمحلفين ، ومن ثم يقول الكاتب الأمريكي إد ولتر ليمان
: Walter Lippman

، الجريمة قطعة من الحياة التي نحيها ، وليس الخطر آتياً من نشر
أخبار الجريمة في ذاتها بقدر ما هو آت من تحويل الصحيفة إلى مخبر سرى ،
وقاض ، ونائب عام ، ونحو ذلك ، .

ومهما يكن من شيء فليس أماننا الآن إلا أن نستعرض آراء المؤيدين
لنشر الجريمة ، وآراء المعارضين لهذا النشر .

* * *

فأما المؤيدون فانهم يرون :

أولاً - أن الصحيفة تمد الجمهور بحقيقة الجريمة . أصبح الناس مستعدين
لعمل شيء حيالها ، مهيبين كذلك للسعي في علاجها ، أو بعبارات أخرى .
يضطر المجتمع إلى تجنب أسباب الجريمة ، واتخاذ الإجراءات التي تحول
دون تكرار حدوثها .

ثانياً - أن نشر الجريمة يحول أيضاً دون فعالية الشر في ذاته ، لأن المجرم
يتوارى عن الناس ، ولا يخاف شيئاً مثل ما يخاف من عدسة المصور والصحن
أو قلم المخبر الذي يتعقبه .

ثالثاً - أن أخبار الجريمة تكشف عن أساليب المجرمين في اقرار
جرائمهم الفظيعة ، وتساعد رجال الأمن في القبض عليهم .

رابعاً - يضاف إلى ذلك ما قلناه من أن الأطفال لا بد أن يكون لهم
علم بالخير والشر معاً ، وذلك قبل النزول إلى معترك الحياة ، والشر ناحية
من نواحيها يلبغى أن يدرس على الأقل بهذه الطريقة .

خامساً - في النفس البشرية ميل إلى التشفى من مرتكبي الجرائم ،
(م - ١٣ المدخل)

وميل إلى الاطمئنان على سير العدالة التي من شأنها أن تعاقب المجرمين الذين يرتكبون هذه الجرائم ، وبها ميل كذلك إلى الوقوف على مدى العقوبة التي حلت بالمجرم ، حتى يطمئن الناس إلى ما في الحياة نفسها من قيم إنسانية خالدة ، وإلى أن الخير والشر في هذه الدنيا يتصارعان ، ولا بد أن تكون الغلبة أخيراً للأول على الثاني .

سادساً - أما جرائم الأحداث والمتشردين فتكاد تجمع الصحف على أن الخير كل الخير في عدم نشرها ، وفي العدول - على الأقل - عن ذكر أسماء أصحابها ، وصورهم ، والمعلومات التي تدل عليهم ، أو تشير إليهم دون غيرهم ، ذلك لأن الحدث لا يزال في مطلع حياته ، والأمل كبير دائماً في إصلاحه ، فإذا صلح بالفعل لا يكون من الخير أن يحتفظ الناس له في أذهانهم بتلك الصورة القبيحة ، وهذا هو ما يحدث فعلاً في كل من فرنسا وإنجلترا .

وأما المعارضون فيقولون :

أولاً - إن الصحف كثيراً ما تكتفي بمجرد عرض أخبار الجريمة بدون التعرض لأسبابها ، والتحليل الدقيق لهذه الأسباب .
ثانياً - إن الصحف كثيراً ما تسلك طريق المبالغة في تأكيد الجريمة ، فتعطي بذلك صورة خاطئة للقارىء .

ثالثاً - إن نشر أخبار الجريمة ، كما يفيد رجال الأمن في تعقب المجرمين ، فهو كذلك يفيد المجرمين أنفسهم في الإمعان في التخفي .

رابعاً - في نشر الجريمة - كما قلنا - تعظيم لشأن المجرم ، وتصويره بصورة البطل الذي حير رجال الأمن ، واسترعى انتباه العامة والخاصة .
ومن هنا يأتي تأثيرها السيء على الأطفال والشبان ، وكثيراً ما رأينا

عدداً من هؤلاء وهؤلاء يرتكبون نفس الجرائم التي يقرءون عنها في الصحف ، أو يرونها مصورة على الشاشة البيضاء في دور السينما .
خامساً - كثيراً ما يحول نشر الجريمة دون الوصول إلى العدل في الحكم في قضايا الإجرام ، لأنها تؤثر في إدراك القضاة ، والمحامين ، والشعب نفسه ، وتقديرهم لهذه الجرائم .

* * *

تلك هي آراء المؤيدين والمعارضين على السواء ، ومنها نخرج بنتيجة واحدة ، وهي أنه لا بأس على الصحف من نشر الجرائم ، على أن تراعى في ذلك الدقة ، وتتجنب التهويل والمبالغة ، وتشفع الخبر بتحليل أسبابه وبيان علاجه كلما أمكن ذلك ، وعليها كذلك أن تحذر التدخل في عمل القضاء ، إلا إذا وثقت من أنها تكشف عن جوانب ربما خفيت على القضاء ذاته . ويجب أن تقلل ما أمكن من المساحة التي تعطى لأخبار الجريمة ، وتحتاط في الطريقة التي تنشر بها قصة الجريمة ، والصور الشمسية التي تصحبها في العادة .

ومما هو جدير بالذكر أن الصحف السوفيتية درجت على أنها لا تنشر أخبار الجرائم ، أو حوادث الاعتداء ، إلا في حالات استثنائية خاصة ، ويكون النشر في هذه الحالة لغرض معين ، وبصورة موجزة يكتفي فيها بأن يقال مثلاً :

« إن أحد المواطنين أدين بسبب اعتدائه على النظام الاشتراكي الذي تسير عليه الحكومة » .

أو ، إنه أدين لإخلال خطير بنظام العمل ، وهكذا ، ومثل هذا يلاحظ أيضاً في البلاد الشيوعية الأوربية التي تدور في فلك الاتحاد السوفيتي .
ومع هذا وذاك فقد ذهب كثيرون من الصحفيين المشهورين في مصر

إلى أن نشر الجرائم بهذه الطريقة الأخيرة لا يؤدي مطلقاً إلى النتيجة المطلوبة، بل إنه كثيراً ما يبعث الناس على الجريمة وما زال الباحثون والصحفيون مختلفين في هذا الرأي إلى اليوم .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فهناك أمور يمكن أن يتفق عليها ، وأكبر الظن أنها لا تجد اعتراضاً من الفريقين على السواء ، ومنها :

أولاً - أنه لا ينبغي للصحف أن تحرص دائماً على ذكر الأسماء في الجريمة فإذا نشرت صحيفة ما أن سيدة تقدمت إلى مأمور أحد الأقسام تتهم طالباً جامعياً ، أو موظفاً حكومياً ، أو رجلاً ذا مكانة في المجتمع بأنه اعتدى عليها ، وأنه لجأ إلى القهر والإكراه في ذلك ، بحيث لم تستطع أن تنقذ نفسها منه ، فإن على الصحيفة في مثل هذه الحالة ألا تذكر الأسماء عند نشر الجريمة ، لأنه لا فائدة للمجتمع من وراء ذلك ، بل إن الضرر أكثر من النفع للمجتمع في مثل هذه الحالة .

ثانياً - لا ينبغي للصحف أن تجارى السيتا ، أو الأدب المكشوف ، ونحوهما في إثارة الغرائز الجنسية جزياً وراء الريح المادى ، فإنه لا يصح مطلقاً أن تثرى طائفة من الناس على حساب الأخلاق ، أو بطريق نشر الفضائح .

صحيح ان في مواد القانون ما يضمن حماية المجتمع والأخلاق من كل ذلك ، ولكن العيب ليس في القانون ، وإنما هو في تطبيق هذا القانون على القسامين على دور السينما والراديو والتليفزيون ، وناشرى الكتب والصحف .

ثالثاً - ينبغي للصحافة دائماً أن تقف إلى جانب القانون ، والمجتمع ، ورجال الأمن ، والقضاء ، وأن تكون على الدوام ضد الإجرام . ذلك أن الإجرام في ذاته عمل عدوانى على المجتمع ، وكثيراً ما يكون نتيجة لفشل الفرد في الاندماج في هذا المجتمع ، وربما كان من أسبابه سوء استعمال أوقات الفراغ ، والإدمان على قراءة الأدب المكشوف ،

ومشاهدة الأفلام السينمائية الموصوفة بالانحراف ، ونحو ذلك .
وإذا كان الأمر كذلك فقد وجب على الصحافة الرشيدة - وهي أكثر
وسائل الإعلام إلحاحاً على القارئ - أن تعين على تكوين رأى عام
ضد الجريمة فى أى شكل من أشكالها المعروفة ، وغير المعروفة .

رابعاً - خير للصحافة دائماً أن تحتاط فى نشر الأخبار التى تمس النواذب
فى الأمة ، وأصحاب المواهب فيها ، فهؤلاء الناس من البشر ، ولهم ما للبشر
من نقائص عادة ، ولكنهم فى الوقت نفسه يمتازون عن سواهم من أفراد
المجتمع ، وهم من هذه الناحية ، يجب النظر إليهم بعين الاحترام والتقدير
على اعتبار أنهم «كنوز» حقيقية للمجتمع ، ومصدر من مصادر قوته
وتفوقه على غيره من المجتمعات الأخرى ، وعلى ذلك فمن الخطر أن
تعبث الصحف بهم ، أو تشوه من أسمائهم ، أو تنال منهم بطريقة أو بأخرى
لمجرد أنهم سقطوا فيما يسقط فيه البشر .

إن الصحافة التى تحافظ على كنوز الأمة ، وتحوط برهايتها عظماء
هذه الأمة هى «الصحافة الرشيدة» التى تعرف ، لها نحو أمتها ، وتحشى
عليها من العواصف والزلازل التى تقوض ركنها ، وتذهب بثروتها المعنوية
التي لا يمكنها أن تعيش إلا بها .

وسنعود إلى التحدث عن هذا الموضوع فى الفصل الآتى بعنوان: «الذوق
الصحفى والخبر» .

وهنا يحلو لنا أن نقدم للقارئ طرفاً من الإرشادات التى أصدرتها
إحدى الصحف الإنجليزية لمحريها ، وقد جاء فى بعضها مايلى :

« ليسكن مفهومنا لدى المحررين أننا لا نريد تمجيداً للمجرمين ، فلا
يصح مطلقاً أن نظهرهم بشكل أبطال ، أو شهداء ونحو ذلك . إن المجرمين
هم الأعداء الحقيقيون للمجتمع ، ومن ثم لا يصح لنا أن نستخدم فى
الإخبار عنهم مثل هذه العبارات : «ملك اللصوص» ، «أسد العصاة» ،

« أستاذ الإجرام ، و « روبين هود البلد الفلاني ، وهكذا ، فإن مثل هذه العبارات تثير خيال الشباب ، والأطفال ، وتدفعهم دائماً إلى السير في نفس الطريق ، » .

ويجب علينا نحن المحررين من ناحية أخرى أن نسهب في الكلام - كلما أمكن ذلك - عندما نصف شجاعة رجل الأمن ، ومهارته في ضبط اللصوص ، وتعقب المجرمين ، كما يجب علينا أن نقف دائماً إلى جانب القانون والنظام ، بل يجب علينا دائماً أن نبحث عن مبررات لقسوة الأحكام التي يصدرها القضاء ضد هؤلاء المجرمين ، حتى يشعروا شعوراً حقيقياً باحتقار المجتمع لهم ، ورغبة الحكومة في إبادتهم ، والتخلص منهم إلى الأبد .

كما يحولنا كذلك أن نسأل أنفسنا مع الأستاذ أوكن ريتشلر رئيس تحرير صحيفة نيويورك هيران ستيتان هذا السؤال :

« هل نكون مخطئين إذا امتنعنا عن نشر كيفية وقوع سرقة بالتفصيل ، أو كيف ارتكب شخص مختل الشعور حادث انتحار ؟

إنني أعرف أن شركات التلفزيون تتبع ما يمكن أن يسمى دروساً تدريبية في القتل والسلب والاختصاب ، غير أننا لا نتبع هذه الطريق ، بل نلقبها من أساسها .

ونحن نوافق هذا الأستاذ على إجابته ، ونرجو أن يوافقنا عليها جمع رؤساء التحرير في الصحف .

ومعنى ذلك أن الصحفي الجدير بهذا الاسم يجب أن يشعر دائماً بشعورين في وقت واحد :

الأول - شعور بتجربة الصحافة .

الثاني - شعور بمسئولية الصحافة .

والواجب يحتم عليه دائما أن يجعل الشعور الثاني مقديا على الشعور الأول .

الأمثلة

إن الشعور بالمسئولية الإعلامية في الوقت الحاضر أصبح لازما لرجل الإعلام بعد أن كثرت أجهزة الإعلام وأصبحت في متناول أكثر الناس ، فإذا خفي الشعور بهذه المسئولية الضخمة كانت لذلك آثاره السيئة وعواقبه الوخيمة على شباب الأمة بنوع خاص .

شهد بعض الشبان في مصر فيلما سينمائيا صور لهم الطريقة التي استطاع بها بعض اللصوص في أمريكا أن يسرقوا مصرفا ماليا من المصارف الكبيرة ، وما كاد الشبان يغادرون دار السينما حتى انفقوا فيما بينهم على ممارسة التجربة وحاولوا بالفعل أن يسرقوا مصرفا ماليا في ضاحية مصر الجديدة ، فقبضت عليهم الشرطة وساقتهم إلى المحكمة ، فاعترفوا بأنهم فعلوا فعلتهم هذا . بعد أن شهدوا بأنفسهم عرضا سينمائيا شرح لهم هذه الجريمة .

ومثل آخر هو الخبر الخاص بالشقي « محمود سليمان » المعروف « بالسفاح » وهو شقي ظهر فجأة في القاهرة ، وارتكب عددا كبيرا من السرقات ، واقحم كثيرا من المنازل ، وأحدث إزعاجا كبيرا في العاصمة وضواحيها ، فاستفحل شره وانتهزت الصحف المصرية هذه الفرصة وأخذت تبالغ في أخباره ، وحاولت الشرطة أن تقبض عليه فلم تفلح في ذلك أول الأمر ووصفه بعض الصحف بالبطولة ، وأنه يأخذ من مال الأغنياء ليعطى الفقراء . وكادت هيئة الشرطة تياس من ضبطه واضطرب الأمن بسبب تشجيع الصحف لهذا الشقي على أعماله وتصرفاته ، ثم صدر أمر من الحكومة القائمة للصحف بالكف عن هذه الطريقة غير الفنية في نشر

الأخبار، فرضخت الصحف للأمر، وأصبح الشعب يبذل جهده في معاونة رجال الشرطة للقبض على المجرم، وقبض عليه في النهاية، وكان ذلك في جبل بجلوان، وكان أن قتل المجرم نفسه رميا بالرصاص قبل القبض عليه بدقائق، وهكذا انتهت هذه المساة التي عرفت بها الصحافة أنها إنما كانت تسيء إلى الحكومة وإلى الشعب وإلى الأمن بمبالغتها في نشر أخبار هذا المجرم، ومبالغتها في وصف تحركاته وخططه وأفكاره (١).

(١) انظر: أزمة الضمير الصحفي، وراجع: الصحافة والمجتمع.

الفصل الرابع عشر

الأخبار من الزاوية الأخلاقية وزاوية

المسئولية الإعلامية

« إن رجال الإعلام في كل أمة من الأمم هم وكلاء هذه الأمة في ميدان من أخطر ميادين الحياة ، وهو ميدان الأخبار وميدان الثقافة والإرشاد . إنهم المسئولون في الواقع عن رفاهية الشعوب ، ومسئولون كذلك عما تقع فيه هذه الشعوب من البؤس . وهم المسئولون كذلك عن الحرب وعن السلام بين شعوب الأرض (١) » .

وإن نظرة واحدة إلى تاريخ الصحافة في العالم — بما فيها الصحافة العربية — ترينا أن الصحافة قسيمان : صحافة الخبر ، وصحافة الرأي أو المقال . وصحافة المقال — في تاريخنا العربي — سابقة لصحافة الأخبار ، ولم تبدأ صحافة الخبر بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة في تاريخ الصحافة المصرية بنوع خاص قبل سنة ١٩٣٦ ، وهي السنة التي ظهرت فيها جريدة المصري ، وفي عددها الأول كتب محمد التابعي يقول :

« وعد واحد فقط هو الذي نتقدم به إلى القراء ، وهو أن نحاول — ما استطعنا — أن ندخل على « المصري » لونا من روح العصر الذي نعيش فيه ، عصر السرعة والاختزال ، عصر الأنباء والأخبار ، ودائماً الأخبار . والصحافة العربية فيما اتصفت به من الابتسداء بصحافة المقال مخالفة للصحافة الأوروبية التي اتصفت منذ بدايتها بالميل إلى الأخبار ، وبقى الحال على ذلك حتى ظهور الديموقراطيات ونموها في أوائل القرن التاسع عشر .

(١) عبد اللطيف حزه : أزمة الضمير الصحفي ص ٦ بتصرف .

وإذ ذاك ظهرت في كل من أوروبا وأمريكا « صحافة الرأي ، وحدث محل صحافة الخبر ، وبلغت أوجها بقيام الثورة الفرنسية ، ثم تغيرت الظروف تغيراً كاملاً في القرن العشرين ، وعادت الصحافة الأمريكية - بنوع خاص - إلى صحافة الخبر . وأصبح التنافس قوياً في سبيل الحصول على الأخبار حتى لجأت الصحف أخيراً إلى طريق الإغارة ، ومنذ ذلك الوقت أصبح الهدف الأول للصحافة الأمريكية هو الحصول على أكبر قدر من المال ، ولم يصبح الهدف الأول للصحافة هو التوجيه والإرشاد ، كما كانت عليه الحال من قبل ، ولعل السبب الأول والأخير في وصول الصحافة الأمريكية إلى هذه الحالة الأخيرة هو الخضوع لرأس المال ، وخضوع الديمقراطية الأمريكية للنظام الحر Liberalism وهو النظام الذي تدل عليه الجملة المعروفة :

« اتركه يفعل ، اتركه يمر Laissez faire - laissez passer »

سمات صحافة الخبر :

إن لصحافة الخبر سمات تعرف بها وتميزها عن صحافة المقال ، ومن هذه السمات ما يلي :

١ - قلة عنايتها بالمقال أو اقتصادها في المساحة المخصصة له ، فإن حين الصحيفة في مثل هذه الحالة يترك كثرة منه للخبر ، ولا تبقى للمقال إلا مساحة أقل من مساحة الخبر .

٢ - عناية صحافة الخبر بعناية بالغة بحوادث الدجل والدجالين وتسليية القارئ بالخرافات وأخبار الشعوذة والمشعوذين ، على حين أن صحافة الرأي إذا عرضت لمثل هذه الأخبار فلن تنقدها وتسفه أصحابها ، وتقدم العلاج الناجح لهذه الأدواء الضارة بالمجتمع .

٣ - زيادة اهتمام صحافة الخبر بأنباء الممثلين والممثلات والمغنين

والمغنيات ، والرأفصين والراقصات ، وبأخبار الطبقة البورجوازية في المجتمع ،
ويأراد الأخبار الشخصية الخاصة لبعض البارزين في المجتمعات .

٤ - اختراع الأخبار بقصد إثارة القراء . . . فهذا خبر عن لص هارب
من وجه العدالة ، وهذا خبر عن مشعوذ ظهر في الحى الفلانى ، وهذا خبر
عن تحضير الأرواح وهكذا ، وغالباً ما تكون هذه الأخبار من صنع
الجريدة نفسها ، كالجأت جريدة « أخبار اليوم » المصرية مرة إلى الإعلان
هن دواء اسمه « ٣٥ » ، وزعمت أنه يعيد الشباب للطاعنين فى السن ، وكان
هذا الخبر مجرد اختراع من الصحيفة تسبب فى ارتفاع كبير فى نسبة التوزيع .

صحيح ان لهذا الخبر الصحفى نصيباً ضعيفاً من الصحة ؛ فقد قيل إن
طبيبة تركية وصلت إلى اختراع هذا الدواء وعرضته على مجلس أطباء عقد
لهذا الغرض برومانيا ، غير أن هذا المجلس لم يقر الدواء الذى قدمته الطبيبة
فانتقلت به إلى مجالس طبية أخرى ولسكنها إلى الآن لم تظفر بإقراره بحال
من الأحوال .

فإذا جاءت صحيفة كأخبار اليوم المصرية واستغلت هذا الخبر
استغلالاً صحفياً ، وأخذت تنشر عنه كل يوم شيئاً فإن الهدف الرئيسى
للصحيفة من وراء ذلك يصبح معروفاً ، وهو الحصول على أكبر نسبة
فى التوزيع بالقياس إلى الصحف الأخرى ، وهذا بالفعل ما حدث .

إن الفرق بين صحافة الخبر وصحافة المقال إذن يتلخص فى كلمة
واحدة ، وهى أن صحافة الخبر سلبية وصحافة المقال إيجابية ، لأن صحافة
المقال تشارك فى بناء المجتمع وبناء الإنسانية ، وتضحى من أجل ذلك
بالربح المادى ، بينما تبذل صحافة الخبر قصارى جهدها فى التسلية والترفيه
عن القارئ . وفى اجتذابه إلى الجريدة بالطرق المشروعة وغير المشروعة .
وهذا ما يدعوننا إلى الكلام عن الصحافة الصفراء فيما يلى :

الصحافة الصفراء

إن صحافة الخبر التي مر ذكرها قد أنتجت صحافة يقال لها « الصحافة الصفراء » ، وهي الشكل المبالغ فيه من أشكال صحافة الخبر ، وقد سبق أن قلنا إن السبب في هذه التسمية أن صحفياً أمريكياً ابتدع شخصية « الطفل الأصفر » ، وهي شخصية كاريكاتورية اتسمت بالإنحراف الخلفي ، وكان هذا الصحفي يطبع هذا الكاريكاتور في صحيفته دائماً باللون الأصفر .

ولهذا اللون من ألوان الصحافة الأمريكية تاريخ بدأ بصاحب صورة الطفل الأصفر التي مر ذكرها ، ثم جاء بعد ذلك « بولترز » و « هيرست » ، الإبن ليتنافسوا تنافساً حاداً في مجال الإثارة الصحفية في نيويورك ، وكان ذلك بين عامي ١٨٩٣ و ١٨٩٥ وكان كل ذلك طمعا في زيادة التوزيع ، حتى تجاوز هذا التوزيع ستماية ألف نسخة في الطبعة الواحدة ، وتراوح عدد صفحات الجريدة بين ٤٨ و ٥٠ صفحة للعدد الواحد ، وكانت النسخة الواحدة تباع بما لا يزيد عن خمسة بلسات وإذ ذلك اتسمت الصحافة الصفراء بسمات منها :

أولاً - فن تصميم العنوان وكتابة الألوان الكثيرة كالأحمر والأزرق والأصفر ، لكي يلفت ذلك نظر القارئ .

ثانياً - الإسراف في استخدام الصور ولو لم تكن لها صلة بحقيقة الخبر ، والصور في ذلك مثل الرسوم الكاريكاتورية والكرتون السياسي والاجتماعي كثيراً ما تكون وسيلة من وسائل تضليل القراء بدلا من هدايتهم إلى الحقيقة .

ثالثاً - تزيف الأخبار ، وانتحال الأحاديث ، واختراع التحقيقات التي لا ظل لها من الحقيقة ، وذلك بقصد تشويش الأذهان ، وبلبلة الأفكار ، وقد فعلت ذلك الصحف الصهيونية في أمريكا حين زيفت عدداً من صحيفتها

روز اليوسف المصرية ونشرت في هذا العدد حديثاً منيفاً للرئيس جمال عبد الناصر ليس له ظل من الحقيقة .
رابعاً - الإكثار من الفكاهات والدعابات والنكات ، والإتيان بكل ذلك عن حسن قصد من الصحيفة .

خامساً - اختراع الشخصيات التي تلعب بها الصحيفة دوراً خطيراً في توجيه المجتمع أو الحكومة وجهة معينة قد لا تتفق والصالح العام ، كما لا تتفق في كثير من الأحيان مع مصلحة السلام .

سادساً - اختراع المواقف المسرحية التي تتظاهر فيها الصحيفة بالوقوف مع الجانب الضعيف ، وذلك بقصد واحد فقط ، هو ضياع الحقائق في زحام هذا المسرح الذي خلقتة الصحيفة على نحو يتفق ومصحتها الذاتية لمصلحة المجتمع ..

سابعاً - العناية التامة بتوافق الأخبار والسعي وراء الأسرار الشخصية لهدف واحد كذلك هو نشر الفضائح والقصص عن بعض الشخصيات المرموقة في المجتمع ، وإنزال العظماء عن عروشهم ، وقطع العلاقة بينهم وبين أفراد الشعب المملوء إعجاباً بهم وبأفكارهم . ومن حيث توافق الأخبار يقال إن صحيفة العرب العراقية أيام الاحتلال كانت تقول للحررين دائماً : عليكم بتوافق الأخبار ولا شيء غيرها .

ثامناً - الصحافة الصفراء تدعو إلى تشجيع الحرب وتقديمها وتفضل فكرة الحرب على فكرة السلام ، وذلك أن قيام الحرب على أية صورة من الصور يعود على الصحف بالأرباح الوفيرة ، ولهذا نرى صحافة الخبر تقيم العداوة والبغضاء بين شعوب الأرض ونرى الصحفي أيضاً يجتلي بالأموال السرية الضخمة التي تحمل إليه من المصانع الحربية الكبرى في أوروبا وأمريكا ولا حياة لهذه المصانع بدون حرب . وهذا ما أشار به الزعيم نهر في كتبه الكثيرة التي حذر فيها الصحافة من الرضوخ لأوامر هذه المصانع الحربية أو تجار الموت على حد تعبيره .

وباختصار شديد نجد أن صحافة الخبر تثير دائماً في الأفراد غرائزهم
الوضيعة ، وتخطب فيهم هذه الغرائز دائماً ، فتلشر بينهم أخبار الجنس
والجريمة ، كما تلشر فيهم كذلك الأخبار التي تشجع على فكرة الحرب ،
وتخفي فكرة السلام ، وفي ذلك يقول الرئيس روزفلت :

« إن الصحافة التي تثير الكراهية في النفوس هي السبب الأول في انتشار
جرائم القتل في المجتمع . »

* * *

وقد أصاب الصحافة المصرية انحراف من هذا القبيل وإن لم تبلغ مبلغ
الصحافة الأمريكية في ذلك ، وقد أشار الرئيس جمال عبد الناصر إلى شيء
من هذا الانحراف في الحديث الذي ألقاه على الصحفيين في اليوم الذي
صدر فيه قانون تنظيم الصحافة في الرابع والعشرين من شهر أيار « مايو » ،
سنة ١٩٦٠ ، وضرب الرئيس بعض الأمثلة على انحراف الصحف المصرية
يومئذ .

ومن ذلك اهتمام الصحف الكبرى في القاهرة بأخبار الزوجة التي خانت
زوجها وخبأت في دولاب بيتها ثلاثة رجال في وقت واحد ، واستطرد
الرئيس في التعليق على هذا الخبر وفي السخرية منه قائلاً : لا بد أن يكون
هذا الدولار مزوداً بجهاز تكيف هواء .

* * *

كيف تعالج صحافة الخبر :

فكرت كثير من الحكومات والشعوب ، كما فكرت منظمة الأمم
المتحدة ، فيما سمي « بأداب مهنة الصحافة » ، وانهقدت لذلك المؤتمرات ،
وبذلت المحاولات للوصول إلى ما للصحفي من حقوق وما عليه من واجبات ،
وقد استعرضنا هذه الجهود في كتابنا « أزمة الضمير الصحفي » ، وأسرعنا
أنظارنا عبارة وردت في الميثاق الهندي للصحافة ، جاء فيها :

وإن الصحفي الجدير بهذا الاسم هو وحده الرجل الذي يستطيع التفريق دائماً بين الصالح العام والفضول العام ، وهو الذي يدرك جيداً أن الصحافة النزينة تسمى دائماً لخدمة الهدف الأول وهو الصالح العام ، وقلبا تسمى لخدمة الثاني ، وهو الفضول العام ، ولذلك تمتنع عن نشر الأخبار الشخصية حال تأكد من صحتها ، ومالم تقدر كل التقدير أن في نشرها نفعاً يعود على المجتمع .

وما زالت الجهود تبذل إلى يومنا هذا في ترقية صحافة الخبر ، والسير بها في طريق الصالح العام للشعوب والحكومات .

وقد شاركت حكومة الجمهورية العربية المتحدة في هذا السبيل بمحاولتين إلى الآن وهما :

١ - إصدار قانون تنظيم الصحافة في عام ١٩٦٠

٢ - صدور الميثاق في الحادي والعشرين من شهر مايو

سنة ١٩٦٢ .

وقد وردت في الميثاق إشارات كثيرة إلى الصحافة ، ووضعت هذه الإشارات دستوراً جديداً للصحافة المصرية في عهد حكومة الثورة ، ومن هذه العبارات التي وردت في الميثاق :

وإن حرية الصحافة لم تعد محصورة في المعنى السياسي ، كما كانت قبل ذلك ، ولكنها تجاوزته إلى المعنى الاقتصادي ، فأصبحت حرية الصحافة تهدف إلى التحرر من الخضوع لرأس المال ، ، وقال الميثاق قبل ذلك :

وكذلك تزايد الخطر على ما تبقى من حرية الصحافة - ثانياً - بتزايد احتياجات المهنة نفسها للمعدات التقدم الآلى ولم يعد في قدرتها إلا أن تخضع

لإرادة رأس المال المستغل ، وأن تتلقى منه - وليس من جماهير الشعب -
وحيا واتجاهاتها السياسية والاجتماعية ، (١) .

الصحافة والجريمة

ما هو تعريف الجريمة عند علماء الاجتماع ؟

وما هي مسؤولية الصحافة عن الجرائم من الناحية القانونية الخالصة ؟
أما السؤال الأول فيجب عنه الأستاذ « سذر لاند » في تعريف
الجريمة بأنها السلوك الذي تحرمه الدولة لضرورة ما ، أو السلوك الذي
تتدخل الدولة في منعه بعقاب مرتكبيه .

غير أن هذا التعريف لم يشأ أن يتعد عن التعريف القانوني البحث
للجريمة ، فقد اتجه بعض العلماء إلى تعريف المجرم بدلا من تعريف الجريمة
ومن هؤلاء « برجسن » الذي قال في تعريف المجرم :

« إنه الشخص الذي يعتبر نفسه مجرما ويعتبره المجتمع كذلك » .

ولهذا التعريف ميزة وضحاها « برجسن » حين لفت الأنظار إلى رأى
المجرم في نفسه ، وهي فكرة هامة تقدم على أساسها علم الإجرام .

وأما السؤال الثانى - وهو مسؤولية الصحف من الناحية القانونية -
فإن الجرائم في ذاتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - جرائم ضد الأفراد العاديين .

٢ - جرائم ضد الدولة .

٣ - جرائم ضد المجتمع .

وعلى الدولة يقع عبء حماية الأفراد والمجتمعات وحماية نفسها من

(١) عبد اللطيف حزة : الإعلام له تاريخه ومذاهبه ، الفصل ١٦ .

الجريمة بأنواعها الثلاثة . . . وعلى الصحافة أن تساعد الدولة على القيام بهذه المهمة الخطيرة ، وهذا هو ما يحدد مسئولية الصحافة ، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى ما يسمى « التشريعات الصحفية » ، والخلاصة أن الجريمة قطعة من الحياة التي نحياها ، وليس الخطر آتيا من نشر أخبار الجريمة في ذاتها بقدر ما هو آت من تحول الصحيفة إلى مخبر سرى أو قاض يحكم في القضية .

عودة إلى مذاهب نشر الخبر

سبق أن عرفنا شيئا عن مذاهب نشر الخبر من حيث هو ، واستطعنا أن نميز بين ثلاثة مذاهب :

- ١ - المذهب المعتمد على الإثارة أو لإيثار الفضول العام على الصالح العام ، وهو ما نتج عن ظهور الصحافة الصفراء .
- ٢ - المذهب الجاد أو المذهب الذي يؤثر الصالح العام على الفضول العام ، وهو ما تبحت عنه صحافة الرأي .
- ٣ - المذهب المعتدل أو الجامع بين المذهبين السابقين ، وهو ما تسير عليه أكثر الصحف المتزنة في العالم في الوقت الحاضر .

كما سبق لنا كذلك أن أثرنا إلى سمات الصحافة المثيرة بوجه عام ، والصحافة الصفراء بوجه خاص ، والمهم أن نقول بعد ذلك إن الدول الحديثة انقسمت بشأن هذه المذاهب الثلاثة : فالصحافة الأمريكية تميل إلى الإثارة ، والشعب الأمريكي يقف وراء المجرم ، والصحافة السوفيتية تأتمر بأوامر الحزب الواحد ، ولا تبدي أى اهتمام بالجريمة وأخبارها ، والصحافة المصرية تقف بين بين ، وتؤثر الاتجاه الثالث من اتجاهات نشر الخبر ، وإن كان ذلك لم يمنع من وجود صحف مثيرة إلى الوقت الذي صدر فيه قانون تنظيم الصحافة في ٢٤ مايو ١٩٦٠

وانضرب لك مثلا بأخبار الجريمة في الصحافة المصرية :

الصحافة المصرية وخبر السفاح :

كان من أوضح الأمثلة على اتجاه الصحافة المصرية إلى إثارة ذلك الخبر المشهور بخبر السفاح الشقي « محمود سليمان » .

وهو شقي من أشقياء مصر ظهر فجأة وهدد الناس في أموالهم وحياتهم، وتعبت الشرطة في مطاردة هذا الشقي زمنا طويلا لا يقل عن شهر تقريبا، وأتاح ذلك أمن الفرص للصحافة لسكى تخلق من هذا الشقي في أول الأمر بطلا يلعب بخيال الشعب، ولعبت الصحافة المصرية في هذه الحادثة دورا يتلخص في المراحل الآتية :

الأولى — اتسمت الصحافة المصرية فيها بالمبالغة في وصف الحادث واستغلال الموضوع لإثارة القارىء .

الثانية — تسابقت الصحف في نشر صورة المجرم في مكان ظاهر بالجريدة، ونوهت الصحف كذلك بالمكافأة التي رصدتها وزارة الداخلية لمن يقبض عليه، ثم اختفت من الصحف بعض العناوانات المثيرة والقصص المخترعة؛ وحل محل ذلك اتجاه جديد للكشف عن حقيقة المجرم ومساعدة الشرطة في القبض عليه بأقرب وقت ممكن، وكل ذلك كان بوحى من وزارة الداخلية وتوجيه منها .

الثالثة — قضى على المجرم في التاسع من شهر إبريل سنة ١٩٦٠ . وإذ ذاك عنيت الصحف بنشر صورة المجرم، وقد مزقت جسده رصاصات الشرطة وبدارجالها يسحبون هذه الجثة، أو يسجلونها على الأرض كما تسجل جثث الكلاب حتى أثار ذلك غضب الرأى العام المصرى على هذه الوحشية :

وبالموازنة بين مختلف الصحف المصرية في طرق نشرها لهذا الخبر اتضح ما يلي :

- ١ - أن الأخبار كانت أكثر الصحف إثارة وإن لم تكن أكثر من حقبة الصحف اهتماما بمتابعة الخبر من حيث هو .
 - ٢ - أن الصحف الثلاث : وهي الأخبار ، والأهرام ، والجمهورية ، شغلت الناس بهذه القصة الإخبارية عن مشكلات كانت تستحق الاهتمام ولكنها ضاعت في زحام أخبار السفاح .
 - ٣ - كان نشر « جريدة الأخبار » عن هذه القصة الإخبارية في صالح السفاح في البداية ، فقد خلق هذا النشر جوا من العطف عليه بين الناس ، حين صورته الصحافة على أنه إنسان يحاول أن يثار لشرفه ، وأنه لا يسرق إلا منازل الأثرياء انتقاما منهم للفقراء ، وأنه مواطن رياضي وذكي للغاية .
 - ٤ - كفت الصحف عن نشر أخبار المطاردة بناء على طلب وزارة الداخلية ، وكانت الأهرام أكثر الصحف التزاما بهذه التوجيهات .
 - ٥ - وأخيراً تحولت الصحف عن طريقها إلى تصوير السفاح على أنه مجرم خطير لا ينبغي التسر عليه ، ولكن ذلك جاء متأخراً ، خصوصاً وأن الناس يعبدون البطولة في صورتها الشعبية ويحملون كراهية دفينية لرجال الأمن .
-

الفصل الخامس عشر

الذوق الصحفي والخبر

تعتبر الصحافة - من حيث المظهر الخارجي ، ومن حيث الهدف الإنساني والهدف الاجتماعي - مرادفة في رأينا لكلمة « الذوق الحسن ، أو « التناول الحسن ، أو « التصرف الحسن ، ونحو ذلك من الصفات الدالة على التهذيب .

لحسن الذوق ضروري للصحفي عندما ينظر في الحروف ، والطباعة ، والمداد والألوان المختلفة المستخدمة في الكتابة ، والذوق ضروري للصحفي كذلك عندما يشتغل بترتيب مواد الصحيفة ، وتنسيق هذه المواد ، وتنظيم الأعمدة ، والعنوانات الكبيرة ، والعنوانات الصغيرة ، ثم الصور ، وكيف تؤدي الغرض منها في نهاية الأمر . والذوق أشد لزوماً للصحفي أيضاً عندما يقوم بتحرير المواد المختلفة : من خبر ، إلى حديث ، إلى تحقيق ، إلى تقرير مصور ، إلى عمود ، إلى مقال ، إلى إعلان ، ونحو ذلك .

والذي نجزم به منذ الآن هو أن جميع هذه الأمور متروكة دائماً لحسن تقدير الكاتب ، أو المحرر ، أو سكرتير التحرير ، أو غيره ممن يناط بهم تنظيم الشكل النهائي للصحيفة ، وهو الشكل الذي يعتمد عليه في رواجها ، وإقبال الجمهور عليها .

وعلى الصحفي اللبق ألا تغيب عن ذهنه هذه الحقيقة ، وهي أن الذوق ضروري لكل عمل يتصل بصحيفته ، وعليه أن يصدر عن هذه الحقيقة دائماً في كل عمل من الأعمال التي تتصل بالتحرير في الصحيفة ، أو الإخراج ، أو الإعلان ، أو غير ذلك .

فأما من حيث التحرير - وهو الجانب الذي يعنيننا من البحث الذي بين أيدينا الآن - فقد رأيت أيها القارئ كيف أن لكل خبر من الأخبار، أو حادثة من الحوادث طبيعة تخالف طبيعة الحادثة الأخرى، فمن الخطأ إذن أن نكتب جميع هذه الحوادث أو الأخبار بطريقة واحدة، أو تطبق عليها قاعدة واحدة، فإن في ذلك بعداً عن الذوق، وتجاوفاً عن المنطق، وإهداراً لحقوق القراء الذين ينصرفون عن الصحيفة - ومن حقهم أن يفعلوا ذلك - إذا وجدوها لا تحسن عرض هذه المادة الهامة من مواد الصحف، وهي مادة الخبر.

وفي الجريمة يظن كثير من الناس - كما قلنا - أن مهمة الصحافة هي التشنيع، أو نشر عيوب المجتمع بشكل فاضح كلما أمكن ذلك، ويقولون: إن في نشرها على هذا الوجه عظة للقراء، وحفزاً للمفسكرين في الإصلاح، كما يقولون أيضاً: إن وظيفة الصحيفة في هذه الحالة أشبه ما تكون بوظيفة الكاريكاتور، ومن عمل هذا الفن الأخير تجسيم العيوب حتى تسترعى أنظار الخاصة والعامة، وهل يفعل الناقد الأدبي في قصة من القصص الاجتماعية أكثر من ذلك؟

وهذا كله صحيح إلى حد ما، ولكن أصبح منه - كما ذكرنا - أن تراعى الصحف المحلية جانب الذوق في نشر الجريمة، وأهم من ذلك كله أن تصدر في نشرها عن رغبة صحيحة في الإصلاح، إلا أن النية الحسنة من الأمور التي يصعب ضبطها في الحياة، والقصد الحسن من الميادين التي يكثر فيها الخداع والمغالطة في أكثر الأحيان، وعلى هذا ليس أمامنا إلا أن نأخذ بطواهر الأشياء، فنحكم على صحيفة تشر الجريمة بقصد الإثارة، أو الفضيحة، بأنها صحيفة آثمة في نظر الرأي العام، ومحكمة الرأي العام دقيقة دائماً في أحكامها، قادرة على تنفيذها، على الصحف مهما عظم سلطانها!

والحق أن من أصعب الأشياء أن نضع «لحسن الذوق» أصولاً وقواعد، نرسم له خطوطاً ومناهج، غير أننا مع هذا وذاك نلح على الصحف بوجه عام أن تتقيد بهذه القاعدة التي لا ضابط لها، وتأخذ نفسها أخذاً حكيماً بهذا المبدأ الإنساني العام الذي يقره المجتمع، وهذا المبدأ هو مراعاة شعور الناس في جميع الظروف والأحوال .

دعوى القذف في الصحف :

من أجل ذلك نريد أن نقف وقفة قصيرة عند دعوى القذف في الصحف، وأن نشير إلى رأى الكثرة الساحقة من الباحثين في هذا الموضوع :

القذف إساءة مقصودة تراد بها السخرية من فكرة، أو واقعة صدرت من شخص، أو طائفة من الطوائف، أو هيئة من الهيئات، أو مؤسسة، أو شركة، أو نحو ذلك .

ولا غرض لهذا النوع من الإساءة إلا تشويه هؤلاء، والنيل من كرامتهم وتعريضهم لخسارة مادية، وأخرى معنوية .

والقانون من جانبه يحرم هذه الجريمة ويعاقب عليها، ولا يسمح لصحيفة من الصحف أن توجه تهمة ما إلى شخص لم يرتكبها فعلاً، ولكنه يمكنه يميز للصحف أن ترمى موظفي الحكومة، أو الشركات، بجريمة الإهمال في العمل، والعبث بمصالح الأفراد والجماعات .

وفي المجتمع أشخاص لهم برون من نوع خاص، إما في عالم الأدب، أو الصحافة، أو العلم، أو الفنون على اختلافها . صحيح إن من حق الصحف أن تعرض لنقد الحياة الخاصة لهؤلاء الممتازين في المجتمع، مادامت لهم صلة كبيرة بالمصالح العام لهذا المجتمع، أو بعبارة أخرى : مادامت الأضواء مسلطة عليهم وخدم دون غيرهم من أفراد المجتمع .

ولكن حرية الصحافة في التعرض لهؤلاء الممتازين من الناس ليست مطلقة كل الإطلاق ، بل مقيدة ، بالتقاليد الاجتماعية من جهة ؛ وبالرغبة النامة في المحافظة على العرف ، وعلى الذوق العام ، من جهة ثانية .
من أجل ذلك ، وجب أن يقدم النقد الصحفى الموجه إلى هؤلاء الممتازين من الناس على أسس ثلاثة فقط ، هي :

أولاً - أن هذا النقد الذى تقوم به الصحيفة نقد صحيح ، وأن له نصيباً من الواقع ، وأن فى استطاعة الصحيفة أن تقدم الوثائق الدالة على صحته متى طلب إليها ذلك .

ثانياً - أن هذا النقد الذى تقوم به الصحيفة قائم على حقائق لم تناولها الصحيفة بالتغيير والتحوير ، أو العبث بالحقائق فى ذاتها عبثاً يقصد به إلى التجريح فى ذاته .

ثالثاً - أن القصد من نشر هذا النقد أو التجريح قصد شريف لا يهدف إلا للدفاع عن الصالح العام وحماية أفراد المجتمع .

وعلى هذه الأسس الثلاثة المتقدمة يحق لكل صحيفة من الصحف أن توجه النقد إلى الممتازين فى الأمة . والقاعدة التى تركز عليها الصحف فى ذلك تتلخص فى أن من حق القراء أن يعرفوا الكثير عن زعمائهم وكبرائهم ، وعن الطريقة التى يعاملهم القانون بها إذا ارتكبوا الخطأ .

ومن ثم وجب على الصحف أن تحتاط احتياطاً كبيراً فى نشر الأخبار التى تتصل بالأشخاص ، أو الهيئات التى تؤثر تأثيراً قوياً فى حياة المجتمعات .

ألا ترى أن الفرق كبير بين أن نقول :

ويظهر أن المركز المالى لشركات عبود قد بدأ يتزعزع ، وأن هذه الشركات أوشكت أن تعلن الإفلاس ، فقد نزلت أسهمها نزولاً فاحشاً بلغ عشرين بنطاً فى بورصة أمس ، ؛

وبين أن نقول :

« بيعت أسهم إحدى شركات عبود أمس بسعر ١٨٥ أى بنزول
عشرين بنطا عن أول أمس ، وقد كان السعر منذ أسبوعين يبلغ ٢٢٥ » .
فالخبر الأول مبالغ فيه كل المبالغة ، وضار بسمعة الشركة كل الضرر ،
وقد يفضى إلى أفلاسها فعلا .

والخبر الثانى يقرر الواقع ، ويحتاج القراء بالفعل إلى معرفته ،
والوقوف عليه ، ولكنه لا يبالغ فى إزعاج المساهمين ، ولا يملأ نفوسهم
ذعراً وشعوراً بالخسارة .

وكأننا ما كان الأمر فلا مناص للصحيفة التى تحترم نفسها دائماً من أن
تصون أعراض الناس ، وتصون أموالهم ، وأرواحهم ، وتزداد عنايتها
بالممتازين منهم ؛ وخاصة إذا كانوا من رجال القضاء ، والأمن ، وأساتذة
الجامعات ، والأطباء ، والوزراء ، ورؤساء الوزارات ، ومن فى هذه
الدرجة الاجتماعية الممتازة .

أما المرأة والفتاة فعلى الصحف أن تحذر الكتابة عنهما ، أو تعرض
لهما كلها أمكن ذلك . وكلنا يذكر ما كان يفعله صحفى مصرى أنيم ، هو
أبو الخير نجيب - فى صحيفة « الجمهور المصرى » ، وكلنا يعرف الطريقة
الدنيئة التى كان يحصل بها هذا المجرم على أموال الأسر المصرية التى كان
يهددها بين حين وآخر بلشر التهم أو الجرائم على صفحات جريدته
هذه ، وكلنا يعرف كذلك المصير الذى آل إليه هذا الشرير بعد إذ كشف
القضاء المصرى عن طريقته فى التشجيع على الأسر الكبيرة فى مصر .

إن صحافة تهبط بنفسها وبقراتها إلى مثل هذا الدرك الخليقة بأن تودى
بحياة أمة بأسرها فى أقرب وقت !

قد يرى الكثيرون من أصحاب الصحف في بعض هذه الآراء بعداً عن الواقع والحقيقة ، وسيتهمنا الكثيرون منهم بأننا نظريون - لا عمليون - وستظل المعركة قائمة بين « الباحثين » و « المحترفين » ، أو بين الدارسين للصحافة في داخل الجامعات ، والممارسين لها في دور الصحف ، ولكن ربما كان ذلك الخلاف لفائدة العلم نفسه من جهة ، ولفائدة الصحافة ذاتها من جهة ثانية .

فلنكن نحن « نظريين » في رأى الكثيرين ، وليكن أصحاب الصحف على اختلافها عمليين في رأى أنفسهم ، فأيسر ما يترتب على هذه الظاهرة أن الحق يقع في وسط الطريق بينهم وبيننا ، وأقل ما يترتب عليها كذلك أن الجيل الناشئ من الصحفيين سوف يستعرض في ذهنه كل هذه الآراء المختلفة في نشر الخبر ، وأكبر الظن أنه سوف يؤمن إيماناً عميقاً بأن الصحافة الحاضرة مسرفة في إثارة الغرائز ، جرياً وراء الربح المادى .

وأقل ما يترتب على هذا الخلاف كذلك أن أهل هذا الجيل الناشئ من الصحفيين سيعبد نفسه لتحقيق مادعونا إليه في « المقدمة » من وجود صحافة نظيفة ، يقص فيها المحرر الصحفي ما يشاء من أخبار الجريمة ، ولكن كما يقصها على والدته ، أو أخته ، أو والده ، أو أستاذه في المنزل أو في المدرسة ، أو في الجامعة .

مصادر الكتاب الثاني

1 — News Agencies, & Their Structure, & Operation

من منشورات هيئة اليونسكو ١٩٥٣

2 — Late City Edition.

by : Josph Herzberg end Memders of the New Herald Tribune Staff (New York 1947.)

3 — News — men at Work .

by : Lauence Campbell and Poland Walselepy 1949 .

4 — One Hundred Years of Famous Pages from the New —
york Times 1951.

5 — Journale and Journey men.

by : Brigham, Clarence Saanders 1954.

6 — The Art of News Commications

by : Buch, Chilton Rowlette, 1954.

7 — Newspaper Reporting to — day

by : Clayton Gharles, C. 1947,

8 — News — men cpeak,

by : Coblentz Edmond D, 1954,

9 — News Workers ,

by; Keliker, Alice Verginia, 1939

10 — The News in América ,

by ; Mott, Frank Suther, 1952 ,

11 — News Getting and News Writing ,

by : R, Miller Neal, 1949

12 — How to Read a Newspaper.

by ; Edgar Dale,

13 — Exploring Journalism

by . L. Compbell. & Wyseal

14 — News Editing .

By : Westley .

١٥ — كيف تصبح صحفيا : لكارل وارل ، ترجمة عبد الحميد سرايا.

١٦ — الصحف المصرية على اختلافها .

مراجع لدراسة الخبر

- ١ - مدخل إلى الصحافة
تأليف فرونزر بوند
ترجمة راجي صهبون
- ٢ - الصحفي المحترف
تأليف جون هو هنبرج
ترجمة فؤاد مويسانی
- ٣ - الصحافة : رسالة واستعداد - فن وعلم :
د ، خليل صابات
- ٤ - أخبار الشرق الأوسط
دراسة بمعهد الصحافة الدولي
بمدينة زيورخ
عبد اللطيف حمزة ، ووليم المسيري ..
ترجمة
- ٥ - مخبرو الصحف
تأليف دافيد بوتر
محمد مصطفى غنيم
ترجمة
- ٦ - الأخبار ليلا ونهارا
تأليف فيل أولت
أحمد قاسم جودة
ترجمة
- ٧ - الصحفي الأمريكي
تأليف برنارد وايزين جر
وديع سعيد
ترجمة
- ٨ - برامج التليفزيون
تأليف أدوار ستاسيف، ورودى ..
برينتز
أحمد طاهر
ترجمة
- ٩ - المندوب الصحفي ...
- ١٠ - من الخبر إلى
الموضوع الصحفي ..
- ١١ - الصحافة والسلام العالمي
- ١٢ - الصحافة : حرفة ورسالة
تأليف سلامه موسى

الكتاب الثالث
فن المقال

الفصل الأول

فنون المقال

سبق لنا القول في كتاب « الصحافة والأدب في مصر، (١) : بأن اللغة التي تستخدم في الكتابة مستويات ثلاثة ، وهي :

المستوى الأدبي - وهو المستوى الذي يقف فيه الأدباء للتعبير عن هواطفهم ومشاعرهم وتجاربهم الإنسانية بوجه عام ، ولهم في هذا التعبير طرائق شتى تختلف باختلاف الأشخاص ، واختلاف العصور ، واختلاف البيئات ، والمستوى العلمي : وهو المستوى الذي يقف فيه العلماء ليعبروا عن الحقائق العلمية ؛ سواء أكان ذلك في العلوم الكونية ، أم التاريخية ، أم الأدبية ، وهم في هذا التعبير يلتزمون لغة تمتاز بالوضوح ، واستخدام الألفاظ التي تكون على قدر المعاني ، واصطناع المصطلحات التي اتفق عليها أهل كل علم من هذه العلوم على حدة . ومعنى ذلك أن العلم مادته الحقائق وحدها ، في حين أن الأدب مادته العواطف والصور والأخيلة ؛

والمستوى العلمي : وهو المستوى الذي يقف فيه الصحافي لينقل للناس أخبار البيئة التي يعيشون فيها ، والبيئات التي يتصلون بها ، وليقوم للناس بتفسير هذه الأخبار في أثناء نقلها ، وبعد نقلها ، وذلك عن طريق التعليق عليها ، والاستئناس بآراء الممتازين من القراء في بعضها . والصحافي في سبيل هذه الغاية - وهي كتابة الأخبار والتعليق عليها - يستخدم لغة عملية يفهمها القراء ، ولا يشترط فيها ما يشترط في لغة الأدب من خيال أو جمال ، أو ما يشترط في لغة العلم من دقة بالغة في تحديد معاني الألفاظ .

(١) راجع الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٥٥ ص ١٢

ولعلنا حين نؤمن النظر في تاريخ الكتابة الفنية ، في أية أمة من الأمم ، نجد أنها تمر بالمستوى الأدبي أولاً ، فالمستوى العلمي ثانياً ، فالمستوى الصحفي في نهاية الأمر :

ففي الأول تكون الكتابة ذاتية لأنها أدبية ، وفي الثاني تكون الكتابة موضوعية لأنها علمية ، وفي الثالث تكون الكتابة عملية لأنها صحفية .

حدث هذا في أوروبا ، فظهرت الكتابة الذاتية أو الشخصية عند الكاتب الفرنسي مونتاني (١٥٣٣ - ١٥٩٢) ، ثم ظهرت المقالة الموضوعية عند الكاتب الإنجليزي بيكون (١٥٦١ - ١٦٣٦) ، وأخيراً ظهرت المقالة الصحفية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة على أيدي كتاب كثيرين ، مثل الكاتب الإنجليزي «ديفوه» و«ستيل» وغيره من كتاب القرن الثامن عشر الذين أدركوا الفرق بين هذه المستويات الثلاثة أي تحدثنا عنها ، وقدرنا إذ ذاك أن الصحافة جعلت لمخاطبة «رجل الشارع» ولتوجيهه ، ولتثقيفه وتسليته ، وإمتاعه ، ومن أجل هذا أثر عن «ديفوه» أنه قال كلمته المشهورة : «إذا سألني سائل عن الأسلوب قلت إنه الذي إذا تحدثت به إلى خمسة آلاف شخص من مختلفون اختلافا عظيماً في قدراتهم العقلية - باستثناء البله والمجانين - فإنهم جميعاً يفهمون ما أقول» .

* *

وإذا صح هذا الذي نقوله الآن ، فإيضا يستطيع أن نقسم المقال في جملته إلى ثلاثة أقسام هي : المقال الأدبي ، والمقال العلمي ، والمقال الصحفي . وننظر في كل قسم من هذه الأقسام الرئيسية فنرى أنه ينقسم كذلك إلى أنواع وأشكال :

فن أنواع المقال الأدبي - على سبيل المثال - المقال الوصفي أو العرضي ، والمقال النزالي ، والمقال النقدي ، والمقال الكاريكاتوري ، والمقال القصصي ، والمقالات التي على شكل رسائل بين المحرر وقرائه ، والمقالات التي على شكل

مذكرات أو اعترافات ، والمقالات التي على شكل خواطر وتأملات ، وهكذا
والمقال العلمي كذلك أنواع تختلف باختلاف المادة العلمية التي يخوض
فيها الكاتب : فمقال في مادة التاريخ ، وآخر في مادة الطب ، وثالث في مادة
الفلسفـة ورابع في مادة الأدب ، من الناحية الوصفية لا الإنشائية ، وهكذا .
غير أنه يشترط في المقال العلمي - إذا أريد نشره في صحيفة من الصحف -
أن يبذل المحرر جهداً كبيراً في تبسيطه للقارىء ، وبغير هذا لا تكون
للصحيفة حاجة إلى نشره ، أو العناية به .

والمقال الصحفي ينقسم هو الآخر إلى أنواع منها : المقال الافتتاحي
أو العمود الرئيس ، والعمود العادي ، والتقارير بأشكاله المختلفة التي هي :
الحديث ، والتحقيق ، والماجريات بأنواعها المعروفة .

إلا أننا - مع هذا وذاك - لا نستطيع - ولو حرصنا - أن نفصل
فصلاً تاماً بين هذه الأقسام الرئيسة الثلاثة التي هي : المقال الأدبي ،
والمقال العلمي ، والمقال الصحفي ، والسبب في ذلك أنها تتلاقى في كثير
من الأحيان ، وتدع الباحث المدقق في حيرة من الأمر . خذ لذلك مثلاً :
مقال النقد ، فإنك ترى هذا الفن من فنون القول ذاتياً وموضوعياً
في وقت معاً ، أو بعبارة أخرى : نراه فناً وعلماً في آن واحد ، له من الفن
ذاتيته ، وله من العلم موضوعيته .

فالنقد علم بمعنى أن له أصولاً وقواعد تدبج مراعاتها ، ولا يستطيع الناقد
أن يتجاهلها بحال من الأحوال . والنقد فن بمعنى أن صاحبه في استطاعته
أن يبني نقده على ذوقه الخاص ، وشعوره الخاص نحو القطعة الأدبية
أو الفنية التي يتعرض لها النقد ، ويزنها بميزانه ، ويطبق عليها أصوله :

فإذا نسمى المقال النقدي إذن ؟ أنسميه مقالاً أدبياً صرفاً ؟ أم نسميه
مقالاً علمياً صرفاً ، أم ننظر إليه على أنه مزاج من المقالين ؟

وبمثل هذه الطريقة في الواقع تتلاقى فنون المقال على اختلافها ، ويتداخل

بعضها في بعض إلى الحد الذي تصعب معه التفرقة بينها تفرقة لا تقبل الشك، وقد أشرنا إلى هذه الظاهرة في مقدمة البحث .

تقسيم آخر للمقال :

أشرنا إلى أن المقالة في الأدب الأوربي بدأت برجلين من أبناء القرن السادس عشر هما : ميشيل دي مونتايين الفرنسي ، وفرانسيس باكون الإنجليزى ، اشتهر أولهما بالمقال الدائق ، واشتهر الثاني منهما بالمقال الموضوعى ، ومنذ ذلك الوقت ورجال الأدب والنقد يقسمون المقال من حيث هو إلى هذين النوعين فقط ، أما المقال الدائق فيبنى على التأمل العميق ، والتجربة الذاتية ، والتأنق في الأسلوب قدر المستطاع بحيث يتوافر له كثير من نعم الجمالية ، وأما المقال الموضوعى ، فيبنى على العناية بالمضمون والمحتوى ، ويعنى فيه الكاتب بالموضوعات العلمية ، لتقديم النصح والإرشاد إلى طبقة خاصة من الناس ، كما فعل ذلك عبد الحميد بن يحيى الكاتب حين كتب رسالته المشهورة إلى الكاتب ، وكما فعل صديقه ابن المقفع حين كتب رسالته المشهورة كذلك باسم رسالة الصحابة ، موجهة إلى الخلفاء وذوى السلطان .

ومن اليسير علينا أن نفهم بعد ذلك : لم كانت المقالات الذاتية أدنى إلى الطول والانطلاق في العبارة ، والتعبير عن شخصية الكاتب ، على حين أن المقالة الموضوعية تبدو أقل طولاً ، وأقصر انطلاقا ، وأدنى إلى التقيد بألفاظ خاصة ، وتعبيرات خاصة .

والخلاصة حتى الآن أن المحور الذى تدور عليه المقالة الذاتية هو الكاتب نفسه ، أما المحور الذى تدور عليه المقالة الموضوعية فهو الموضوع الذى يتعرض له الكاتب .

وغنى عن البيان أن المقالة الذاتية سبقت في وجودها المقالة الموضوعية بل إن « باكون » - وهو رائد المقالة الموضوعية - كان متأثراً بالكاتب

الفرنسي « مونتين » رائد المقالة الذاتية ، جمع الأول - وهو مونتين - مقالاته بعنوان « محاولات » ، وجمع الثاني - وهو باكون - مقالاته باسم « موضوعات » ، والفرق بينهما واضح للقارىء . هكذا ذهب القدماء ، وتبعهم المحدثون - إلى تقسيم المقال إلى ذاتى وموضوعى ، ولكننا نرى أن تقسيم المقال إلى ذاتى وموضوعى لا ينطبق فى تقديرات الصحفي إلا على المقال الأدبى والعلمى ، ولكنه قلما ينطبق على النوع الثالث من أنواع المقال ، وهو المقال الصحفى .

وهذا هو السبب الحقيقى الذى من أجله عدلنا عن الأخذ بتقسيم المقال إلى ذاتى وموضوعى ، وأخذنا بالتقسيم الذى ذكرناه ، وهو تقسيم المقال إلى أدبى ، وعلمى ، وصحفى ، لأنه التقسيم الذى وافق خطة الكتاب الذى بين يديك .

تعريف المقال :

لقد سبق لنا كذلك فى كتاب « الصحافة والأدب فى مصر » أن تعرضنا لتعريف المقال (١) .

ويطلق الإنجليز على المقال اسم « محاولة Essay » ، أى أنها شئ غير مكتمل ، شئ يشبه المذكرات الخاصة والخواطر المتناثرة؛ وعلى المقارىء تكميل ما بالمقال من نقص ، كما يكون على سامع القصيدة الغنائية أن يفعل مثل ذلك عند سماعه كل بيت من الأبيات التى تتألف منها ، وفى معجم لاروس تعريف للمقال كما يلي :

« المقال اسم يطلق على الكتابات التى لا يدعى أصحابها التعمق فى بحثها

(١) كتاب « الصحافة والأدب فى مصر » للمؤلف ص ١٦ ، وكتاب « مستقبل

الصحافة فى مصر » للمؤلف ، ص ٤٩ .

أو الإحاطة التامة في معالجتها ، ذلك أن كلمة « مقال » تعنى محاولة
أر خيرة أو تطبيقاً مبدئياً أو تجربة أولية ،
وعرفه قاموس أكسفورد فقال :

« المقال هو إنشاء كثنائي معتدل الطول في موضوع ما ، وهو دائماً
يعوزه الصقل ، ومن هنا يبدو أحياناً أنه غير مفهوم ولا منظم » .
ومرة ثالثة أقول إننى عرضت في بعض كتيبي السابقة للفرق بين المقال
الأدبي والمقال الصحفي ، وأشارت في أثناء ذلك إلى كتاب سبقنا في معالجة
هذا الموضوع ، هو كتاب الأستاذ « موريس هيوليت » ، وقد وضع
لكتابه عنوان : « العمود وسارية الربيع » ، (١)

وبهذا العنوان فرق الكاتب تفرقة واضحة بين المقالة الصحفية التي رمز
لها « بالعمود » ، والمقالة الأدبية التي رمز لها « بسارية الربيع » ، وسارية
الربيع هي ذلك العمود الكبير الذي يتخذة الإنجليز رمزاً في عيد الربيع ،
يزينونه بالزهور الهدية من كل صبغ ، والورود الجميلة من كل لون ، فتبدو
السارية كأنها العريس في جلوتها . أما العمود العارى ، وهو الذي رمز
به الكاتب إلى المقالة الصحفية ، فهو عار من جميع هذه الزينة .

* * *

ومرة أخرى نقول :

إن هذا هو رأينا في تقسيم المقال باعتباره مادة من المواد التي يمكن أن
تتشرها الصحف ، وهو تقسيم يقوم على أساس من المستويات الثلاثة للغة
من جهة ، وأساس من واقع الصحافة المصرية ذاتها من جهة ثانية .
فنحن حين ننظر في صحافتنا المصرية من عهد قريب نرى أن النوعين
الأول والثاني من أنواع المقال ، وهما الأدبي والعلمي - قد ازدهرا ازدهاراً

(١) راجع « مستقبل الصحافة في مصر » للمؤلف ص ٢٠

عظيما في وقت النهضة الفكرية التي سادت مصر في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٤٢ ، أعنى في فترة ما بين الحربين العالميتين : الأولى والثانية على وجه التقريب .

ففي تلك الفترة التي نشير إليها نعمت مصر بشيء من الاستقرار المادى والاستقرار الاجتماعى أتاحا للشعب المصرى - وللطبقة المستنيرة منه - أن تقرأ وتتذوق وتستمتع ، وإذ ذلك سعدت مصر بألوان فكرية وأدبية شتى سنعرض فى بعض الفصول القادمة لأهملة منها ، وفى تلك الفترة التي نشير إليها أنجبت مصر خير أدبائها فى الواقع ، ومنهم على سبيل المثال : أمين الرافعى ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وعبد القادر حمزة ، وتوفيق دياب ، وعباس محمود العقاد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وإبراهيم المازنى ، وسلامة موسى ، وزكى مبارك ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد أمين ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وعبد العزيز البشرى ، وفكرى أباطة ، وأحمد زكى ، ومحمد فريد أبو حديد .

ولقد كتب هؤلاء الفصول الممتعة فى الصحف ، وتوزعوا إذ ذاك على المقال بنوعيه : العلمى والأدبى ، وقدموا للقراء خلاصة طيبة للفكر المصرى .

— ففي المقال الأدبى النقدى ظهرت فصول كثيرة فى الصحف ، جمعت بعد فى كتب ، ومنها على سبيل المثال :

حصاد الهشيم المازنى ، وساعات بين الكتب للعقاد ، ومطالعات فى الكتب والحياة له أيضا ، وشعراء مصر فى الجيل الماضى له كذلك . وحديث الأرباء لطله حسين ، وحافظ وشوقى له كذلك ، وثورة الأدب لهيكل .

وإذا تأملنا فى هذه الفصول التي اشتملت عليها الكتب المتقدمة

اعتبرناها من المقال الأدبي ، واعتبرناها كذلك من المقال النقدي ، ونحن على صواب في كاتنا الحاليتين .

وفي المقال الذى على شكل مذكرات أو اعترافات نجد على سبيل المثال :

كتاب « الأيام » ، لطله حسين ، و« عالم القيود و« سدوده للعقاد ، وكتاب « حياتى ، لأحمد أمين .

ولا ننسى أن نذكر أن هذه الفصول أو المقالات التى على شكل مذكرات أو اعترافات تعتبر من الأسباب التى مهدت لظهور الأدب الواقعى من جانب ، وهى فى الوقت نفسه أثر من آثار الصحافة من جانب آخر .

أما المقالات التى على شكل خواطر وتأملات فن الأمثلة عليها : كتاب « فيض الخاطر » ، لأحمد أمين ، وسيل من المكتب الأخرى لا سبيل إلى حصرها ، أو الإلمام بها .

أما المقال العلمى البحت فنه أكثر ما نشرته مجلة المقتطف ، ومجلة الهلال ، وإن كانت الأولى منها - بنوع خاص - إلى العلم أسبق ، وبه أحفل . وأما المقالات النزالية فلها فى مصر طريقان هما : طريق الأدب من ناحية ، وطريق السياسة من ناحية ثانية .

ففى الأدب ظهرت معركة حامية الوطيس بين القديم والجديد ، وهى المعركة التى بدأت على صفحات « الجريدة » لمحررها أحمد لطفى السيد ، وتناظر فيها رجلان هما : مصطفى صادق الرافعى عن القديم ؛ وطله حسين عن الجديد ، ثم ما لبثت هذه المعركة أن انتقلت إلى صحيفة « السياسة الأسبوعية » لمحررها محمد حسين هيكل ، وما زال لهذه المعركة ذيول فى صحفنا المصرية إلى اليوم .

ومن النزال الأدبي كذلك تلك المعركة التي دارت رحاها مرة أخرى بين طه حسين ، وعباس العقاد حول موضوع الأدب اللاتيني ، والأدب السكسوني ، تشيع فيها الأول للثقافة اللاتينية ، وتشيع فيها الأخير للثقافة السكسونية ، وبقي الأمر سجالاتاً بينهما مدة ليست بالقصيرة

وفي الطريق الثاني من طرق النزال السياسي كثرت معارك شتى بين الأحزاب المصرية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى ، وأخذت تتزايد شيئاً فشيئاً فيما بعد ، وقد انزلت بعض هذه المعارك السياسية أو الحزبية إلى مستوى الخوض في الأشخاص والأعراض ، وكان من هذه الأخيرة تلك الحملات الصحفية العنيفة التي حمل فيها العقاد على الرئيس السابق مصطفى النحاس ، وذلك منذ خرج العقاد من حزب الوفد ، وانضم إلى حزب آخر من الأحزاب السياسية ، هو حزب السعديين في مصر .

وإذا ذكرنا المقال النزالي في الصحافة المصرية فإنه لا يصح لنا أن ننسى أولى الحملات الصحفية في تاريخ هذه الصحافة ، ونعني بها الحملة التي اقترنت باسم « السيد علي يوسف » صاحب المؤيد ، وفيها شتم الرجل قلباً على اللورد كرومر ، جبار الاحتلال الإنجليزي في مصر ، وكان ذلك في الفترة البسيطة التي سبقت سقوطه عن عرش الوكالة البريطانية ، والفترة البسيطة التي أعقبت هذا السقوط ، أعني في النصف الأخير من سنة ١٩٠٧ ، وقد عرفت المقالات النزالية التي تألفت منها حملة « السيد علي يوسف » وعددها أربع عشرة مقالة ، باسم مقالات « قصر الدربارة بعد يوم الأربعاء » (١)

هذا كله من حيث الصحافة المصرية أو الأدب المصري المعاصر .

المقالة العربية في العصور القديمة

« أما في الأدب العربي القديم فقد وجدنا أن إقناع الرأي العام كان

(١) عن أدب المقالة الصحفية في مصر ، للمؤلف ، الجزء الرابع ص ٤٦ و ٧٦

يسلك في البيئات السياسية وغيرها من البيئات المتحضرة طريقة واحدة فقط ، هي طريقة الرسائل الحرة ، يكتبها أدباء وعلماء لهم في تاريخ الأدب العربي شهرة واسعة ، وكانوا لشهرتهم هذه مصدر خطر على الدولة حيناً ؛ ومصدر أمن وصيانة لها حيناً آخر ، وهذه الرسائل التي كتبها أولئك الكتاب في موضوعات الدين والسياسة والاجتماع والأدب ، تعتبر مع التحوير القليل صحافة كاملة بالنسبة للعصور التي ظهرت فيها ، (١) .

وقد ذهب الدكتور « محمد عوض محمد » ، في كتابه « فن المقالة الأدبية » ، إلى أن الخطبة بما لها من الاتقان اللفظي تعتبر أول خطوة من خطوات المقالة الأدبية ، أو أقوم صورة لها ، ثم تأتي بعد ذلك « المقامة » ، التي تعتبر الخطوة الثانية أو الصورة الثانية للمقالة ، وقريب من المقامة في الشبه الأحاديث والفصول التي يكتبها أدباء مشهورون مثل كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ، لأبي حيان التوحيدى ، و « الفصول والغايات » ، لأبي العلاء المعرى ، وأخيراً تأتي « الرسالة » ، فتمثل الخطوة الثالثة والأخيرة من الخطوات الموصلة إلى المقال ، أو ينظر إليها على أنها صورة ثالثة من هذا المقال كما عرفه الأدب العربي القديم . والرسالة في ذاتها أنواع :

فمنها الرسالة الديوانية التي تصدر عن الخليفة أو الأمير أو السلطان ، ومنها الرسالة الحرة التي أشرنا إليها ، وهي التي تكتب في شتى الموضوعات التي لا صلة لها بالدولة .

ومنها الرسالة الإخوانية التي يبعث بها الكاتب إلى بعض أصدقائه ، وفي هذه الأخيرة يتناول الكاتب في بعض الأحيان شأنا من شئون الحياة العامة أو الخاصة بفرق واحد ، هو أن هذه الأخيرة تصطبغ بلون فلسفى بحت ، ونجد ذلك في رسالة « ابن الفارقي » ، إلى أبي العلاء المعرى ، وقد رد المعرى على « ابن الفارقي » في « رسالة الغفران » .

(١) عبد اللطيف حمزة « أدب المقالة الصحفية » الجزء الأول ، ط ١٩٦٤ ، ص ٥ و ٦

وهناك نوع رابع من الرسائل هو النوع الذى يكتبه الكاتب ليقرأه الناس جميعا ، وهذا لا يرسل إلى شخص بعينه ، ومن هذا الطراز أكثر رسائل الجاحظ .

وعلى ضوء ما تقدم فى شرح الرسائل يصح لنا أن ننظر إلى كل من : رسالة الحسن البصرى فى وصف الإمام العادل ، ورسالة عبيد الحميد بن يحيى الكاتب إلى الكتاب ، وإلى الرسالة السياسية الإصلاحية المسماة بالهاشميين ، أو رسالة الصحابة لابن المقفع ، وإلى رسالة إبراهيم بن المدبر المسماة بالرسالة العذراء ، وإلى رسائل الجاحظ كلها بدون استثناء ، وإلى رسالة مالك بن أنس إلى الرشيد ، وإلى بعض رسائل بديع الزمان ، والنخوارزمى ، وإلى بعض رسائل الأبهى فى كتابه « المستطرف فى كل فن مستظرف » ، وإلى رسالة أبي العلاء المعروفة برسالة الغفران ، وإلى رسائل إخوان الصفا ، وإلى رسالة سهل بن هرون إلى بنى عمه من آل راهبون ، كما يصح لنا أن ننظر إلى جميع هذه الرسائل وأشباهها فى تاريخ الأدب العربى على أنها مقالات أدبية ، أو صورخية من صور المقال الأدبى ، كما عرفته العصور القديمة فى تاريخ الأدب العربى .

وفى ختام هذا الفصل تأتى بعض فقرات من رسالة الحسن البصرى فى وصف الإمام العادل على سبيل المثال :

« اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفه كل مظلوم ، ومفرج كل ملهوف .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله ، الذى يرتاد لها أطيب المراعى ، ويذودها عن مواقع التهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكفها عن أذى الحر والقر .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح وتفسد بقساوته ، وهو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم

وينظر إلى الله ويراهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم ، فلا تسكن يا أمير المؤمنين كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال وشرد العيال (١) .

وبعد ، فإننا - كما قلنا ، لا نستطيع الإمام بهذا السيل المتدفق - أو الشنات المتفرق من المقال المصرى بفنونه الثلاثة : الأدبى ، والعلمى ، والصحفى ، ولسكننا مكثفون هنا بالوقوف قليلا عند المقال الأدبى ، محاولين أن نضرب المثل عليه بأنواع ثلاثة فقط من أنواعه الكثيرة ، وهذه الأنواع هى : المقال القصصى ، والمقال الذى على شكل اعتراضات أو مذكرات ، والمقال الكاريكاتورى .

فإذا فرغنا من ذلك انتقلنا إلى المقال العلمى ، فنرى هنا عن شخصائه ، وطريقة كتابته .

أما المقال الصحفى فنحن مضطرون إلى التحدث عن جميع فنونه المعروفة فى الصحافة الحديثة ، كالمقال الافتتاحى ، والعمود ، والحديث ، والتحقيق ، والملاجزيات الصحفية ، كما ستأتى فيما بعد :

(١) محمد يوسف نجم : فن المقالة ، ص ٢٨ ط بيروت ١٩٥٧ .

الفصل الثاني

المقال القصصى

لا نعلم كاتباً مصرياً بلغ في هذا اللون من ألوان المقال الأدبى ما بلغ الأديب الصحفى المعروف بالمازنى « ١٨٨٩ - ١٩٤٩ » .
ولا تكاد العربية تعلم كاتباً جم التواضع، خفيف الروح في الكتابة ، لاصقاً بالأرض في التفكير، كما كان هذا الكاتب القدير .
ظهر تواضعه الجم في اللغة التي كان يكتب بها المقال ، وفي طريقة عرضه على القراء ، ولقد جمعت مقالاته في كتب ، منها على سبيل المثال :
حصاد المهشم ، وخبوط العنكبوت ، وصندوق الدنيا ، وفي الطريق ، وقبض الريح ، ومن النافذة ، وع الماشى . . الخ .
وانظر إليه يقول في كلمة الإهداء التي جاءت في صدر كتابه « صندوق الدنيا ، :

« إلى التي منها معدنى ، وإليها المآل .. إلى أمتنا الأرض ، ١١
وقد اشهر المازنى بكتابة الأقصوصة ، وإن سبقه إليها ، وجرى معه في ميدانها كثيرون من أمثال : محمود تيمور ، وجبران خليل جبران ، وإسماعيل آدم ، وغيرهم .
إلا أن أحداً من هؤلاء لم يرزق موهبة المازنى في عذوبة الكلام ، وحلاوة الفكاهة ، وشعبية العبارة ؛ مع المحافظة التامة في الوقت نفسه على عريتها .
والمازنى أكثر الكتاب المحدثين حديثاً عن نفسه ، وعن بيئته ، وعن صلته بأهله ، وبالناس ، ومع هذا يقول عنه توفيق الحكيم :

« الويل كل الويل لمن يؤرخ للمازني ، فإن الكذب هبة من هباته .
ذلك أن قدرة المازني في الخيال ، والاختراع ، واختلاط حقه بباطله .
قد أسدلت حججاً كثيفاً على وجهه الحقيقي ، (١) .

ورد المازني على مقال توفيق الحكيم ، مفسراً هذا الكذب بأنه
« الصدق الفني ، حيث قال :

« وليس الصدق عندي - وأحسب الأستاذ توفيق الحكيم مثلي - أن
يروى الكاتب قصة وقعت كلها بجملتها وتفصيلها بلا نقص ولا زيادة ،
فما لهذا قيمة ، ولا هو الأدب الجدير بهذا الاسم ، وإنما المعول في الصدق
والكذب على طريقة العرض ، وأسلوب التناول ، والإخلاص في التعبير
والتصوير . ولا وزن لكون القصة مما وقع للكاتب ، أو لسواه ، أو مما
تخيل ، وقد يأخذ الكاتب بعض الوقائع فيضيف إليه ، أو ينقص منه ،
ويبنى قصته مما جرب وعرف وتخيل أيضاً ، ولا مفر من هذا المزج بين
الحقيقة والخيال ، وكما أن لكل مخلوق أنجالاً وأجدادا ، كذلك كل فكرة
أو خالصة ، أو خيال ، وسنة الحياة واحدة في خلق الحيوان ، وخلق
الفكرة أو الإحساس ، أو الخيال ، وهذه السنة هي التوليد (٢) ، .

* * *

ومعنى ذلك باختصار أن الواقعية عند الفنان هي الحياة التي حوله
مضافة إليها شخصية هذا الفنان نفسه ، أو هي الحياة كما تعكسها مرآة
هذا الفنان بالشكل الذي يراه ، فلا ينبغي أن ننتظر من الكاتب الواقعي
أن يجعل نفسه آلة لا تحس ، ولا تشعر ، أو أن يصور لنا الحياة تصويراً
فوتوغرافياً ، كما لا ينبغي لنا أن ننتظر منه ألا يقص علينا غير ما وقع
بالفعل ، فليس هذا هو المقصود بالواقعية في الأدب ، وحسبنا منه إذن أن

(١) أدب المازني ، للسيدة نعامت فؤاد ص ٤٤ نقلا عن مجلة الثقافة ١١/٤/١٩٣٩

(٢) مجلة الثقافة بتاريخ ١٦/٥/١٩٢٩

يقنعنا بأن هذه الحوادث التي قصها علينا بمكنة الوقوع ، وأن هذه الشخصيات التي تحدث عنها من الجائز أن توجد في الحياة .

ومهما يكن من شيء فقد اتفق النقاد على أن المازني في « الأقصوة » أعظم أصالة منه في « القصة » ، والأولى هي التي تعيننا في هذا المجال ، وهي التي امتلأت بها الصحف المصرية في فترة من الزمان ، وهي ما أطلقنا عليه اسم « المقال القصصي » .

وقد أشرنا إلى أهم الكتب التي جمعت فيها مقالات المازني القصصية ، وبحسبنا هنا أن نضرب المثل عليها بأقصوته التي نشرت بكتاب « صندوق الدنيا » (١) ، وعنوانها :

حلاق القرية

وفيها يقول :

وقعت لي هذه الحادثة في الريف منذ سنوات عديدة قبل أن تتغلغل المدينة إلى أقصى قرأه ، وكنت أنا الجاني على نفسي فيها ، فقد عرض عليّ مضيفي أن أستعمل موساه فأبيت ، وقلت مادام أن للقرية حلاقاً فعليّ به ، فحذرتني مضيفي ، وأذرتني ووعظني . . . ولكنني ركبت رأسي ، وأصررت أن يحجى الحلاق ، فجاء بعد بضع ساعات يحمل ما ظننته في أول الأمر « مخللة شعير » وسلم وقعد ، وشرح يحميني ويحادثني حتى شككت في أمره ، واعتقدت أن الحلاق شخص آخر ، وأن هذا الجالس أمامي ليس سوى « طلائعه » ، ولما عيل صبري سألته عن حلاق القرية فابتسم ومشط لحيته بكفه ، وأنبأني أن الحلاق « محسوبي » - يعني نفسه ، فلعننته في سرى ، وسألته : متى ينوى أن يحلق لي لحيتي ، أم لا بد أن يضرب الرمل والحصى أولاً؟ وبحسب الطالع قبل أن يياشر العمل؟ فلم يفهم ما أقول ،

(١) صندوق الدنيا ، للمازني ، ص ٧١ ، ط : دار الترقى للطبع والنشر بالقاهرة سنة ١٩٢٩ :

وأولاني صدغاكث الشعر، وقال « هيه » ، فظننته أصم ، وصححت به .
و أ . ر . يد . أن . أ . ح . ل . ق . ، . فسرته صياحي جداً ، وضحك كثيراً ،
وأقبل على « مخلاته » فأخرج منها مقصاً كبيراً ، فدنوت من أذنه وسألته :

هل في القرية فيل ؟ فقال :

فيل — لماذا؟

فأشرت إلى المقص ، فضحك وقال :

هذا مقص حمير ولا مؤاخذة .

فقلت : ولماذا تجيئني بمقص حمير ؟ أحماراً تراني ؟

ويظهر أن معاشرَةَ الحمير بلدت لإحساسه ، فإنه لم يعتد لي ، ولا عبأ
بسؤالي شيئاً ، ثم أخرج « موسى » من طراز المقص ، « مكنة » من هذا
القبيل أيضاً ، فعجبت له : لماذا يجيء لي بكل أدوات الحمير؟ وسألته عن ذلك
فقال : إن الله مع الصابرين ، وبعد أن أفرغ مخلاته كلها انتقى أصغر
الأدوات حجماً ، وأصغرها هو أكبر ما رأيت في حياتي ، ثم أقبل على
وقال : تفضل .

قلت : ماذا تعني ؟ قال اجلس على الأرض .

قلت : ولماذا بالله ؟ قال ألا تريد أن تحلق ؟

قلت : ألا يمكن أن أحلق وأنا قاعد على الكرسي ؟

قال : وأنا ؟ قلت في سرى : وأنت تذهب إلى جهنم وبئس المصير !
وهبطت إلى الأرض كما أمر ، ففتح موسى كالمبرد ، فقلت : إن وجهي
ليس حديداً يا هذا . قال : لا تخف إن شاء الله ، ولسكني خفت ياذن الله !
ولا سيما حين شرع يقول : بسم الله ، الله أكبر ، كأنما كنت خروفاً ،
وبصق في كفه ، ثم شحذ الموسى على بطن راحته ، ثم جذب رأسي ، فدعرت
ونفرت ووليت هارباً إلى أقصى الغرفة ، فقال لي : ماذا ؟ قلت : ماذا ؟
أتريد أن تحلق لي بمبرد ، ومن غير صابون ؟ قال : ماذا يخيفك ؟ قلت :

يخيفني؟ ، لقد دعوتك لتتعلق لى لحيتى ، لا لتردى شعرها ، قال : يا أفندى لا تخف ، ثم قرأ من الكتاب الكريم : « فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشرى ، إلى آخر الآية الشريفة ، وأظنه أراد أن يرقينى بها . فيألها من حلاقة لا تكون إلا برقية !

وأسلمت أمرى لله ، وعدت فقعدت أمامه ، فنهض على ركبتيه ، وتناول رأسى بين كفيه ، وأمال صدغى إليه ، ثم وضع ركبته على فخذى ، ولف ذراعه حول عنقى ، فصار فى مدفوناً فى صدره ، فصحت - أو على الأصح - جاهدت أريد الصياح لعل أحداً يسمعنى فينجدنى ، غير أن طيات ثوبه كانت فى فى ، أما رائحة الثوب فيحسب القارىء أن يعلم أنها أفقدتى الوعي .

ولا أطيل على القارىء ، فقد أهوى الرجل بموساه على وجهى ، فسلخ قطعة من جلدى ، فردنى الألم إلى الحياة ، وآتانى القوة الكافية للصراخ على الرغم من الحكامة ، ووثبت أريد الباب ، ولكنه كان على كبر سنه أسرع منى ، وما يدرينى لعله كان يتوقع ذلك ، وعسى أن تكون المراتة قد علمته أن يكون يقطاً لأمثال هذه المحاورات ، فردنى بقوة ساعده ، فقتشهدت ، وتذكرت قول المتلبى :

وإذا لم يكن من الموت بد فن المعجز أن تموت جياناً

كملا سأسدل الستار على هذا المنظر الذى يقف له جلدى على الرغم من كر السنين الطويلة ، ثم جاء هذا السفاح بطشت يفرق فيه كبش ، ووضعته تحت ذقتى ، وصب ماءه على وجهى ، وفى صدرى ، وعلى ظهرى ، ليغسل الدم الذكى الذى أراقه ، وأخرج من «مخلاته» مدمسفة هى «بمسحة» الأرض أشبه ، فاعتذرت وأخرجت مندبلى ، وسبقته إلى وجهى ، فمى معركة لا يزال بجلدى منها ندوب وآثار .

« انتهى المقال »

فهذا نموذج كامل من المقال القصصى الذى قلنا إنه لون من ألوان المقال الأدبى فى الفترة ما بين عام ١٩٢٢ ، وعام ١٩٤٢ ، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على سيطرة الأدب على الصحافة ، أو المقال على الخبر فى تلك الفترة التى نشير إليها .

وفى هذا النموذج وأمثاله من مئات المقالات التى كتبها المازنى ترى كيف أن أذنه الحوادث فى نظر الناس يصلح أن يكون مادة أدبية رائعة تروق لجميع الناس متى تناولها كاتب قدير يحيلها إلى مادة جذيرة بالنشر فى صحيفة ، وسمع إلى المازنى نفسه بحيث يقول :

« كذلك أنا ، أنا زوج الحياة الذى لا يستريح من تكاليفها ، أقوم من النوم لأكتب ، وآكل وأنا أفكر فيما أكتب ؛ فأنهم لقمة ، وأخط سطرأ أو بعض سطر ، وأنام ، وأحلم أنى اهتديت إلى موضوع ، وأفتح عيني فإذا بى قد نسيتته ، فأبتسم ، وأذكر ذلك الذى رأى فى منامه أن رجلا جاءه ، فنقده تسعة وتسعين جنياً ، فأبى إلا أن تكون مائة ، فلما انتسخ الحلم ، ورأى كفه فارغة عاد فأطبق جفونه ، وبسط راحته ، وقال : « رضينا فهايت ما معك » .

* * *

ونظرة عاجلة إلى فن المقال القصصى عند المازنى ترىنا أنه يعتمد على أشياء منها :

أولاً - الاتساع فى الخيال ، وهو ما أسماه توفيق الحكيم « الكذب الحقيقى » ؛ وما سماه المازنى « الصدق الفنى » ، فليس من الضرورى أن تكون الصورة كاملة الأجزاء فى الواقع الملبوس من الحياة ، لأن الكاتب المبدع يستطيع بفنه وإبداعه ، وتصوره وخياله ، أن يكمل ما بهذه الصورة من نقص ، أو أن يحذف ما بها من زيادة ، على حد قول المازنى .

ثانياً - انتزاع الفكاهة من الوقائع التي يرويها الكاتب ، ولو كانت من الوقائع التافهة في ذاتها ، وهكذا يستطيع المازني أن يستهويننا دائماً ، لا بأفكاره وآرائه ، ولكن بقدرته على التصوير ، وبراعته في انتزاع الفكاهة من الحياة بجميع صورها وأشكالها ، وبما في هذه الحياة من جد وهزل وما فيها من أشياء قيمة وأخرى مهمة .

ثالثاً - استعمال اللغة التي تصور الواقع ، أو التي تشتق منه في أغلب الأحيان ، ما دامت هذه الأفاضيل ، أو المقالات القصصية قطعة من الحياة الواقعية ، كما أراد لها الكاتب أن تكون كذلك .

من أجل هذا حرص المازني على أن يختزن في ذهنه مئات الذكريات ، وألا يترك واحدة منها في الماضي أو في الحاضر تفلت من ذاكرته بحال ما ، ذلك أنه مطالب على الدوام بأن يمد هذه الصحيفة - أو تلك - بالمقال القصصي الذي تعود منه القراء .

وفي ذلك يقول المازني أيضاً :

وإن كتبت في الأسبوع مقالين ، فجملة ذلك في العام يبلغ المائة ، وكل مائة مقال تملأ ثلاثة كتب ، فسيكون لي إذن بعد عشرة أعوام - إذا ظلت هكذا - ثلاثون كتاباً ، خلاف ما أخرجت قبل ذلك .

والبلاء والداء العياء أن تكتب مرة مقالة فكاهية ، والطامة الكبرى أن تكون المقالة جيدة ، وأن تكون الفكاهة فيها بارعة ، فلا راحة لك بعد هذا أبداً ، لأن الناس يظنون ينتظرون منك بعد ذلك أن تطرفهم بالفكاهات في كل مقال آخر ، فإن أخطئوا عندك ما يطلبون من الفكاهة فالويل لك ، وأنت عندهم ضعيف لا تحسن أن تكذب ، أو غير موفق فيما تحاول حتى ولو كنت تكتب ، والناس معذورون ، فإن وطأة الحياة ثقيلة ، وما دمت قد عودتهم أن تسليهم ، وتضحكهم ، أو أطمعهم ، وأنشأت في نفوسهم الأمل في هذا ، فاذا تريد أن تتوقع ؟ .

رابعا - التهويل في وصف الأشياء ، وهو نوع من الكذب الذى ذكره توفيق الحكيم ، ومعناه عند البلاغيين كعنى الذى يقول : أعذب الشعر أكذبه ، أى أمعنه فى التخيل .

فخفية الخلاق مخلاة شعير ، ومقصه مقص حمير ، وموساه مبرد ، وحلأته نفسها لا تكون إلا برقية من الرثى ، وهكذا .

وبوابة آبيه - فى أفصوصة أخرى - كبوابة المتولى ، والمسامير التى تغطيتها كبيرة ، يعدل الواحد منها رأس طفل ، ورتاج الباب غليظ يدخل فى جدار عظيم السمك ، وهكذا .

فالمبالغة إذن أساس من الأسس التى يبنى عليها أفصوصته دائما ، والمبالغة صفة من الصفات الغالبة على قصص الأطفال ، فكأن المازنى كان يقدر دائما أن قرأه من هذا النوع ، ومع ما فى هذه العبارة الأخيرة من الهجوم على قرأه المازنى ، فإن الذى لا ريب فيه أنه كان محبوباً منهم جميعاً ، بما كتب لهم من مقالات وأقاصيص كانت فى حقيقة أمرها خير ما يصور البيئة المصرية ، والدعابة المصرية ، والشخصية المصرية التى بنيت على الإيمان بالقدر ، والإيمان بالغيب ، كما بنيت على الشكوى ، وعلى الشك فى الحياة ، وعلى عدم الثقة فيها ، والاستخفاف بها ، وغير ذلك من السمات العامة .

الفصل الثالث

مقال الاعترافات

لسنا نعرف كذلك أن كاتباً بلغ في هذا الفن من فنون المقال الأدبي بعض ما بلغه الدكتور طه حسين في كتابه المعروف « بالأيام » .

وهو صورة نابضة بالحياة ، زاخرة بالمعاني ، رسمها كاتب قدير عرف بغزارة العاطفة ، وجمال التصوير ، وعذوبة العبارة .

وقد زعم الكثيرون أن كتاب « الأيام » محدود الجوانب ، قصره كاتبه على وصف حياته في القرية ، ولكن هذا الزعم بعيد عن الصواب ؛ لأن الكتاب صورة رائعة للقرية المصرية بما فيها ، ومن عليها ، فضلاً عن كونه في نفس الوقت صورة رائعة أيضاً لكفاح شاب فقد البصر منذ الصغر ، ولكنه ناضل في حياته حتى أصبح ملء السمع وملء البصر ، والكتاب من هذه الناحية الأخيرة أشبه بكتاب أمريكي كان له تأثير كبير في الأوساط الأدبية ، وعنوانه « العالم عند أطراف أصابعي » .

والحقيقة التي لا مرأ فيها أن القرية المصرية لم تظفر بقصة وافية تصورها هذا التصوير الجديد ، كما ظفرت بذلك كله في كتاب « الأيام » . من أجل هذا أقبل المصريون وقراء العربية إقبالاً منقطع النظير على قراءة هذه المقالات منذ نشرت تباعاً في مجلة الهلال عام ١٩٣٦ ، ثم جمعت فيما بعد في كتاب ، ثم ترجم هذا الكتاب إلى عدد غير قليل من اللغات الأجنبية فوجد أصحاب هذه اللغات في قراءته أضعاف اللذة التي وجدها أصحاب العربية .

ومهما يكن من شيء فإن كتاب « الأيام » يمتاز بأمور شتى يمكن

تلخيصها في كلمة واحدة ، وهي أنه واقعي في تصويره ، وإن لم يكن واقعياً في طريقة تعبيره ، فهو واقعي في تصويره بمعنى أن « طه حسين ، وصف به حياته في تعريف المصري أصدق ما يكون الوصف ، وصور الحياة كلها في هذا الكتاب المصري أدق ما يكون التصوير ، فلا تكلف في تزويق الحديث ولا جنوح إلى اختراع الحوادث ، ولا رغبة في إخفاء الحقائق عن عين القارئ ، ومعنى ذلك أن أهم ما في كتاب « الأيام » هو عنصر الصدق والأمانة ، وهو من هذه الناحية مخالف لكتاب آخر ، سبقت الإشارة إليه ، وهو « المازني » الذي قلنا إنه يميل إلى اختراع الحوادث بما يتفق وما سماه « الصدق الفني » .

غير أن كتاب « الأيام » ليس واقعياً من حيث الأسلوب الكتابي ، أو طريقة التعبير ، بل هو في هذه الصفة الأخيرة مخالف كل المخالفة للمازني . ذلك أن « طه حسين » يأبى على شخصياته القصصية في « الأيام » إلا أن تنطق اللغة العربية الفصيحة ، على حين أن المازني ، وتوفيق الحكيم ، وأضرابهما من الكتاب . يجرون الحوار بين شخصيات القصة الواقعية باللغة العامية ، ما دامت هذه اللغة هي التي يتكلمها أشخاص القصة بحكم مركزهم الاجتماعي من جانب ، أو بحكم حرمانهم من الثقافة ، وجهلهم باللغة الفصيحة من جانب آخر .

ومع هذا وذاك لا يحس قارئ « الأيام » بأن في اللغة الفصيحة التي يجريها الكاتب على ألسنة أشخاصه شيئاً من الغضاضة ، أو التكلف الذي يقلل قليلاً واضحاً من صفة الواقعية ، وليس كل جانب من الكتاب قادراً على ذلك في الواقع ، إذ أن طواعية اللغة لا تيسر عادة إلا للعارفين بها ، والقادرين عليها .

وتم صفة من الصفات التي يمكن أن يستشفها القارئ لكتاب « الأيام » ، وهي أن « طه حسين » يهتم اهتماماً بالغاً بتصوير النفس الإنسانية

في كل موقف من المواقف التي تعرض لأشخاص القصة ، ثم هو أوسع كاتب يهيء لك الجو من الناحية النفسية لكي تستطيع متابعة القراءة ، وهو يعتمد في كل ذلك على ما وهبته الطبيعة من عمق المشاعر ، واتساع العواطف ، ورحابة النفس ، والقدرة على سبر أغوار الأشخاص الذين يتحدث عنهم في مقالاته ، كما يعتمد أخيراً على قدرته على ما يسمى « التأمل الباطني » ، حتى لسكان نفسه الباطنة دنيا كبيرة ، أو مسرح ضخم يستطيع أن يكون فيه مُخرجاً لشقى الروايات التمثيلية الإنسانية الخالدة .

والخلاصة أن صفة الخلود في كتاب « الأيام » آتية له من ناحيتين : هما الصدق الحقيقي الذي تحدثنا عنه أولاً ، والقدرة على وصف النفس البشرية بمشاعرها المختلفة في حالاتها المختلفة بعد ذلك .

• • •

أما أسلوب هذه الفصول أو المقالات التي على شكل اعتراف فتأثرة بالمدرسة الجاحظية في الكتابة ، وهي مدرسة ذات خصائص فنية معروفة من أهمها : الإسهاب ، والاستطراد ، واتساع العبارة ، وجذب القارئ ، وسحبها بلطف ومهارة ، ثم هي مدرسة تعنى كذلك بالمقابلات بين الألفاظ بعضها وبعض من جهة ، وبين المعاني بعضها وبعض كذلك من جهة ثانية ، ولعل أهم ما يمتاز به المدرسة الجاحظية فوق هذا كله أمران :

أما أولهما - فقدرة هذه المدرسة على أن تؤدي لك أفخم المعاني بأيسر الألفاظ .

أما الثاني - فعنايتها عن غاية ظاهرة بجرس اللفظ ، وموسيقى العبارة ، وتقطيع الكلام قطعاً متوازنة ، تستطيع أن تقف عند كل واحدة منها ، وتستشعر الراحة في هذا الوقوف .

ويظهر أن السبب في شيوع هذه الصفة الأخيرة في أسلوب « طه حسين »

- بوجه خاص - هو تعله منذ نعومة أظفاره تجويد القرآن الكريم ،
ثم اعتماده في ريعان شبابه ، وإلى الآن في تحرير مقالاته ، على الإملاء .

• • •

ولسنا نقصد في هذا الفصل من الكتاب إلى التعريف بطله حسين ،
ولابدب « طه حسين » ، كما لم نقصد في الفصل السابق إلى التعريف بالمازني
ولابدب « المازني » ، وإنما قصدنا الكلام عن هذا الضرب من ضروب
المقال الأدبي ، وهو مقال الاعتراف ، وقد شئنا أن نضرب له المثل بكتاب
« الأيام » ، وكان يصح أن نضرب المثل بكتب أخرى لولا ضيق المقام .

نموذج من كتاب « الأيام »

... على أن صبينا لم يلبث أن أضاف إلى هذه الألوان من العلم لونا آخر
جديداً هو « علم السحر والطلاسم » ، فقد كان باعة الكتب يتنقلون
في القرى والمدن بخليط من الأسفار ، لعله أصدق مثل لعقيدة الريف
في ذلك العهد ، كانوا يحملون في حقائبهم مناقب الصالحين ، وأخبار
الفتوح والغزوات ، وقصة القط والفأر ، وحوار السلك والوابور ،
وشمس المعارف الكبرى في السحر ، وكتاباً آخر لست أدري كيف
يسمى ، ولكنه كان يعرف بكتاب « الديري » ثم أوراداً مختلفة ، ثم
قصص المولد النبوي ، ثم مجموعات من الشعر الصوفي ، ثم كتباً في الوعظ
والإرشاد ، وأخرى في المحاضرات وعجائب الأخبار ، ثم قصص الأبطال
من الهلايين والزنايين وعنزة والظاهر بيبرس ، وسيف بن ذي يزن ،
ثم القرآن الكريم مع هذا كله .

وكان الناس يشترون هذه الكتب كلها ، ويلتمون ما فيها التهاماً ،
وكانت عقليتهم تتكون من خلاصتها ، كما تتكون أجسامهم من خلاصة
ما يأكلون ويشربون .

وكان من القصص التي تكثر في أيدي الصبيان ، يحملها إليهم باعة الكتب ، قصة اقتطعت من ألف ليلة وليلة وتعرف بقصة «إحسان البصرى» وفي هذه القصة أخبار ذلك المجرى الذي كان يحول النحاس ذهباً ، وأخبار ذلك القصر الذي كان يقوم من وراء الجبل على أعمدة شاهقة في الهواء ، وتقيم فيه بنات سبع من بنات الجن ، والذي آوى إليه حسن البصرى ، ثم أخبار «حسن» هذا ، وما كان من رحلته الطويلة الشاقة إلى دور الجن .

وبين هذه الأخبار خبر ملاء الصبي إعجاباً ، وهو أن قضيباً أهدى إلى حسن البصرى في بعض رحلته ، وكان من خواص هذا القضيب أن تضرب به الأرض فتشق ويخرج منها تسعة نفر يأتمرون بأمر صاحب القضيب — وهم بالطبع من الجن — أقوياء ، خفاف ، يطرون ، ويعدون ، ويحملون الأثقال ، ويأتون من عجيب الأمر ما لا حد له .

فن الصبي بهذه العصا ، ورغب في أن يظفر بها ، رغبة شديدة قوية ، أرقت ليله ، ونفست يومه ، فأخذ يقرأ كتب السحر والتصوف ، يتلس عند السحرة والمتصوفين وسيلة تمكنه من هذه العصا .

وكان له قريب صبي مثله يرافقه إلى الكتاب ، فكان أشد منه كلفاً بهذه العصا ، وما هي إلا أن جد الصبيان في البحث حتى انتهى إلى وسيلة يسيرة تمكنهما مما يريدان ، وجداها في كتاب «الديربي» ، وهي أن يخلو الفتى إلى نفسه — وقد تطهر — ووضع بين يديه ناراً ومقداراً من الطيب ثم يأخذ في ترديد هذا الاسم من أسماء الله «الطيف» ، بالطف ، ملقياً في النار شيئاً من الطيب من حين إلى حين ؛ ويمضى في ترديد هذه الكلمة ، وتحريق الطيب حتى تدور به الأرض ، ويلشق أمامه خادم من الجن موكل

بهذا الاسم من أسماء الله فيطلب إليه ما يريد ، والحاجة مقضية من غير شك .
ظفر الصبيان بهذه الوسيلة ، فاعتزما أن يستخدموها ، وما هي إلا أن
اشترىا ضروباً من الطيب ، وخلا صبينا إلى نفسه في « المنظرة » ، فأخلى
بابها من دونه ، ووضع بين يديه قطعاً من النار ، وأخذ يلقي فيها الطيب :
ويردد : « يا لطيف ، يا لطيف » ، وطال به هذا ، وهو ينتظر أن تنور
الأرض ، وتشرق له الحائط ، ويمثل الخادم بين يديه ، ولكن شيئاً
من ذلك لم يكن .

وهنا تحول صبينا الساحر المتصوف إلى نصاب !

خرج من « المنظرة » مضطرباً يمسك رأسه بيديه ، ولا يكاد لسانه ينطق
بحرف واحد ؛ فتلقاه صاحبه الصبي يسأله : « نل لقي الخادم ؟ وهل طلب
إليه العسا ؟ »

وصاحبنا لا يجيب إلا مضطرباً مرتجفاً ، تصطك أسنانه اصطكاً
حتى روع رفيقه الصبي ، وبعد لآي أخذ صاحبنا يهدأ ، ويجيب في ألفاظ
متقطعة ، وبصوت متهدج :

« لقد دارت بي الأرض ، وكدت أسقط ، وانشقت الحائط ، وسمعت
صوتاً ملاً الحجرة من جميع نواحيها ثم أغشى عليّ ، ثم أفقت وخرجت
مسرعاً . »

سمع الصبي هذا فامتلاً فرحاً وإعجاباً بصاحبه وقال له : « هون عليك ،
فقد أصابك الرعب ، وملك عليك الخوف أدرك ، فلنبحث في الكتاب
عن شيء يؤمنك ويشجعك على أن تثبت للخادم ، وتطلب منه ما تشاء ! »

واستأنفا البحث في الكتاب ، وانتهى بهما البحث إلى أن صاحب
الخلوة يجب أن يصل ركعتين قبل أن يجلس إلى النار ويأخذ في ترديد هذا
الاسم ، وكذلك فعل الصبي من غده ، وأخذ يلقي الطيب في النار ويردد

دعاء اللطيف ، ينتظر أن تدور به الأرض ، وينشق له الحائط ، ويمثل الخادم بين يديه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، وخرج الصبي إلى صاحبه هادئاً مطمئناً ، فأخبره أن قد دارت الأرض وانشق الحائط ، ومثل الخادم بين يديه ، وسمع منه حاجته ، ولكنه لم يشأ أن يجيبه إليها حتى يمرن على هذه الخلوة ، ويكثر من الصلاة وإطلاق البخور ، وذكر الله ، وضرب له موعداً لقضاء هذه الحاجة شهراً كاملاً يأتي فيه هذا الأمر في نظام ، فإن فسد هذا النظام فلا بد من استئناف الأمر شهراً كاملاً آخر .

وصدق الصبي صاحبه ، وأخذ يلح عليه في كل يوم أن يخلو إلى النار ويردد الدعاء ، وأخذ الصبي يستغل من صاحبه هذا الضعف ، ويكلفه ما شاء من مشقة وعناء ؛ فإن أبى أو أظهر الإباء أعلن إليه صاحبه أنه لن يخلو إلى النار ، ولن يدعو اللطيف ، ولن يلمس العصا ، فيذعن إذعانا سريعاً .

* * *

على هذا النحو أخذ طه حسين ، يقص تاريخ حياته ، ويكتبه فصلاً على شكل مقالات يبعث بها إلى مجلة الهلال ، فيقبل القراء على قراءتها بشغف شديد ، وحين انتهى من وصف طفولته ، وصدر من شبابه أشير عليه بأن يجمع هذه الفصول في كتاب ، فجمعها باسم « الأيام » .

ويعود إلى الحديث عن أسلوب طه حسين ، فراه يتميز بصفات جعلت منه صحفياً ناجحاً إلى جانب أنه عالم وأديب ، على أن الجانب الصحفي في شخصية طه حسين ، هو الذي يعيننا في هذا الفصل .

فن الصفات التي أعانتها على النجاح في ميدان الصحافة صفة السهولة في التعبير ، والأسلوب الموسيقي العذب المتموج ، والواقعية في التصوير ، والإيناس في إجراء الحديث ؛ حتى ليشعر القارئ لمقال من مقالات هذا

الأديب أنه إنما يجلس إلى صديق من أصدقائه ، ويستمتع إلى بعض إخوانه يدور معه حيث يدور ، ويدخل معه في شجون من الحديث لا يجب أن يصل إلى نهايتها .

على أن « طه حسين » يعتبر مدرسة صحفية لها تلاميذها في الوقت الحاضر، وهذه المدرسة تميل - كما قلنا - إلى عربية الأسلوب ، ولايسهل على تلميذ من تلاميذها ان ينزل بأسلوبه إلى مستوى العامة مهما كانت الظروف الداعية إلى هذا النزول ، وعلى الرغم من ذلك فإن عربية هذه المدرسة من النوع الذى يخف على الأسماع بأكثر مما تخف عليها اللغة الشعبية التى يتكلمها الناس فى النوادي والطرق العامة، وعند هذه المدرسة إيمان عميق بقدره اللغة العربية الفصيحة على سد حاجات الصحافة التى هى فى الحقيقة نوع من الأدب الإقليمي ؛ أو الواقعى ، وهو أدب تلزم - له فى الواقع - لغة أخرى إلى جانب اللغة الفصيحة .

ومثل كتاب « الأيام » فى مجال المقال الذى على شكل اعتراف كل من كتاب « حياتى » للأستاذ أحمد أمين ، و « مذكرات مدمن على الحشيش » لطبيب اسمه « الجريدنى »، نشر هذه المقالات فى مجلة الهلال بدون توقيع ، وكتاب « عالم السدود والقيود » للأستاذ عباس العقاد عن حياته فى السجن .

وتعتبر هذه الكتب وأمثالها بحق من الكتب التى نقلت الأدب العربى من طور إلى طور ، ومن حالة إلى أخرى .

فقد كان هذا الأدب العربى أرسنقراطياً فى العصور الوسطى ، فأصبح عن طريق هذه الكتب ، وبتأثير الصحافة بنوع خاص ، ديموقراطياً بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة .

والحق أن أدب المذكرات يعتبر من أروع الآداب الحديثة ، كما يعتبر أثراً من آثار الصحافة ، ومن حق هذا النوع من الآداب أن يكون خالداً

على الزمان ، فقد اكتسب هذه الصفة من وجهين هما : الصدق أولاً ،
والتصوير النفسى أو السيكولوجى بعد ذلك .

وربما كان هذا هو السبب فى تهاافت الصحف فى جميع أنحاء العالم على
هذا النوع من الأدب ، حتى أن بعض الصحف تشتري مذكرات فلان
أو فلان من القادة والعظماء بأثمان لا يرقى إليها الخيال ، وتبذل فى سبيل
الوصول إليها طرقاً ممتعة فى الخفاء ، ثقة منها بأن هذه المذكرات إنما تزيد
فى عدد القراء ، وعلماً منها كذلك بأن هذه المذكرات تحرك فى نفوسهم
غريزة من أقوى الغرائز ، هى غريزة حب الاستطلاع .

وفى النفس الإنسانية ميل قوى إلى معرفة الحقيقة حيث كانت ، وقل أن
نرى كتب التاريخ العام تكشف عن هذه الحقيقة ، ولكن « شاهد العيان »
أو الرجل الذى اشترك بنفسه فى الحادث ، ووقف بنفسه على « خشبة المسرح »
هو وحده القادر على أن يمد القراء بهذه الحقيقة ، ومن هنا جاءت أهمية
« المذكرات » فى الأدب ، كما جاءت خطورتها فى الصحافة .

ولكن ليس معنى ذلك أن « أدب المذكرات » ، أو « أدب الاعترافات »
خاص بالعظماء أو المشهورين فقط من الرجال والنساء ، فالحقيقة غير ذلك
إذ المعروف أن فى حياة كل إنسان فى الوجود لوناً من الطرافة ربما
لا يكون فى حياة الآخر ، وقد تبدو الحياة ملة أو عادية فى نظرنا ، ولكن
فيها - مع كل ذلك - شيئاً يثير اهتمام الناس ، ويودون لو عرفوه .

وان كتابة المذكرات أو الاعترافات لا تتطلب من صاحبها
- فى الواقع - أكثر من الهدوء النفسى فترة ما ، واستيحاه الماضى البعيد
أو القريب ، وتصوير ما يوحى به هذا الماضى تصويراً يعين على تفهم النفس
البشرية من حيث هى ، ويعكس فى الوقت ذاته صورة للمجتمع الذى أحاط
بالصحفى أو بالأديب فى فترة من فترات الحياة البعيدة أو القريبة .

تقول الأستاذة «پاترسون» في مقدمة كتابها «Writing & Selling Features» ما خلاصته :

يرجع إقبال الجماهير على قراءة مقال « الاعترافات » ، إلى عدة أسباب منها ما يلي :

أولاً - أن هذا النوع من المقال يدور حول قصص وحوادث تعتبر أقرب إلى الواقع منها إلى أى شيء آخر ، كما أنه يكتب بأسلوب موثوق به في الغالب ، لأنه أسلوب يعترف فيه الكاتب بأخطائه ، وبإخفاقه في بعض مراحل حياته ، وقد يعمل لهذا الإخفاق .

ثانياً - ان هذا النوع من المقال يتعرض أحيانا لبعض طبقات من المجتمع ، والحالات، غريبة من حالاته ، وأوضاع شاذة من أوضاعه ، وقد يعود ذلك بالفائدة على القارئ ، ويساعده في حياته الخاصة ، وسلوكه مع الأفراد والجماعات ، لأنه يقتدى غالبا بكاتب هذا النوع من المقال في طريقة تغلبه على هذه الصعاب .

ومن ثم كان مقال الاعترافات من أكثر المقالات الذاتية ملاءمة للصحافة .

ثالثاً - ان كاتب هذا النوع من المقال كثيراً ما يكون شخصاً غير عادي في نظر القارئ ، وإنما يحقق هذا المقال وظائف كثيرة من وظائف الصحافة منها : الإعلام ، والتسلية ، والإمتاع ، والإرشاد بطريقة غير مباشرة .

وفي هذه الأسباب الثلاثة ما يجعل مقال الاعترافات من أهم مواد الصحافة الحديثة ، وما يجذب إليها نظر القارئ في الوقت الحاضر .

وهكذا أصبح للمقال الأدبي الذي على شكل اعترافات مكان مرموق في الصحافة الحديثة ، كما أصبح مادة لا تستغنى عنها هذه الصحافة .

الفصل الرابع المقال الكاريكاتوري

ربما كان « الجاحظ » أول كاتب إسلامي عالج فن « الكاريكاتور » في تاريخ النثر العربي ، ولقد ترك لنا الجاحظ أعظم رسالة أدبية كتبت في هذا الفن ، ولعلها أعظم رسالة إلى اليوم ، فنحن لا نعلم لها نظيراً فيما كتبه أهل هذا الفن - سواء في الأدب أو في الصحافة - حتى اليوم .

وموضوع رسالة الجاحظ هو السخرية من كاتب من كتاب الديوان اسمه « أحمد بن عبد الوهاب » كتب فيه الجاحظ رسالة أربت على خمسين صفحة من القطع الكبير ، وتفنن فيها الكاتب ألواناً كثيرة جداً من التفنن في السخرية والنقد .

ولا يتسع المقام لذكر شيء عن هذه الرسالة التي كتبها الجاحظ (١) وإن كنا نعتقد أن هذا الكاتب العباسي الكبير - يعتبر بحق - واضعاً لأساس الكاريكاتور في الأدب العربي .

ومنذ ظهرت الصحافة الشعبية في مصر ، في النصف الثاني من القرن الماضي - وكانت الصحافة في ذلك الوقت بمثابة الأدب في جمال الأسلوب - نبغ من رجال الأدب والصحافة كثيرون ، من أشهرهم في فن الكاريكاتور إبراهيم المويلحي صاحب « مصباح الشرق » .
وفي ذلك يقول الأستاذ عبد العزيز البشري (٢) :

« .. ولقد كان هذا من مصباح الشرق الأصل الثابت لهذا اللون من النقد

(١) راجع كتاب « حكم قراقوش » للمؤلف طه الحلبي من ص ٩٨ - ١٠٢
(٢) راجع كتاب « المختار » الجزء لأول للمؤلف ص ٢٢١ ، و« أدب المقالة الصحفية في مصر » للمؤلف ج ٣ ص ٦٨ و ٩٥

- أعني النقد الكاريكاتورى فى مصر ، كما كانت صحيفة المويلحين :
يريد المويلحى الكبير والمويلحى الصغير ، واسمها « أبو زيد ، أول ماعرف
- فيما أعرف أنا - من التصوير الكاريكاتورى فى هذه البلاد ... »

* * *

وفى القرن العشرين ، وفى المرحلة الرابعة من مراحل الصحافة على
سبيل التحديد - وهى المرحلة التى تقع بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ ظهر
المقال الكاريكاتورى على صفحات الصحف المصرية ، ونبغ فيه أدباء
وصحفيون أهمهم ثلاثة رجال هم : الشيخ عبد العزيز البشرى ، والأستاذ
فكرى أباطة ، والأستاذ أحمد حافظ عوض ، الأول نشر فى مجلة السياسة
الأسبوعية ، والثانى نشر فى مجلة الهلال ، والثالث نشر فى مجلة تدعى
« خيال الظل » ، كان يسخر فيها من أعداء حزب الوفد .

ونريد أن نكتفى هنا بنموذج واحد فقط للبشرى بعنوان :

زيور باشا (١)

أما شكله الخارجى وأوصافه الهندسية ورسم قطاعاته ومساقطه
الاقضية ، فذلك كله محتاج فى وصفه وضبط مساحاته إلى فن دقيق وهندسة
بارعة .

الواقع أن زيور باشا رجل - إن صح هذا التعبير - يمتاز عن سائر الناس
فى كل شىء ، ولست أعنى بامتيازته فى شكله الموهول طوله ، ولا عرضه ،
ولا بعد مداه ، فإن فى الناس من هم أبداً منه ، وأبعد طولاً ، وأوفر لهماً ،
إلا أن لكل منهم هيكل واحد ؛ أما صاحبنا ، فإذا اطلمت عليه أدركت
- لأول وهلة - أنه مؤلف من عدة مخلوقات ، لا تدرى كيف اتصلت ،
ولا كيف تعلق بعضها ببعض ومنها ما يدور حول نفسه ، ومنها ما يدور

(١) كتاب « المرأة » للبشرى ص ٧ ، طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٧ ،
وزيور باشا هو أحد رؤساء الوزارات المصرية فى عام ١٩٢٧ .

حول غيره ، ومنها المتيسب المتحجر ، ومنها المسترخى المترهل ، وعلى كل حال فقد خرجت هضبة عالية مالت من شغافها إلى الأمام شعبة طويلة أطل من فوقها على الوادى رأس فيه عينان زائغتان طلة من يرتقب السقوط إلى قرارة المهوى السحيق .

وزيور عند الناس مجموعة متباينة متناقضة متشاكسة ، فهو عندهم كريم وبخيل ، وهو شجاع ورعديد ، وهو ذكى وغبي ، وهو طيب وخبيث ، وهو داهية وغر ، وهو عالم وجاهل ، وهو عفا وشهوان ، وهو وطنى حربى على مصالح البلاد ، وهو مستهتر بحقوق وطنه يجود منها بالطارف والتلاد .

كل أولئك زيور ، وكل هذا قد يضيفه الناس إلى زيور ، فلا تكاد تسعهم مجالسهم بما يأخذهم فيه من الدهشة والاستغراب ، وإذا كان مما لا يمكن في الطبيعة أن يستقيم لرجل واحد ، فقد غلط الناس إذ حسبوا زيورا رجلا واحداً ، والواقع أنه عدة رجال ، وعلى الصحيح هو عدة مخلوقات ، لا تدرى — كما حدثتك — كيف اتصلت ، ولا كيف تعلق بعضها ببعض ، فإذا أدهشك التباين في أخلاقه ، وراعك هذا التناقض في طباعه ، فذلك لأن هذا الجرم العظيم الذى تحسبه شيئاً واحداً مؤلف في الحقيقة من عدة مناطق ، لكل منها شكاه وطبعه ، وتصوره ، وحظه من التريبة هو التهذيب ، فمنها العاقل ، ومنها الجاهل ، ومنها الحكيم ، ومنها الغر ، ومنها الكريم ، ومنها البخيل ، ومنها المصرى ، ومنها الجركسى ، ومنها الفرنسى ، ومنها الإنجليزى ، ومنها المالطى ، كل منها يجرى في مذهبه ، ويتصرف في الدائرة الخاصة به ؛ فلا عجب إذا صدر عن تلك المجموعة الزبورية كل ما ترى من ضروب هذه المتناقضات .

والظاهر أن زيور باشا — برغم حرصه على كل هذه الممتلكات الواسعة — عاجز تمام العجز عن إدارتها ، وتوليها بالمراقبة والإشراف ، وما دامت الإدارة المركزية فيه قد فشلت كل هذا الفشل ، فأحرى به أن

يبادر فيعلن إعطاء كل منها الحكم الذاتي ؛ على أن تعمل مستقلة بنفسها على التدرج في سبيل الرقي والكمال ، وحسب عقله في هذا النظام الجديد أن يتوافر على إدارة رجليه وحدهما ، ولعله يستطيع أن يسيرهما في طريق الأمن والسلام . ١١

ولإني أورد عليك طائفة يسيرة تدلك على ما في هذه المجموعة الغريبة من ضروب المتناقضات التي تجزم منها بأن ذلك الخلق ليس شيئاً واحداً ، وإنما هو في الحقيقة عدة أشياء !

وأن ظالماً أن يؤخذ البريء بجريمة الآثم ، وأن عسفاً أن يعاقب البريء بما أجرم الظالم ، فقد يكون الذي اقترف كل هذه الآثام هو كوع زيور باشا الأيسر ؛ أو القسم الأسفل من « لعدده » ، أو المنطقة الوسطى من نخذه اليمنى ، أو غيرهما من تلك الكائنات التي تجمعت في هيكله العظيم !

فما شأن تلك المخملوقات كأنها تجر إلى مواطن الاتهام ، وتعاقب بما ارتكب بعضها من الجرائم والآثام ؟

إن الحق والعدل ليقضيان بأن يؤلف مجلس النواب - إن شاء الله - لجنة تقوم بعمل التحقيق في جسم صاحب الدولة ، فتسأل أعضائه عضواً عضواً ، وتحقق مع أشلائه شلواً شلواً ، حتى يفرق منها بين المحسن والمسيء ، ولا يخلط في العقوبة بين المجرم والبريء .

ولعل العضو الوحيد المقطوع ببراءته من كل ما ارتكب من الآثام هو مخ زيور باشا ، فما أحسبه شارك ولا دخل في شيء من كل ما حصل .
« انتهى المقال ، »

* * *

وأنت ترى أن هذا النوع من النقد إنما يقوم في جملته على التماس العيوب الرئيسة في شخص ما ، وترك القلم يعرضها عرضاً كاريكاتورياً يزيد في تشويهها ما يرد على ذهن الكاتب في أثناء كتابته من ضروب التشبيه ،

وما يحضره من فنون التمثيل ، ولا يزال الكاتب يتوسع في الموضوع عن طريق التوليد للمعاني من جهة ، وإيراد النسكت البارعة من جهة ثانية حتى تستكمل عنده الصورة القلمية الكاريكاتورية كل عناصر الإضحاك والسخرية والتناهي : لشخص الذي هو موضوع هذه الصورة بالذات .

والصورة الكاريكاتورية القلمية منذ القدم تتألف من العناصر الآتية ، وهي :

أولاً - عنصر التجسيم للعيوب ، أو المسخ لصورة الشخص الذي هو موضوع الكاريكاتور .

وكما قلنا تقوم طريقة الكاريكاتور على المبالغة في تصوير العيوب : فالرجل ذو الأنف الكبير يبدو بريشة الرسام وقلم الكاتب كأن وجهه كله عبارة عن أنف ، والرجل القصير يبدو كذلك كأنه أقصر من طفل ، والرجل البدين يظهر في شكل من البدانة والضحامة قل أن يكون له نظير في الحياة الواقعة نفسها ، وهكذا .

ثانياً - عنصر التوليد - وهو ما يتاح للكاتب ولا يتاح للمصور ، وبه يعتمد الكاتب على توليد المعاني ، واستطراد الأفكار ، وكل معنى منها يذكر بآخر ، وكل فكرة منها توحى بأخرى ، وهكذا حتى يستنفد الكاتب كل هذه المعاني والأفكار ما استطاع .

ثالثاً - عنصر التندر أو ذكر النسكات التي ترد على ذهن الكاتب في أثناء الكتابة ، وهنا تظهر براعته في طريقة الإيراد ، بحيث تبدو كل واحدة من هذه النسكات وكأنها لم تذكر إلا في هذا الموضع الذي يشير إليه الكاتب بالذات ، أو كأنها لم تذكر إلا من أجل هذا الشخص الذي هو موضع السخرية والتندر .

رابعاً - عنصر التشبيه أو التمثيل ، وهو العنصر الذي يستوحى فيه الكاتب خياله ، ويستعين به على عملية « المسخ » التي أشرنا إليها ، وكثيراً

ما يتسلسل السكاتب في هذه الحالة على كلام القدماء ، وأهاجى الشعراء ،
وحكايات العامة أو نحو ذلك .

وأكثر من هذا وذاك أنك ترى صاحب القلم السكاريكاتورى يعتمد
في توفير هذا العنصر الأخير من عناصر الصورة على كلام القدماء ، وعلى
تحويل هذا الكلام من معناه الأصيل الذى وضع له إلى المعنى الجديد الذى
أراده صاحب القلم السكاريكاتورى .

ومن الأمثلة على ذلك أن الشيخ عبد العزيز البشرى فى سخريته
« بزبور باشا ، على النحو السابق استشهد بيت من أبيات أبي نواس وهو :
وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

والمعروف أن أبا نواس ذكر هذا البيت من الشعر فى معرض المدح
لخليفة من خلفاء بنى العباس ، ولكن « البشرى ، ذكر هذا البيت نفسه
فى معرض التعريض ، وإضحاك الناس من شخصية « زبور باشا » .

ولا يكاد هذا الفن - وهو فن القلم السكاريكاتورى - ينقسم إلى أكثر
من هذه العناصر الأربعة ، وهى متى توافرت فى مقال بما بلغ هذا المقال كل
ما قصده السكاتب من ورائه ، وفى هذه العناصر السابقة ، وفى كل عنصر
منها على حدة مجال واسع يتنافس فيه السكاتب وأصحاب الأقلام ، ويظهر
نبوغهم وتجلى عبقريتهم إما فى نقد الأشخاص ، وإما فى نقد الأفكار
والموضوعات .

وغنى عن البيان أن المقال السكاريكاتورى لا يزدهر إلا فى أوقات
الآمن واستمتاع الناس بكل أنواع الحريات ، فليس من السهل على كاتب
هذا النوع من المقالات أن يعرض حياته للخطر الذى يصبه من الشخصية
المرموقة التى هى موضوع المقال .

أما فى أوقات الظلم والطغيان ، وأوقات الرقابة المفروضة على الصحف
فإن الصحافة لا تلجأ إلى القلم السكاريكاتورى بحال من الأحوال ، وإنما

تستعصم عنه بالرسم الكاريكاتورى الذى يراه القراء فى الصحف ، ويفهمون مضمونه ومقصوده ، ويكون الرسام والصحيفة مع ذلك بمأمن من بطش الحاكم أو السلطان الذى رسمت من أجله الصورة الساخرة .

ويسير علينا أن نلاحظ كذلك أن القلم الكاريكاتورى لا يوجد إلا فى فترات نهضة الأدب ، وكثيراً ما يكون دليلاً من دلائل هذه النهضة الأدبية فى ذاتها ، ذلك أن هذا الفن الأدبى الرائع فى ذاته يحتاج إلى قدرة أدبية من نوع خاص ، كما يحتاج إلى قدر من الذكاء من نوع خاص أيضاً ، ثم لا غنى له مع هذا وذلك عن قدر من الثقافة يعين الكاتب على توفير العناصر الأربعة المتقدمة للقلم الكاريكاتورى .

وأخيراً لا يستغنى صاحب هذا الفن الأدبى الرائع عن أن تكون له صفات ذاتية يخف بها كلامه على الناس ، ومن هذه الصفات - على سبيل المثال - أن يكون ظريفاً غاية الظرف ، وأن يكون خفيف الظل فى كتاباته كاحسن ما تكون خفة الظل ، وأن يكون فى طبعه مرح ، وفى أفقه سعة ، وفى ذهنه ذخيرة هائلة من التجارب الإنسانية التى خبر بها الناس خبرة جيدة .

وهذه وتلك مواهب تخص بها الطبيعة فريقاً من الناس دون الفريق الآخر ، وفى الصحافة المجال الواسع للانتفاع الكامل بهذه الميزات أو المواهب فى الإنسان .

كيف يكتب المقال الأدبى :

ذهب النقاد إلى أن المقال إنما يتألف من مقدمة وصلب وخاتمة ، وفى المقدمة يستهل الكاتب كلامه بفكرة عامة أو خاطرة من الخواطر التى مرت بذهنه ، ووقف أمامها متأملاً ومستغرقاً فى تأمله ، وعلى هذه الفكرة أو الخاطرة يبني الكاتب مقاله ، ويأتى بعد ذلك صلب المقال ، فإذا هو شرح لهذه الفكرة وتعليق عليها وإيراد لبعض الأمثلة والشواهد .

مولابد أن تكون هذه الأمثلة مشتقة من واقع الحياة ، أو نابعة من شخصية الكاتب الخاصة ، وأخيراً تأتي الخاتمة ، وهي تلخص موضوع المقال وتأتي بنتيجته .

والذي لا ريب فيه أن للمقدمة التي يستهل بها الكاتب مقاله أهمية بالغة ، فهي التي تجذب القارئ فيمضي في القراءة ، وهي التي تصدّ القارئ فيقف عن القراءة ، وهنا يتفاوت البلاء في العبارات البلاغية التي يستهلون بها مقالاتهم .

وكذلك الشأن فيما يتعلق بالخاتمة ، فإنها آخر ما يبقى في ذهن القارئ ، ولا بد أن تكون الخاتمة قوية جامعة محكمة في آن واحد .

وهناك طريقة أخرى في تحليل المقال الأدبي ، وكيف يكتبه الكاتب ، وتتألف هذه الطريقة في تقسيم المقال إلى عنصرين : هما المضمون ، والقالب ، والقالب بدوره ينقسم إلى قسمين هما : التصميم والأسلوب (١) : وقد عرف « والتر باثر » تصميم المقال في مقالته المعروفة عن الأسلوب فقال :

« التصميم هو ذلك التصور البنائي للموضوع الذي يتكهن بالنهاية منذ بدايته وهو في أي جزء من الأجزاء يلفت إلى الأجزاء الأخرى ويدل عليها ، حتى إذا وصل القارئ إلى العبارة الأخيرة انضح له كنه العبارة الأولى وبرر وجودها دون أن يحس بأي فتور ، (٢) .

و الخلاصة ، أن التحرير في ذاته هو التفكير والتعبير ، فالتفكير هو المضمون أو الفكرة أو الخاطرة ، كما تقدم في العبارات السابقة ،

(١) محمد يوسف نجم : فن المقالة ص ١١٩

(٢) محمد يوسف نجم فصل عن : Stgle P. 399 : Aa. W. Patev

والتعبير هو الأسلوب أو هو الوعاء الذي يحمل المعنى أو الفكرة أو الخاطرة ، وكما أن البيت في بنيانه يحتاج إلى مهندس تصميم ، ومهندس تنفيذ ، فكذلك المقال في إنشائه يحتاج إلى طريقة أو طراز أو أسلوب أو نظام يتبعه الكاتب في هذا الإنشاء .

وسنعود إلى الكلام في هذا الموضوع عندما نعرض للمقال في المجلة
الدرية .

الفصل الخامس

مقال الخواطر والتأملات

نبغ في هذا النوع من المقال كثيرون من كتابنا ، وربما كان من أظهرهم بنى ذلك « أحمد أمين » ، الذى وصف لنا الكاتب الدقيق فقال : « إنه الكاتب الذى يسمع حفيف الأشجار ، وديب النمل ، ويرى دقيق الأشياء فى الظلمة ، ويرى قلوب الناس فى أعينهم ، ودخائلهم فى صفحات وجوههم ، وقد يرى بأذنه ، ويسمع بعينه ، وقد يرى ما لا يراه الناس ، ويسمع ما لا يسمع الناس ، وقد يدرك الجمال بتفاصيله ، كما يدرك القبح بتفاصيله ، حتى كأنه قد منح من الحواس ما لم يمنحه سائر الناس ، وكان حواسه ليست خمسا وإنما هي خمسون أو خمسمائة أو مائتة » (١) .

وهذا الوصف للكاتب الدقيق ينطبق على « أحمد أمين » ، كما ينطبق على غيره من الكتاب الواقعيين الذين يميلون دائما إلى وصف الحياة الواقعة كما تبدو لأعينهم ، وكما تفهمها عقولهم ، لا يغيب عن علمهم شيء من دقائق هذه الحياة ، ولا تفوتهم همسة من همساتها .

ومعنى ذلك أن موضوع المقالات الأدبية بوجه عام ومقالات التأملات والخواطر بنوع خاص هو كل شيء فى المجتمع ، ذلك أن الكاتب الفنى هو من استطاع أن يجد من كل شيء موضوعا يجيد فيه ويستخرج أعجاب القارىء ، ومن استطاع أن يجد من كل شيء نواة يؤلف حولها ما يصلح لها حتى يخرج موضوعه ملسقا تنسيقاً يبهى السامع والقارىء . وهو فى تأليفه قد يضم الشيء إلى إلفه ، وقد يضمه إلى تقيضه ، وقد يصل به

(١) راجع « فيض الخاطر » أحمد أمين ، الجزء الأول من ١٧٩ و ١٨٠

الكلام في الذرة إلى الكلام في الشمس ، وقد يصل به الكلام في الغلظة إلى الكلام في الله ، ولكن القارىء لا يشعر بمفارقات ، ولا يشعر بهوة بين أجزاء الكلام ، ويسير مع الكاتب كأنه في حلم لذيد أو قصة محبوبكة ، (١)

وقد كتب « أحمد أمين » مقالات كثيرة في باب الخواطر والتأملات ، نشر بعضها في مجلة « الثقافة » ، وبعضها في مجلة « الرسالة » وبعضها في مجلة « الهلال » وجمع كل هذه المقالات في كتاب له بعنوان « فيض الخاطر » وقد رأينا أن نقف عند نموذج واحد من هذه المقالات على سبيل المثال ، وهو مقال له بعنوان :

سلطة الآباء

كتب الكاتب في نقد المجتمع الحديث كتاباً بدأه بقوله :

رحم الله زمانا كان الأب فيه الأمر الناهي ، والحاكم المطلق ، والملك غير المتوج ، ينادى فيتسابق كل من في البيت إلى ندائه ، ويشير بإشارته أمر ، وطاعته غم . تحذنه الزوجة في خفر وحياء ، ويحذنه الابن في إكبار وإجلال ، ويرى من سوء الأدب أن يرفع إليه بصره ، أو يرد عليه قوله ، أو يراجعه في رأى ، أو يجادله في أمر . أما البنت فإذا حدثها لف الحياء رأسها ، وغضن الخجل طرفها ، قليلة الكلام ، متحفظة الضحك ، خافضة الصوت ، تتوهم أنها أخطأت في التافه من الأمر فيندى جبينها ، ويصيح الخجل وجهها ، وإذا جاء حديث الزوج والزواج فإلى أمها التحذرت لا إلى أبيها ، وبالتلويح والتلميح لا بالتصريح ، والأمر إلى الأب فيما يقبل وفيما يرفض ، وفيما يفعل وفيما لا يفعل ، .

(١) نفس المصدر ص ١٧٩ .

ومضى الكاتب في مقاله على هذا النحو ثم قال :
« لقد ودعنا ذلك الزمن بخيره وشره ، وحلوه 'ومره ، واستقبلنا
زمانا صار فيه الأبناء آباء ، ... »
ثم يقول :

« قالت الخطيبة لخطيبها : الناس أحرار ، وأنا إنسان وأنت إنسان ،
فإن اعتززت بالكسب اعتزرت بالإفناق ، وإن اعتززت بالرجولة اعتزرت
بالأنوثة ، وإن اعتززت بأى شيء فأنا أعتز بمثله وبخير منه ، فأنا وأنت
شريكان : لاسيد وأمة ، ولا ملك وملك ، لى كل الحقوق التى لك ، وقد
يكون علىّ بعض الواجبات التى عليك ... يمكنك أن تحصل على المال وعلىّ
الإفناق ، ولك السلطان التام فى اختيار طرق التحصيل ، ولى الخيار التام
فى وجوه التبيد ، أنت للبيت والبيت لى ، وإن كان لك أم فقد شيعت
سلطة فى الماضى أيام كانت زوجة ، فلا حق لها أن تنعم بسلطانها وسلطان
غيرها ، فليس لها الحق إلا أن تأكل ، كما ليس لك الحق فى أن تحبها ، فالحب
كاه للزوجة ، إنما لك أن ترحمها. والدين لا شأن لك فيه بتاتا ، فهو علاقة
بين العبد وربّه ، وكل إنسان حر فى أن يحدد هذه العلاقة كما يوسحى إليه
قلبه ، فإن شئت أن تتدين فتدين ، على شرط ألا تقلب نظام البيت وتقلق
راحتى وراحة الخدم .

ورأى الرجل أن الأحكام قاسية ، والشروط فادحة ، وهام يبحث
بين الممدنات عن ترضى به زوجا على الشروط القديمة فأعياه البحث
إلى أن يقول : تم الزواج وفرحت الزوجة بالظفر فغالت فى الطلب ،
وابتدعت كل يوم مطالبا جديداً ، وأرادت أن تلتقم لأمهاتنا من آباته
فى شخصه ، فطالما أظعن ، وطالما خضعن ، فليطع دائما وليخضع دائما
جزاء وفاقا على ماجنى آباؤه وأجداده ...

قالت : إن رقصت رقصتُ ، فذلك حقك وحقى ، قال : نعم .
قالت : بل إن لم ترقص رقصت ، لأنك إن أضعت حقك لم أضع حقى ،

وإن خاللت خاللت ، فالجزء من جنس العمل ، بل إن لم تخالل ربما خاللت ، لأن حياة الزوجية البهتة قد يعثر بها الركود والسأم والملل . . .
فصرخ الرجل ولف الغضب وجهه ، وحاول أن ينكل بها فتراجعت
وسحبت مطلبها الأخير ، ورأت من الحكمة أن تترك بعض الشيء حتى يبلغ
ريقه من أثر الصدمة الأولى ، ويستعد للصدمة الثانية ، فإن لم يسعفها
الزمان أوصت بناتها بشروطها الجديدة . . .

قالت : وسيكون أول ما أوصى به ابنتي أن تأخذ قياس خطيبها ، ثم
يكون من أول جهازها أن تفصل له برذعة ولجاما على قدره ، فتضع البرذعة
عليه ، وتركبه إذا شاءت ، وتشكمه باللجام إذا حاول أن يتحرك يمينا
أو شمالا على غير رغبتها .

وشاء الله أن يرزقا بنين وبنات :

... وقد رأوا أن الأم لا تجل الأب فلم يجلوه ، ولم تمره كبير التفات فلم
يعيروه ، ورأوا تبذر في مال الأب فبذروا ، ورأوا حرة التصرف
فتحرروا ، ورأوا تخرج من البيت من غير إذن الأب فخرجوا ورجعها
وتعود إلى البيت متى شئت ففعلوا فعلها ، ورأوا لا تتدين فلم يتدينوا ..
وقال الأبناء لأبيهم :

إننا مخلوقون لزمان غير زمانك فاخضع لحكم الزمان ، وقد نشأنا في
زمن الحرية في الآراء ، والحرية في الأعمال ، والحرية في التصرف لا كما
نشأت في جو من الطاعة والقيود والأسر والتقاليد ، فمحال أن يسع
ثوبك الضيق أبداننا ، وتقاليدك العتيقة البالية نفوسنا .

قال نعم : قالوا : وأنت الذي سمحت لنا بادیء ذی بدء أن نخشى دور
السينما والتمثيل ، وأن نسمع الأغاني البلدية ، وأن نشهد المراتق الأوربية
فاذا أقررت المقدمة فلا تهرب من النتيجة ، فأنت الذي عودنا ألا نضع للبيت
ذميرانية ، لأنك تعطى راتبك لأمننا تنفق منه من غير حساب ، فإن انتهى في

نصف الشهر طلبت منك أن تقترض ، فاقترضت ، وأن تشتري مالا حاجة لنا به . . . فاشتريت . . . فليس لك أن تطالبنا بالاعتصاف في الجدول الصغير والنهر الكبير ليس له ضابط . . . قال نعم . قالوا وقد أضعت سيادتك على أمننا ، فلم تقترض سيادتك علينا ؟ وهي أم الحاضر وأنت أبو الماضي ، ونحن رجال المستقبل قال : نعم .

وقالت البنات لآيين :

يا أبانا الذي ليس في السماء : رقصت أمنا فرقصنا ، وشربت أمنا فشربنا ، وشربت سرا فلتسمح لنا بحكم تقدم الزمان أن نشرب جهرا ، ورأينا في روايات السينما والتمثيل حبا فاحبيننا ، ورأينا عريا في الشواطئ فتعرينا ، وتزوجت أمنا ياذن أبيها فلنتزوج نحن ياذننا .

قال : نعم ، قلن : وقد أو صتنا أمنا أن نركب الزوج ، ولكننا أمام مشكلة يشغلنا حلها ، فإننا نرى شباب اليوم متمردين لا يخضعون خضوعك ولا يستسلمون استسلامك . . .

يا أبانا : هل البيت ضرورة من ضرورات الحياة ؟

أليس نظام الأسرة نظاما عتيقا من آثار القرون الوسطى ؟ قال : نعم ، قلن على كل حال يصبح أن يجرب جيل النساء الجديد مع جيل الرجال الجديد ، فإن وقع ما خشينا عشنا أحرارا وعاشوا أحرارا ، وطالبنا بتسهيل الطلاق ، ويهدم المحاكم الشرعية على رؤوس أصحابها .

قال الأب : وماذا تفعلن بما ترزقن من أبناء وبنات ؟ قلن : لك الله يا أبانا ! إنك لا تزال تفكر بعقل جدنا وجدتنا ، لقد كسنت أنت وأبوك وجدك تحملون أنفسكم عناء كبيراً في الأولاد ، وتضحون بأنفسكم وأموالكم في سبيلهم ، وتعيشون لهم لا لكم ، أما عقليتنا نحن أهل الجيل الحاضر فإن نعيش لأنفسنا لا لغيرنا ، لقد ضحك عليكم الدين . والأخلاق ففهمتم أن

الواجب هو كل شيء ، وكشفنا نحن اللعبة ففهمنا أن اللذة هي كل شيء ،
فنحن نمنع النسل ، فإذا جاء قسرا فليعش كما يشاء القدر ...

قال الأب : وأمر المال كيف يدبر ؟ كيف تعشن أنتن وأولادكن
إذا كان طلاق وكان فراق ؟ قلن : هذا ظل آخر ظريف من ظلال
تفكيرك ، دع هذا يا أبانا والبركة أخيراً فيك .

أما بعد ، فقد خلا الأب يوماً إلى نفسه ، وأجال النظر في يومه
وأمه ، فبكى على أطلال سلطته المنهارة ، وعزته الزائلة ...

هذه تأملات وخواطر خطرت لكاتب المقال في النماذج الحديثة للحياة ،
وهي النماذج التي لا يرضى عنها الآباء بحال من الأحوال ، بل لأنهم يرون فيها
الخطر كل الخطر على كيان المجتمع وعلى حياة الأسر ، وقد بي السكاتب
مقاله هذا على الموازنة الدقيقة بين حياة الأسرة في الجيل القديم وحياة
الأسرة في الجيل الجديد . وهدفه من ذلك أن يحذر من الأخطار الناجمة
عن المبالغة في التجديد الذي ينخدع به الجيل الجديد .

و لإحمد أمين ، مقال آخر في باب الخواطر والتأملات يحسن بنا أن
ننقله للقارئ فيما يلي :

الرأى والمقيدة

قال فيه :

« فرق كبير بين أن نرى الرأى وأن نعتقده ، إذا رأيت الرأى
فقد أدخلته في دائرة معلوماتك ، وإذا اعتقدته جرى في دمك ، وسرى
في مخ عظامك ، وتغلغل إلى أعماق قلبك ، ذو الرأى فيلسوف يقول : إنى
أرى الرأى صوابا ، وقد يكون في الواقع باطلا ، وهذا ما قامت الأدلة عليه
اليوم ، وقد تقوم الأدلة على عكسه غدا ، وقد أكون مخطئا فيه ، وقد أكون

مصيبيها ، أما ذو العقيدة فجازم بأنه لاشك عنده ولا ظن ، عقيدته هي الحق .
لا محالة ، هي الحق اليوم ، وهي الحق غدا ، لأنها خرجت عن أن تكون
بجبالا للدليل ، وسمت عن معترك الشكوك والظنون .

ذو الرأي فاتر أو بارد ، إن تحقق ما رأى ابتسم ابتسامة هادئة
رزينة ، وإن لم يتحقق ما رأى فلا بأس ، فقد احتس من قبل بأن رأيه
صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيره خطأ يحتمل الصواب ، وذو العقيدة حار
متحمس لا يبدأ إلا إذا حقق عقيدته ، هو حرج الصدر لطيف القلب ،
تننأجي في صدره الهموم ، أرق جفنه وأطال ليله تفكيره في عقيدته ،
كيف يعمل لها ، ويدعو إليها ، وهو طلق المحيا ، مشرق الجبين إذا أدرك
غايته ، أو قارب بغيته .

ذو الرأي سهل عليه أن يتحول ويتحور ، وهو عبد الدليل أو عبد
المصلحة التي تظهر في شكل دليل ، أما ذو العقيدة فخير مظهر له ما قاله
رسول الله : « لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع
هذا الذي جئت به ما تركته » ، وكما يتجلى في دعاء عمر ، اللهم إيماننا
كإيمان العجائز .

ولقد رووا عن سقراط أنه قال : إن الفضيلة هي المعرفة ، وناقشوه
في رأيه ، وأبانوا له خطاه ، واستدلوا بأن العالم قد يكون في ناحية والعمل
في ناحية ، وكثيرا ما رأينا أعرف الناس بمضار الخمر شاربها ، وبمضار القمار
لاعبه ، ولكن لو قال سقراط : إن الفضيلة هي العقيدة لم أعرف وجهها
للرد عليه ، فالعقيدة تستتبع العمل على وفقها لا محالة ، فقد ترى أن الكرم
فضيلة ثم تبخل ، والشجاعة خيرا ثم تجبن ، ولكن محال أن تؤمن بالشجاعة
والكرم ثم تبخل أو تجبن .

العقيدة حق مشاع بين الناس على السواء ، نجدها في السنج ، وفي
الأوساط ، وفي الفلاسفة ، أما الرأي فليس إلا للخاصة الذين يعرفون
الدليل وأنواعه ، والقياس وأشكاله ، والناس يسبون في الحياض بعقيدتهم .

فأكثر مما يسبغون بأرائهم ، والمؤمن يرى بعقيدته مالا يرى الباحث برأيه ، قد منح المؤمن من الخواص الباطنة والذوق ما قصر عن إدراكه القياس والدليل .

لقد ضل من طلب الإيمان بعلم الكلام وحججه وبراهينه ، فنتيجة ذلك كله عواصف في الدماغ أقصى غايتها أن تلتج رأيا ، أما الإيمان والعقيدة فموطنهما القلب ، ووسائلهما مد خيوط بين الأشجار والأزهار والبحار والأنهار وبين قلب الإنسان ، ومن أجل هذا كانت الآية السكرية .
« أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ، أفعل في الإيمان من قولهم : « العالم متغير وكل متغير حادث » ، فالأول عقيدة والثاني رأى .

الناس إنما يخضعون لذي العقيدة ، وليس ذوو الرأي إلا ثنائين عنوا بظواهر الحجج أكثر مما عنوا بالواقع ، لا يزالون يتجادلون في آرائهم حتى يأتي ذو العقيدة فيكتسحهم

وسار السكاتب في مقاله على هذا النهج حتى ختمه بقوله :

« ليس ينقص الشرق لموضه رأى ، ولكن تنقصه العقيدة ، فلو منح الشرق عظماء يعتقدون ما يقولون لتغير وجهه ، وحال حاله ، وأصبح شيئا آخر .

وبعد ، فهل حرم الإيمان مهبط الإيمان ؟

إن هذا المقال إلى الخواطر الفلسفية أدنى منه إلى الخواطر الأدبية ، أو الاجتماعية ، وهو نموذج جيد لهذا الطراز بنوع خاص .

الفصل السادس

المقال العلمي

المقال العلمي ، من حيث هو نوعان ، نوع يكتب للمتخصصين ، ونوع يكتب لغيرهم من القراء ، والأول مكانه السكتاب العلمي ، أو المجلة العلمية التي تصدرها الهيئات أو المؤسسات التي توفرت على نشر العلم ، والثاني مكانه الصحيفة اليومية ، والمجلة الدورية ؛ أسبوعية كانت أم شهرية أم سنوية ، والأول ليس موضوعاً لبحثنا هذا ، أما الثاني فموضوع اهتمام الصحافة ، ومدار عنايتها ، ومادة من موادها لا يستطيع الاستغناء عنها بحال ما .

والمقال العلمي الذي تنشره الصحف والمجلات إنما يحقق غرضين من أغراض الصحافة الخمسة التي أشرنا إليها في غير هذا الفصل ، وهذان الغرضان هما :

١ - التوجيه والإرشاد .

٢ - التسلية والإمتاع .

وليس شك في أن الناس جميعاً في احتياج إلى من يرشدهم على الدوام فيما يتصل بحياتهم العقلية ، وحياتهم الفنية ، أو بعبارة أخرى : في احتياج إلى الغذاء العقلي ، والغذاء الفني ، وهذا أو ذاك إنما يتم لهم عن طريق المقال العلمي في الصحيفة أو الإذاعة .

والذي لاشك فيه أيضاً أننا في عصرنا هذا لا نستطيع - ولو حرصنا - أن نلم بجميع العلوم والفنون ، لأننا في عصر التخصص العلمي والفني ، لكل واحد منا شعبية خاصة من شعب المعرفة أو الفن ، توفر عليها ، واستأثرت بعقله وقلبه ، بل امتزجت بروحه ودمه .

نير أنه إلى جانب هذا التخصص العلي أو الفني لا غنى للثقفين في الأمة عن الأخذ من كل علم من العلوم الإنسانية بطرف ، وبهذه الطريقة تستروح العقول البشرية من جهة ، ويحدث التوازن العقلي والروحي للواطن المثقف من جهة ثانية .

وقد أدركت الصحافة منذ نشأتها هذه الحقيقة ، فدرجت على إمداد قرائها من حين لآخر بتلك الفصول العلمية المفيدة ، والمقالات الفنية الطريفة يتعلمون منها حيناً ، ويتسلون بها أحياناً ، ويجدون في كلنا الحالين لذة عقلية ربما لا تضارعها ائدة مادية من لذائذ الحياة .

ثم إن القراء أنفسهم -- بالقياس إلى المقال العلمي -- طوبقتان كما سبقت الإشارة إلى ذلك :

طبقة لا تعرف إلا علماً واحداً ، أو فناً مفرداً ، ولا صلة لها تقريباً بغير ذلك من العلوم أو الفنون .

وطبقة لا تعرف شيئاً من هذا أو ذلك ، ولم تخصص في شيء من هذا أو ذلك ، وانكبتها تميل إلى أن يكون لها بعض الإلمام بهذا الشئ من المعلومات .

وما دام الأمر كذلك فلا مناص للصحيفة من الاعتراف بهذا الوضع . وبالتفكير بهذا القيد في كتابة هذا النوع من أنواع المقال ، وبعبارة أخرى ينبغي أن تتوافر في المقال العلمي الذي تنشره الصحيفة شروط عدة ، منها ما يلي :

أولاً - الإقلال جهد المستطاع من المصطلحات العلمية المعروفة عند أهل هذا العلم أو ذلك من العلوم التي يتعرض لها المقال .

ومعروف أن لكل علم منها عشرات ، بل مئات من المصطلحات يعرفها المشتغلون بهذا العلم معرفة جيدة ، وكلها جد جديد من هذه المصطلحات ، بادروا إلى معرفته ، وأخذوا في تداوله ، أما غيرهم

من الناس فلا علم لهم بهذه المصطلحات ، ولهذا وجب على كاتب المقال العلمى بالذات أن يقتصد - ما أمكنه - في ذكر هذه المصطلحات .
ومع هذا وذاك ينبغي للمحرر العلمى أن يدرك أن القارىء لا يضيره أن يقرأ لفظاً علمياً غريباً على مسامحة إذا دعت الضرورة إلى استعماله فى المقالة .

ولا ينبغي للمحرر فى هذه الحالة أن يعتذر عن استعمال هذا اللفظ ، ولا أن يحاول شرحه شرحاً علمياً مستفيضاً ، فله - مثلاً - أن يستخدم لفظ الوحدة الحرارية ، ولكن ليس عليه أن يشرح هذه الوحدة الحرارية من الوجهة العلمية ، بل يقول مثلاً : إن ثلاث قطع من السكر ، أو قطعة صغيرة من الزبد تولد مائة وحدة حرارية ، وإن الإنسان يحتاج إلى مائة وحدة حرارية فى الساعة عادة ، وإلى مائة وستين وحدة إذا كان يقوم بعمل مجهد ، (١) .

ثانياً - تبسيط المعلومات التى يقدمها الكاتب للقراء مراعاة منه لهذه الحقيقة - التى أشرنا إليها الآن - وهى أنه إنما يكتب لغير المتخصصين من القراء .

والكتاب والمحررون فى مجال التبسيط درجات :

فمنهم من وهب المقدرة على شرح المادة العلمية الصعبة بطريقة سهلة على الأسماع ، تعرف طريقها إلى الأذهان ، ومنهم من غلبت عليه الصبغة العلمية الخالصة ؛ وعجز عن التخفف منها ، ولم يستطع أن يقدم للصحيفة غذاء ما فى هذه الناحية .

ثالثاً - اصطناع القوالب الأدبية - كلها أمكن ذلك - فى التعبير عن المادة العلمية ، ومن هذه القوالب - على سبيل المثال - قالب القصة ، وبها

(١) كيف تصبح صحفياً ، لكارل وارن ، ترجمة عبد الحميد سرايا ، الصفحة الأخيرة .

يستطيع الكاتب القدير أن يحيل هذه المواد الجافة إلى قصص حية تحس فيها كأن الطبيعة نفسها تتكلم وتتحرك ، أو كأن الحقائق العلمية ذاتها أشخاص تذهب وتجيء ، وتؤدي أدوارها كأحسن ما يكون الأداء .
وبهذا الأسلوب الجذاب يستطيع الكاتب المتمرن أن يحدثنا عن الطبيعة وظواهرها في قصص :

فقصة للمطر ، وقصة للقمر ، وقصة للبركان ، وقصص للجبال .
أو الوديان ، وهكذا .

ثم بهذا الأسلوب الجذاب يستطيع الكاتب أيضاً أن يحدثنا عن الإنسان ، وعما يعرض له من حالات الصحة والمرض ، وكل ذلك في قصص تمتع .

فقصة عن السرطان ، وقصة عن الشلل ، وقصة عن الجرائم ،
وقصة عن الميكروب ، وقصة عن الأنسولين ، وأخرى عن الباسلين ،
وثالثة عن أنواع الفيتامين ، وهكذا .

رابعاً -- ربط المعلومات الطريفة التي يأتي بها الكاتب في مقاله بحاجة من حاجات القراء ، أو رغبة من رغباتهم ، حتى ولو كانت هذه النزعة مجرد التأمل في قدرة الخالق ، وكثيرون من الناس تحفرهم هذه النزعة الأخيرة إلى القراءة .

خامساً -- عدم طغيان الصفة الذاتية على الصفة الموضوعية وإن كان ذلك لا يمنع من وجود مسحة ذاتية صريحة تبتث في المقال شيئاً من الحياة والإشراق .

ومهما يكن من شيء ففي مجال المقال العلمي الآن تنافس الصحافة والإذاعة أيهما أجدى على القارئ أو السامع ، وأيها أقدر من الأخرى على تثقيفه بشئ المعارف التي تجمعها أفلاك ثلاثة يسبح فيها العالم ، وهي :

الله ، والطبيعة ، والإنسان .

قيمة المحرر العلمي :

ومعنى ذلك أن أمام المحرر العلمى مجالات كثيرة يتجه فيها إلى القراء والمستمعين والمشاهدين عن قصة العلم ، وهى قصة من أمتع القصص التى يمكن أن يتتبعها المواطنون الراغبون فى تنوير أذهانهم بالثقافات العلمية على اختلافها .

لقد مر العالم إلى يومنا هذا بثلاثة عصور علمية كبيرة ، وهى عصر التجارة ، وعصر الكهرباء ، وعصر الذرة ، والمؤلم فى كل ذلك أن للغريين دون العرب الفضل كل الفضل فى هذه العصور الثلاثة :

أما العرب فقد ظلوا متفرجين طوال هذه العصور ، ولم يكن إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين أن بدأ العرب يشاركون فى الميادين العلمية .

ومهما يكن من شىء فقد كان على الصحيفة الحديثة أن تقوم بواجبها نحو تزويد المواطن الجديد بالمعلومات الكثيرة عن قصة العلم التى أشرنا إليها .

ففى اخترعت المطبعة ، ومتى اكتشفت أمريكا ، ومتى نادى العلماء بكروية الأرض ودورانها حول الشمس ، ومتى عرف العلماء شيئاً عن الدورة الدموية ، ومتى عرفوا قانون الجاذبية ؟ ، وما هى قصة الآلة البخارية ، وإلى أى حد انتفعت الصناعة بهذه الآلة الجديدة ، وما هو التلغراف ، السكر باتى ، ومتى نجح الإنسان فى تحويل الحديد إلى صلب ، ومتى استخدمت الإبرة المغناطيسية فى جهاز الاستقبال التلغرافى ؟ ١٤ .

وكيف واجهه داروين جميع الناس فى عصره بنظريته : فى أصل الأنواع ؟

وما هو صدق هذه النظرية الغربية؟ ومتى عرف العلم الدينامو الكهربي؟
والمصباح المتألق؟ ومتى عرف التليفون، ومتى عرفت السيارة؟ ومتى
ظهر الترام الكهربي؟ ومتى عرفت الآلة الكاتبة أو الطابعة؟ ومتى سمع
الفونوغراف أو الحاك،؟ ومتى وصل العرب إلى الأشعة السينية؟
وما هو أثر ذلك في الطب؟ ومتى كشف العلم عن الإلكترونات، ومتى
ظهرت السينما، ثم الراديو، ثم التلفزيون؟ وماذا نعرف عن الآثار
الصناعية؟ وكيف تستخدم الذرة في السلم لا في الحرب؟

وكل موضوع من هذه الموضوعات يصلح لأن يكون قصة، علمية متى
ظفر بالمحرر العلمي الذي يستطيع أن يصوغ المعلومات الخاصة بها بطريقة
تجذب إليها أكبر عدد من القراء، وتوسع في الوقت نفسه مدارك
المواطنين، وتخلق بينهم تجانسا عقليا لا بد منه في المجتمع الواحد.

من أجل هذا كان للصحافة المصرية منذ نشأتها عناية كبيرة بالمقال
العلمي الذي يهدف إلى تزويد القراء بالمعلومات في شتى ألوان المعرفة على
اختلافها، فعنيت بهذا المقال الصحف الآتية، وهي:

الوقائع المصرية، وروضة المدارس، ووادى النيل، وروضة الأخبار،
ويعسوب الطب، ومصباح الشرق، والمؤيد، واللواء، والأهرام،
والجريدة، وما زال اهتمام الصحافة المصرية بادياً بهذه الناحية إلى اليوم.

ولكن من الحق أن يقال إن من أكثر المجلات المصرية احتفالا
بالمقال العلمي مجلتنا: المقتطف والهلال، ويصح أن تضاف إليهما مجلتنا
الرسالة والثقافة.

غير أن القدر المعلى في هذا الميدان إنما كان للمقتطف بالذات، فقد
استطاعت هذه المجلة المصرية العتيقة أن تقدم للعلم في مصر والشرق خدمة
جليلة، وذلك منذ سبعين عاماً إلى الوقت الذي احتجبت فيه عن سماء الفكر
العربي، ثم تليها في الدرجة العلمية مجلة الهلال، التي أنشئت عام ١٨٩٢

بوما زالت تخدم العلم والثقافة والأدب إلى اليوم ، وقد اعتادت هذه المجلة الأخيرة أن تتحف قراءها في كل عدد من أعدادها بمقال طريف في موضوع من الموضوعات العلمية الدقيقة ، وكثيراً ما تنقل الهلال هذه المقالة أو تلك ، إما عن كتاب معروف في الأوساط العلمية ، وإما عن إحدى المجلات الأوربية أو الأمريكية ، مثل مجلة الريدرز دايجست . وقد يكون المقال من تأليف عالم من العلماء في مصر ، أو الشرق ، أو عضو من أعضاء أسرة التحرير بالمجلة ذاتها .

أما الصحف اليومية الحديثة في مصر فلم تغفل هي الأخرى ما يجب عليها نحو المقال العلمي ، ومن هذه الصحف المعاصرة صحيفة « الأهرام » ، وصحيفة « أخبار اليوم » ، وفي الأخيرة ظل الدكتور « سعيد عبده » يكتب فترة طويلة عن الأمراض السكثيرة بعنوان « خذعوك فقالوا » .

وما دمنا نشير إلى تحول الكتاب في هذا المجال فلا مفر لنا من الإشادة برائد هذا النوع من المقالات في العصر الحديث ، وهو الأستاذ هولدين Houldane في كتابه « العلم في خدمة الحياة اليومية » Science for every day Life : وهو حلقة من سلسلة كتب بينجوين Pingwin المعروفة ، ولعل هذا الأخير من أوائل من اهتموا إلى أكثر من طريق لتبسيط العلم وتيسيره على القارئ العادي .

يتضح ، ما سبق أنه لاغنى للصحيفة في عصرنا الحاضر عن « المحرر العلمي » وهو عضو من أعضاء أسرة التحرير ، يمتاز غالباً بخبرة واسعة في العلوم ، وإليه تلجأ الصحيفة في كل ما يتصل بالمسألة العلمية التي تسوقها إلى القراء ، سواء أكانت في شكل مقال علمي ، أم في شكل عمود إخباري ، أم في شكل عدد يمتاز بخاصة من النواحي العلمية ، أو يرفق من مرافق الأمة .
خذ لك مثلاً - صحيفة الأهرام - فإنها تصدر « الأهرام الاقتصادي »

مرة كل شهر في الغالب ، وتصدر كذلك عدداً خاصاً باسم « البلاد العربية » في مواعيد غير محدودة ولا مضبوطة ، لأن أمثال هذه الدوريات إنما تخضع خضوعاً تاماً للبتاسيات ، وذلك كله فضلاً عن العمود او المقال العلمى الذى تنشره الأهرام اليومية بين حين وآخر (١) .

وهكذا تنسع دائرة المعارف الإنسانية يوماً بعد يوم ، لكنها مهما اتسعت تظل على الدوام ناقصة ، وذلك ما يدعو الصحف والمجلات إلى الكتابة العلمية التى تصل الجمهور بكل جديد فى العلم من حيث هو .

والناظر إلى « المقال العلمى » الذى تراد به خدمة الجمهور من قراء الصحف يرى أن لصياغته طرائق شتى منها :

طريقة السرد ، وطريقة الحوار ، وطريقة القصة ، وطريقة الأمثلة والشواهد ، وطريقة تصحيح الأخطاء والأفكار ، وطريقة الرسوم الكاريكاتورية التى تصور بعض الشخصيات الهامة فى الميدان العلمى ، ونحو ذلك .

وقد نهينا الأستاذ كارل وارين فى كتابه « كيف تصبح صحفياً » إلى طائفة من الوصايا التى يحسن الالتفات إليها عند كتابة المقال العلمى ، ومنها ما يلى :

أولاً — لا تحسن الظن دائماً بمعلومات القارىء ، ولسكن فى الوقت نفسه لا تحقر ذكاه أو تفترض أنه غبي .

ثانياً — لا تظن أن هذا الخبر أو ذلك قديم على القارىء كما هو قديم ومألوف لديك ، فهناك قراء كثيرون لا يزالون يعيشون فى القرن التاسع عشر ، أو فى القرن الثامن عشر .

(١) يشرف على التحرير العلمى لصحيفة الأهرام ، فيما نعلم ، الأستاذ عزيز ميرزا والمسيو ديونو Deponoo

ثالثاً - لا تخرج عن دائرة الحياة الإنسانية ، فالقارىء آدمى دائماً ،
ولا تعنيه غير هذه الموضوعات .

رابعاً - لا تنس كذلك أن القارىء يقاطعك في كل عشرة سطور
ليسألك : لماذا ، وماذا ؟ فإذا لم تجب عن تلك الأسئلة وأمثالها فلن يتم قراءة
موضوعك .

خامساً - لا تعتقد أنك تجعل الموضوع أكثر جاذبية إذا حشوته
بمخراقات أو أشياء خيالية ، أو بالفاظ تدل على التهويل والمبالغة .
سادساً - لا تقل : هذا كشف هام ، فما دمت قادراً على ذلك فلست
في حاجة إلى كتابة هذه العبارة .

وعلى أية حال ليس المحرر العلمى فى الصحيفة عالماً بكل ما تحمل هذه
الكلمة من معنى ، ولكنه رجل قادر على تفهم المعنى العام لآى اختراع ،
أو كشف ، أو نظرية علمية ، ونحو ذلك ، وقد لا يتطلب منه ذلك غير
دراسة عامة ، وتجارب متنوعة (١)

* * *

وبعد ، فقد كنا نود أن نورد للقارىء نموذجاً للكتابة العلمية بقلم
الأستاذ هولدين ، أستاذ العلوم بجامعة كمبردج الذى تقدم ذكره ، ولكن
منعنا من ذلك أنه غير مصرى ، ونحن إنما نسوق أمثلة مصرية بحتمه كلبا
امكن ذلك .

وعلى هذا نسكتفى بمثال من مجلة « الهلال » هو بالصدفة منشور
فى العدد الخامس من المجلد الثامن والخمسين ، ويتناول موضوعاً طريفاً
هو موضوع « الرادار » ، وقد اختار له الكاتب هذا العنوان جاء فيه (٢) :

(١) المقال « الترجمة العربية » للكتاب بقلم عبد الحميد سرايا ص ٩٠
(٢) بقلم الدكتور « محمد رشاد الطوبى » بكلية العلوم فى جامعة القاهرة .

الأذن السحرية

كلما اكتمل جو السياسة الدولية ، وتلبدت فيه الغيوم منذرة باحتمال وقوع الحرب نشطت السلطات المختصة في كل دولة لتجنيد الرجال العسكريين والعلماء معاً .

والواقع أن تجنيد العلماء للبحث والاختراع لا يقل أهمية من الوجهة الحربية عن تجنيد العسكريين ، وما زالت معركة بريطانيا الجوية ماثلة في الأذهان ، إذ جند الألمان ما لا يحصى عدده من الطائرات لكي يقضوا على إنجلترا القضاء الأخير ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يكسبوا تلك المعركة رغم استعدادهم الضخم الرهيب ، وإحكامهم وضع الخطط لتنفيذه ، وما كان فشلهم غير المنتظر إلا نتيجة اختراع الرادار ، أو الأذن السحرية الذي استطاع الإنجليز بها معرفة الطائرات المعادية قبل وصولها بوقت كاف لاستعداد قوات الدفاع التي أصالتها نارا حامية عند وصولها ، وبذلك فقدت هذه الطائرة عنصر المفاجأة .

ويضع المختصون آمالهم الآن في جهاز الرادار ، لدرء خطر القنبلة الذرية التي ينتظر أن تكون هي السلاح الأول في أية حرب قادمة .

وللرادار جهاز لاسلكي يبعث موجات لاسلكية قوية يسيرها بسرعة عظيمة في اتجاه محدد ، فإذا اصطدمت هذه الموجات بجسم صلب ، كطائرة تشق عنان السماء ، أو باخرة تخرع باب الماء ، انعكست وعادت إلى الرادار ثانية ، وبمعرفة الزمن الذي استغرقته في ذهابها وعودتها يعرف موقع الطائرة أو البخرة ، وتعرف المسافة بينهما وبين محطة الرادار .

ومن المدهش أن الخفاش أو الوطواط ، سبق إلى أسلوب جهاز الرادار منذ أزمنة بعيدة ، وقام باستخدامه بنجاح عجيب قبل أن يدرك الإنسان من أمره شيئاً .

فالمعروف أن الخفاش يخطف بالنهار ، فإذا أقبل الليل خرج للبحث عن الغذاء طائراً بسرعة كبيرة في الظلام الحالك ، دون أن يصددهم بتاناً بالأشجار أو بالأبنية التي تعترض طريقه ، وكثيراً ما يخترق الغابات الكشيفة التي تمتلئ بالأشجار المتقاربة والأغصان المتشابكة ، فيمرق بينها مروق السهم ، في سهولة وأمان !

وقد كانت هذه الظاهرة العجيبة -- ونعني بها تحاشي الخفاش تلاءء العوائق المتقاربة ، وعدم اصطدامه بها -- بما أثار دهشة الباحثين زمناً طويلاً ، لما ثبت من أنه لا يستطيع أن يراها في الظلام ، فهو إذن لا يعتمد في تجنبها على حاسة النظر ، بل هناك -- ولا شك -- حاسة أخرى ؛ هي التي تنير له السبيل ، وتجنبه الاصطدام بتلك العقبات .

وقام كثير من الباحثين بإجراء تجارب عدة أظهرت في وضوح تام أن الخفاش لا يعتمد على الإبصار في طيرانه ليلاً ، فقد أحضر العالم « سباليانزاني » عدداً من الخفافيش ، وفقاً عيونها ، ثم تركها بعد ذلك تطير في الهواء ، فتبين له من حركتها المتزنة أنها لم تتأثر على الإطلاق بفقدانها الإبصار !

ورضع بعض الباحثين خفاشاً في غرفة كبيرة وثبت في جميع أرجائها أسلاكاً متقاطعة على شكل شبكة ، وعلق في تلك الأسلاك أجراساً صغيرة تدق إذا لمس أي جسم هذه الأسلاك ، ثم أطفئت أنوار الغرفة ، ووقف الباحثون في ركن منها ، لا يرون شيئاً ، ولكنهم يسمعون ويحسون بما يجري فيها ، وظلوا كذلك حوالي نصف ساعة ، والخفاش يطير من مكان إلى مكان متنقلاً بين فتحات تلك الشبكة دون أن يمس أي جزء فيها ، وكان في بعض الأحيان يقترب من وجوههم حتى ليحسون بحركة الهواء الذي تدفعه الأجنحة .

وحينما أضيئت الأنوار انقطع الخفاش عن الطيران ، وتراجع إلى أعتم مكان في الغرفة حيث قبع ساكناً لا يبدي أي حراك .

وبدأ الباحثون يعملون بهذه الظاهرة بثنى التعليقات دون أن يهتدوا إلى الدليل السكافي الذي تدعمه التجارب والمشاهدات العملية ، وكان التعليل الذي قدمه العالم هارترديج ، سنة ١٩٢٠ أول تعليل استساغته أغلب الباحثين ، وقد رجح فيه استخدام الخفّاش موجات صوتية لا تدركها أذن الإنسان ، ثم أيدت الأبحاث الحديثة صحة هذا التعليل .

ولتفسير ذلك نقول : إن الأصوات المختلفة التي نسمعها تنتقل في الهواء على صورة موجات صوتية ، ويدرك الإنسان تلك الأصوات فور وصولها إلى طبلة الأذن ، ولا تستطيع أذنه أن تدرك من الأصوات إلا ما كانت اهتزازاتها تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ ألف اهتزازة في الثانية ، وهي تعرف بالأصوات المسموعة ، أما الموجات الصوتية التي تزيد اهتزازاتها على هذا فلا تدركها الأذن ، وقد أطلق عليها العلماء اسم « الأصوات فوق السمعية » .

وأثبت بعض العلماء الأمريكيين حديثاً أن الخفّاش لا يصدر الأصوات المعروفة التي نسمعها لحسب ، بل يصدر كذلك أصواتاً أخرى «فوق سمعية» ، كما أثبتوا أن في استطاعته سماع تلك الأصوات التي تدركها أذن الإنسان ، فهو يقوم بإصدار هذه الأصوات التي تنتقل في الهواء ، حتى إذا اعترض طريقها بعض العوائق كالأشجار وغيرها انعكست كما تنعكس أشعة الشمس على سطح مرآة ، فإذا ما وقعت تلك الموجات الصوتية المنعكسة على أذنه أمكنه أن يدرك وجود تلك العوائق . ويعتمد الخفّاش في تقدير المسافة التي بينه وبين السطح الذي ينعكس منه الصوت على الزمن الذي يستغرقه الصوت في الذهاب إلى هذا السطح والعودة منه بعد انعكاسه .

وهذا ما يحدث تماماً في جهاز الرادار .

ومن بين التجارب التي أجريت لإثبات وجود تلك الأصوات الخاصة التي لا نسمعها أنهم وضعوا ميكروفونات ، بالقرب من الخفّاش

الطائرة ، ووصلوا هذه الميكروفونات بأجهزة دقيقة تقوم بتحويل الاهتزازات الصوتية التي لانسمعها إلى اهتزازات كهربائية يمكن إدراكها بطريقة خاصة ، فأثبتت هذه التجارب أن الخفافيش تصدر أصواتاً تتراوح بين ٣٠ و ٧٠ ألف اهتزازة في الثانية ، أى أنها فوق القدرة السمعية للأذن البشرية ، وفي الوقت نفسه قام هؤلاء العلماء الباحثون بفحص أذن الخفاش ، فظهر لهم أن لها من الميزات ما يجعلها قادرة على سماع مثل تلك الأصوات .

ويقال إن الحاسة التي يتفادى بها الخفاش جميع الجواجز التي تعترضه تتركز في لسانه ، فقد لجأ العلماء إلى قطع عصب تحت لسانه فاكتشفوا أنه يصدر أصواتاً يتعرف بها على الجواجز التي أمامه بواسطة حركات لسانه (١) من ذلك نرى أن الطبيعة قد وضعت سراً من أدق أسرارها في مخلوق ضعيف لا يكاد يعيره الإنسان ما هو جدير به من تقدير وإعجاب ، فقد استخدم هذه الطريقة العجيبة في كفاحه من أجل الحياة ، وتغلب على الصعوبات التي تعترض طريقة أثناء تجواله الليلي الذي يمارسه بحثاً عن الغذاء .

وهكذا انتهى هذا المقال العلمي في شرح نظرية من أدق نظريات العلم ؛ وهي نظرية « الرادار » ، واصطنع الكاتب في مقاله هذا لغة سهلة تجنب فيها الإكثار من المصطلحات العلمية التي يشق فهمها على القراء ، وسرد في سبيل ذلك طائفة صالحة من التجارب التي مارسها العلماء ، وشرح هذه التجارب الكثيرة بأسلوب يمتاز بالوضوح والبساطة ، كما يمتاز كذلك بربط ما اشتمل عليه من المعلومات الطريفة بحاجة من حاجات القراء ، هي الرغبة في السلام ، ونزعة من نزعاتهم ، أو غريزة من غرائزهم ، هي غريزة حب الاستطلاع ، وفي ذلك ما أغنى الكاتب عن

(١) راجع مقال « عندما يسمع اللسان » في الصحيفة الزرا . عدد ديسمبر ١٩٥٩

سلوك سييل ، القصة ، ، أو الحوار ، أو غيرهما من الوسائل الأدبية التي أشرنا إلى بعضها في غضون هذا الفصل .

ومثل هذه المقالات كثير مما كتبه الدكتور أحمد زكي في الصحف والمجلات ، وكثير مما أذاعه كذلك من إذاعات ، سارداً في هذه وتلك شيئاً من قصص العلوم والمخترعات .

ولا يتسع الفصل الذي بين يديك لإيراد أمثلة أخرى توضح لك الطرق التي سلكها الكاتب في تبسيط العلم ، وتقريبه إلى أذهان العامة ، سعياً وراء هذه الغاية التي تهدف إليها الصحافة ، وهي تثقيف رجل الشارع بمختلف الثقافات ، وتزويده بشئ المعلومات .

كما لا يتسع هذا الفصل لاستيعاب الأنواع الكثيرة للمقال العلمي فإن المقالات العلمية تنوع بتنوع العلوم ذاتها ، وما أكثرها كما نعرف ، غير أن أشهر ما عنيت وتعنى به الصحف والمجلات المصرية إلى اليوم من أنواع المقال العلمي ما يلي :

- ١- المقالة النقدية ، ومن أشهر كتابها : العقاد ، والمازني ، وطه حسين .
- ٢- المقالة الفلسفية ، ومن أشهر كتابها : أحمد لطفي السيد ، والدكتور منصور فهمي ، والدكتور زكي نجيب محمود .
- ٣- المقالة التاريخية ، وهي كثيرة الورد في الصحافة المصرية ولها كتاب عديدون .
- ٤- المقالة العلمية ، ومن أشهر كتابها : الدكتور صروف ، والدكتور أحمد زكي .
- ٥- المقالة الاجتماعية ، وكتابها كثيرون أيضاً في الصحف والمجلات في الوقت الحاضر ، وكل ذلك تنشره المجلات أكثر مما تنشره الصحف اليومية .

الفصل السابع المقال الصحفي

اعتاد الباحثون في الفن الصحفي أن يشبهوا المخبر بالحواس الخس الإنسان، وهذه الحواس هي رسيلته دائماً للاتصال بالعالم الخارجي، ومعنى ذلك أن المخبر الصحفي يسجل دائماً ما يشاهده بعينه، ويسمعه بأذنه، ويشمه بأنفه، أى أنه يحس الخبر إحساساً تاماً.

ثم يأتي بعد ذلك دور المقال الصحفي، كائناً ما كان، وقد اعتاد الباحثون تشبيهه بعقل الإنسان، أو بالمعدة، ومعنى ذلك أن وظيفة المقال في الصحيفة كوظيفة المعدة أو العقل سواء بسواء، والعقل البشرى هو القادر دائماً على تفسير المحسوسات، وشرح المؤثرات، وربط الأحداث بعضها ببعض، ومن هنا كان الفرق عظيمًا بين كاتب الخبر، وكاتب المقال.

فكاتب الخبر ليس له أن يستنبط، أو يستخرج، أو يدخل في موازنات أو يتبرع بالمدح أو بالذم، وإنما هو مسجل للأحداث، يعرضها بطريقة تتفق وسياسة الصحيفة.

أما كاتب المقال - كائناً ما كان - فله أن يوازن بين الصور المختلفة لخبر من الأخبار ليخرج من هذه الموازنة بالقدر من الصواب الذى اشتركت فيه جميع الصحف ووكالات الأنباء، وله كذلك أن يختار من صور هذه الأخبار صورة يراد بها التأثير في نفوس القراء، وعليه تقع هذه التبعة الإخبارية، كما عليه أن يتولى القيام بتبعات الإرشاد والتوجيه وغيرهما من التبعات الأخرى.

وكلا الرجلين: كاتب الأخبار، وكاتب المقال لا ينبغي لهما - إلا في الأوقات النادرة - الاهتمام بالإحساسات الذاتية قدر الاهتمام بإحساسات القراء.

وبما تقدم تتضح لنا وظائف المقال الصحفي، وهي كثيرة من أهمها مايلي:
أولاً - وظيفة شرح الأخبار، وتفسير الصلة التي بينها وبين الأفراد
والمجتمعات، والتعليق على هذه الأخبار تعليقاً يوضح مغزاها للقارىء.

ثانياً - وظيفة التوجيه والإرشاد، وذلك على أساس من العلم والمعرفة
التامة بموضوع التوجيه، وإيراد الشواهد القوية من واقع الحياة.

ثالثاً - وظيفة التسلية والإمتاع وإشباع فضول القراء؛ وذلك
في الموضوعات التي تستأثر باهتمامهم، وتجذب التفاتهم.

من أجل ذلك وجب على مجلس التحرير، في الصحيفة أن يضم إليه
نخبة طيبة من المحررين المتخصصين، كل في موضوع من الموضوعات الهامة
كالسياسة، والاقتصاد، والزراعة، والصناعة، والتعليم، ونحو ذلك.
ومعنى هذا في إيجاز أن على مجلس التحرير، في الصحيفة الحديثة أن
يكون أشبه بمجالس الكليات في الجامعة، وتتألف هذه المجالس عادة من
الأساتذة ذوى الكراسى، علمهم الرئيس توجيه الدراسات المختلفة
في كليات الجامعة، وإحداث التنسيق التام بين مواد كل كلية من هذه
الكليات على حدة.

وهذا كله ما يمكن أن يطلق عليه اسم «تجميع الصحيفة»، أى جعلها
تأخذ صورة «الجامعة».

ولا غرابة في ذلك مادامت الصحافة في كل أمة من الأمم هي التي يناط
بها تثقيف الجمهور، وإرشاده في جميع الأمور.

فنورد المقال الصحفي وطريقة صياغتها :

المقال الصحفي بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة لا يكاد ينطبق إلا على فئتين
فقط، هما: فن المقال الافتتاحي، وفن العمود، أما ما عدا ذلك
من الفنون الصحفية - عدا الخبر - كالحديث، والتحقيق، والمآجريات

والطرائف الصحفية ، فهى وإن كانت شبيهة بالمقال الصحفي ، إلا أنها لا تعتبر مقالا صحفياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .

ومعنى ذلك أننا كما فرقنا بين المقال الأدبى ، والمقال العلمى ، وجعلنا لكل منهما أشكالا ، وجعلنا لكل شكل طريقة خاصة به من حيث التحرير ، فكذلك نجعل المقال الصحفي مقصوراً على مادتين فقط من مواد الصحيفة ، وهما : مادة المقال الرئيس ، ومادة العمود بأشكاله الكثيرة وأغراضه المنوعة .

أما عن صياغة المقال الصحفي - كائناً ما كان - فنحن نعرف أولاً أن بين هذين الفنين من فنون الصحافة ، وهما : الخبر ، والمقال - فروقاً هامة من حيث القالب الفنى الذى تصاغ فيه كل مادة من هاتين المادتين على حدة .

فالخبر - وهو شئ مخالف فى طبيعته كل المخالفة للمقال - يصاغ على شكل الهرم المقلوب . بأن تأتى الخلاصة أولاً ، ثم تأتى التفاصيل بعد ذلك .

والمقال : وهو فكرة يتلقفها الكاتب إما من الصحيفة نفسها ، وإما من الراديو أو من التليفزيون ، وإما من جهاز استقبال الأخبار Ticker يلبنى أن يصاغ على هيئة الهرم القائم أو المعتدل ، بمعنى أن الخلاصة تأتى فى النهاية دائماً ، وأما الشواهد والتفاصيل والمقدمات فتكون سابقة لذلك .

ومعنى هذا باختصار أن للمقال الصحفى أقساماً ثلاثة ، وهى :

١ - القديم . ٢ - الاستدلال ٣ - النتيجة .

فى حين أن للخبر قسمين فقط ، هما :

(١) الصدر (٢) الصلب أو الجسم .

ومع هذا وذاك فللكل فن من فنون المقال الصحفى سمات خاصة ، وأصول متبعة ، وقواعد يجب على المبتدىء فى تحرير الصحف أن يعرفها

معرفة جيدة ، وقبل أن نخوض في شيء من ذلك يصح أن نقف قليلا عند موضوع هام يتصل بتحرير المقال هو :

لغة المقال الصحفي :

نعرف أن الصحافة عمل اجتماعي بحت ، وأن اللغة التي تستخدم لهذا الغرض مشتقة من الحياة الواقعة التي يحياها الناس في المجتمعات ، وهذه الحياة الواقعة تلد للصحافة كل يوم جملة صالحة من الألفاظ والتراكيب التي لا عهد لرجال العلم أو الأدب بها ، والذين مارسوا الصحافة في أية أمة من الأمم لم يجدوا بدأ من إيثار هذه الألفاظ التي ولدتها الحياة الواقعة ، وما زالت هذه الأمم الكبرى تلد أمثالها إلى اليوم .

وعلى هذا فالعین الأول الذي يستقي منه المعجم اللغوي للصحافة في كل أمة من الأمم ؛ هو الشعب ، أو شعوب العالم كله حين تضطر هذه الشعوب إلى استحداث ألفاظ تعبر بها عن معان جديدة في المجال الدرلي تارة ، وفي المجال الإقليمي تارة أخرى .

على أن المسألة ليست مسألة الألفاظ المستحدثة فقط ، وإنما هي مسألة التراكيب التي يألفها الشعب نفسه كذلك . وللشعب قدرة عجيبة على صوغ التراكيب الحديثة التي يعبر بها عن بعض التجارب الإنسانية التي تمر به . ومعنى ذلك أن الشعب يعمل ذوقه في الألفاظ من جهة ، وفي التراكيب والجل من جهة ثانية .

ولكن أي طبقة من طبقات الشعب يمكنها عملياً أن تقوم بهذه المهمة المزدوجة ؟ لا شك أنها الطبقة المثقفة التي يقدر أفرادها دائماً على نحت الألفاظ الجديدة . والذي لا شك فيه أيضاً أن على محرري الصحف في كل بلد من بلاد العالم المتحضر يقع العبء الأكبر في القيام بهذه المهمة التي نتحدث عنها .

والعجب كل العجب أن نرى بعض المجددين في الأدب يطالبون ملحين بين الحين والحين باصطناع اللهجة العامية في الكتابة تيسيراً على القراء ، وإشراكاً لا كبير عدد منهم في التعليم والثقافة ، وما درى هؤلاء المجددون - وهم يتعبون أنفسهم في هذا السبيل - أن الصحافة الشعبية تقوم لهم بهذا العمل الجليل ، وتتقدم كل يوم خطوة جديدة نحو هذه الغاية ، ولكن من غير أن تثير عليها ضجة من جانب المحافظين المتزمين الذين يحمون اللغة الفصحى من أن يتسرب إليها بعض الألفاظ والجل التي ليست منها في الحقيقة .

ورب قائل يقول : ولكن هاتين المقدمتين السابقتين بينهما شيء من التعارض ، والواقع أن هاتين ، المقدمتين ، لا تعارض بينهما ، لأنهما تقودان إلى النتيجة المطلوبة . فالمقدمة الأولى تقول : إن الحياة الواقعة تستحدث ألفاظاً وتراكيب جديدة لا عهد لرجال العلم أو الأدب بها ، والمقدمة الثانية تقول : إن الفئة المثقفة في الأمة هي التي تقوم بهذه المهمة المزروجة . والنتيجة التي تقودنا إليها المقدمتان هي أن الصحافة لا بد لها من « صفة الشعبية » في التعبير : صفة التطور في الكتابة ، وإفصاح المجال للجديد من الألفاظ والمعاني التي لم يعرفها القدامى .

أما من حيث الألفاظ فن ذا الذي يقول إن القدماء كانوا يعرفون كلمات : التأميم ، والتدويل ، والتصنيع ، والتعاش السلمي ، والضمان الاجتماعي ، والحكم الديمقراطي ، والحكم الأوتوقراطي ، والنقطة الرابعة ، وغير ذلك من الكلمات التي نسمع بها في الصحف من حين لآخر وسنسمع بغيرها في المستقبل ؟

وأما من حيث التراكيب ، فن ذا الذي يقول : إن القدماء - والمحافظين منهم بنوع خاص - يستسيغون استخدام الأساليب العامية ، حين يؤثرها الكتاب والمحرون على الأساليب الكلاسيكية ، حتى أن البعد

أو القرب في الصحافة من المستوى الشعبي في الكتابة يحدد طوراً من أطوار التحرير الصحفي ، أو يعين مرحلة من المراحل التي يمر بها التحرير في عهده المختلفة ؟

من أجل هذا نرى كثيرين من المحررين - حتى المحافظين منهم على عريضة الأسلوب - يحشون مقالاتهم بالألفاظ والتراكيب العامية والأمثال الشعبية ، ومن الأمثلة على ذلك :

قول بعضهم في مقام التعبير عن الحيرة : أريد أن أعرف رأسي من رجلي ، وقول بعضهم في مقام التعجب : يا سلام ! ، وقول بعضهم في مقام التهوين أو التخفيف من حدة السامع أو القارئ : الدنيا بخير يا أخي !

وقول بعضهم في معنى الانتقال من حديث إلى آخر : ما علينا إلى غير ذلك من آلاف الأمثلة !

ألسنت ترى معنى أن كل هذه الجمل والتراكيب مما يسطنعه الناس في أحاديثهم الخاصة ، وأنهم لا يكادون يستخدمون غيرها في مثل هذه المواضع التي أشرنا إليها ؟ .

وأكثر من هذا وذاك أن عنوانات بعض المقالات تأتي أحياناً على شكل صور شعبية لا صلة لها كذلك بغيرها من العنوانات والتقليدية، التي نجدها في السكتب القديمة أو الحديثة .

ومن الأمثلة على ذلك مقال كتبه الدكتور « طه حسين » في موضوع التربية والتعليم بعنوان « ولو » ، رد فيه على الذين يناقشونه آراءه الخاصة به في هذه الناحية .

وكثير من العنوانات التي يستخدمها كتاب آخرون غير « طه حسين » تكون في معظمها على شكل مثل عامي ، أو حكمة شعبية ، أو عبارة جارية على الألسن ، ونحو ذلك .

«والخلاصة ، أن المقال الصحفي ينبغي أن يكتب باللغة التي يفهمها أكبر عدد ممكن من الشعب على اختلاف أذواقهم أو أفهامهم ، أو بيناتهم وثقافتهم ، وهذه اللغة التي هي اللغة القومية - في صورة من صورها - تمتاز بأشياء منها : البساطة والوضوح ، والإيناس ، واللفظ ، والرشاقة ، وتناهى ما أمكن عن صفات التعالى على القراء ، والتععر ، أو الغرابة في الأسلوب ، أو المبالغة في التعمق الذي لا تقبله طبيعة الصحف بحال من الأحوال (١) ..

(١) راجع كتاب « الصحافة والأدب في مصر » للمؤلف « الفصل الثانى » بعنوان : لغة الأدب ولغة الصحافة .
(م - ١٩ المدخل)

الفصل الثامن

المقال الافتتاحي

يطلق عليه الإنجليز والأمريكيون اسم ، Leading Article أو اسم Editorial Article ، وهو المقال الرئيس للصحيفة ، وله فن خاص به من حيث الصياغة . وأساس هذا الفن هو الشرح ، والتفسير ، والاعتماد على الحجج المنطقية حيناً ، وال عاطفية حيناً آخر للوصول إلى غاية واحدة فقط هي إقناع القارىء .

ومعنى ذلك أن المقال الافتتاحي ليس الغرض الأول من أغراضه الإعلام ، ولا ينبغي له أن يهدف إلى السبق الصحفي من هذه الناحية . إنما الغرض الأصلي للمقال الافتتاحي هو الرأي ، وكثيراً ما يكون هذا الرأي تعليقاً على أحدث الأخبار أو الحوادث الجارية ، ومن ثم نرى كاتب هذه المادة الصحفية سريعاً في تفكيره ، سريعاً في تعبيره عن رأيه الصحيفة في هذا الحدث أو ذلك ، ولذا وجب عليه دائماً أن يكون واسع الاطلاع ، قادراً على ربط الحاضر بالماضي ، متصلاً على الدوام بشتى الصحف والدوريات ، كما يقف الناقد على أحدث الآراء في النقد ، أو أحدث الكتب في المادة التي هي موضوع هذا النقد .

وقوق هذا وذلك ينبغي لكاتب المقال الافتتاحي أن يكون على صلة لا تنقطع بالصفوة الممتازة من العلماء والأدباء والمفكرين في عصره ، وله في بعض الأوقات أن يكل إلى أحدهم كتابة المقال الافتتاحي في الموضوع الذي تخصص فيه ، وللصحيفة أن تنشر هذا المقال مادام يتفق وسياستها ، ويعبر عن غرضها .

ثم إنه لاغنى لكاتب المقال الافتتاحي ، في أحيان كثيرة ، عن

؛ الارشيف الصحفي ، يرجع إليه كما أراد الوقوف على الحوادث السابقة والشواهد الماضية ، ويفيد منه في تقوية المقال ، ويكون الارشيف الصحفي في هذه الحالة أشبه شيء بالوثائق والشهود على صدق ما يقول .

ومهما يكن من شيء فنحن نستطيع أن نتيين في المقال الافتتاحي هذه

العناصر :

(١) عنصر التقديم أو الفكرة المثيرة لاهتمام القارىء .

(٢) عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة .

(٣) عنصر النتيجة أو الخلاصة التي يخرج بها القارىء .

ومن وسائل التوضيح لهذه العناصر عند الباحثين في الصحافة

وضع رسم كالآتي :

التقديم والفكرة المثيرة

شواهد

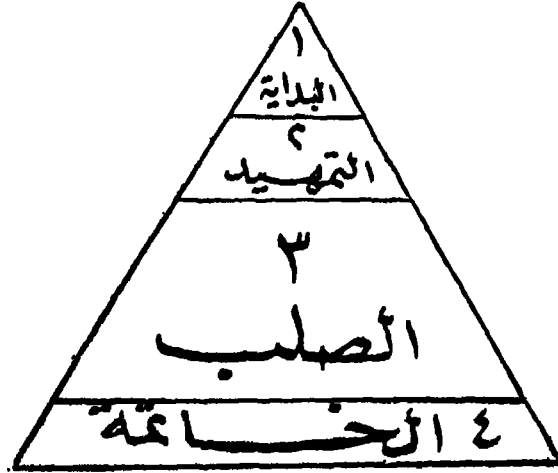
شواهد

شواهد

الخلاصة

ومن وسائل التوضيح لهذه العناصر التي يتألف منها المقال الافتتاحي

وضع رسم كذلك على النمط الآتي :



خصائص المقال الافتتاحي :

نستطيع أن نقول إن للمقال الافتتاحي سمات خاصة يعرف بها ،
وخصائص فنية تتوافر له ، ومن هذه الخصائص ما يلي :

أولاً - خصيصة الثبات على سياسة واحدة هي سياسة الصحيفة ،
إذ لا يصح لهذه الصحيفة أن تكون منبذبة بين سياسات كثيرة ، لأنها بذلك
تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأي .

ومن أجل هذا يراعى في المقال الافتتاحي عادة ألا يكون منديلاً
بتوقيع كاتبه ، لأنه مقال منسوب إلى الصحيفة نفسها بوصفها هيئة من
هيئات الإعلام ، لها سياستها وهدفها من وراء هذا الإعلام .

ثانياً - خصيصة الحذر والاحتياط في إبداء الرأي ، لأنه مادام
رئيس التحرير أو كاتب المقال الافتتاحي لا يعبر عن رأيه الشخصي ، بل
عن رأى الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها - الإعلام - كما
قلنا ، يجب عليه أن يصطنع الحيطة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة :
وإلا عرضها للخطر الدائم .

والحقيقة أن كاتب المقال الافتتاحي ليس مطالباً كل يوم بذكر آراء صريحة في كل مشكلة من المشكلات التي تهم المجتمع ، بل إنه أشبه بالقاضي العدل ، يجوز له أن يؤخر حكمه في القضايا المعروضة أمامه حتى تتجمع لديه الأدلة الكافية ، والشهود العدول ، والبراهين المؤيدة لوجهة النظر التي ينتهي إليها في كل قضية من القضايا .

وبعبارة أخرى - يجب على كاتب المقال الافتتاحي أن يفكر مرتين عندما يشرع في كتابة هذا المقال : مرة بوصف أنه كاتب لهذه المادة الصحفية الهامة ، والأخرى بوصف أنه معبر عن رأي الصحيفة التي يكتب هذه المادة لها وباسمها .

وهنا تثار مسألة متصل « بضمير الكاتب » فهل معنى ما تقدم من الكلام أن الكاتب ينبغي أن يخالف ضميره فيما يقدم للقراء من هذه المادة الصحفية الهامة التي قلنا إنها ملك للصحيفة قبل أن تكون ملكا لكاتب من كتابها ؟ والجواب على ذلك صريح واضح ، وهو أن الكاتب الذي يختلف في وجهة نظره عن وجهة نظر الصحيفة يجب ألا يجعل من المقال الافتتاحي مجالاً لإظهار ذلك .

على أننا لا نعرف من أصحاب الصحف أو رؤساء التحرير من يفرض على كاتب من كتاب الصحيفة أن يكتب المقال الافتتاحي في موضوع لا يوافق عليه الكاتب ، ولا يتفق فيه إطلاقاً مع سياسة الصحيفة ، وسنعود إلى الكلام عن هذه المسألة الهامة بعد قليل .

ثانياً - خصيصة التبسط في الحديث والإيناس في السرد ، ومعنى ذلك بعبارة موجزة أن حديث الكاتب في المقال الافتتاحي لا يجوز مطلقاً أن يأتي عن طريق الاستعلاء الذي يحس به القارئ عند القراءة ، بل ينبغي أن يأتي عن طريق الملاحظة ، وشعور الكاتب والقارئ - معاً بأنهما صديقان يتحدثان حديثاً يهم كل واحد منهما بقدر ما يهم الآخر ، وليس

المقال الافتتاحي في الواقع إلا محاولة هادئة لجذب القراء ، وإشعارهم بأنهم شركاء في حل المشكلات العامة ، وتوجيه السياسة التي تتبعها الدولة ، أو يتبناها المجتمع ، فإذا شعر القارىء يوماً ما بغير هذا الشعور انصرف عن الصحيفة ، ولو كان الحق معها ، والصواب في جانبها .

رابعاً - خصيصة الإقناع عن طريق الشواهد والأمثلة المشتقة - كما قلنا - من الأحداث الجارية في الحاضر ، والأحداث التي جرت في الماضي ، والتجارب الإنسانية التي يخترنها الكتاب في ذاكرته إما بطريق الممارسة ، وإما بطريق الاطلاع ، ولهذا الشواهد والأمثلة حين كبير في المقال الافتتاحي ، وهي مجال واسع يتبارى فيه كتاب الصحف ، ويظهر فيه علمهم واطلاعهم ، ووقوفهم على التاريخ العام والتاريخ الخاص .

خامساً - خصيصة الجدة الزمنية ، أو مسابقة المقال للأحداث ، ومعنى ذلك أنه ينبغي للمقال الافتتاحي أن يعالج موضوعات الساعة ، ومشكلة اليوم ، ويهتم بالأفكار التي تشغل أذهان الناس وقت ظهور الصحيفة . .

وبذلك تضمن الصحيفة أن يكون لها قراء يلتظرون رأيها في كل حادثة تحدث لهم ، أو فكرة تولد بينهم ، أو وضع من الأوضاع السياسية . أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية يراد نقلهم إليه .

سادساً - خصيصة التوجيه والإرشاد ، وهي شيء يخفى دائماً وراء أسلوب الكاتب ، فلا ينبغي أن يكون في شكل موعظة ، أو نصيحة ، أو أمر ، أو نهى أو زجر ، أو تعليقات يبعث بها الكاتب من فوق منبر الصحيفة ، ليحاول أن يؤثر بذلك في الرأي العام .

إنما الكاتب الصحفي - كما قلنا ذلك مراراً - صديق القارىء وشريكه في تكوين هذا الرأي .

ومع هذا وذاك فإن كثيراً من الصحف التي تعتبر نفسها «صحف رأي» ،

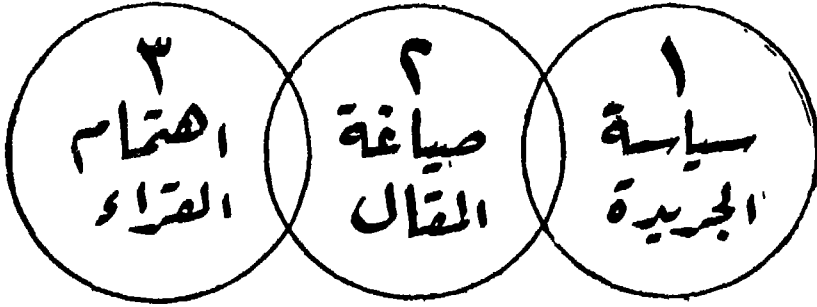
لا نحاول أن ننزل إلى مستوى العامة بقدر ما نحاول أن نرفع العامة إلى مستواها ، وتلك مهارة صحفية لا تستعصى على كثيرين من الكتاب متى قصدوا إليها ، وكانت سياسة صحفهم ترى إلى ذلك .

سابعاً - عنصر التسلية والإمتاع والترفيه ، فلا يقتصر المقال الافتتاحي على المسائل الكبيرة وحدها ، بل يتناول كذلك بعض المسائل الخفيفة ، والموضوعات الطريفة ، وآية ذلك أننا نجد الصحف الموقرة في مصر وإنجازها تنزع أحياناً إلى موضوعات لها مثل هذا الطابع الذي أشرنا إليه ، وهو الطابع الممتاز بخفة الروح ، وبراعة النكتة ، وطرافة الفكرة .

ومهما يكن من شيء فينبغي أن نذكر دائماً أن للمقال «وحدة» مستقلة ، ومعنى ذلك أنه ليس مجرد سرد للحقائق ، أو إتيان بالشواهد ، أو إيراد للأمثلة ، ولكنه وسيلة للتعبير عن رأى من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، فلا ينبغي أن يحشى بحقائق يزحم بعضها بعضاً أو تراكم تراكم يحول دون فهم الرأى الذى يبسطه الكاتب ، أو الفكرة التى كتب من أجلها المقال ، كما ينبغي للمقال الصحفي أن يكون ذا موضوع معين ، وغاية واحدة ، ولا بد من معالجته بطريقة يظهر بها المقال كأن له وحدة مستقلة بذاتها ، كما قلنا (١) .

ويجب باختصار أن يعرف المحرر الصحفي للمقال الافتتاحي أن هناك ثلاثة أشياء يؤثر بعضها في بعض ، ويعتمد بعضها على بعض ، ويتداخل بعضها في بعض كستداخل هذه الدوائر المرسومة .

(١) غير أننا نرى بعض الصحف - في الوقت الحاضر - قد درجت على كتابة موضوعات كثيرة في المقال الافتتاحي الواحد ، وإن كانت الصلة واضحة بين أكثر هذه الموضوعات في أغلب الأحوال .



وهذه الأشياء الثلاثة هي :

سياسة الجريدة ، وصياغة المقال ، واهتمام القراء .

فعلى كاتب المقال الافتتاحي أو الرئيس في الصحيفة أن يتصور هذه الدوائر في كتابته دائماً ، حتى يبلغ بمقاله الدرجة التي تسعى لها الصحيفة ، ويلتفع بها القراء .

ولنضرب لذلك مثلاً يوضح مدى هذا التداخل ، وكيف تحاول الصحيفة تنفيذه بما يحقق شخصيتها التي امتازت بها بين سائر الصحف .

وهذا المثل هو القمر الروسي ، وليس من شك في أن هذا الموضوع قد أثار اهتمام القراء في العالم كله ، فلا مفر إذن من أن يكون موضوع المقال الافتتاحي في جميع الصحف على اختلافها ، وبذلك يتحقق الركن الثالث من هذه الأركان أو الدائرة الثالثة من هذه الدوائر ، وهي الدائرة الخاصة باهتمام القراء .

غير أن الصحف تختلف سياستها في البلد الواحد : فصحيفة يسارية تجنح إلى روسيا وإلى جميع الأفسكار التي ترد منها ، وصحيفة يمينية تجنح إلى أمريكا وإلى جميع المذاهب التي تصدر عنها ، وصحيفة وسط بين طرفين :

فأما الأولى ، وهي اليسارية ، فإنها تبرز هذا الخبر بطريقة تلفت النظر ،

وتمنحه من العناية ما يشعر القارئ بأنه من أهم أخبار العالم ، وأما الصحيفة الثانية — وهي البيئية — فإنها لا تأبه له إلا بالقدر الذى يقف عند حد الإعلام ، ثم تسكت عند هذا الحد ، فلا تختار له المكان البارز من الصحيفة ، ولا تسرف فى وصفه أو التعليق عليه .

وأما الصحيفة الثالثة — وهى الوسط — فتتم بالخبر اهتماماً وسطاً كذلك ، وهكذا يسير العمل فى الدائرة الأولى من الدوائر الثلاث ، ونعنى بها الدائرة الخاصة بسياسة الجريدة .

ثم إن الاختلاف يقع بين هذه الصحف الثلاث كذلك من حيث الصياغة : فالصحيفة الأولى تعتمد على التهويل ، والمبالغة ، والإنذار ، والتهديد ، والوعيد ، والطنظة ؛ وخلق اليأس من مجازاة الروس فى ميدان العلم ، والثانية تعتمد على المواردية والتهوين من شأن هذا الاختراع الجديد ، وعلى الأمل الكبير فى اللحاق بهذا القمر الروسى متى أرادت أمريكا شيئاً من ذلك وقصدت إليه ، والثالثة تعتمد على الحذر والاحتياط فى الحديث ، وعلى التوسط بين المدح والذم ، أو الإسهاب والاختصاص ، وبين الرجاء واليأس .

الصفات التى يفرضها فى تأنيب المقال الافرقتامى:

على أن كاتب المقال الافتتاحى ليس كالأديب ، وإنما هو شخص آخر لا يعبر عن آرائه الذاتية ، بل يتقيد بأراء الصحيفة التى ينتمى إليها ، أو الحزب الذى تدافع عنه الصحيفة .

ولكى يكون هذا الكاتب ممتازاً فى هذا اللون من ألوان التحرير ، يحسن أن يكون متمتعاً بصفات ، منها :

أولاً — أن يكون ذا حاسة صحفية دقيقة يتذوق بها الأحداث الجارية فى محيطه ، والأحداث الجارية فى خارج هذا المحيط ، وعلى قدر حظه من

هذه الحاسة دائماً يكون نجاحه في كتابة المقال الافتتاحي ، وخاصة إذا كان في المجال السياسي .

ثانياً - أن تكون له حاسة تاريخية كذلك يستطيع بها ربط الماضي بالحاضر ، وبها يستطيع أيضاً أن يتكهن بالمستقبل ، ومن ثم كان التاريخ عنصراً هاماً من عناصر ثقافة الصحفي ، وذلك ما تلاحظه معاهد الصحافة في العالم .

ثالثاً - أن يكون ذا ثقافة عريضة ، ولا بأس أن تبدو في بعض مواضعها عميقة ، فهذه الثقافة - التي يعتبر التاريخ جزءاً واحداً منها - يستطيع الصحفي البارع أن يقف على المعلومات التي تمكنه من الحكم الصائب ، والنظر الصادق ، والتوجيه السليم .

وهنا نذكر - مع الأسف - أن أهم ما يميز الصحافة الأجنبية عن الصحافة المصرية إلى يومنا هذا إنما هو صفة « التخصص » .

فالمقال الافتتاحي في صحيفة إنجليزية أو فرنسية إنما يكتبه رجل مختص في نوع الموضوع الذي يخوض فيه المقال الافتتاحي ، فإن كان المقال اقتصادياً كتبه شخص اقتصادي ، وإن كان سياسياً كتبه شخص سياسي ، وهكذا .

رابعاً - وهو خلاصة ما تقدم من الصفات - ينبغي أن يكون كاتب المقال الافتتاحي ذا حاسة اجتماعية مرهفة ، أو قدرة بالغة على الانغماس في المجتمع ، وموهبة في الحديث والإيناس والملاطفة ، ونحو ذلك من الخصال التي تمكنه من الوقوف على حقيقة الرأي العام .

وكل ذلك مع مراعاة تامة لمصلحة الصحيفة التي يكتب فيها ، فإذا آانس من نفسه أنه عاجز عن مراعاة هذه السياسة ، أو حدث أن تعارض ضميره مع مصلحة الصحيفة ، فخير له أن يستقيل فوراً من عمله الصحفي بوصفه كاتباً للمقال الرئيس .

وهذا معنى قولنا فيما تقدم : لأنه ينبغي لهذا الكاتب أن يتصور الدوائر الثلاث في ذهنه دائماً ، وهي : دائرة السياسة العامة للجريدة ، ودائرة الطريقة العامة لكتابة المقال الافتتاحي ، ودائرة اهتمام القراء .

وقد جرى الكثير من الصحف الهامة على سنة لا بأس بها في كتابة المقال الرئيس ، وهذه السنة هي عقد اجتماع في دار الصحيفة يضم أعضاء التحرير فيها لمناقشة الموضوع الهام الذي يعرض له المقال الرئيس ، حتى إذا انفض الاجتماع ، وجاس رئيس التحرير لكتابة المقال ، أمكنه أن يعبر تعبيراً صادقاً عن سياسة الصحيفة ، غير أن هذه الطريقة لا تتبع عادة إلا في المسائل الهامة ، أو المشكلات الخطيرة ، أو الحالات التي ترى فيها الصحيفة - لسبب ما - أنه لا بد من تغيير سياستها العامة .

أهمية المقال الافتتاحي في الصحافة :

يقول علماء الاجتماع : إن الظروف والأحداث التي تمر بالإنسان ، والتغيرات التي تطرأ على المجتمع لا يمكن أن تكون لها دلالة ما ، أو يكون لها في كيان الفرد أو المجتمع أثر ما إلا إذا وعاهها الفرد وأدركها وقدرها وكيفها ، فإذا لم يحدث من ذلك شيء ظلت هذه الظروف والأحداث والتغيرات بعيدة عن وجدان الناس ، بل أصبحت في حكم العدم .

وهنا تظهر أهمية الكاتب الموجه ، والصحفي اليقظ ، حين ينتهن كل منهما كل فرصة ليتحدث عما وراء الأخبار ، وعما يحمل كل خبر منها من مغزى ، وبهذه الطريقة يستطيع الأفراد كما تستطيع الجماعات أن تحل مشكلاتها التي تعرض لها ، سواء أكانت هذه المشكلات نفسية ؛ أم اقتصادية ؛ أم سياسية ، أم اجتماعية ، ويكون الفضل في كل ذلك راجعاً إلى الصحافة ، أو إلى ذلك الكاتب الذي أنبرى للكتابة في الوقت المناسب ، وأخذ يزوج بنفسه في تلك المشكلات ، وإن لم يكن من الأفراد الذين تناولتهم كل مشكلة منها ، أو اشتركوا في إحداها على أية صورة

من الصور ، بينما قد لا يشعر أصحاب هذه المشكلات التي أحاطت بهم .
أنه قد أصبح لها أثر في حياتهم ، وذلك لانعدام الوعي من جهة ،
ولعجزهم عن تصور حياة أفضل ؛ أو حالة أحسن من جهة ثانية .

لأنه حين تحرص صحيفة من الصحف في بلد من البلاد على أن تكون
« صحيفة رأى » ، أكثر منها « صحيفة خبر » ، نراها تمعد إلى المقال من
حيث هو ، وتعطى عنايه تامة للمقال الرئيس ، أو المقال الافتتاحي
بنوع خاص .

وقد كان هذا النوع من المقالات الافتتاحية منذ نشأة الصحافة - كما
يؤخذ ذلك من اسمها - يحتل أول صفحة من صفحات الجريدة ، ويكون
أول شيء يطالعه القراء فيها ، ولم تتزحزح المقالة الافتتاحية عن مكانها
الممتاز من الصفحة الأولى إلا في وقت قريب ، أى منذ انحازت الصحافة
الحديثة في الفترة الأخيرة إلى الخبر ؛ وقلت عنايتها نوعاً ما بالمقال .

وليس شيء أدل على أهمية المقال الافتتاحي منذ نشأة الصحافة من
أن كتاب هذا المقال كانوا - ولا يزالون - نوابغ الصحافة في كل أمة
من الأمم ؛ بل في كل فترة من فترات التاريخ .

ففي الصحافة المصرية كان يكتب المقال الافتتاحي للمجلة أو للصحيفة
أمثال : محمد عبده ، وأديب إسحق ؛ وعبد الله النديم ، وإبراهيم المويلحي ؛
والسيد علي يوسف ، والزعيم الشاب مصطفى كامل ، والأستاذ أحمد لطفي
السيد ، والأساتذة : عبد القادر حمزة ، وأمين الراجحي ، وإبراهيم المازني ،
ومحمد حسين هيكل ، وغيرهم من أساطين الأدب ، والفكر ، والصحافة جميعاً .

وفي الصحافة الإنجليزية وجدنا المقال الرئيس مكتوباً بأقلام ديفو ،
وآديسون ، وستيل ؛ وجونسون ، وويلكز ، وجونياس أو « الصحفي
المجهول » ، وأضرابهم .

وفي الصحافة الأمريكية لمعت أسماء صمويل آدمز ، وجون آدمز ، وجيمس أوتز ، وجوزيف وارن ، وسمويل كوبر ، ووالف أمرسون ، وغيرهم من قادة الشعب الأمريكي .
وقل مثل ذلك في الصحافة الفرنسية ، والصحافة الألمانية ، والصحافة الروسية .

وكان للمقال الافتتاحي في غير هذه الأيام التي نعيش فيها الآن شأن عند جميع الأمم الناهضة أكبر من شأنها في الوقت الحاضر ، بل إن المقال الافتتاحي كان ينظر إليه دائماً على أنه الأداة الأولى للتقدم ، والوسيلة الوحيدة للإرشاد ، والطريق الصحيح للأخذ بيد الأمة التي تريد لنفسها صيانة الشعب من جميع المؤثرات الضارة به ، وبأفكاره وتقاليد ، مادام في صيانتها صمام الأمن ، والسلام والسلامة من هذه الأضرار .

ويمكن بإيجاز أن يقال إن الصحافة في العالم كله لا تستطيع القيام برسالتها الوطنية ، أو الإنسانية ، بأسهل ولا بأوضح من طريق المقال الرئيس ، وهو المقال التوجيهي الذي ترمقه الأبصار ، وتستريح إليه العقول والأفهام .

ولكن على الرغم من ذلك نرى المقال يتخلف في أباونا هذه تَخَلُّفاً كبيراً عن الخبر الصحفي ، وربما كانت لذلك أسباب كثيرة ، من أهمها النزاع بين الكنتلين الشرقية والغربية ، أو بعبارة أخرى : الخوف من الخطر الشيوعي !

وفي إحصائية قام بها معهد جالوب Gallub بأمریکا ظهر أن ١٩ ٪ فقط من الرجال و ١٠ ٪ فقط من النساء يعنون بقراءة المقال الافتتاحي .

وفي بحث قيم الأمريكي روبرت راند Robert Rand دراسة قيمة لميول القراء حول موضوع المقال الافتتاحي لثلاثين صحيفة من صحف أمريكا ، وقد خرج الباحث من هذه الدراسة بأن قراء المقال الافتتاحي .

في صحف أمريكا لا يتجاوزون ١٨ و ٨ ٪ وأن ٧٨ و ٩ ٪ منهم يلقون نظرة عجيلى إلى المقال دون قراءته من أوله إلى آخره ١

فإذا كان هذا هو الشأن في بلاد كأمريكا ، فساظننا بقراء المقال في بلاد كعصر أو في أى قطر من أقطار الشرق؟

وكم نود أن يجرى العلماء عندنا بحوثاً كهذه البحوث ليقيسوا بها ميول القراء المصريين ورغبتهم في قراءة الخبر أو المقال ، وإن كنا نستطيع أن نتسكمن منذ الآن بأن نسبة قراء المقال في مصر لاتكاد تزيد عن ٣ أو ٤ أو ٥ ٪ على أكثر تقدير .

ولكن ليس معنى ذلك أن الصحيفة يحسن بها أن تعدل عن المقال ، أو أن ذلك يقلل من قيمة المقال ؟ كلا لا يلغى مطلقاً أن تزعجنا هذه النسبة القليلة لقراء المقال في الصحيفة ، فنحكم حكماً قاسياً على المقال بأنه قليل الأهمية بالقياس إلى الخبر في الصحيفة .

لايصح أن يزعجنا ذلك ، فإنما الصحيح هو العكس ، إذ يجب علينا أن نلاحظ أن عدد القراء المستنيرين في كل أمة لا يزيد غالباً عن هذه النسب التى أشرنا إليها ، وذكرنا أمثلة منها .

ومع أن هذا العدد من المستنيرين قليل في الأمة دائماً ، فإن هذه القلة هى صاحبة الحل والعقد ، وهى وحدها القادرة على قيادة الأمة في كل وقت . من أجل ذلك نجد في كل أمة من الأمم نوعين من الصحف عادة : صحافة يكتبها الصفوة للصفوة ، وصحافة يكتبها الدهماء للدهماء .

الأولى : وهى صحافة للصفوة للصفوة ، صحافة حقيقية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .

والأخيرة : وهى صحافة الدهماء للدهماء ، سادة من السلع ، لا أكثر

ولنضرب المثل هنا بصحافة انجلترا : فإن صحيفة التيمس لا توزع أكثر من ٤٠٠ ألف نسخة ، بينما توزع صحيفة الديلي ميرور أكثر من أربعة ملايين نسخة ، ومع هذا وذاك فإن التيمس في نظر الحكومة الإنجليزية ، ونظر الشعب الإنجليزي أعظم أهمية من الديلي ميرور ، ذلك لأن صحيفة التيمس هي صحيفة التوجيه والإرشاد عن طريق المقال الافتتاحي ، ومن أجل ذلك لا تفرض الحكومة الإنجليزية الرقابة على هذه الصحيفة في الوقت الذي تفرض هذه الرقابة على غيرها من الصحف الأخرى . وتأخذ الحكومة الإنجليزية نفسها بهذه الخطة حتى في أوقات الحروب والمحن ؛ ثقة منها بأن قسم تحرير التيمس شريك لها في الشعور بالمسئولية . وشريك لها في وضع السياسة الإنجليزية ، داخلية كانت هذه السياسة أم خارجية .

وبعد ، فقد مر المقال الافتتاحي أو الرئيس في الصحافة المصرية بطورين :

أولهما - كانت فيه المقالة الرئيسة تحتل الصفحة الأولى ، وكانت المقالة الرئيسة في هذا الطور طويلة مسرفة في الطول ، حتى لقد بلغت في بعض الأحيان نحواً من أربعة آلاف كلمة (١) ، وكثيراً ما كانت تذيّل بتوقيع الكاتب .

ثاني الطورين - أصبحت فيه المقالة الرئيسة تحتل مكاناً آخر غير الصفحة الأولى - منذ تركت هذه الصفحة للأخبار الخارجية - كما أصبحت لاتحمل توقيع الكاتب ، ولا يصح أن تحمل هذا التوقيع ، وأما من حيث الطول فقد امتازت المقالة الرئيسة في هذا الطور بالقصر ، بحيث لا يمكن أن تتجاوز - بشكل ما - ستمائة وخمسين كلمة على الأكثر .

(١) انظر مقالاً للسيد علي يوسف بعنوان « حفلة الوداع » ، وخطبة اللورد كرومر .
تقلاً عن جريدة المؤيد ، العدد ٥١٥٧ ، بتاريخ ٧ مايو سنة ١٩٠٧ .

ذاك أن المقال الرئيس في الطور الأخير أصبح يكتب في عمود واحد من أعمدة الصحيفة ؛ وفي هذا العمود مقال واحد حيناً ، ومقالان أو ثلاثة حيناً آخر .

وعنى عن البيان أن الصحافة الحديثة عمدت إلى كتابة العمود الرئيس أو المقال الافتتاحي على النحو المتقدم لكي تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الأخرى التي لم تعرفها الصحافة القديمة ؛ أو كانت معرفتها بهذه المواد قليلة . ومن هذه المواد التي عنيت بها الصحافة الحديثة مادة الحديث الصحفي ، ومادة التحقيق الصحفي ، ومادة الماكرات الصحفية على اختلافها ، ثم أخبار الرياضة ، والكتب ، والمسرح ، والسينما ، وما إلى ذلك .

وهذا ما نجده في الصحف المصرية في يومنا هذا ، أما الصحف الإنجليزية - على سبيل المثال - فصفحة المقال الافتتاحي بها تتألف عادة من عدة أعمدة ، فنرى هذه الصفحة بجريدة التيمس وبها المقال الافتتاحي - غالباً - يتألف من أربعة تعليقات ، هي :

١ - التعليق السياسي .

٢ - التعليق الاقتصادي .

٣ - التعليق الاجتماعي .

٤ - تعليق خفيف .

هذا مع ملاحظة أن المقال الافتتاحي يختلف في الصحف الشعبية الإنجليزية عنه في الصحف غير الشعبية ؛ فهو ينشر عادة في الصفحة الأولى على اليسار في الصحف الشعبية مثل صحيفة « ديلي ميل ، الصباحية ، وصحيفة « ديلي اكسبريس ، الصباحية أيضاً .

أما الصحف الإنجليزية الرفيعة فتُنشر المقال الافتتاحي غالباً في الصفحة الرابعة أو الخامسة على الشمال تحت عنوان Comment ، ومن هذه الصحف الأخيرة صحيفة « التيمس » ، وصحيفة « ديلي تلغراف » ،

الفصل السابع

العمود الصحفي

لا نجد فناً من الفنون يخضع لتطور الحياة كما يخضع له فن الصحافة ، ذلك لأن الصحافة إنما خلقت لتخدم المجتمع ، وتبهر عن أفكاره ، وتسائر أهواءه ، والمتأمل في تطور الصحافة في العالم يجد علاقة كبيرة بين ظهور العمود الصحفي ، ورغبات القراء ، كما تظهر في اضطرارهم إلى السرعة في القراءة ؛ وإيثار المواد القصيرة التي تعطيهـم الشيء الكثير في الزمن القصير ، ثم تردهم سريعاً إلى هواياتهم الخاصة ، أو إلى مشاغليهم الكثيرة ، أو إلى عملهم اليومي .

ولقد كانت الصحافة المصرية إلى أوائل القرن العشرين صحافة مقال من أولها إلى آخرها ، وكان المقال الصحفي يشغل حيزاً كبيراً جداً من الصحيفة ، بل كثيراً ما وجدناه النديم ، وأمثاله من الصحفيين يصدر الواحد منهم عدداً كاملاً يتألف من مقال واحد ، وإذا ذهبت تقيس هذا المقال بما تجده في الكتب نفسها رأيتـه لا يقل في مساحته عن فصل أو فصلين من فصول الكتب العلمية أو الأدبية في أيامنا هذه .

وكمصر في هذا الاتجاه نحو المقال غيرها من البلاد الأخرى مثل إنجلترا وفرنسا ، وقد أشرنا في بعض مواضع هذا الكتاب إلى الفترة التي كانت فيها الحكومة الإنجليزية تفرض الضرائب على الأخبار ، وتعفى منها المقال ، وإلى الأثر الذي أحدثته هذه السياسة في شكل الصحيفة إذ ذاك .

وهكذا تخضع الصحافة في مصر لمثل الظروف التي تخضع لها الصحافة في غيرها من الأقطار الأخرى ، وهكذا نرى أن الصحيفة التي اقتصرت في الماضي على الخبر والمقال بدأت بعد ذلك تحفل بألوان أخرى من المواد ؛

كالفكاهات ، والرسوم الكاريكاتورية والأعمدة الصحفية ، والأحاديث والتحقيقات ، وغير ذلك .

ويظهر أن العمود الصحفي لم يشتد ظهوره في مصر إلا في المرحلة الرابعة من مراحل الصحافة المصرية ، وهي المرحلة التي تقع على وجه التقريب بين عامي ٢٢ و ١٩٤٢ ، ثم تعددت أشكاله فضلاً عن ذلك .

تعريف العمود الصحفي وخصائصه :

لكن ما المقصود بالعمود الصحفي عند إطلاقه ؟ وما هي الصورة التي كان عليها العمود منذ نشأته ؟ وكيف تنوعت أشكال العمود وصوره فيما بعد ؟

سنجيب على السؤالين الأخيرين من هذه الأسئلة الثلاثة تمهيداً للإجابة على السؤال الأول :

كان العمود في نشأته عبارة عن فكرة أو رأى ، أو خاطر من الخواطر يرد على ذهن الكاتب ، فيكتب فيه سطوراً قليلة ، وكثيراً ما كان هذا الرأى أو الخاطر يدور حول واقعة ، أو ظاهرة وقع عليها نظر المحرر في المحيط الذي يعيش فيه ، ومعنى ذلك أن العمود الصحفي في بداية الأمر كاد لا يتعدى المحيط الاجتماعي ، ومثله عمود « ماقل ودل » ، في الأهرام أو في « الأخبار » ، لأحمد الصاوي .

ثم سرعان ما لاحظنا أن العمود الصحفي أصبح موزعاً في الصحيفة المصرية على أبواب كثيرة : فهناك العمود السياسي في صفحة السياسة الخارجية ، ومثله عمود « ما وراء الأخبار » ، الذي كانت تنشره صحيفة «الزمان» ، في صفحة السياسة الدولية ، وهناك العمود المسرحي ، أو السينمائي ، ومثله العمود الذي عنوانه : « رأيت أمس » ، وكانت تنشره « مى شاهين » بصحيفة « الأخبار » .

ثم هناك العمود الرياضى ، والعمود الزراعى ، والعمود الاقتصادى ،
وهكذا .

وأكثر من هذا وذاك أننا وجدنا العمود الصحفى مستقل بموضع
من مواضع الصحيفة يتعود عليه القراء ، ويطلعون فيه رأى الكاتب
فى الأبواب المختلفة من سياسة ، واجتماع ، وأدب ، وعلوم ، واقتصاد .
كما نجد ذلك فى الأهرام والأخبار بعنوان : « ما قل ودل » لأحمد الصاوى ،
وفى الأخبار بعنوان : « نحو النور » لمحمد زكى عبد القادر ، وفى الأخبار
كذلك بعنوان : « فكرة » لعلى أمين ، وفى صحيفة القاهرة بعنوان :
« بين السطور » لحافظ محمود ، وفى صحيفة الجمهورية بعنوان : « خاطر
الصباح » لأحمد قاسم جوده .

وإذن فليس هناك فرق بين المقال والعمود من حيث الموضوع .
فكلاهما يعالجان جميع هذه الأمور ، وكلاهما يخوضان كل هذه الميادين ،
ومعنى ذلك أنه من الصعب علينا أن نميز بين هذه الفنون الثلاثة ، وهى :
العمود ، والمقال ، والقصة الإخبارية ، على أساس الموضوع ، وإذن فلنبحث
عن أساس آخر يمكن أن تقوم عليه هذه التفرقة .

ألا يكون الفرق بينهما آتياً من ناحية الأسلوب ؟

إن المواد الصحفية يمكن تقسيمها على أساس الأسلوب إلى قسمين :

الأول - القصة الإخبارية التى تطفى عليها الناحية الموضوعية ، التى
لا تذيل غالباً بتوقيع كاتبها ، لأن القصة الإخبارية الواقعة فى الحقيقة إنما
يشارك فى كتابتها أفراد عديدون فى الصحيفة الواحدة .

والثانى - المواد غير الإخبارية ، وهى المواد التى يذيل معظمها بتوقيع
كاتبها ، ولا يختفى الطابع الشخصى فى الكثير منها ، ومثلها العمود الصحفى
على اختلاف أوانه ، ولا يستثنى من ذلك غير « المقال الافتتاحى » الذى
قلنا إنه يعبر عن سياسة الصحيفة ، ولا يكون عليه توقيع كاتبه إطلاقاً .

وعلى هذا لا نجد الفرق واضحاً كذلك بين العمود والمقال على أساس الأسلوب، وإذن فلنبحث عن أساس ثالث يمكن أن تقوم عليه هذه التفرقة .

وليسكن هذا الأساس الأخير هو « الشكل » أو « المساحة » التي تخصص لكل مادة من مواد الصحيفة على حدة .

ومن اليسير علينا أن نلاحظ أنه بينما يجرى تنظيم الصفحة الواحدة من صفحات الصحيفة بطريقة توفر المساحة التي يشغلها العمود ، بحيث يضاف إليه جزء ، أو يتر منه جزء ليوضع في صفحة أخرى ، إذ بنا نرى القصة الخبرية ، أو المقالة الصحفية ، تبتز منذ بدايتها وتوزع على أكثر من موضوع واحد ، أو صفحة واحدة من صفحات الجريدة التي تنشر فيها .

أى أننا إذا أنعمنا النظر في شكل العمود ، وشكل المقال ، وجدنا أن الأول يمتاز بصغر المساحة التي يشغلها من الصفحة بالقياس إلى الثاني ، وهذا هو أول الفرق الواضحة بينهما .

وتم فرق آخر بينهما كذلك من حيث الشكل ؛ وهو أن العمود ينشر دائماً تحت عنوان ثابت ، وفي مكان ثابت من الصحيفة لا يتغير أبداً .

وهناك فرق ثالث - أشرنا إليه قبل الآن - وهو أن العمود ينبغي أن يكون له توقيع ، وإن كان هذا التوقيع له صور كثيرة - كما سنرى فيما بعد - على حين أن المقال الافتتاحي ، بوجه خاص ، لا ينبغي أن يحمل توقيع الكاتب .

بعد هذا نستطيع أن نقدم تعريفاً للعمود الصحفى فنقول :
« إنه المادة الصحفية التي تسمى دائماً بطابع صاحبها ، أو محررها في أسلوب التفكير ، وأسلوب التعبير ، ولا تتجاوز في مساحتها عموداً

صحفياً على أكثر تقدير ، وتُنشر بانتظام تحت عنوان ثابت ، وتوقيع ثابت هو توقيع المحرر .

وتوقيع العمود الصحفي قد يكون بالاسم كاملاً ، وهو السائد في الأعمدة ، أو بالاسم الأول فقط ، أو بالحرف الأول فقط ، كما في العمود الذي كانت تُنشره صحيفة المصري بتوقيع « ج » تحت عنوان « تعليق » ، وفيه يعقب المحرر على السياسة الخارجية ، وقد يكون التوقيع بالرموز ؛ كتوقيع « الحاج سيد » تحت عمود « بالبلدي » في صحيفة الجمهورية عند أول ظهورها ، وتوقيع « دولي » تحت عمود « ما وراء الأخبار » في صحيفة « الزمان » ، وتوقيع « ديدبان » للدكتور محمود عزمي بصحيفة « الأهرام » وقد يكون توقيع العمود الصحفي على شكل نقط بين قوسين هكذا (. . .) كما في عمود « لا » بصحيفة الجمهورية عند أول صدرها ، وهكذا .

أما من حيث الموضع الذي يحتله العمود الصحفي من الصحيفة . فيلاحظ أنه يحتل مكاناً متطرفاً في أقصى الصفحة من اليسار : كما في عمود « مائل ودل » بصحيفة الأهرام والأخبار ، وكما في عمود « خاطر الصباح » بصحيفة « الجمهورية » أو في أول الصفحة الأخيرة من « البيان » كما في عمود « فكرة » بصحيفة « الأخبار » ، وقد يحتل العمود مكاناً متوسطاً في الصفحة ، كما في « نحو النور » في رأس العمود الرابع من الصفحة الخامسة لصحيفة « الأخبار » أيضاً ، وكما في « بين السطور » في العمود السادس من الصفحة الخامسة لصحيفة « القاهرة » .

وأما من حيث الطباعة ، فيحسن لكي يتميز العمود عن غيره من مواد الصحيفة ، ولكي يلفت إليه نظر القارئ ، أن يكون بحروف سوداء من « بنط » خاص ، ولا بأس من كتابته كذلك في إطار خاص كلما أمكن ذلك ؛ كما كان الشأن في صحيفة « المصري » .

ومهما يكن من شيء ، فالمنهم في العمود الصحفي — كما قلنا — أن

يكون له مكان ثابت ، وهنوان ثابت ، وتوقيع ثابت ، وفي هذه المميزات الثلاثة ما يكفي لكي يلفت إليه أنظار القراء فيتعودون على قراءته ، ويواظبون على هذه القراءة دائماً .

* * *

صياغة العمود الصحفي :

إن العمود الصحفي بالقياس إلى أنواع المقال أشبه بالأقصوصة إذا قورنت بفنون القصص الأخرى ، ومعنى ذلك أن العمود الصحفي — من حيث التفكير — لا يعدو أن يكون فكرة صغيرة محدودة في مشكلة من مشكلات القراء ، يدور حولها الكاتب ، ولا يعدوها إلى سواها ، أو يستطرد منها إلى أفكار أخرى ، أو مشكلات بعيدة عنها ، وفي الحالة التي يتنازل فيها العمود تعليقاً على خبر من الأخبار يراعى في ذلك عادة أن يكون هذا الخبر معروفاً لدى القراء ، وأن يعتمد الكاتب على هذه المعرفة لكي يثير اهتمامهم من جهة ، ويضفي على عموده شيئاً من الطرافة من جهة ثانية .

وعلى هذا لا يعتبره السبق الصحفي ، غرضاً من أغراض العمود الذي يستمد منه التعليق على الأخبار ، وإنما الغرض من العمود في مثل هذه الحالة هو الإمتاع ، والطرافة ، والتعقيب السريع ، وشرح وجهة نظر الكاتب في سطور قليلة لا أكثر ولا أقل .

وشر مسألة هامة تتصل بكاتب العمود ، وتعرض للباحث في هذا الفن من فنون الصحافة ، وهي :

إلى أي حد يعتبر كاتب العمود حراً فيما يكتبه ما دام الذي يكتبه يحمل طابعه الشخصي ، ويتسم بالذاتية البحثية ؟

هنا يختلف الباحثون في الإجابة :

فهم من يرى أن كاتب العمود صاحب حرية واسعة فيما يكتب ، مادام يتحمل مسئولية الكتابة ، وما دام يذيل العمود بتوقيعه .

وإنما تسمح الصحيفة لكاتب العمود بمثل ذلك ، وتبيح له كل هذا القدر من حرية القول كذلك طمعاً في التوزيع . والسبب في هذا أن كاتب العمود كثيراً ما يكون ذا شهرة خاصة لدى القراء قبل إقدامه على الكتابة ، أو يصبح ذا شهرة خاصة بينهم بعد مدة طويلة من الكتابة ، وهنا يوازن رئيس التحرير بين سياسة الصحيفة ، وسعة التوزيع ، فيؤثر الآخرة على الأولى .

ومع ذلك فمن رؤساء التحرير من لا يبيحون لكاتب العمود كل هذا القدر من حرية الكتابة ، وإذ ذلك نرى مثل هذا الكاتب ينزل عن آرائه الخاصة ، ويكتب بلسان الصحيفة التي يعمل لها ، وينهج النهج الذي يشير به رئيس التحرير .

ومن العلماء الذين يذهبون إلى هذا الرأي « لا يبلنج Liebling » ، في كتابه *The wayward pressman* (١) ، وحجته في ذلك أن الصحافة بعد إذ أصبحت حرفة أو صناعة ، جعلت من الصحفي محامياً لا ينبغي أن يطالب دائماً بالإيمان الخالص بالقضية التي يدافع عنها ، ولقد بالغ الأستاذ لا يبلنج ، في ذلك إلى حد أن قال :

« إن المحرر الصحفي له أن يترك آراءه الخاصة عند باب غرفة التحرير ويخلعها دائماً كما يخلع معطفه عند هذا الباب ، حتى إذا ما انتهى من عمله ، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التي يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه متى أراد . »

(1) A. J. Libeling: The Wayward Pressman P. I. H. g.

أما نحن فلا نميل إلى هذا الرأي ، لأن في اتباعه إهداراً لركن هام من أركان العمود الصحفي ، وهو الطابع الشخصي ، والرأى الشخصي الذى يتميز به العمود عن سائر أنواع المقال .

ولاشك أن الصحيفة التى تفقد هذا القدر الضئيل من الذاتية ، أو الحرية لاتغرى القراء بقراءة صفحاتها ، ولا تسمع للكتاب بعرض وجهات النظر المختلفة فى الموضوع الواحد ، وإن زعمت فى الوقت نفسه أنها تحافظ على سياستها العامة ، وطابعها الصحفى الذى يمتاز به عن بقية الصحف الأخرى .

وتلك وأمثالها هى خصائص العمود الصحفى من حيث أسلوب التفكير ، أما خصائص العمود من حيث التعبير فمنها ما يلى :

أولاً - جمال الأسلوب :

وذلك أن العمود الصحفى أشبه بالمقال الأدبى لا الصحفى من حيث العناية باختيار الألفاظ ، والاحتفاظ بجلاوة الأساليب ، وفيه مجال كبير لتبيان النبوغ الأدبى ، أو القدرة البيانية التى يمتاز بها المحرر الصحفى .

وانظر إلى كاتب من كتاب العمود مثل « أحمد الصاوى محمد » فى عموده « ما قل ودل » وهو يكتب عن العواصف والأنواء التى اشتدت بمدينة الإسكندرية فى ٩ من فبراير سنة ١٩٥٦ فىقول :

وعندما تهب الريح ، وتزجر العاصفة ، ويحجب الغبار المرثيات ، وترتعش الأشجار ، وتهتز خوفاً وفرقاً ، بأوى الرجل إلى البيت ، فهو بعد الكفاح اليومى مأواه وحماه ، وليست البيوت أربعة جدران ، فالجدران لا تحمى إلا الجسد ، والبيوت إنما خلقت لتحمى الروح ، وتبنى الهناء ، فما أكثر الذين لهم بيوت كبيرة وحياة صغيرة ، وما أكثر الذين لهم قصور ، وهم يعيشون فى صحراء فقراء جرداء من الخيال والحب . . الخ .

إلا أن جمال الأسلوب — على أية صورة من صورته ، أو مرتبة من مراتبه — ليس شرطاً في لغة العمود ، ولكنه جائز في هذه المادة الصحفية أكثر من جوازه في بقية المواد الأخرى ، وآية ذلك أننا لا نقع على هذا الجمال في كل ما كتب ، الصاوي ، نفسه تخت عنوان « ما قل ودل » ، كما لا ننظر بهذه الطريقة من طرق البيان في بقية الأعمدة الصحفية الأخرى مما نراه في شتى الصحف المحلية عدا « الأهرام » .

ثانياً — عنصر السخرية :

إنه عنصر مشترك بين المقال والعمود ، ولكنه في هذا الأخير أشبه ما يكون بلسعة العقرب ، أو وخزة الإبرة ، أو تحذيرة اليد أو الذراع . ونحو ذلك ، على أن المقال يتوسع في السخرية — إذا قصد الكاتب بنفسه إلى ذلك — ويتنوع في طرقها ، ويعدد من صورها ، وقد تضع الغاية منها على الكاتب نفسه في طيات هذا التنوع والتعدد ، ولذلك ترى القراء يتأثرون بسخرية العمود أكثر مما يتأثرون بسخرية المقال ، لأنهم يصلون إلى الأولى من أقصر طريق ، وقد يصلون في الوصول إلى الثانية لتعدد المسالك المؤدية إلى هذا الطريق .

ثالثاً — عنصر الذاتية :

ذكرنا أن العمود الصحفي أقرب المواد الصحفية كلها إلى الأدب الخالص ، والفرق بين الأدب والصحافة أن الأول ذاتي ، والثانية موضوعية ، ومن أجل هذا أصررنا على أن نعطي محرر العمود حرية كاملة ، بقدر المستطاع في التعبير عن آرائه المختلفة ، وهو قدر من الحرية لا يعطاه الأعضاء الآخرون في أسرة الصحيفة ، ومن هنا تصبح الرابطة قوية بين محرر العمود وقرائه ، ومن هنا وجب على محرر العمود أن يهتم قبل كل شيء بمشكلات الأفراد ، ومعالجة كل مشكلة منها ، وعلى هذا الوتر الحساس يؤدي كتاب الأعمدة دورهم في الصحف ، فيجتذبون إليهم القراء ، ويأتي يوم

لا يستطيع فيه القراء أن يجدوا في أنفسهم غنى عن محرر العمود الذى يشاركونهم في عواطفهم الخاصة والعامة ، ويهون عليهم متاعب الحياة التى يجيئونها ، والصعاب التى يلاقونها ، ويدرس معهم النماذج البشرية التى يلتقون بها دائماً فى طريق الحياة .

وكم للسطور القليلة التى يكتبها محرر العمود من تأثير فى النفوس ، ولو كانت هذه السطور من محض خيال الكاتب فإنها تؤثر فى أخلاقه وطباعه ، كما تؤثر القصة الطويلة التى يكتبها اديب بارع ، ويريد بها تغيير نفس القارئ ، أو تصحيح فكرة من أفكاره ، أو معتقد من معتقداته . والأمثلة على هذا كثيرة لا تحتاج إلى بيان .

من أجل ذلك حرصنا على أن يكون كتاب العمود أحراراً فى أفكارهم ، أحراراً فى تعبيرهم ، حتى يكون لأعمدهم صدى كبير فى نفوس القراء ، فإن وافق ذلك هوى من الصحيفة التى يكتبون فيها فذاك ، وإلا فلكتاب العمود فى هذه الحالة أن يترك العمل فى الصحيفة .

رابعاً - شكل الهرم المعتدل فى الصياغة :

ما أشبه العمود فى هذا بالمقال ، إذ يبدأ المحرر بالفكرة التى يدور حولها العمود ، ثم يواصل الإتيان بالأمثلة والشواهد ، أو الأدلة والبراهين تم يأتى بالنتيجة التى أراد الوصول إليها فى النهاية .

وكثيراً ما يكون العمود على شكل رسالة من بعض القراء إلى الكاتب الذى يرد عليه ، وفى هذه الرسالة يبسط القارئ شكواه من أمر معين ، أو تأييده لوضع معين ، فيكون على محرر العمود فى هذه الحالة أن يرد على القارئ ، وأن يؤيد فكرته بالحجج والشواهد ، وأن يوجه الخطاب إلى ولاية الأمور بعد ذلك لئلا يزيلوا أسباب هذه الشكوى ، أو يزدادوا ثقة بفائدة المشروع الذى كتبت من أجله الرسالة .

خامساً - الإيجاز في العبارة :

على الرغم من أن العمود لا يتسع لأكثر من الكلام عن فكرة واحدة، أو خاطر واحد ، فإن كاتبه مضطر كذلك - بحلم الحيز الصغير الذي خصصته الصحيفة للعمود - أن يوجز في عبارته ، وألا ينجح إلى الإسهاب في هذه العبارة بحال ما .

وربما كان ذلك بعض ما أحس به الأستاذ أحمد الصاوي ، - وهو من أشهر كتاب العمود في مصر - حين اتخذ لعموده عنوان : « ما قل ودل » .

والواقع أن كاتب العمود إذا طلب إليه أن يكتب مادة أخرى ، كالقصة الخبرية ، أو المقال أو التحقيق ، أو الحديث - نراه يصطنع لنفسه أسلوباً آخر في هذه الحالة يخالف كل المخالفة أسلوبه المعتاد في كتابة العمود ، وإذا كان هذا صحيحاً بالقياس إلى الكاتب الواحد ، فلا شك أنه أكثر صحة بالقياس إلى الكتاب الكثيرين في أكثر من مادة واحدة من مواد الصحافة .

* * *

مؤسسات العمود الصحفي في الوقت الحاضر :

لقد ألفنا في مصر أن يتولى تحرير العمود الصحفي كاتب من كتاب الصحيفة يستوحى في هذه الكتابة خياله حيناً ، وحوادث المجتمع حيناً آخر ، ومشكلات الأفراد حيناً ثالثاً ، وهكذا ، ومعنى ذلك أن محرر العمود إنما يكتبه « للاستهلاك المحلي » ، بلغة رجال المال والاقتصاد في الوقت الحاضر .

غير أن كتاب العمود في خارج مصر أصبح لهم سلطان واسع تجاوزوا به حدود بلادهم إلى بلاد العالم كله تقريباً ، فنرى الصحيفة في بلاد كالولايات المتحدة الأمريكية تشتري « حق نشر الأعمدة » من مؤسسات خاصة بهذه

الأعمدة تشبه من قريب أو من بعيد « وكالات الأنباء ، المعروفة
بني أيا منا هذه .

وقد بدأ هذا النوع الجديد من المؤسسات في الظهور بأمريكا منذ
الحرب الأهلية الأمريكية عام ١٨٦١^(١)، وهي تزيد الآن عن مائتين وخمسين
مؤسسة .

ومن أشهر هذه المؤسسات مؤسسة ماكلور ، ويقال إنها كانت
في أول أمرها توزع حوالى خمسة آلاف كلمة في الاسبوع ، ثم لم تلبث
أن بلغ ما توزعه ثلاثين ألف كلمة في الاسبوع^(٢) .

ومن أشهر هذه المؤسسات كذلك واحدة باسم « مؤسسة بوك الصحفية »
وقد وصل صاحبها « إدوارد بوك » الأمريكي إلى منصب رئيس شركة
كورتيس للنشر Curtis Publishing Camp من سنة ١٨٩١ إلى سنة
١٩٣٠ ، وبدأ حياته الصحفية بالترام نشر عمود أسبوعي للكتاب الأمريكي
« هنرى وارد بيشر » تعليقا على الأخبار ، وكان الريح الوفير الذى جناه
« بوك » من هذه الطريقة أكبر مشجع له على إنشاء المؤسسات المقرونة
باسمه إلى اليوم^(٣) .

وقد رأت مؤسسة بوك لى تجذب القارئ من النساء إلى مطالعة
العمود الصحفى أن تنشر عموداً خاصاً بالأطفال ضمن الأعمدة التى تنشرها ،
وتبيع حق نشرها لجميع الصحف التى تطلب منها ذلك^(٤) .

Robert W, Jones : Journalism in the united States (١)

انظر في هذا الكتاب فصلا عن المؤسسات التى توزع الأعمدة الصحفية من ٣٤٩ ، وفصلا
عن محررات العمود الصحفى من النساء من ٥٣٩ ، وفصلا من عمود المسائل العاطفية
من ٥٤٢ ، ونحن ننبه القارىء إلى كل ما سبق .

(٣) المصدر السابق من ٣٥٩ .

(٢) نفس المصدر من ٣٥٨ .

(٤) المصدر السابق من ٣٦٠ .

ويؤخذ مما تقدم أن هناك مجالاً إنسانياً كبيراً تنشر فيه الأعمدة الصحفية ، وأن العمود الصحفي الإنساني هو الذي يمكن توزيعه على أكبر عدد ممكن من صحف العالم ، ونحن نعلم أن الصحافة عمل اجتماعي محلي ، ولكن العمود الصحفي بهذا الطابع الإنساني يجذب الصحافة رويداً رويداً إلى محيط الأدب . . والأدب هو النتاج العقلي الذي يصلح لأكبر عدد ممكن من أفراد البشر ؛ لأنه يتجه دائماً إلى النفس البشرية ، والنفس البشرية خالدة من جهة ، وهي وحدة متشابهة في جميع أقطار العالم من جهة ثانية .

وحين تصبح الصحافة على هذا النحو تصبح « أدبا خالداً » ، بالمعنى الصحيح .

لإلا أن الأمل في وصول الصحافة إلى هذه المنزلة بعيد التحقيق في الوقت الحاضر لأسباب كثيرة من أهمها - فيما يتصل بالعمود - أن العمود نفسه مادة واحدة فقط من بين المواد الكثيرة التي تتألف منها الصحيفة .

وأعجب من كل ذلك ، وأمعن منه في الغرابة أن نجد « العمود الصحفي » يتجاوز مهمته الأولى في الصحافة - وهي مهمة الإرشاد ، وحل مشكلات القراء - إلى وظيفة جديدة هي وظيفة الإعلان !

وفي كتاب للأستاذ « لايبلينج » ، بعنوان « الصحفي المتجول » ، - سبقت الإشارة إليه - حديث عن صحفي بدأ حياته محرراً لعمود إعلاني لدى مؤسسة « ساشس Sachs » ، لبيع أثاث المنازل ، وقد احتال هذا الصحفي على القراء بحيلة لطيفة ، هي أنه أخذ يجذب إليه انتباه القراء أولاً بالكتابة في موضوع الديموقراطية الحديثة ، وكان أول مقال كتبه في ذلك بعنوان لا يمكن لأية ديموقراطية أن تعيش من غير صحافة حرة ، ثم أخذ يتدرج في عموده وينوع في هذا العمود حتى وصل إلى الشؤون المنزلية ، وإلى أن المنزل يجب ان تتوفر له الراحة والأمن والبهجة والتسلية ، ثم أخذ هذا :

الكاتب يتوخى في هذه الأعمدة أن تشر بجوار البضائع المعلن عنها في الصحيفة ، فكان لهذه الطريقة أثر فعلي في رواج البضاعة ، وأقبل القراء على قراءة الأعمدة الإعلانية العجيبة ، ولم لا يفعلون ذلك ، وقد بدأ هم في هذه الأعمدة بالحديث عن الديموقراطية ، والحرية ، والصحافة ، وما إليها (١)

ألا ما أبرع الصحافة ، وما أذكي كتابها ، ومحريها ، والقائمين على إدارتها وإخراجها للجمهور القارىء .

وقريباً تتقدم الصحف في مصر ، وتبلغ الحد الذى تصبح فيه قادرة على شراء حق نشر الأعمدة المشهورة في العالم ، كما أصبحت - منذ وقت قريب - قادرة على الحصول - عن طريق وكالات الأنباء - على جميع أخبار هذا العالم .

والصحافة المصرية على هذا الوجه المشهود تصبح عملاً إنسانياً ، وعملاً فنياً ، وعملاً تجارياً في وقت معاً .

* * *

لقد رأيت بما سبق أن العمود الصحفى أنواع كثيرة ، ولا نستطيع في هذا الكتاب أن نختص كل موضوع منها ببحث معين ؛

فلنكتف إذن بنوعين فقط من الأنواع على سبيل المثال ، هما :

عمود الموضوعات الإنسانية ، وعمود الرياضة والفنون (٢) .

وسنفرد لكل منهما فصلاً برمته فيما يلي :

(١) المصدر المتقدم ص ١٤٧

(٢) لاشك أيضاً أن للعمود السياسى أهمية كبيرة في العصر الحاضر ، ومن أحسن الأمثلة على هذا النوع أعمدة الكاتب المعروف باسم والترليان (راجع كتاب مدخل الصحافة) تأليف بون ، وترجمة راجى صهبون ص ٣١٧

الفصل العاشر

عمود الموضوعات الإنسانية

نعنى بالموضوعات الإنسانية جميع الموضوعات التي يخاطب فيها الكاتب، إحساس القراء، ويهدف إلى إمتاعهم من الناحية الشعورية البحتة، وإحساسات القراء لا حصر لها في الواقع، وهي في الوقت نفسه تختلف بين فرد وفرد، كما تختلف بين حالة وحالة عند الفرد .

فشاب ضيق الدخل ذو أسرة كثيرة العيال قد يشرفيك من الإحساسات مالا يثيره الشيخ الهرم، أو المرأة العجوز التي مات زوجها وأولادها منذ زمن بعيد، وبائع متجول لفحت وجهه الشمس، وعليه ثياب ممزقة، وصوته قد يج في الإعلان عن بضاعته اليسيرة قد يحرك فيك من الشعور مالا يحرك منظر اليتيم في يوم عيد، وهكذا .

ونعنى بالموضوعات الإنسانية أيضاً جميع الموضوعات التي يخاطب فيها الكاتب عقول قرائه، والناس في هذا العصر لا يجدون لهم غنى عن المتع العقلية البحتة؛ يلتمسونها من أى طريق، ومادام طابع العصر هو السرعة، فلا يلتظر من أكثر القراء أن يلتمسوا هذه المتع العقلية الخالصة في الكتب، ولكنهم مضطرون في معظم الأحيان إلى التماسها في الصحف .

من أجل ذلك نرى الصحف كثيراً ما تمد القارئ بأعمدة تخاطب فيها عقله، وربما كانت هذه الأعمدة خلاصة طيبة لمقال قرأه الكاتب، أو لبحث فلسفى أوحى إليه بكتابة العمود الإنساني .

ومن هذا القبيل كثير من الأعمدة التي كان يكتبها على أمين، بصحيفة

والأخبار، تحت عنوان «فكرة»، ومنها كذلك بعض الأعمدة التي يكتبها محمد زكي عبد القادر، في نفس الصحيفة تحت عنوان «نحو النور».

أما «صحف الأجنبية» - أمريكية كانت أم أوروبية - فخافلة بهذا اللون من الأعمدة، والذي لا ريب فيه أن هذه الصحف الأجنبية تقدمتنا أشواطاً بعيدة في هذا السبيل.

ولئن كانت الأعمدة الإنسانية العاطفية تعتمد على غزارة العواطف عند الكاتب وعلى ثروته في المشاعر، فإن الموضوعات الإنسانية العقلية تعتمد على قدرة الكاتب على التأمل في سلوك الناس، والمهارة في تحليل هذا السلوك تحليلاً فطرياً حيناً، ومبنيّاً على قواعد علم النفس الحديث حيناً آخر.

وما أشبه المحرر الصحفي في الحالة الأولى بالأديب.

وما أشبه المحرر الصحفي في الحالة الثانية بالفيلسوف.

وما أشد حاجته في الحالتين معاً إلى قوة البيان، وجمال الأسلوب، وحلاوة التعبير، والقدرة الصحيحة على ربط هذه الإحساسات أو التأملات بعضها ببعض ليخرج منها مادة إنسانية تريح النفس، وتلذذ العقل، وتغذي الوجدان.

من أجل هذا كانت الأعمدة الإنسانية أقرب المواد الصحفية كلها على الإطلاق إلى محيط الأدب، بل لا نبالغ إذا قلنا إنها أدب خالص له من القيم الفنية ما يصبح به خليقاً باسم الأدب الخالص، ونحن نعلم أن هذه القيم الفنية إنما تتلخص في ثلاثة أشياء، وهي:

عمق التفكير، وغزارة الشعور، وجمال التعبير، وقد رأينا كيف يمكن أن تتوافر هذه الأشياء كلها في الموضوع الإنساني.

ومن ثم يجب أن يكون كاتب هذه الموضوعات أديباً ممتازاً، وإن كان

الأدب وحده لا يكفي ما لم تسنده التجارب الذاتية السكثيرة ، والمعرفة الإنسانية العميقة ، والاطلاع الواسع على السكتب والمجلات ، والقدرة على التأمل فى سلوك الأفراد والجماعات .

* * *

وقد تقول : وما الفرق بين العمود الإنسانى ، والمقال الأدبى الذى مر ذكره فى الفصول السابقة ؟

والجواب على ذلك ، أن هناك فرقاً مبدئياً بين هاتين المادتين من مواد الصحف من حيث الطول : فالمقال الأدبى طويل إلى حد أنه يعتبر فصلاً كاملاً من أى كتاب ، أما العمود فيشترط فيه أن يكون قصيراً ما استطاع السكاتب إلى ذلك سبيلاً .

وهناك فرق بينهما كذلك من حيث الشمول : فالمقال الأدبى إنما تقصده به فى الواقع طبقة معينة من القراء ، هى الطبقة التى تفهم الأدب ، وتعرف شيئاً عن صورته ، ووسائله فى التعبير ، أما العمود الإنسانى فإنه موجه إلى عدد أشمل من الناس ، ويستطيع أكثر القراء تتبع العمود الإنسانى دون حاجة منهم إلى معرفة الأدب ، أو الوسائل التى يؤدى بها الأديب ما أراد .

وقد تقول : وما الفرق بين العمود الإنسانى ، والتقرير أوه الريبورتاج ؟
والجواب على ذلك ، كما يقول الأستاذ كارل وارين ، فى كتابه « كيف تصبح صحفياً » ، (١) :

« أن التقرير - أو الريبورتاج - هو معلومات جديدة تناول

(١) راجع الترجمة العربية للكتاب ، بقلم عبد الحميد سرايا س ١٢٤ و ١٢٥ .
(٢ - ٢١ المدخل)

أشخاصاً أو أشياء ، أو حوادث لها مغزى معين ، والغاية منه أولاً — وقبل كل شيء — نقل المعلومات إلى القارئ . أما الموضوع الإنساني فيهدف إلى إمتاع القارئ برواية مكتوبة : مثلها حقيقيون ، ومواقفها الإنسانية حقيقية ، وهدفها الوحيد إثارة إحساساته ، ومع هذا وذاك فليس ثمة خط واضح يفصل تماماً بين الموضوع الإنساني ، والريپورتاج ، فحدودهما تختلط كما تختلط حدود الألوان في قوس قزح .

* * *

أما موضوعات العمود الإنساني فكثيرة ، ولا نستطيع لها حصرأ في الحقيقة ، فالأطفال ، والشبان ، والنساء ، والشيوخ ، والحيوان الأليف كالقطعة ، والحيوان المسلي كالقرد ، والأشجار ، والأمكنة التي ارتبطت في الأذهان ببعض الأحداث ، والمحكوم عليه بالإعدام ، والتاجر ، ورجل الأعمال ، والسجين ، والوزير ، والطبيب ، والأستاذ ، والفلاح ، والشهيد في موقعة من مواقع القتال ، والقائد في الموقعة ، والزعيم في المنفى ، كل هذه موضوعات صالحة للعمود الإنساني الذي تنشره الصحافة .

غير أن النوع العاطفي الخالص من هذه الموضوعات يكثر في الصحافة عند اشتداد الأزمات القومية التي تمر بالبلاد ، ومنها أزمات الحروب التي تقوم بها العصابات ، وجيوش التحرير الوطني في أي بلد كان ، ومنها كذلك أوقات الأمراض الفتاكة ، كالكوليرا ، والطاعون ، ونحوهما ، ومنها الأزمات الاقتصادية الحادة ، والحوادث الكبيرة المفزعة ، كحادثة زلزال ، أو بركان ، أو سيل من السيول الجارفة ، ونحو ذلك ، وكل هذه الموضوعات تصلح لأن تكون مادة للعمود الإنساني ، كما تصلح في الوقت نفسه أن تكون مادة للتقرير الصحفي أو الريبورتاج .

وإن تنس مصر لا تنسى تلك الأعمدة الفياضة بالمشاعر والوجدانات

كما ظهر في الصحف المصرية على أثر المواقع التي اشتبك فيها الفسديون المصريون بالجنود الإنجليز عند مدينة الإسماعيلية ، وذلك في غضون سنة ١٩٥١ ، وفي هذه المواقع الحربية سقط في ميدان الشرف كثيرون من شباب الجامعات المصرية .. ورثت الصحافة هؤلاء الشهداء رثاء أثار أعرق العواطف الإنسانية في قلوب القراء ..

وهكذا كانت « قناة السويس » منذ نشأتها إلى اليوم مدعاة لأزمات قوية هزت الشعور المصرى هزاً قوياً ، وكان من نتيجة ذلك أن أفاض الشعراء والكتاب ورجال الصحف على اختلافهم في الكتابة في هذا الموضوع بين حين وحين . . ولو ذهبت تجمع هذا النتاج الأدبي الصحفى العظيم لتألف لك منه ما يمكن أن تطلق عليه اسم « أدب القناة » ، وهو جزء من الأدب المصرى المعاصر ، عليه طابع الحزن الذى نجد مثله في جزء من الأدب العربى ؛ هو الأدب الشيعى الذى يدور في معظمه حول حادثة مشهورة في التاريخ الإسلامى ، هى حادثة مقتل « الحسين بن على » .

وإلى القارىء مثلاً واحداً فقط من أمثلة الأدب الذى اصطلحنا به على تسميته « أدب القناة » ، وهو هنا عمود من أعمدة الموضوعات الإنسانية التى حفلت بها الصحف المصرية إذ ذاك ، ومنها صحيفة « الزمان » ، وقد نشرت هذه الصحيفة مقالا بعنوان :

إلى البطل الشهيد عادل محمد غانم

قالت فى أوله :

استشهد فجر أمس « ٣٠/١٢/١٩٥١ » ، المجاهد « عادل محمد غانم » الطالب بكلية الطب بجامعة إبراهيم « عين شمس الآن » ، فساكن أول جامعى سقط فى ميدان الشرف .

ثم وجه السكاتب تحيته لهذا الشهيد الكريم ، فقال :

د كنت بين زملائك في الجامعة ملء العيون ، وبين أهلك وأصدقائك
ملء القلوب ، وكان هدفك أن تتمتع بالشباب النضير ، والرييح الضاحك ،
والأمل الحلو ، وتمتّع أهلك بما تنال من فرحة النجاح ، وبهجة العرس ،
وجاه المنصب ، ثم هتفت مصر تناديك فلييت ، وأبليت ، وضحيت ا

د يالك من شاب سخى البذل ، كريم النفس ، عظيم الهمة ا

د ألم تهزمك دموع أمك وهي تودعك ؟ ألم تغلبك عواطف أهلك وهو
يشيعك ؟ ألم تستمع إلى نداء المستقبل الذي كالت من أجله في الدرس ؟
ولا إلى الشباب الذي يفتح لأمثالك نوافذ الأمل والمتعة والحرص ؟
ولا إلى صوت أصدقائك الذي نعمت بحببتهم ، ونعموا بحببتك ؟

د ودعت كل ذلك ، وكل ما فوق ذلك ، وضحيت بالمستقبل الذي
كان ينتظرك ، والأمل الذي كان يراودك ، وأسرت نحو أمك الكبرى
تلمي نداءها ، وتجيّب دعاءها ؛ كأن صوتها لحن سماوي ملك عليك كل
مشاعرك ، وأنسأك كل شيء إلا أمل مصر ، وحق مصر ، وصوت مصر ا

د يالك من شاب سخى كريم ا في الوقت الذي تعانى فيه مصر ضغطاً
متصلاً من أوربا ، ونقصاً أكرهت عليه في السلاح ، تندفع أنت كالشعلة
تفيض بالضوء والحرارة ، وتودى ضريبة الدم زكية سخية ، لتزوى بها
شجرة الحرية ، فلا الظلام أعماك عن الهدف ، ولا التشييط أفتدك عن
الكفاح ، ولا الخوف حال بينك وبين التضحية ا

د لقد أضفت إلى قائمة الشهداء في معركة التحرير اسماً لامعاً سوف
لا تنساه مصر ، وكتبت بدمايك الطاهرة صفحة خالدة في سجل الكفاح
الوطني ستذكرها مصر ، وقدمت بروحك الغالية وثيقة الثقة بين مصر
وشباب مصر ا

د وسوف تثمر هذه الدماء التي تتخضب بها أرض القناة ثمرتها المرجوة

إن شاء الله ، ما دامت مصر تجرد من بنينا رجالا مثلك ، ينسون في سيلها
نفوسهم ، ويضحون من أجل حياتها بحياتهم !

فلتطمئن نفسك ، ولتهنأ روحك ، فإن جهادك لن يضع ، وتضحيتك
لن تلسى ، ووطنك لن يموت !

وتقبل من قلوب أهلك ، وأصدقائك ، وزملائك ، وبني مصر جميعاً
بإقة خالدة مفضلة بالدموع ، ا لإدجار جلاد

وعندى أن هذه القطعة الأدبية ، أو العمود الصحفي الإنساني من أروع
ما خلفه لنا الصحفيون والأدباء ، ككتاباً ، وخطباء ، وشعراء ، وهو - على
كونه عموداً صحفياً بحتاً - له من الصفات الفنية ، والقيم الجمالية ما يجعله
خالداً خلود القطع الأدبية التي تركها لنا هؤلاء القدامى .

• • •

أما النوع الثاني من أنواع الموضوعات الإنسانية ، وهو النوع الذي
يخاطب فيه الكاتب عقول القراء بدلا من عواطفهم ، فالأمثلة عليه كثيرة
من الصحف المصرية منذ نشأتها ، وتذكرنا هذه الموضوعات بما كانت
تفعله صحيفة المؤيد لصاحبها « السيد على يوسف » ، فقد كانت تنشر بين حين
 وآخر موضوعات إنسانية تستعيرها من بعض الكتاب الأمريكيين . ومنهم
الكاتب المشهور باسم : آرثر بريزبان .

وكان هذا الكاتب يبعث بأعمدته إلى إحدى مجلات المؤسسة الأمريكية
المعروفة باسم « هرست » ، فكانت تلقى رواجاً كبيراً جداً في بلاد أمريكا ،
وذلك على الرغم من أنها لم تكن تتصل بأمور السياسة ، وكان من المعجبين
بهذه الأعمدة الإنسانية العقلية - أيما إعجاب - شاب شرقي اسمه « سليم »
كان مقبياً بأمريكا ، وكان يصدر بها مجلة باللغة العربية ، واشتهت نفسه
« سليم » ، هذا أن يحظى بلقاء الكاتب الأمريكي الكبير في مكتبته ، ويشهد

بنفسه كيف يكتب عموده الصحفى عادة ، ونجح سليم فى ذلك - على الرغم من أن مقابلة هذا الكاتب الأمريكى كانت أعسر على طالبها من مقابلة رئيس الجمهورية نفسه ، وإذ ذاك سأله سليم قائلاً : كيف تكتب العمود دائماً ؟

قال الرجل : أفضى نهارى فى مراقبة الناس وأحوالهم ، ومطالعة أفضل المؤلفات ، ففى اختصر المعنى الذى اخترته موضوعاً للعمود فى عقلى أتيت غرقتى هذه ، وكتبت موضوعى على الآلة الكاتبة يبدى (١) .

ونريد أن نستسمح القارىء الشرقى عذراً فى إيراد مثل واحد من أمثلة العمود العقلى الإنسانى الذى كان يكتبه ذلك الكاتب الأمريكى ، وهو العمود الذى نشرته صحيفة « المؤيد » بعنوان :

الماموت والناموس

لقد تعلم أيها القارىء أن الماموت حيوان مفترس فى غاية الضخامة ، وأنه انقرض الآن ، فلم تبق إلا ذكراه .
وأما الناموس الصغير فلا يزال موجوداً بكثرة ، وأنه يزداد ويحصى بملايين الملايين :

ولم نعلم إلا أخيراً أن الناموس هو الذى ينشر حمى الملاريا ، وينقل الحمى الصفراء ، وغيرهما من الأمراض .

وقد استطاع الإنسان مع ضعفه الأول ، وأطواره الأولى أن يتخلص من الماموت ، ومن سائر الحيوانات الضخمة ؛ ولكنه لا يزال حتى الآن عاجزاً عن إبادة الناموس على الرغم من صغره حجمه ، وعلى الرغم من أنه أشد الهوام المنظورة أذى وضرراً .

(١) انظر « أدب المقالة الصحفية فى مصر » الجزء الرابع ، للمؤلف س ٩٢ و ٩٣

أفلا ينتج عن هذا أن العمل الصغير التافه هو أشد ما يعترض المجلس
البشرى كاه ؟ وأن العقل يقوى على حل أعظم المسائل وأشدّها تعقيداً
وضخامة ، ولكنه يعجز عن مقاومة المشكلات الصغيرة التافهة ؟

نعم ، سنتمكن في آخر الأمر من إبادة الناموس ، والذباب ، وسائر
الهوام الجالبة للأمراض ، وإذ ذلك نبداً عراكاً من نوع آخر نقاتل فيه
الميكروبات ، والجراثيم ، والأشياء غير المنظورة ، ونقاتل فيه ميكروبات
الأمراض التي كان الناموس ينقلها ، ويوصل أذاها إلينا ، وهو عراك
عنيف طويل لا بد لنا من الفوز فيه بطريقة أو بأخرى .

ولكن العبرة التي أسوق إليها القارىء من كل ذلك هي أن الإنسان
يجد مثل هذا العناء في المعارك الخلقية ، والمعنوية التي تصادفه في حياته ،
فأصغر الأعداء فيها يحتاج إلى وقت طويل ، وصبر أطول مما يحتاج إليه
الإنسان في التغلب على أعظم الأعداء ، وأقوى الأقوياء .

لننى أعتقد أننا لانزال في دور الهمجية من حيث الأخلاق ، والمعنويات ،
فنحن لانزال نحارب جرائم القتل ، وإحراق البيوت والزرع ، ونحارب
السرقة ، وغيرها من الجرائم الكبيرة والعيوب الضخمة ، وكما كان ساكن
الكهوف يحارب الماموث ، فنحن الآن نحارب هذه الوحوش الأخلاقية
الشرسة الضخمة ، وستزول هذه الوحوش الأخلاقية يوماً ما ، وتلاشى من
الوجود ؛ فلا يرتكب الناس القتل ، ولا يقرّفون السرقة ، إذ لا تكون هناك
حاجة يوماً من ذلك إلى القتل ، أو إلى السرقة متى أعيد تنظيم المجتمع على أسس أخرى .

عند ذلك فقط نعود إلى محاربة المتاعب الخلقية والمعنوية الصغرى
من حيث الإثم ، والكبرى من حيث الخطر والفتك بالجنس البشرى .
ونريد بهذه المتاعب الكثيرة ، أو المخلوقات المعنوية الدقيقة : الرياء ،
والغطرسة ، والأناية ، وحب الذات ، وانعدام الرغبة في الإحسان ،

وأشبه ذلك من العيوب الأخلاقية والاجتماعية التي تشبه د الناموس ،
والهوام في عالم المعاني والأخلاق (١) .

* * *

وهكذا نرى أن عمود الموضوعات الإنسانية لا يكاد يختلف كثيراً
عن المقال الأدبي ، بل هو عبارة - في الواقع - عن مقال أدبي صغير ،
يشترط فيه أن يدور حول فكرة واحدة فقط ، لا يعدوها إلى غيرها من
الأفكار الأخرى ، كما يشترط فيه أيضاً أن يكون أدنى إلى الإيجاز
في اللفظ ، ذلك أن المساحة التي يشغلها العمود في الصحيفة أقل بكثير
من المساحة التي يشغلها المقال الأدبي أو العلمي أو الصحفي .

وتم فرق آخر بين العمود والمقال ، هو أن الأخير لا غنى له في أكثر
الأحيان عن الأمثلة والشواهد التي يأتي بها الكاتب لتقوية كلامه ،
والدفاع عن قضيته ، في حين أن العمود لا يحتاج إلى شيء من ذلك
إلا في القليل النادر .

(١) رجع صحيفة المؤيد العدد ٥٢٠٣ بتاريخ ٣ يونيو سنة ١٩٠٧ وقد نقلنا عنها هذا
المقال سبي من التصرف .

الفصل الحادى عشر

عمود الرياضة والفنون

قبل إن القارىء العادى للصحيفة ، كما دلت الإحصاءات الكثرية على ذلك ، يلقى نظرة سريعة على العنوانات البارزة فيها ، ثم يقلب صفحاتها على عجل بحثاً وراء الفكاهات ، والصور الكاريكاتورية ، ونحوها ، وأخيراً يستقر بصره فى صفحتى المرأة والرياضة^(١)

ولسنا ندرى إن كان هذا صحيحاً بالقياس إلى الشعب الأمريكى ، أو الشعب الأورنى ، وإلى أى حد يكون صحيحاً كذلك بالقياس إلى الشعب المصرى خصوصاً والشعوب العزبية عموماً ؟

والمعروف - على أية حال - أن الصحف العربية تخصص للألعاب الرياضية والمسرح والسينما حيناً يلفت أنظار الجمهور القارىء . فلنقف وقفة ما عند صفحتى الرياضة والفنون فى الصحيفة ، والمشر إلى أهم القواعد والأصول المتبعة فى تحرير هاتين الصفحتين أو العمودين فى العادة :

صفحة الألعاب الرياضية :

نرى معظم الصحف التى تصدر فى العالم - فى الوقت الحاضر - تفرد صفحة أو أكثر لأعمدة الألعاب الرياضية ، ولعل السبب الحقيقى فى اهتمام الصحافة الحديثة بهذه الصفحة بالذات هو انتشار الألعاب الرياضية ، والروح الرياضى فى أكبر أقطار العالم المتحضر ، ومن ثم كان على الصحف

(١) راجع كتاب « كيف تصيح صحفياً » للأستاذ كارل وارن ، الترجمة العربية للأستاذ عبد الحميد سرايا من ١٩٥٠ .

أن تخضع خضوعاً تاماً للأمر الواقع ، وأن تستجيب لرغبات الجماهير في العناية التامة بهذه الأعمدة .

ومعلوم أن أهم الألعاب الرياضية التي تسترعى نظر القارىء هي :
كرة القدم ، وكرة السلة ، ولعبة التنس ، ولعبة الجولف ، والسباحة ،
والمصارعة ، والملاكمة ، وسباق الخيل ، وسباق السيارات ، وسباق
الدراجات ، وصيد الحمام :

والذى لا شك فيه أن العنصر الرئيسى فى جميع الألعاب هو : « عنصر
المنافسة » ؛ وأن الدافع الحقيقى إلى تتبع أخبارها فى الصحف هو :
« الإعجاب بالبطولة »

والذى لا شك فيه أيضاً أن الجمهور فى كل بلد من بلاد العالم تقريباً
ينافس - كما قلنا - على قراءة أخبار الرياضة حتى لتشعر الصحيفة أنها لو
أغلقت هذا الباب هبط توزيعها إلى درجة كبيرة :

ولذلك اهتمت الصحف جميعها بصفحة الرياضة ، وكان فى هذا الاهتمام
معنى الدعاية بالمجان ، وهى دعاية يتدفق بها الذهب فى جيوب مديرى
الملاعب ، والمسارح على اختلاف ألوانها .

وكثيراً ما نجد فى الصحف الكبرى أن لكل نوع من الأنواع
الرياضية المتقدمة محرراً خاصاً به ، يكتب أخباره ويحاول أن يأتى
- عقب ذلك - بالنقد الفنى لهذه الأخبار .

فإذا أعلن يوماً عن مباراة رياضية نهض المحرر المختص على الفور ،
وجمع المعلومات التامة عن المشتركين فى هذه المباراة ، وعنى بالبطولات التى
أحرزوها ، ورجح كفة فريق على فريق ، ووصف المباراة وصفاً دقيقاً من
جميع الوجوه ، ولم يدس أن يذكر موقف المتفرجين على المباراة ، وطريقة
تشجيعهم لهذا الفريق ؛ ذلك ، وباختصار يذكر كل ما يرضى كلا من

اللاعب والقارىء الذى لم تتمح له فرصة الحضور بنفسه لمشاهدة المباراة .
أما القارىء الذى شهد المباراة فى استطاعة المحرر الرياضى أن يمدّه بمعلومات
جديدة قلما يستطيع الحصول عليها بمجموده الذاتى .

من أجل ذلك يعنى كثير من الصحف فى وقتنا هذا «المحرر المختص»
وتتوخى فيه دائماً أن يكون من ذوى الخبرة التامة ، والمرانة المتصلة؛ حتى
أننا لنرى المحرر الرياضى يرتفع فى بعض الأحيان إلى مستوى المحرر
السياسى أو المحرر الأدبى ، أو المحرر العلمى .

ولكن كيف يؤدى هذا المحرر الرياضى عمله عادة ؟ وكيف يرضى
فضول قرائه كذلك ؟

دلت التجربة على أن هذا المحرر يتسبّع فى كتابة مادته طائفة من القواعد،
منها على سبيل المثال :

أولاً - تركيز الانتباه فى نقطة واحدة على الدوام ، هى سير اللعب
فى ذاته ، وحركات اللاعبين أنفسهم ، وذلك بغض النظر - ما أمكن -
عن شعور النظارة .

ثانياً - إن كان ولا بد من العناية بشعور النظارة ، فليكن ذلك دائماً
لعناية واحدة فقط ، هى وصف الجو الوجدانى المحيط باللعب ، ومقدار
الصلة بين هذا الجو العاطفى ، وحركات اللاعبين فى المباراة ، ذلك أن
لتشجيع الجمهور أثراً لا سبيل إلى إنكاره فى الفريقين المتنافسين على السواء .
ثالثاً - عرض الحقائق الخاصة باللعب عرضاً مجرداً عن الهوى ، مجرداً
كذلك عن مشاعر النظارة الذين لا يصح - بحال من الأحوال - أن
يعتبرهم المحرر الرياضى جزءاً من أجزاء المباراة .

رابعاً - من حق المحرر الرياضى - بعد ذلك - أن يكتب تعليقا
على المباراة ، وينبغى له عندئذ أن يجعل هذا التعليق زاخراً بالحياة ، معبراً
عن الواقع .

خامساً - كتابة الخبر والتعليق بأسلوب جذاب ، يصف المباراة ،
ويذكر الأطوار التي مرت بها ، ويصف النتيجة التي انتهت إليها .

على أن هذا الوصف يتطلب من المحرر قدرة بلاغية من نوع معين ،
ولكن مهما كانت هذه القدرة البلاغية التي ندعو إليها ، فلا يصح أن تكون
حائلاً دون استخدام الألفاظ الفنية - ولو كانت عامية - وهي الألفاظ
التي اصطلح الرياضيون عليها ، ولهذا السبب الأخير اشترطت الصحف
في محرريها الرياضي أن يكون عالماً بتاريخ اللعبة الرياضية ، وأن يكون
ممارساً لها منذ مدة .

سادساً - في صياغة القصة الرياضية يحسن أن يتبع نظام القصة الخبرية ،
حيث المحرر الرياضي بالأسئلة الستة المعروفة ، ويصوغ القصة على شكل
هرم مقلوب تأتي فيه النتائج والأخبار المهمة أولاً ، ثم تأتي التفاصيل
بعد ذلك .

سابعاً - على المحرر الرياضي أن يعنى العناية كلها بنتيجة المباراة ، وعليه
أن ينوه بالفائز دائماً ، كما أن عليه أن يشرح للقراء مغزى النتيجة التي انتهت
بها المباراة ، ولا بأس من التعرض في أثناء ذلك لبعض وجوه الضعف في
الفريق الخاسر ؛ والإشارة العابرة إلى المهم من أخطائه ، ولكن بقصد
التوجيه والإرشاد ، لا بقصد السخرية والإيذاء ، فإن السخرية في مثل هذه
الحالة خطأ أدبي جسيم لا يتفق مطلقاً والروح الرياضي .

* * *

وفي يدى عند كتابة هذا الفصل صحيفة « أخبار اليوم » ، الصادرة
في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وقد نشرت في صفحتها الرياضية أخباراً
كثيرة منها الخبر الآتي بالعنوانات الآتية :

الزمالك والمصرى يتعادلان

٢ إلى ٢

أحمد سليم يسجل هدف التعادل في الوقت الضائع
ثم أنت الصحيفة بعد هذه العنوانات بـ « صدر الخبر » ، فكان على
النحو الآتى :

تعادل الفريقان : الزمالك والمصرى ٢ - ٢ ، وسجل « أحمد سليم »
هدف التعادل للزمالك في الوقت الضائع ، كما سجل « عبده سليم » هدفى
المصرى ، وأصاب « خليل » هدفا للزمالك ... جمهور الدرجة الثالثة يلتقى
بالقوارغ في الملعب .

ثم أنت الصحيفة على « صلب الخبر » ، وفيه التفاصيل على النحو الآتى :

الشوط الأول

تبادل الفريقان الهجوم منذ البداية ، وبعد ١٥ دقيقة شدد الزمالك
الهجوم على دفاع المصرى ، ولكنه لم يستغل جناحه الايمن ، وتمكن
دفاع المصرى من صد هجمات الزمالك التى كانت جميعها غير محكمة .

شدد الدفاع المصرى حراسته على « خليل » الذى اضطر لتغيير مركزه
أكثر من مرة لمراوغة الدفاع . أضع هجوم الفريقين فرصا كثيرة ،
وقبل نهاية الشوط الأول بدقة تمكن « العيوطى » حارس مرعى الفريق
المصرى من صد قذيفة قوية من قدم « شريف الفار » أرسلها على بعد ٤٠
ياردة ، وانتهى الشوط الأول بدون أهداف .

الشوط الثانى

بدأ الشوط الثانى بهجوم الزمالك ، وبعد ٧ دقائق رد « شريف » الكرة
إلى « خليل » الذى انفراد بهرمى المصرى ، فسدد كرة مرت بجوار القائم

الخشبي ، وبعد ١٤ دقيقة أحرز ، عبده سليم ، متوسط هجوم الفريق
المصرى الهدف الأول من قذيفة قوية لم يستطع محمد عبد الله ، صدها ،
وبعد ٢٢ دقيقة أحرز ، خليل ، هدف التعادل للزمالك إثر تمريرة من
« شريف الفار » ، وبعد دقيقة احتسب الحكم ضربة جزاء لصالح المصرى ،
سجل بعدها ، عبده سليم ، الهدف الثانى للمصرى وعلى الأثر تكتل فريق
المصرى أمام مرماه للاحتفاظ بفوزه ولعب ، عبده سليم ، متوسط هجوم
بمفرده ؛ وقبل نهاية الشوط الثانى بعشر دقائق سيطر فريق الزمالك على
الكرة حتى نهاية المباراة ، وتمكن « أحمد سليم » من إصابة هدف التعادل
للزمالك قبل النهاية بنصف دقيقة ، وذلك فى الوقت الضائع إثر قذيفة من
« علاء » ، صدت فى الدفاع المصرى ، فتلقفها « أحمد سليم » ، وسجل الهدف
الثانى للزمالك .

* * *

هكذا ركز المحرر الرياضى انتباهه فى نقطة واحدة هى سير اللعب ،
وحركات اللاعبين ، وغض النظر عن شعور النظارة .

بل إن المحرر الرياضى أغفل هذا الشعور تماماً فى مقاله أو عموده ،
فلم يذكر عنه كلمة واحدة ، واكتفى إذ ذاك بصورة شمسية كبيرة نشرها
فى أقصى الشمال من يسار صفحة الرياضة ، وجاء بها على خمسة أعمدة
من هذه الصفحة ، وكتب تحتها العبارة الآتية :

« ثورة الجمهور على الحكم فى مباريات الزمالك والمصرى ، ثار الجمهور
عندما احتسب الحكم ضربة جزاء ضد الزمالك ، وأخذ يلقي الفوارغ ،
وهجم على الملعب ، ويرى رجال البوليس وهم يحاولون تهدئة الحالة » .

وبهذه الصورة الشمسية استغنى المحرر — كما قلنا — عن وصف مشاعر
النظارة ، وأعطى فكرة عن الجو المحيط باللعب ، وأوضح مقدار الصلة بين
حركات اللاعبين وتشجيع الجمهور .

ثم هكذا عرض المحرر الرياضى بصحيفة « أخبار اليوم » ، « الحقائق » ،
الخاصة بالمباراة التى أجريت بين فريق الزمالك وفريق المصرى ، وتجرد
المحرر فى أثناء ذلك عن التحيز لأحد الفريقين ، كما تجرد أيضاً عن مشاعر
النظارة .

ثم إن المحرر الرياضى الذى أمامنا توخى أن يكتب خبر المباراة على
شكل قصة خبرية لها « صدر » ، ولها « صلب » ، وأجاب عن بعض الأسئلة
الستة ، وعنى بذكر النتيجة ، ووصفها ، ولم يلس فى أثناء ذلك كله أن يوجه
النقد من حين لآخر إلى اللاعبين ، ويلفت أنظارهم إلى الأخطاء التى كانوا
يرتكبونها ، ولم يلس هذا المحرر مطلقاً أن ينوه ببعض الممتازين من
اللاعبين ، وأن يسجل حركاتهم فى الملعب ، وأن يستخدم فى أثناء ذلك كله
الألفاظ المصطلح عليها بين الرياضيين أنفسهم ؛ كالألفاظ :

هدف التعادل ، والدفاع ، والمرمى ، والجناح ، ومتوسط هجوم ، وضربة
جزاء الخ ، ولا يكاد يعاب على هذا العمود الرياضى الذى أتى على شكل
قصة خبرية أكثر من أن محوره لم يقسم « صلب الخبر » إلى فقرات تبدأ كل
فقرة منها بسطر جديد ، فإنه بدلاً من أن يفعل ذلك اكتفى بالفصل
بين كل فقرة وأخرى بنقطة أفقية هكذا (. . .) .

ولا شك أن هذه الصفحة الرياضية التى ينشر فيها هذا العمود الرياضى
لم تتسع — فيما يظهر — للتعليق الفنى على المباراة ، بما يعطى للقارىء فكرة
كاملة الوضوح ، تامة البناء ، ظاهرة المعالم :

صفحة الفن :

الفن تعبير شخصى حر يشيع الفرح والبهجة والهدوء والاطمئنان
فى النفس البشرية ، والفن تعبير عن الحياة فى جميع العصور التى مرت بها .
ورسالة الفنان مطابقة دائماً لشعوره وإحساساته ، وهى تقص علينا قصته
كما تخيلها وأحس بها .

والفنان هو وحده صاحب الحق في أن يتصرف في الطبيعة من حوله
فيرسمها لنفسه وللناس بالصورة التي يملها عليه إحساسه وشعوره .

* * *

نظرت سيدة إلى لوحة فنية رائعة ، لمنظر من مناظر الطبيعة في أبيهى
مظاهرها ، فصاحت في وجه الرسام قائلة :

« لكن الطبيعة ياسيدى ليست كذلك ! ، فأجابها الفنان من فوره قائلاً :
« لكن ، ألا تحبين ياسيدتى أن تكون الطبيعة كذلك ، ؟ »

تلك هى بعض الأسباب التي من أجلها تعنى البشرية كلها بالفن من
حيث هو ، وتلك هى بعض الأسباب التي من أجلها تزيد الصحافة من
هنايتها بالفنون على اختلافها .

وهذه الفنون في ذاتها قسمان : قسم خيالى ، وآخر واقعى :

أما الخيالى ، فلا يتقيد بقيود من أى نوع ، ومن هنا كانت الحرية
أصلاً من أصول الفن ، وسبباً من أسباب بقائه ونمائه ، بحيث إذا حرمها
الفن حرم الحياة كلها على الفور .

وأما الفن الواقعى ، ففيه تشترك اليد مع الذهن ، أى أنه فن يحتاج إلى
مادة تعمل فيها اليد بوحى من الذهن .

ومن هنا أطلق على الفنون الخيالية اسم : « الفنون الجميلة » ، أو « الفنون
الرفيعة » ، كما أطلق على الفنون الواقعية اسم : « الفنون العملية » ،
أو الفنون التطبيقية ، :

فن الفنون الخيالية : الشعر ، والرسم ، والتصوير ، والزخرفة ،
والنميل ، والموسيقى .

ومن الفنون التطبيقية : صناعة السجاد ، وصناعة الأثاث ، ونحو ذلك .
وللصحف ... فى الأعم الأغلب ... عناية بالفنون الجميلة ، أو الفنون الرفيعة

تتم باختيارها ، وتتصل بذويها ، وتحرص على تتبع ما يخرجون من ثمرات قرائتهم ، وما يعملون فيه أذواقهم ، ومواهبهم ، ولعلمها - أى الصحف - بالموسيقى ، والمسرح ، والغناء والسينما ، أشد عناية ، وأعظم اهتماماً .. ولذا تراها خاصة بالأعمدة الفنية حول حفلة غنائية لسيدة الغناء السيدة « أم كلثوم » ، أو الموسيقار « محمد عبد الوهاب » ، أو رواية من الروايات التى تمثل على مسرح الأوبرا ، أو الأذبكية ، أو التى تظهر كل يوم فى دور السينما بنوع أخص . وإنك ترى هذا الرجل الذى يحضر الحفلة الأولى لكل تمثيلية ، أو لكل فيلم ، سينمائى ، أو هذا الرجل الذى يحميه الجمهور بين حين وآخر باقتسامه لطيفة وهو جالس فى الصف الأول ، أو « اللوج » ، الظاهر من « أواج » المسرح ، فتعلم أنه « الناقد المسرحى » ، وهو معروف لأكثر النظارة ، لأن اسمه يظهر يومياً فى باب السينما والمسرح ، من أبواب الصحف الكبرى فى العاصمة .

فما السبب - يانزى - فى هذا الاحترام الذى يتمتع به هذا الرجل من جانب النظارة ؟

إن السبب فى ذلك - غالباً - هو الخوف من قلم هذا الكاتب ، حتى لأن نجاح « التمثيلية » ، أو « الفيلم » مرهون بنقده ، فإذا أهمل الناقد المسرحى الكتابة عن إحدى المسرحيات ، أو قال عنها : إنها رديئة ، سقطت من أعين الناس ، وانزعج لذلك المشتغلون بالمسرح ، أو القائمون على إخراج الرواية ، أما إذا كتب الناقد المسرحى رأيه فى المسرحية ، وأثنى عليها بوجه ما ، فإن الجمهور يقبل عليها ، ورجال المسرح يرجون من وراء ذلك الأموال الطائلة ، وكثيراً ما يأتى نجاح الرواية بسبب تحامل الناقد المسرحى عليها ، وقسوته فى نقدها ، فقد يدفع ذلك بالكثير من الناس إلى رؤية الرواية بنفسه ، ومحاولة الحكم عليها بنفسه ؛ فإما وافق الناقد المسرحى ، وإما خالفه ، ولكن كيف يودى الناقد المسرحى عمله غالباً ، وما الشروط التى لا بد من توافرها فى النقد ؟

أولاً - يبادر الناقد المسرحي إلى حضور المسرحية التي يريد نقدها ، ولكنه قبل الذهاب إلى المسرح لهذا الغرض ، عليه أن يحرس كل الخرص على قراءة القصة التي سيشهد إخراجها في المسرح أو في السينما ، وعليه أيضاً أن يطلع على المقالات التي كتبت عن هذه القصة في الصحف ، أو المحاضرات والأحاديث التي أذيعت عنها في الإذاعة ، أو النوادي العامة والخاصة ما أمكنه ذلك ، ومتى تجمّع لديه - من وراء هذه الجهود - قدر كبير من المعلومات أمكنه أن ينقد الرواية نقداً جيداً ، ويسبر غورها جيداً ، ويعطي كل ذي حق حقه من المؤلفين أو المخرجين ، أو الممثلين ، وغيرهم .

ثانياً - يشترط في الناقد المسرحي أن تكون لديه ثقافة مسرحية واسعة ، وذلك فضلاً عن علمه التام بالمسرحية التي أمامه من حيث المبنى والمعنى ، ولم يكن يكون جميلاً - في ذلك الوقت - أن يكون الناقد المسرحي مؤلفاً مسرحياً. قد مارس هذا الفن منذ مدة كافية ، ذلك أن الفرق كبير بين الناقد الأدبي ، والناقد المسرحي .

فهذا الأخير لا يكتفى بدرس المسرحية وحدها ، بل عليه أن يهتم بالممثلين أنفسهم ، ويعنى بنقد طرائقهم في التمثيل والإلقاء ، كما عليه أن يتعرض كذلك لنقد ملابس الممثلين ، وزخارف المسرح ، وحركة الإضاءة وليس له العذر - مع هذا وذاك - في أن يلسى أن يسجل آراء الجمهور ، ويصف الجو الوجداني الذي صحب مشاهدة التمثيل ، وأصوات الموسيقى التي صحبت الممثلين ، أو تلك التي تسمع في الفترات الفاصلة بين فصول الرواية ، ونحو ذلك .

والحق أن واجب الناقد المسرحي ثقيل جداً ، فعليه أن يعدّ نفسه للقيام بهذا الواجب إعداداً حسناً ، وإلا فشل فشلاً ذريعاً في أداء مهمته .

ثالثاً — يشترط في الناقد المسرحى كذلك أن يكون نزيهاً في الحكم ، عفاً للفظ في النقد ، مهذب العبارة في التوجيه ، وإلا سقطت هيئته من أعين الجمهور ، وسقطت معه «صفحة الفنون» ، ثم ما أسرع ما يتهمه الناس بتدنيهاً بأنه لا يكتب للفن ، وإنما يكتب سعياً وراء الربح المادى البحت ، وربما بالغ أعداؤه كذلك فاتهموه بمد يده إلى أصحاب المسارح وودور السينما ، يأخذ منهم الرشوة في سبيل كامة طيبة يمدح بها عملهم من حيث لا يستحقون شيئاً من هذا المدح .

رابعاً — أما اللغة التى تستخدم فى نقد المسرح والسينما فلسنا بحاجة إلى القول بأنها ينبغي أن تكون فى مستوى أعلى من اللغة التى يستخدمها المحرر الرياضى ، إذ المسرح والسينما كالشعر والموسيقى من الفنون الرفيعة التى يجب أن يصطنع لها الكاتب لغة مكافئة لها ، من حيث السمو والرفعة ، وتصل هذه اللغة إلى الذروة على أيدي النقاد المثقفين الذين يتعرضون لنقد الروايات الإنسانية الخالدة ، وللقصص الفلسفية الرائعة .

• • •

وفى باب المسرح والسينما — من أبواب الصحيفة الحديثة — يجد القارئ أخباراً عن الممثلين والممثلات ، وملخصاً لبعض القصص السينمائية أحياناً ، وإن وجدت فرقة موسيقية ، أو فرقة «باليه» بالمدينة كان على الصحيفة أن تبادر إلى نشر كل ما يتصل بهذه الفرق ، من ذكر أسماء القطع الفنية ، وأسماء العازفين ، والراقصين ، وطرق العزف أو الرقص ، وغير ذلك من المعلومات التى يرحب بها قراء هذه الصفحة من صفحات الجريدة .

ويعنى هذا الباب — فيما يعنى به كذلك — بالفرق الاستعراضية على اختلافها ، وإن كانت السينما قد طغت على الصحف فى هذا الميدان طغياناً حديداً ، بحيث لم تدع لها فرصة للتنافس معها فى شيء من ذلك .

الفصل الثاني عشر

الحملة الصحفية

لعل أبسط تعريف للحملة الصحفية أنها تتكون من عدد من المقالات، أو التحقيقات الصحفية يتبع بعضها بعضاً بلا انقطاع ، ويكتبها محرر واحد أو عدد من المحررين المنتمين إلى صحيفة واحدة ، وتكون في معنى واحد ولهدف معين يعود بالنفع على المجتمع المقصود بهذه الحملة .

ولكن يظهر أنه ليس من السهل على الباحث أن يفصل فصلاً تاماً بين المقال الصحفي والتحقيق الصحفي والحملة الصحفية ، فالواقع أن كل فن من هذه الفنون الصحفية يتصل بالفن الآخر اتصالاً قوياً ، أو أننا بعبارة أخرى نجد أن التحقيق الصحفي يتولد عن الخبر أو المقال ، والحملة الصحفية تتولد عن التحقيق . . . وهكذا .

ولنضرب المثل أولاً بما يلي :

. . . نجد الفتاة الإنجليزية عارضة الأزياء المعروفة باسم دكريستيان كيلر ، قد قالت عنها الأخبار إنها كانت على صلة بوزير الحرب البريطاني وبالملحق العسكري الروسي في لندن ، وتقول الأخبار أيضاً إن هذه الصلة كانت سبباً في استقالة الوزير ، وفي تعديل الوزارة البريطانية سنة ١٩٦٣

وقد نشرت الصحف البريطانية ما وصل إليها من هذه الأنباء ، ثم لم يقف الأمر عند هذا الحد ، وهو مرحلة الخبر الصحفي . . بل تعداه إلى مرحلة

المقال الصحفي ، ثم كثرت البيانات الخاصة بهذا الموضوع ، وفتحت هذه البيانات طريقاً إلى المناقشات العامة ، ثم كانت هذه البيانات والمناقشات هي السبيل إلى تحقيقات صحفية ، وكشفت هذه التحقيقات عن أخطاء جسيمة في الحكومة البريطانية استحققت بها هذه التحقيقات أن تتحول إلى حملة صحفية ، وجاءت هذه الحملة على شكل مقالات وتحقيقات متتابعة تهدف كلها إلى البحث عن أخطاء الوزارة البريطانية القائمة ، وتستدل على ذلك بالبيانات الموجودة تحت يد الصحف :

ولكن — ليس معنى ذلك مطلقاً أن هذه الفنون الثلاثة — المقال ، والتحقيق ، والحملة الصحفية — متشابهة في طريقة تحريرها وإن تشابهت في الهدف من هذا التحرير ، فقد رأينا فيما سبق كيف يختلف المقال عن التحقيق من حيث الكتابة أو التحرير ، أما الحملة الصحفية فهي قمة هذه الجهود التي تبذلها الصحيفة ، وهي المرحلة الأخيرة التي تصل إليها هذه الجهود بعد أن تقطع الصحيفة مرحلة الخبر ، والتعليق على الخبر ، والتحقيق المتولد عن هذا الخبر ، وأخيراً تأتي بعد كل ذلك مرحلة الحملة الصحفية إن كانت هناك ضرورة ، إذ الفائدة من وراء هذه الحملة ، والضرورة التي تدعو إلى تنظيم حملة صحفية كثيراً ما تكون نتيجة للشعور العميق بالمطالبة بإصلاح وضع من الأوضاع الفاسدة ، سياسياً كان أو اجتماعياً أو مذهبياً ونحو ذلك .

ومعنى هذا مرة أخرى أن الهدف من الحملة الصحفية في الواقع إنما هو الكشف عن الأخطاء التي تسبب منها فساد واضح في المجتمع ، وهو تأكيد لوجود هذه الأخطاء بطريق الإلحاح عليها والإلحاح على المسؤولين عنها ، ولذلك نرى أن كاتب الحملة يحرص أكثر ما يحرص على تلميح المسئول الحقيقي عن هذه الأخطاء ، وبدون ذلك لا تكون حملة الصحيفة أية فائدة مرجوة .

ولنضرب المثل هنا بسوء نتائج الامتحانات العامة مع وزارة التربية

والتعليم في بعض البلاد العربية . . . إن أمراً كهذا إذا حدث فإننا نجد الصحف تبدأ أولاً بنشر هذه النتائج العامة ، ثم يلي ذلك دوو التعليق الصحفي أو كتابة المقال الذي يعبر في الصحيفة عن أسفها أو عجبها من هذه النتيجة ، ثم تعقب ذلك مرحلة ثالثة فيها نجد الصحيفة تسعى وراء البيانات الخاصة بهذا الموضوع ، ثم ترى أن هذه البيانات تصلح لأن يستعان بها في كتابة تحقيق صحفي في الموضوع ، ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الرابعة والأخيرة ، وهي قيام الصحيفة بالتنبيه إلى الأخطاء الحقيقية التي أدت إلى سوء النتائج العامة ، وفي سبيل هذه الغاية الأخيرة تقوم الصحيفة بدراسة تفصيلية للموضوع ، فتقسمه إلى أجزاء ، وتوزع هذه الأجزاء على عدد من الصحفيين المتتمرسين ثم تقترح لذلك الحلول ، وتلقى المسؤولية الحقيقية - إن وجدت - على الذين ارتكبوا هذه الأخطاء : ، فهل كانت هذه الأخطاء صادرة عن المعلمين لأنهم غير متخصصين كل في المادة التي يقوم بتدريسها ، أم كانت هذه الأخطاء ناجمة عن الهيئة الإدارية التي تقوم بالإشراف على المدرسة وما يجرى فيها من أحداث ؟ . . .

أم أن مردّ هذه الأخطاء في الواقع هو فساد الحياة السياسية القائمة أو الحياة الاجتماعية المضطربة لسبب من الأسباب ؟ . . . الخ هذه الأسئلة وأمثالها نما يرد إلى ذلك الصحفي الذي يعتمد إلى كتابة التحقيقات المؤدية إلى كتابة الحملة الصحفية المقصودة ، ومعنى ذلك أن الصحيفة تستطيع في النهاية أن تضع يدها على الأسباب الحقيقية لسوء النتائج العامة ، وهذه الأسباب في ذاتها هي المقوم الأساسي للحملة الصحفية التي تريد الصحيفة أن تطلع بها على القراء ، ومتى نجحت هذه الحملة فإنها تخدم قضية التعليم ، وتخدم كذلك أسر التلاميذ . . .

الخطّة في كتابة الحملة :

الخطّة التي تتبع في تحرير الحملة إنما تقوم على تقسيم هذه الحملة إلى

موضوعات تكتب فيها مقالات يتبع بعضها بعضاً بدون انقطاع ، بشرط أن يتناول كل مقال من هذه المقالات مشكلة بعينها أو خطأ بعينه أو زاوية معينة من زوايا القضية التي كتبت من أجلها الحملة الصحفية ، وما زال الشعب المصري يذكر تلك الحملات الصحفية التي قامت بها صحيفة «روز اليوسف» ، ومن أخطرها الحملة التي قامت بها هذه الصحيفة ضد الاسلحة الفاسدة وهي الاسلحة التي كانت ترسل إلى الجنود المصريين في أثناء حرب فلسطين ١٩٤٨ ثم ثبت أنها غير صالحة للاستعمال ، وكثيرون من المراقبين يرون أن هذه الحملة التي شنتها صحيفة «روز اليوسف» هي من أقوى الأسباب الحقيقية في قيام ثورة الجيش سنة ١٩٥٢ تلك الثورة التي أطاحت بالملكية ، وقضت على نظام الإقطاع ، وبشرت بالاشتراكية ، إلى آخر ما نعرف من تاريخ هذه الثورة ، وفي كتاب الرئيس جمال عبد الناصر ما يؤكد ذلك .

* * *

وفن الحملة الصحفية معروف في الصحافة العربية منذ فارقت هذه الصحافة دور الطفولة ودخلت في دور الشباب ، وقد عرف القداماء من الصحفيين العرب فن الحملة الصحفية ومارسوه في صحفهم بنجاح تام . . ونذكر من هؤلاء الصحفيين على سبيل المثال : السيد «علي يوسف» صاحب «المؤيد» وهي الجريدة التي صدرت في مصر سنة ١٨٨٩ وامتد بها الأجل بعد ذلك حتى شهدت قيام الحرب العالمية الأولى ، والمعروف عن تاريخ السيد «علي يوسف» أنه كان في خصومة شديدة مع عميد الاحتلال البريطاني في مصر «اللورد كرومر» وبسبب هذه الخصومة الطبيعية بين الرجلين نشرت «المؤيد» هذه الحملة ضد كرومر ، وكان السبب في ذلك خبراً نشرته الصحف عن استقالة «اللورد كرومر» من منصبه بالقاهرة ، وإذ ذلك نشر السيد «علي يوسف» طائفة من المقالات المتتابعة في نقد سياسة «كرومر» ،

لفت بها أنظار الشعب المصرى ، واشتهرت هذه المقالات وعددها يربو على اثنتى عشرة مقالة باسم : «مقالات قصر الدوبارة بعد يوم الإرباع» ، وقد نالت هذه المقالات أعجاب القارىء المصرى ، وأنهالت بسبب ذلك التهنئات على كاتبها ، ثم أضيفت إليها المقالة الرائعة ، التى رد بها السيد «على يوسف» ، على خطبة الوداع للورد كرومر ، وهى الخطبة التى نال فيها كرومر من كرامة المصريين منالا عظيما ، وجاء مقال السيد «على يوسف» ، فسح عن المصريين كل هذه الإهانة .

. . .

وتعتبر هذه الحملة الصحفية من أنجح الحملات فى تاريخ الصحافة المصرية التى ضربت رقاً قياسيا فى مكافحة الاحتلال البريطانى فى عهد أطلق التاريخ عليه اسم [الطور الصحافى من أطوار الحركة الوطنية] ، وهو الطور الذى حرمت فيه بلاد من جيش يدافع عنها ، ومن أية قوة أخرى تقوم بهذا الدفاع خلا قوة الصحافة (١) .

. . .

وهكذا نستطيع أن نضرب الأمثلة الكثيرة من الصحف المصرية على الحملات الصحفية التى قامت بها هذه الصحف فى مناسبات شتى ، ومنها الحملات الصحفية التى كان يشنها العقاد ضد حكومة الوفد بعد خروجه على هذا الحزب .

. . .

غير أن أخشى ما نخشاه أن يفهم من ذلك أن الحملة الصحفية لا يرتفع صوتها ولا تظهر أقلام كتابها إلا فى مجالات السياسة وحدها ، ذلك أن الحملات الصحفية فى مجال الاجتماع أوسع وأعمق .

(١) راجع الجزء الرابع من «أدب المقالة الصحفية فى مصر» للدؤلف من ص ١٩٢ - ٢٢١

وبملاشك فيه أن أنجح الحملات الصحفية ما تعاون في كتاباتها أكبر عدد ممكن من المشتغلين في الصحيفة ، وهذا هو الفرق بين الصحف الحديثة والقديمة من حيث كتابة الحملات ، ففي الصحف القديمة كالمؤيد أو اللواء كان صاحب الجريدة يتولى وحده كتابة هذه الحملة ، أما في الصحف الحديثة فلا بد من اشتراك مندوب الأختصاص، وسكرتير التحرير، والمحرر المختص في تحرير الحملة الصحفية ، حتى يضمن لها النجاح ، ومع هذا وذلك فقد كان تحرير الحملة الصحفية في الصحف القديمة بنظام واحد . وصدورها عن روح واحدة وطريقة واحدة سبباً من أسباب قوتها ونجاحها .
في أداء مهمتها .

الفصل الثالث عشر

الحيل الصحفية

أو الصراع بين الصحيفة والرقيب

منذ القدم والمركة حامية بين الحاكم والمحكوم حول مسألة حرية الرأي ، ، وتشتد هذه المركة دائماً كلما تازمت الأمور أمام الحاكم ؛ وخاصة في ظروف الحرب ، أو الثورة أو الانقلاب ، ، أو الظروف التي تخضع فيها الأمة للحكومة أجنبية عنها ، وفي كل واحد من تلك الظروف يشعر الحاكم بأنه في غاية الحرج ، فلا هو يستطيع أن يكشف الأمة بأسرار الموقف السياسي ، ولا الشعب صابر على أن يقاد في الطريق كما تقاد الأنعام ، وفي كل ظرف من الظروف المتقدمة يضطر الحاكم إلى فرض الرقابة التامة على الصحف والكتيب ، وذلك أقصى ما يستطيع الحاكم نفسه أن يفعله في مثل هذه الظروف .

أما الشعب - ممثلاً في الكتيب والصحافة - فإنه يسلك في سبيل غايته .
طرقاً خاصة ، ليس هنا موضع إحصائها ، ولكننا نسوق طرقاً منها على سبيل المثال .

نحن نعرف أن الأدب أسبق في ظهوره من الصحافة ، ونذكر أن الأدباء - في عصور الاضطهاد الديني والسياسي - ذهبوا مذاهب شتى في مقاومة الاضطهاد على أي شكل من أشكاله ، ولعل أقدم صورة من صور النقد السياسي حفظها لنا التاريخ هي صورة « القصص على أسنة الحيوان » كما تظهر لنا في كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع .

وقد صرح لنا هذا الكاتب بأن له أغراضاً أربعة من وضع هذا الكتاب :

أولها - إقبال العامة على قراءته .

ثانيها - انتفاع الخاصة بهذه القراءة .

ثالثها - رغبة النساخ في انتساخه على مدى العصور .

رابعها - وهو « الأقصى » خاص بالفيلسوف نفسه .

وهنا سكت « ابن المقفع » عن بيان هذا الغرض الرابع الذى وصفه -
« بالأقصى » ، وفهم القراء ، وفهم الخليفة العباسى إذ ذلك ، وكان « أبو جعفر
المنصور » ، أن الكتاب موجه إليه ، وإلى حكومته ، وأن القصد منه توجيه
اللوم إليه ، وإلى حكومته .

وتم طريقة أخرى من الطرق الأدبية الخالصة في التعبير عن الآراء
والنظريات والمذاهب المخالفة ؛ وهى : « طريقة الرؤيا والأحلام » ، وهى
وسيلة الكتاب والشعراء إلى نقد المجتمعات ، والحكومات . ومن الأمثلة
عليها ، رسالة الغفران ، لأبى العلاء المعرى ، ورسائل الوهرانى ، وهو أديب
مغربى وفد إلى مصر فى العصر الأيوبي ، سعياء وراء وظيفة حكومية
فقشل فى الحصول عليها ، فصب جام غضبه على « حكام مصر » ، وكبرائها على
هذه الصورة

بل إن من الطرق التى سلكها بعض المصريين فى نقد حكاهم أحيانا ،
« طريقة الجنون » ، أو الظهور بمظهر العته الذى لا يعاقب عليه القانون .

« فى العصر الطولونى » ، وجزء من العصر الأخشيدى عرفت مصر
شخصية عجيبة كل العجب فى تاريخها ، هى شخصية « سيبويه المصرى » ،
وكان رجلا يظهر الحمق والجنون ، واشتهر عنه ذلك ، فاختنى وراء
هذه الصفة ، وأخذ يهجو الحكام والأمراء ، فلم يكن أحد منهم قادراً
على أن يأخذه بقوله ، لأنه مجنون !

ولكن الناظر فى كلامه ، وأهاجيه يحس إحساساً عميقاً بأنه فى الواقع .

إنما يعبر عن آراء الشعب المصرى فى زمانه أصدق تعبير (١) .

* * *

ثم أتى دور الصحافة ، وأخذت تحل محل الأدب فى مقاومة الظلم والطغيان ، وتنوعت طرق هذه الأخيرة ، كما سبق أن تنوعت طرق الأولى فى سبيل هذه الغاية ، وسجل تاريخ الصحافة المصرية - بنوع خاص - بعض الطرق التى لجأت إليها الصحف الشعبية فى القرن الماضى ، ومنها على سبيل المثال :

طريقة « النديم » فى صحيفته المعروفة باسم : « التنيكيت والتبيكيت » وهى صحيفة كتبها « النديم » باللغتين ، أو اللهجتين : العربية ، والعامية . وكتب باللهجة الأخيرة قصصاً شعبية للعامية سخرفيها من كثير من الأوضاع الشاذة فى المجتمع المصرى الحديث منذ التقت فيه الحضارة الحديثة بالحضارة الشرقية الموروثة ، وكتب باللهجة الفصحى مقالات وقصصاً رمزية للخاصة . منها على سبيل المثال أقصوصته التى كتبها بعنوان :

مجلس طبي على مصاب بالافرنجى

« والإفرنجى كلمة أطلقها المصريون فى القرن الماضى على مرض الزهري . والكاتب يستعمل هذا اللفظ هنا استعمالاً رمزياً ، لأنه رمز به إلى الخراب الذى عم البلاد بسبب إسراف إسماعيل ، كما رمز بكلمة « المصاب » إلى مصر التى أصبحت تعاني المرض والفقر بسبب هذا الإسراف ، ورمز بكلمة

(١) انظر كتاب « الفاشوش فى حكم فرالوش » ، طبعته أخبار اليوم ، فى سلسلة « كتب اليوم » ص ٩١

«مجلس طنبى» إلى العقلاء الناصحين للأمة المصرية ، الذين عليهم أن يفكروا في مخرج لها من هذه الأزمة (١) .

وكان من ألمع الكتاب الصحفيين بمصر في القرن الماضى ، وإمام السخرية في العصر الحديث غير مدافع «يعقوب بن صنوع» الذى اتخذ لنفسه اسم «أبى نظارة» ، وسلك فى سخريته بحكومة إسماعيل طريقين ، هما : طريق المحاورات الصحفية ، وطريق القصص المسرحية ، ونجح فيهما نجاحاً لا نظير له فى الحقيقة ، حتى لقد خافه الخديو إسماعيل ، واضطر إلى نفيه ، وكما سمي «يعقوب بن صنوع» نفسه «بأبى نظارة» فقد سمي الخديو إسماعيل «بشيخ الحارة» ، وسمى الفلاح المصرى «بأبى الغلب» .. الخ .

وما دمنا نتحدث عن الصور الأدبية والصحفية لنقد الحكام الطغاة ، ومحاربة الظلم والاستبداد ، فلا ننسى الإشارة إلى أديب مصر فى القرن الماضى ، وهو إبراهيم المويلحى ، وإلى بعض طرقة فى ذلك .

ومن هذه الطرق المقالات التى كتبها بعنوان : «ما هنالك» ، وهى مقالات كتبت فى نقد الحكومة العثمانية ، والفساد العثمانى ، وفى نفس الوقت أخافت الحكام فى مصر ، فقد خشوا أن يكتب فيهم «المويلحى» ، «ما هنا» ، بدلاً من «ما هنالك» .

ومن الطرق الأدبية الخالصة التى عمد إليها «إبراهيم المويلحى» كذلك ، وشاركه فيها ابنه «محمد المويلحى» طريقة القصة الطويلة ، فقد كتب المويلحى الكبير «إبراهيم» قصة «موسى بن عصام» فى نقد الاحتلال الإنجليزى ، والتمك على رجاله ، وكتب المويلحى الصغير «محمد» قصة «عيسى بن هشام» فى نقد المجتمع المصرى ، ونقد حكامه .

أما الكتاب الأول ، فالظاهر أن رجال الاحتلال تلبهوا إليه ، وحالوا

دعون صدوره على هيئة فصول متتابعة في جريدة « مصباح الشرق » ، التي كان يصدرها المويلحي .

أما الكتاب الثاني لصاحبه « محمد المويلحي » ، فقد نشر تباعاً على صفحات مصباح الشرق ، وجمعت فصوله - فيما بعد - في كتاب لم يزل بأيدينا إلى اليوم .

ويطول بنا القول لو أردنا أن نشير إلى كل طريقة من الطرق التي سلكها الأدباء ورجال الصحافة في محاربة الظلم الذي يقع أحياناً من الحكومة في مثل الظروف التي أشرنا إليها في أول حديثنا هذا .

* * *

وفي القرن الذي نعيش فيه طلع علينا الأدباء ورجال الصحافة بطرق كثيرة : بعضها قديم ، وبعضها مبتكر ، وليس يعنيننا في هذا الفصل أن نذكر شيئاً عن هذه وتلك بقدر ما يعنيننا - في الواقع - أن نشير إلى بعض الحيل التي لجأت إليها الصحف المصرية في مثل الظروف التي أشرنا إليها ، تحت ضغط الرقابة التي فرضها الحاكم عليها .

والصحافة تعرف أن من أسلم طرق الهروب من الرقابة طريق « الكاريكاتور » ، سواء أكان عن طريق القلم ، أم عن طريق الرسم أم عن طريق الصورة ، والطريق الأخير أوقع وأسلم من الطريق الأول في الغالب ، ولذلك تعتمد الصحافة الحديثة اعتماداً ظاهراً على الرسم الكاريكاتوري ، لأنه الرسم الذي يفهمه الشعب على اختلاف طبقاته ، في حين أن القلم الكاريكاتوري العلمي قد لا يستطيع أن يفهمه من الشعب غير الطبقة الخاصة :

غير أن الرسم والتصوير خارجان عن التحرير ، فإلى أم الحيل التي يلوذ بها الفن الصحفي اليوم في هذا الميدان الأخير ؟
تستطيع صحيفة مصرية حديثة كمجلة « خيال الظل » ، للإستاذ « حافظ

عوض ، ، أو مجلة «الائنين» التي تصدرها دار الهلال أن تمد القارىء بطائفة من هذه الحيل !

وربما كان من أهمها حيلة :

اختراع الشخصيات

فإذا عجزت الصحافة في مصر عن أن تصف الحكام الظالمين — في وقت ما — بأنهم «حمير» ، أو بأن الذين يقرون منهم مبدأ المحسوبية «حمير» فإن صحفياً حديثاً — كالأستاذ مصطفى أمين — بانفائه مع رسام قدير ، كالرسام «رخا» يستطيع أن يتسكّر شخصية «حمار أفندى» ، لتظهر في «مجلة الاثنين» ، وتوجه النقد لاذعاً إلى الحكام في أخذهم بمبدأ المحسوبية ، تارة ، وعجزهم عن محاربة «الغلاء» تارة أخرى .

وإذا عجزت الصحافة في مصر عن أن تكشف الستار عن سياسة الحكام الذين أثروا عن طريق الحرب ، وسمحت لهم ضمائرهم بالانحياز في أقوات الشعب ، فإن «مجلة الاثنين» تستطيع كذلك أن تتسكّر شخصية «غنى حرب» ، وهي شخصية رجل أثري على حساب الشعب ، وأصبح الفرق عظيماً ومخجلاً في الواقع بينه وبين هذا الشعب .

وإذا عجزت الصحافة في مصر عن مواجهة الحكام الطغاة الذين أسكرتهم السلطة ، وغرم النفوذ ، فإن «مجلة الاثنين» تستطيع أن تتسكّر شخصية «سكران باشا طينة» لتعبر عن رأيها في هؤلاء الحكام ، وتردهم إلى شيء من التواضع والصواب .

ومهما يكن من شيء فلعل أبداع شخصية ابتسكرتها «مجلة الاثنين» ، في أثناء الحرب العالمية الأخيرة هي شخصية «ابن البلد» :

ابن البلد

ولندع الأستاذ مصطفى أمين، يصف لنا هذه الشخصية التي اشترك في رسمها كذا: « مع الرسام درخا، حيث يقول (١) :

« . . ابن البلد نائر على المتبع في هذا البلد، فهو يحب المرشح إلى أن يلتخب، والضعيف إلى أن يقوى، والفقير إلى أن يغنى، والحزب إلى أن يتولى الوزارة، وهو يكره القوى إلى أن يضعف، والحاكم إلى أن يستقيل والظالم إلى أن يعزل، »

« وهو لا يكف عن الابتسام، وبعض الناس يحسب ابتسامته جهلا ورضى بالخنوع، والبعض الآخر يرى ابتسامته دليلا على السخرية والاستخفاف، .

« وابن البلد حاضر النكتة، يلقيها ولا يهمه أن تصيب أو تخيب، وقد يتعثر فيها الكبير، وقد تؤلم الصغير، ولكنها دائماً بريئة لا يقصد منها أن تنفع أحداً أو تضر أحداً، اللهم إلا أن تظهر طبيعته الساخرة التي ورثها من توالى عمود الظالمين، »

« وهو رجل طيب القلب، لا يتعصب ضد دين أو جنس، ولا يحقد على أحد، ولا ينتقم من مغلوب، ولا يمد خنجره في جريح .

« كم اضطهدوه وعذبوه، كم طردوه وانتمروه، ولكنه لا يستطيع إلا أن يقول لهم كلمته الخالدة خلود الأهرام : « معلمش، » أو « ربنا يسأحهم، » أو « منهم لله، » !!

« وقد يعد بعضهم هذا التسامح دليلا من أدلة الضعف، ولكنه يعدها رجولة، والرجولة عنده نصيحة، »

(١) راجع « ثورة الصحافة » للأستاذ سامى عزيز ص ٩ وما بعدها .

« إنه يخنى رأسه أمام الطغيان ، ولكنه - في الوقت نفسه - يلعن في قلبه الطغاة المتجبرين » .

« ابن البلد رجل خلق من الطبيعة وحدها ، والحكمة التي تجرى على لسانه هي حكمة السليقة - قد لا يقصدها - والقبلة التي يضعها على يدي القوى قد تخرج من فمه ولا يشعر بها ، أما اللعنة التي يرسلها فهي من قلبه ، وقد يكون لها - دون أن يعلم - أثر أشد فتكا من رصاص المدفع الرشاش ، ا

« هذا هو ابن البلد الذي ولدته « مجلة الإثنين » .. ادهواله أن يعيش » .

ولقد كانت الحكومات لا تنبهه إلى هذه الشخصيات التي تخترعها الصحافة من حين لآخر إلا بعد فوات الوقت ، وبعد أن يكون القراء قد علموا بها ، وفهموا قصدها ، وأصبحت كل واحدة من هذه الشخصيات ذات صورة واضحة كل الوضوح في أذهانهم ، وصار لكل لفظ من الألفاظ التي تجرى على ألسنة هذه الشخصيات مغزى قوى في أذهانهم .

• • •

وهناك جيل أخرى عمدت لإيها الصحافة عدا حيلة ، اختراع الشخصيات ، ، منها التعليق على حوادث البلاد الأخرى تعليقا يمكن تطبيقه على حوادث مصر نفسها ، وكأنما الكاتب الصحفي في مصر يقول لحكومته في هذا التعليق وأشباهه : « إياك أعنى ، واسمعي يا جارة » .

والأمثلة على هذا كثيرة ، منها :

أن إحدى الصحف انتهزت يوماً ما فرصة اعتداء الفرنسيين على رئيس جمهورية لبنان ، واعتقلهم « رياض الصلح » رئيس الوزارة ، وفرضهم

(م - ٢٣ المدخل)

على الجمهورية اللبنانية رئيس وزارة آخر ، واستعاتهم على ذلك بالدبابات والجنود ، والطائرات ، فأخذ الأستاذ « مصطفى أمين » يكتب المقالات الفنية التي وصف فيها هذا الحادث ، كما وصف تدخل فرنسا في شئون لبنان ، وكيف أن فرنسا داس على استقلال هذا البلد الشقيق ، وكانما كان الأستاذ « مصطفى أمين » يتحدث في الواقع عن حادث ٤ فبراير ، وكيف تدخل الإنجليز في شئون مصر الداخلية ، وفرضوا عليها رئيس وزارة بالدبابات ، والجنود ، والطائرات ، وسائر أدوات المظاهرات العسكرية الإرهابية ، وفهم القراء في مصر ما قصدت إليه « مجلة الإثنين » ، من أنها تشير إلى هذا الحادث ، وأنها تسخر من رئيس الحكومة المصرية الذي ظفر بالحكم على أسنة الرماح الإنجليزية ، وهي هنا حكومة الوفد ، وكان على رأسها مصطفى النحاس « باشا » :

وكما يتحدث الصحفي عن حوادث وقعت في بلاد لبنان ، وكان لها نظائر في مصر ، فكذلك يستطيع أن يتحدث عن خطوب وقعت في بلاد غير لبنان : كالصين ، أو الهند ، أو فارس ، ونحو ذلك .

وجملة القول : أن مجلة « الإثنين » ، بالذات عمدت إلى طريقتين إلى الآن ، وهما : طريقة ابتكار الشخصيات ، وطريقة انتهاز القرص والحوادث الخارجية الشبيهة بالحوادث المصرية ، وبهذه الطريقة الأخيرة ، رقت الصحافة المصرية يوماً من الأيام تنقد نواب البلاد ، كما نقدت من قبل رجال الحكومة في عيب من العيوب الخطيرة ، وداء من الأدواء الويلة ، هو « داء المحسوية » ، الذي منيت به البلاد المصرية في العهود الماضية كلها ، غير أن الصحافة بدلا من أن توجه اللوم للنواب المصريين أخذت توجه هذا اللوم إلى النواب اللبنانيين ، أو السوريين ، أو العراقيين ، حتى تفلت بهذه الطريقة من قلم الرقيب .

وهذا كله فضلا عن الطرق الأدبية الطابع في ذاتها ، مثل النبوءات ،

والرؤى والمنامات ، واختراع الخرافات ، والتحدث على أسنة الطيور ،
وطريقة الحوار القصير بين أستاذ وتلميذه ونحو ذلك .

ثم إن الصحافة الحديثة لم تسلك طريق المقال على شكل من الأشكال
فحسب ، بل طرقت طريق الفنون الصحفية الأخرى : كفن الحديث
الصحفي ، وفن التحقيق الصحفي على لسان شخصية مبتكرة لا وجود لها
في عالم الحقيقة .

وبهذه الطريقة تنكر وضعا من الأوضاع الغريبة في المجتمع أوفى
الحكومة ، وتستطيع في الوقت نفسه أن تفلت من يد الرقابة .

ولعل من خير الأمثلة على هذه التحقيقات الخيالية ذلك التحقيق الصحفي
الذي نشرته « مجلة الإثنين » بعنوان : « كيف يعيش محمد أفندي » ، والتحقيق
الصحفي الذي نشرته أيضاً بعنوان : « كيف يعيش الأسطى إبراهيم » ،

وقد جاء كلا التحقيقين تعبيراً صادقاً عن شعور الشعب المصري
بالأزمة الشديدة التي أحس بها في غضون الحرب العالمية الثانية .

ثم إن من الحيل الصحفية التي نراها بين آن وآخر ، كتابة الرسائل التي
يتجه بها القراء إلى رئيس التحرير ، على أن تدور هذه الرسائل حول
شخصيات خيالية ، أو رحلات وهمية ، أو مشاهدات لا نصيب لها
من واقع الأمة التي تصدر فيها الصحيفة ، وهي طريقة أديبة قديمة عمد
إليها الكتاب الأوربيون ، كما نجد ذلك في الرسائل « الفارسية » ، « لونتسكيو » ،
والرسائل « الإنجليزية » ، « لفولتير » ، وغيرها .

وفي هذه الرسائل وأمثالها يتخيل الكاتب شخصا غريبا عن البلاد
جاء لزيارتها ، ولقت أنظار أهلها بفرابة ملابسه ، وغرابة سلوكه ،
كما لفت نظره ما وجد منهم من تصرفات عجيبة ، وآراء غريبة ، فأخذ ينقد
كل وضع يراه ، وصورة يقع عليها ، وعبر عن ذلك كله بطريق الرسائل .

ومن هذا القبيل يمكن أن يعتبر كتاب الدكتور « طه حسين » بعنوان :

« مرآة الضمير الحديث » ، أو الرسائل « الجاحظية » التي توجه بها
« طه حسين » - يوماً ما - إلى رئيس الوزارة في مصر ؛ وهو المهندس
حسين سرى .

* * *

وهذا كله من جانب الصحفيين ، أما الأدباء غير الصحفيين ، فقد كانت
لهم وسائلهم الخاصة بهم في نقد الحكومة والمجتمع ، ومن أهم هذه
الوسائل : « القصص » كما نجد ذلك في قصة « مذكرات نائب في الأرياف » ،
لتوفيق الحكيم ، و « جنة الحيوان » ، لطلح حسين ، و « المعتذرون في الأرض » ،
له أيضاً ، إلا أن وسائل الأدباء ليست بما نهدف إليه في بحث خاص
بالصحافة ، فليس من حقنا إذن أن نرسل القول في هذا اللون من ألوان
الأدب .

* * *

و « الخلاصة » ، أن على الأدباء ، ورجال الصحف ، واجباً ثقيلاً لا مفر
من أدائه ، وهذا الواجب هو : « محاسبة الحكام » ، وبذل النصيحة لهم
وللحكومين على السواء ، فإذا كانت الظروف ظروف سلم وأمان ،
لم يحتج الأديب أو الصحفي إلى التورية في كلامه ، وإن كانت الظروف
ظروف حرب وظلام ، فلا يجوز لرجال الأدب والصحافة أن يقفوا
مكتوفي الأيدي حيال الظلم ، أو البطش ، أو الخيانة ، ذلك أن الطيعة
وهبتهم من الذكاء ما يمكنهم من الوصول إلى غرضهم ، ومن الأسلحة ما هو
بمثابة الحيل التي توصلهم إلى هذا الغرض .

مصادر الكتاب الثالث

- 1 — The Kemsley Manual of Journalism.
by : Hadson
- 2 — Newspaper Writing and Editing.
by : Bleyer. Willard Crosvenor. 1932.
- 3 — An Introduction to Journalism.
by : Bond, Frank Fraser, 1954.
- 4 — Commission on Freedom of the Press.
by : Univ. of Chicago Press, 1947,
- 5 — Business Journalism, its Function and Future.
by : Elfenbeen, Tuban, 1954.
- 6 — Modern Feature Writing.
by : Reddick.
- 7 — Journalistic Writig.
by ; Hyde, Grant Milnor, 1946.
- 8 — American Journalism.
by : Mott Frank Lutber, 1950.
- 9 — Journalison.
by : Olson, Kenneth.
- 10 — Writing the Feature Article.
by : Steigleman.
- 11 — The Complete Journalism.
by : F. Mansfield.
- 12 — Journalism.
by : Wickman, Stead.

١٣ — جنة العييط ، للدكتور زكي نجيب محمود

١٤ — ثورة في الصحافة ، للأستاذ سامى عزيز .

١٥ — أدب المقالة الصحفية في مصر ، للدكتور عبد اللطيف حمزة .

١٦ — مستقبل الصحافة والأدب في مصر، للدكتور عبد اللطيف حمزة .

- ١٧ - فن المقالة، للدكتور يوسف نجم ط ١٩٦٧ في بيروت
١٨ - فيض الخاطر، لأحمد أمين
١٩ - ساعات بين الكتب، لعباس محمود العقاد
٢٠ - الفصول، لعباس محمود العقاد
٢١ - حصاد المشيم، للمازني
٢٢ - صندوق الدنيا، للمازني
٢٣ - الأيام، لطفه حسين
٢٤ - في المرأة، لعبد العزيز البشري
٢٥ - الأُسلوب، لأحمد الشايب
٢٦ - في الميزان الجديد، لمحمد مندور

هذا عدا الصحف والمجلات التي تصدر في مصر .

الكتاب الرابع

فنّ النقّير

وبه الكلام عن فنّ تحرير المجلة

الفصل الأول

المجلة

لعل أول من استخدم لفظ « مجلة » أو أشار باستعمالها هو ابراهيم اليازجي عندما كان يحرر « مجلة الطبيب » ، ثم شاعت بعد ذلك ، هكذا قال فيليب طرازي (١).

ويطلق على المجلة في اللغة الإنجليزية لفظ له دلالتة وهو « Reiew » والمعنى الحرفي لهذا اللفظ هو « إعادة النظر » ، ودلالة هذا الاسم آتية من أن المجلة لا تعدو في جوهرها أن تكون عبارة عن إعادة النظر فيما سبق من أخبار وحوادث ومواد سبق نشرها في الجرائد اليومية ، ولم تساعد طبيعة الصحافة اليومية ذاتها على استيفاء هذه المواد كما ينبغي .

صحيح إن الصحف (٢) تحاول غالباً أن تتابع الخبر الصحفي بشتى الطرق الممكنة ، وصحيح إن هذا التتابع للخبر يظهر في الجريدة في شكل تعليق ، أو في شكل طرائف Feature أو في شكل حديث أحياناً ونحو ذلك ، لكن المجلة تستطيع بعد كل هذا أن تعيد النظر في جميع هذه المواد على اختلافها ، وأن تبدى للقارئ وجهة نظر جديدة . وتمتاز هذه النظرية الجديدة بشيء من العمل ، ونوع من الاستيفاء في البحث ، وشيء كذلك من الجمال في العرض قلباً يتاح للجريدة اليومية .

هيئة تحرير المجلة وطبقة المحررين بالقطعة :

المتبع في كل مجلة من المجلات أن يكون لكل قسم من أقسامها مدير

(١) انظر كتابه « تاريخ الصحافة العربية » ج ١ ص ٧ .

(٢) يجب أن يكون مفهوماً منذ الآن أننا نطلق لفظ (صحيفة) على كل من الجريدة والمجلة الأسبوعية أو الشهرية أو الدورية .

مستول عن مواد هذا القسم ، وتساعد هئية من المحررين تقوم بجمع المواد وصياغتها صياغة فنية قدر المستطاع .

غير أن أنشط الأعضاء في هئية تحرير المجلة في الواقع هم ، طبقة المحررين بالقطعة ، وهم الذين يتعاملون مع المجلة ، ويتفاوضون على ذلك مرتبات ثابتة أو مكافآت معلومة من القأمين عليها .

وتعتمد المجلات على هؤلاء الكتاب في الحصول على الجانب الأكبر من مادتها الصحفية ، ويطلق على الكتاب بالقطعة اسم « المصاحفين » ، Free Lancers تمييزاً لهم عن المحررين الأصليين في المجلة أو في الجريدة . وهؤلاء المصاحفون يقومون بتزويد المجلة بأنواع شتى من المواد الصحفية ، كالمقال ، والفصحة ، والتحقيق ، والطرائف ، والرسوم الكاريكاتورية ، والفكاهات والأغاز ، وغير ذلك .

ويحصل المصاحفون على هذه المواد من الحوادث الجارية ، ومن مراقبة هذه الحوادث أولاً بأول ، ومن الهيئات والمؤتمرات ، ومن الدشرات ، ومن المكتبات ، ومن الإذاعات ، ومن الإحصاءات التي تصدرها الجهات الرسمية وغير الرسمية .

وكثيراً ما يعتمد المصاحف كذلك على الاتصال الشخصي ، كما يعتمد كذلك على الوكالات الخاصة بالأعمدة . ومعنى ذلك أنه كما توجد وكالات خاصة بالأنباء فإنه توجد كذلك وكالات لا تهتم إلا بالأعمدة الصحفية تزود بها الصحف والمجلات التي تطلبها ، وتشارك بالمال في هذه الوكالات من أجل هذه الغاية .

وغير خاف كذلك أن هؤلاء المصاحفين يواصلون قراءة المجلات التي يكتبون فيها ، ولا تنقطع صلتهم بالمسؤولين عنها لكي يقفوا على رغباتهم ، ورغبات القراء في نوع معين من المواد الصحفية . وعلى المجلة من جانبها أن تعمل كل ما في وسعها للدعاية اللازمة لنجاح أولئك المصاحفين

في مهمتهم ، لأن في نجاحهم نجاحاً للمجلة ذاتها من ناحية ، ونجاحاً للوكالة التي يعتمد عليها هؤلاء الكتاب من ناحية ثانية . والمعروف أن هذه الوكالات تتقاضى من كاتب المجلة الذى من هذا النوع عمولة قدرها ١٠٪ من الأجر الذى يحصل عليه من المجلة . والذى لا شك فيه أن حوالى نصف المواد التى تنشرها المجلات الأمريكية إنما تأتينا عن طريق الوكالات التى من هذا النوع .

المصادر التى تستقى منها مواد المجلة :

عرفنا أن المواد التى تنشر فى المجلة قلما تتعدى ما يلى :

الافتتاحيات - بعض الأخبار والتعليق عليها - المقالات .
أو الأعمدة - التحقيقات الصحفية - القصص - الطرائف -
المذكرات والفسكاهات والنوادر - الأقوال المأثورة - الرسوم
الساخرة - الإعلانات - الأركان ، أو الأبواب الصحفية التى تتفق
ونوع المجلة وأهدافها ونوع تخصصها ، فمن مواد المجلة المصايبية -
على سبيل المثال - مادة خاصة بالأزياء ، وأخرى خاصة بالأطفال ،
وثالثة خاصة بشئون المطبخ ، ورابعة خاصة بمشكلات البيت وبالعلاقات
الزوجية ، وقس على ذلك بقية المجلات الأخرى : كمجلة المهندسين ، ومجلة
المحامين ، ومجلة المعلمين ، ومجلة الطلبة ، ومجلة العمال وما إليها .

أما المصادر التى تستقى منها مواد المجلة فيمكن أن تتلخص فى مصدرين :

أولهما - مصدر داخلى ، ونعنى به الكتاب والمحررين والمراسلين
ومندوبى الأخبار ، والمصورين والرسامين وغيرهم من يعملون داخل
المجلة ، ويعتبرون عمالا وموظفين بها .

وثانيهما - مصدر خارجى ، ونعنى به طبقة الكتاب بالقطعة
أو المصاحفين ، والمصورين والرسامين فى خارج المجلة لا فى داخلها ،
وكالات الأعمدة وال ' أنف ، وقد سبقت الإشارة إليها ، تضاف إلى ذلك :

مكاتب الاستعلامات التابعة للحكومة وللهيئات ، ثم المكتبات والمؤسسات والمتاحف ، كما تعتبر المجلات المحلية والأجنبية ، ويعتبر القراء أنفسهم . كذلك «صدرأ هاماً من مصادر المجلة لا غنى عنه .

ولاشك أن الصعوبة في إعداد المجلات تأتي من أنه ليس من السهل في واقع الأمر إرضاء كل قارئ ، فنحن إذا نشرنا المواد الأصيلة "Original" اتهمنا بأننا لا نميل إلى التجديد ، وإذا نشرنا المواد الهشة أو الخفيفة اتهمنا بأننا بلهائنا أغبياء ، وإذا عدلنا عن نشر هذه المواد الأخيرة فنحن جادون أو متزمتون أكثر مما ينبغي وهكذا .

والمجلة لكي ترضى قراءها يجب أن تأخذ في إعداد موادها لسته أشهر مقدماً ، ولا شك أن هذه ميزة تنفرد بها المجلة دون الجريدة اليومية ، وهذه الميزة آتية من أن المجلات لا تقوم دائماً على عنصر الحداثة Actualité ، كما في الجريدة اليومية .

على أن إعداد المواد قصصاً ، ولمدة طويلة يثير مشكلة من أعقد المشكلات التي تواجه المسؤولين عن تحرير المجلات العامة ، وهي: كيف نحكم على أهمية موضوع ما بالنسبة للقراء بعد فترة طويلة من الزمن كهذه الفترة التي أشرنا إليها ؟ مع أن الآراء تتبدل ، والأذواق تتغير ، وما قد يكون هاماً في نظر القارئ اليوم قد لا يكون هاماً في نظره بعد ذلك .

إن حل هذه المشكلة يتوقف غالباً على مهارة القاصين بتحرير المجلة ، وقدرتهم على فهم اتجاهات الرأي العام أو الذوق العام ، ولا شك أن الطريق السليم لمعرفة الاتجاهات العامة هو طريق الاستفتاء أو الإحصاء . ولذلك تعتمد المجلات الكبيرة اعتماداً ظاهراً على هذه الطرق .

ومن المجلات المصرية التي تؤمن بهذه الطرق المبيلة على الاستفتاء مجلة «الهلال» بالجمهورية العربية المتحدة ، ولا شك أن هذا سبب من أسباب نجاحها وبقائها إلى اليوم .

أما المجلات المحلية والأجنبية باعتبارها مصدراً تستقى منه المواد الصحفية فالملاحظ إلى الآن أن المجلة العربية مازالت إلى يومنا هذا تعتمد في كثير من موادها على المجلات الأجنبية وخاصة الأمريكية والإنجليزية والفرنسية ، ومن هذه المجلات الأجنبية ما وصل فعلاً إلى الدرجة العالمية التي تجعل منها مصدراً لأكثر المجلات المحلية ، ومثلها مجلة لوك Look ، ومجلة مانش Match ، ومجلة لايف life وغيرها ، ذلك أن هذه المجلات الأخيرة لها من الإمكانيات ما يساعدها على الانفراد بموضوعات ممتازة من ناحية الفكرة ، ومن ناحية العرض ، ومن ناحية الصورة ، ومن ناحية التحرير ، ولاتكاد بعض الصحف المصرية في كثير من الحالات تفعل أكثر من أنها تقوم بترجمة هذه المواد ، وتحذو حذوها كذلك في طريقة الإخراج ، بل إن المجلات المصرية الكبرى كالمصور ، وآخر ساعة ، وحواء ، والسكواكب ، وهي ، وسيمير ، وكروان ، تمنع إلى يومنا هذا في محاكاة المجلات الأجنبية من حيث الإخراج ، ومن حيث المواد أو الأركان وغير ذلك .

ومهما يكن من شيء فإن المواد التي تنشر في مجلاتنا المصرية الآن على تنوعين :

أولهما - المواد الإعلامية كالأخبار والتعليقات والصور المتصلة بحوادث الأسبوع وغير ذلك من المواد التي اصطلح على تسميتها بالمواد الحالية .

وثانيهما - مواد ليس لها صفة الإعلام أو الحالية ، وليس لها ارتباط بزمن معين ، وهو ما اصطلح على تسميته باسم Magazine ، ومن الأمثلة عليها التحقيقات الصحفية غير المرتبطة بأحداث الشهر أو الأسبوع ، والقصص والرسوم الكاريكاتورية والطرائف ، وهذا النوع من المواد هو الذي يصح للمجلة المحلية أن تأخذ في إعداده مقدماً لمدة طويلة كلما أمكن ذلك ،

وهذا بخلاف النوع الأول فإنه قلما يؤخذ في إعداده قبل الأيام القليلة التي تسبق ظهور المجلة ، بل في الساعات القليلة التي تسبق هذا الظهور .

الأرشيف الصحفى للمجلة :

الأرشيف الصحفى نوعان ، عام وخاص :

« فالأرشيف العام ، هو تلك المجموعة الضخمة من مواد الكتب والجرائد والمجلات والدوريات والنشرات والقواميس أو المعاجم ودوائر المعارف ، أو هو القصاصات المأخوذة من جميع هذه المصادر ، وهو مجموعة الصور والرسوم التي تحتفظ بها دار المجلة أو الجريدة وترتبها وتنظمها طبقاً لقواعد الفهرسة والتبويب المعروفة ، ويشرف على هذه العملية الدقيقة مشرفون تابعون للدار ، قادرون على القيام بهذا العمل الذى لا غنى عنه للمجلة .

ماهية قيمة الارشيف العام للصحيفة :

تظهر قيمة الأرشيف العام للمجلة أو الجريدة فيما يلى :

١ - تزويد الصحفى أو المصاحف بالمعلومات أو المعارف التى تهتمه .
فى موضوع معين يأخذ فى إعداده للصحيفة .

٢ - يعتبر الأرشيف العام مرجعاً عاماً للصحفى أو المصاحف عندما يشعر بالحاجة الملحة إلى معلومات أو رسوم أو صور يدعم بها مقاله أو موضوعه أو مادته الصحفية التى لا بد من تقديمها للصحيفة .

٣ - الأرشيف الصحفى يوفر على القائمين بالتحريير جهوداً شاقة ، ووقتاً طويلاً فى سبيل البحث عن هذه المعلومات التى يحتاج إليها ، أو الصور والرسوم التى يضمها الموضوع .

٤ - الأرشيف الصحفى يساعد المحررين على الوصول إلى ما يسمى
• بالسبق الصحفى ، إذا كانت الحصلة التى سيعتمدون عليها من المعلومات
والصور أكثر من الحصلة التى يعتمد عليها غيرهم من الصحفيين فى صحيفة
أخرى .

ولنضرب مثلاً لذلك :

قد يحتاج أحد المحررين إلى صورة معينة لحادث معين مضى عليه بعض
الوقت ، ولكن لسبب ما ظهرت ضرورة تستدعى إعادة النظر فى الموضوع
والكتابة فيه من جديد ، وهنا تفتتح القيمة الكبيرة لهذه الصورة التى أخذت
وقت حدوث الحادث لتذكر القراء به ، كما تظهر القيمة الكبرى للأرشيف
العام لاحتفاظه بهذه الصورة .

٥ - يمكن النظر إلى بعض ما يحتفظ به الأرشيف العام للصحيفة
على أنه سجل تاريخى للأحداث المحلية أو العالمية إن أمكن ، ويمكن الرجوع
إلى هذا السجل عند الحاجة إلى ذلك .

٦ - الأرشيف العام يعين الصحفى على متابعة الحوادث متابعة لها
خطرها ، خذ لذلك مثلاً : عند صدور حكم هام فى حادث له أهميته أيضاً
يمكن للصحفى أن يرجع للأرشيف الذى من هذا النوع ، وينقل منه ما سبق
نشره من الأخبار والأحكام الخاصة بهذا الحادث ، وبذلك يربط الحكم
الصادر ببيانات الحادث ، ووقائعه ، وبأسماء المجنى عليهم فيه ، وبأسماء
الشهود ونحو ذلك .

ما المقصود بالأرشيف الخاص ، وما قيمته ؟

الأرشيف الخاص هو ذلك الأرشيف الذى يجمعه الصحفى أو يجمعه
المصاحف بنفسه يوماً بيوم ، وشهراً بشهر ، وسنة بسنة ، ويكون ملكاً خاصاً له

ويعتمد صاحب الأرشيف الخاص على الصحف والمجلات والإذاعات والقراءات والمقابلات الشخصية والكلام الذي يسمعه من أفواه الخاصة والعامّة ، وذلك في جمع الأرشيف الخاص وتأليفه بالصورة التي يرضيها لنفسه ، ويشترك في تأليف هذا الأرشيف كذلك مجموعة الأحكام القضائية التي تنشر من حين لآخر في موضوع معين ، وقد يجمع صاحب الأرشيف الخاص معلوماته كذلك من وكالات الأعمدة كما قدمنا .

لكن ما هي قيمة الأرشيف الخاص ؟

تظهر قيمة هذا النوع من الأرشيف إذا كان صاحبه قد جمع فيه من الأخبار والآراء والأحكام ما لم يتيسر لغيره من المشتغلين بتحرير الصحف جمعه ، وتظهر قيمة الأرشيف الخاص بشكل أوضح حين يأتي صاحبه بمعلومات وآراء وتسجيلات ليس لها وجود بالصدفة في الأرشيف العام للصحيفة ، ثم تبدو هذه الأهمية أو القيمة خطيرة حين يكلف المحرر من قبل الجريدة أو المجلة بموضوع أو بمشكلة اجتماعية أو سياسية تظهر أهميتها فجأة ، وتثير اهتمام العدد الأكبر من القراء .

وهنا ينجح المقال أو التحقيق أو الموضوع المنبئ على أكبر قدر ممكن من المعلومات والوقائع والأسانيد التي أسعف بها الأرشيف الخاص ، وكثيراً ما تكون هذه المواقف سبباً في لمعان اسم معين أو في تألق نجمه ولفت الأنظار إليه .

ولنضرب لذلك مثلاً :

وقد تكون المعلومات التي تضمنها الأرشيف الخاص بما تتصل بموضوع ، تحديد النسل ، أو موضوع « الطفولة المشردة » ، أو نحو ذلك ، فإذا كان الأرشيف الخاص قد استطاع أن يزود المحرر بمعلومات كافية في الموضوع الذي يكتب فيه ، وإذا كان المحرر قد صبر على جمع مواده مدة طويلة ،

ثم وقعت حالة مشابهة لتلك الحالات مع اختلاف في الأسماء أو اختلاف في ظروف النشر ونحو ذلك ، ففي هذه الحالة يستطيع المحرر صاحب هذا الأرشيف الخاص الغنى بكل هذه المعلومات والآراء والأحكام أن يكتب تحقيقاً شاملاً ، وبجهداً عميقاً يبره به أبصار الناس ، ويستحوذ به على إعجابهم ، ويكون ذلك طريقاً إلى نجاح المحرر وعلوه إلى المرتبة اللائقة من مراتب التحرير .

وإليك مثلاً آخر :

قد يقرأ المحرر قصة طلاق هنا أو هناك ، وربما كانت هذه القصة مؤلفة من فقرة أو فقرتين فقط ، أو ربما حملته على الضحك ، أو أثارت فيه نوعاً من السخط أو الغضب ، ولكنه يسجلها عنده فوراً في الأرشيف الخاص . .

وبعد يوم أو أسبوع أو شهر سيسمع أو يقرأ عن قصة طلاق أخرى ، وربما وجد قصة مسلية ، فيحفظها أو يسجلها كذلك في أرشيفه الخاص وتزيد هذه القصص عنده شيئاً فشيئاً ، وقد تدور كلها حول شكاوى غير عادية من الأزواج والزوجات ، وربما كشفت هذه القصص عن كثير من المسآسى في الحياة الزوجية عند أكثر الناس ، وقد يضم المحرر إلى هذا الأرشيف بعض الأحكام القضائية في حوادث الطلاق مثلاً .

وقد يجد المحرر في هذه الأحكام ما يضعه العراقل أمام القيام بالإجراءات النهائية في الطلاق ، إذا تبين أنه ضرورة لا يحض منها ، ويفرغ المحرر من جمع المعلومات والأحكام الكافية حول موضوع الطلاق ثم تسأله المجلة كتابة مقال أو بحث أو تحقيق أو استطلاع في هذا الموضوع ، فهنا يجد نفسه قادراً على كتابة هذه المادة ، مستعيناً عليها بالأرشيف الخاص الذي يجعل له كلامه طعماً ورائحة ، وهو بهذه الصفة يصبح قادراً على إمداد مجلته بالمادة التي تكتسح بها السوق ، كما يقول رجال الاقتصاد .

على أن شيئاً آخر يظهر في مادة الكاتب الذى من هذا الطراز ، وهذا الشئ هو مهارته الفائقة في كتابة العنوان ، بشرط أن يكون فيه قدر كبير من الإغراء ، وقلبا يوفق كاتب صحفي إلى نجاح كامل في هذه الناحية مالم يكن قد درس موضوعه وعاش فيه مدة كافية .

* * *

بقى علينا أن نقف وقفة خاصة عند كل مادة من هذه المواد ، وهى :

١ - المقال من وجهة نظر المجلة لا الجريدة .

٢ - القصة في المجلة .

٣ - التقرير بفنونه المعروفة ، وهى : الحديث الصحفي - والتحقيق الصحفي - والماجريات الصحفية : برلمانية ، وقضائية ، وسياسية ، ودبلوماسية .

٤ - الإعلان والصورة ، وطرق تحرير هذين الفنين من فنون الصحافة .

الفصل الثاني المقال في المجلة

من رأى الإنجليز أن المقال أنواع ثلاثة لا تخرج في مجموعها عن الأنواع التي سبق شرحها في باب المقال . . . وهي :

١ - Essay

٢ - Article.

٣ - Feature.

والأول منها - يمتاز بشيء من الطول ، كما يمتاز بشيء من الذاتية إذا كان الموضوع أدبياً ، وبشيء من الموضوعية إذا كان علمياً .

والثاني - هو المقصود بالمقال الصحفي ، لا الأدبي ولا العلمي ، وهو أقل من الأول حظاً في عنصر الذاتية ، لأنه مقال يقصد به نقل الحقائق المتصلة بالخبر ، إما بقصد التوجيه ، الإرشاد ، وإما بقصد التدليل والإقناع ، وإما بقصد التسلية والإمتاع .

والثالث - يكون أقرب إلى المقال الصحفي منه إلى المقال الأدبي أو العلمي ، وهو أكثر ظهوراً في المجلات ، على حين أن المقال الصحفي بأكثر شيوعاً في الجرائد .

وتشترك الجريدة والمجلة في جميع الأنواع المتقدمة ، وإن كان النوع الأول أنسب للمجلات ، كما قلنا ، منه للجرائد ، وكان النوع الثاني على عكس ذلك .

وفي النوع الثالث تشترك المجلة والجريدة كذلك ، إلا أننا نلاحظ أنه إذا كان الموضوع المشترك بينهما - على سبيل المثال - «أغا خان» في القاهرة

مثلاً فإن الجريدة تكتتب عن «أغا خان» وعن زوجاته وأولاده وعادته وأخلاقه، وتسوق المادة التي تشرها من ذلك، وهي أدنى في طبيعتها إلى الخبر من حيث هو خبر.

أما المجلة فإنها تكتتب عن «أغا خان» بشيء من التأمل والهدوء، يدهو القارئ إلى التفكير، فضلاً عن كونها تسعى إلى تسليته بما تورده من المعلومات في هذا الموضوع.

ولا شك أن عنصر الوقت الذي يتسع أمام المجلة ولا يتسع أمام الجريدة هو السبب الذي من أجله اختلفت نظرة كل منهما إلى موضوع «أغا خان».

ومهما يكن من شيء فإن المقال الذي تشره المجلة يمتاز بالطول بحيث تتراوح كلماته بين ألف وستة آلاف كلمة، ولا يتقيد المقال الذي يشر في المجلة بمقابل معين، وذلك كله فضلاً عن ميزتين أخريين هما: الذاتية، والحرية، وشم ميزة ثالثة أيضاً، هي أن المجلة تعالج الموضوع من أفق أعلى وزاوية أكثر انفتاحاً.

وهكذا نرى أن المجلة تعتمد اعتماداً كبيراً على «المقال»، لكي تجذب به انتباه القراء الذين لا يعجبهم القصص أحياناً، وهذا ما يدعونا إلى النظر في صفات كاتب المقال.

صفات كاتب المقال:

صدق من قال «إن كاتب المقال شخص يعبر عن الحياة بلغة الحياة»، ينقدها بأسلوبه الخاص، ولا ينظر إلى الحياة نظرة المؤرخ أو الشاعر أو الفيلسوف أو القصاص، ولكنه يتوافر في فنه شيء من كل ذلك، وليس يعنيه أن يكشف عن نظريات جديدة، ولا أن يوجد الصلة بين أجزائها المختلفة، لأن طريقته في العمل أدق إلى الأسلوب التحليلي، فهو يراقب

ويسجل ما يراقب ، ويفسر الأشياء كما تبدو لناظره ، ثم يدع خياله يمرح في مغزاها .

والغاية من هذا كله أن يحس إحساساً عميقاً بصفات الأشياء ، ويخلق عليها نوراً واضحاً رقيقاً ، لعله بهذا وذاك يستطيع أن يزيد الناس إحساساً بالحياة ، وأن يبيهم لما اشتملت عليه من المفاجآت المفرحة حيناً ، والمحزنة حيناً آخر ، (١) .

« إن المقالة قد تدور حول شيء مما أبصره المؤلف أو سمعه أو شمه أو تصوره أو اخترعه أو توهمه ، ولكن المهم أن يكون قد ترك في نفس الكاتب أثراً خاصاً ، وتكون في ذهنه منه صورة خاصة . ويتوقف مجال المقالة على مجال الفكر الذي تصور ، ثم سجل ما تصور . . فالعبرة إذن بأن يحس الكاتب إحساساً قوياً بموضوعه ، وأن يعبر عنه بعبارة قوية رائعة ، (٢) .

لقد درجت صحيفة «المؤيد» لصاحبها السيد علي يوسف على نشر مقالات أمريكية من حين لآخر، اشتهر بها كاتب أمريكي معروف في ذلك الوقت ، واستأثرت هذه المقالات بإعجاب الجمهور المصري يومذاك ، فذهب أحد المعجبين بها في مصر إلى أمريكا ، واحتمل حتى وصل إلى هذا الكاتب الأمريكى وسأله : كيف تكتب المقال ؟ فأجاب :

أقضى نهاري في مراقبة الناس وأحوالهم ، وفي مطالعة أفضل الكتب والمؤلفات ، ومتى اخترت في عقلي المعنى الذي اخترته موضوعاً لكتابة المقال أنبت غرقي هذه ، وكتبت مقالي على الآلة الكاتبة .

(١) محمد عوض محمد « محاضرات في فن المقالة الأدبية » ص ٦٤ ، نقلًا عن الكاتب الإنجليزي بنسن Benson .

(٢) نفس المصدر ص ٦٣ .

إن معنى ذلك إذن أن المقال يكون وليداً للصدفة حيناً ، وللتأمل والتفكير الطويل حيناً آخر ، ومن هنا كانت « العين الصحفية » بالنسبة للمقال ، كالأنف الصحفية ، بالنسبة للأخبار .

يقص علينا الكاتب الأمريكي ويلزلى Welseley في كتابه ، عالم المجلات ، حكاية بسيطة عن طالبتين في إحدى كليات الصحافة ، طلب الأستاذ إلى إحداهما أن تكتب ثلاث مقالات في موضوع الدين ، ورأت الطالبة أن هذا الطلب معقول بالنسبة لها ، فقد قالت إن لديها قدرًا من الثقافة الدينية يسمح لها بذلك ، و فرغت من كتابة المقالات الثلاث ، فجاء المقال الأول خليطاً من المعلومات الخاطئة ، والعبارات الدالة على التعصب الأعمى ، كما جاء مشتملاً على فقرات تشير - على طريقة السرد - إلى بعض العقائد الدينية السائدة .

وقرأ الأستاذ المقال فلم يرق في نظره ، وسأل الطالبة عن عملها الخارجي فقالت : إنها تشتغل بتجارة « الأبسطة المصنوعة من خيوط النايلون » . فطلب إليها أن تكتب ثلاث مقالات أخرى عن هذا النوع من الأبسطة ، وأن تضمن المقال رأيها في تنسيق البيوت ، وطريقة تزيينها بهذا النوع من المفروشات ، ثم اقترح الأستاذ عليها أن تبعث بهذه المقالات رأساً إلى مجلة بعينها ، وكتبت الطالبة هذه المواد وبعثت بها إلى هذه المجلة ، فلم تلبث أن تلقت من محررة القسم الدسائى بها دعوة لتناول الغداء معها في المنزل ، وناقشتها المحررة في محتويات المقالات الثلاث ، ولما تمت المقابلة عرضت الطالبة آراءها وتعديلاتها لبعض الأجزاء في هذه المقالات ، ثم نشرتها تباعاً في المجلة ، وكتبت الطالبة لأستاذها بعد ذلك له تقول : لقد تحققت المعجزة ، ونشرت المجلة جميع المقالات ، وبعد سنوات التحقت هذه الطالبة بهيئة التحرير في هذه المجلة .

مقائيل مول كناية المقال في المجلة :

المقال الذي تنشره المجلة إما أن يكون « مقالا افتتاحياً ، أو مقالا « غير افتتاحي » .

فالأول - تعبير عن رأي المجلة في المشكلة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الأدبية أو الفنية التي تعرض لها المجلة .

والثاني - تعبير ذاتي من جانب الكاتب يصور به آراءه ، ويعبر به عن ذات نفسه ، ولا يقصد به إلى أكثر من الإقناع حتى يأخذ القارئ بوجهة نظره .

وهنا يحسن بنا أن نذكر كلمة قالها المعقب الأمريكي وولتر ليبمان Lippman وهو يحمل ما يسميه « الرأي العام » حيث قال : « إننا لانحكم على الأشياء في ذاتها ، بل على الصورة التي نكسونها نحن عنها ، أي أن الصورة التي في رموسنا هي مادة آرائنا ، ومضمون هذه المادة على الدوام » .

والصحف اليومية - كما يقول الأستاذ « دينوايه » صاحب كتاب « الصحافة في العالم » ، تشارك بجزء فقط في تكوين هذه الصورة التي في رموسنا ، وأما الأجزاء الأخرى فآتية عن طريق المجتمعات العامة ، والمنابر والمحاكم والمجالس النيابية وغير ذلك من الوسائل الفعالة في التأثير على الرأي العام ، وأخيراً تسلطت السينما والإذاعة على عقول الجماهير إلى درجة جعلتهما تعتقدان خطأ أنهما سوف تخلعان الصحافة عن عرشها إلى الأبد .

ثم قال الأستاذ « دينوايه » كذلك : « وفي المنافسة بين هذه الوسائل المتعددة في تكوين آراء الناس تلعب المجلات دوراً هاملاً ، وذلك عن طريق الصور والقصص والموضوعات التي درست درساً عميقاً ونحو

ذلك ، ومن المحقق أن الجماهير تتأثر بصورة الصحف الأسبوعية أكثر من تأثرها بصورة الصحف اليومية ، ومن المحقق أيضاً أن الأثر النسبي الذي تركه الصحف اليومية في عقول الشعب مائع إلى الحد الذي يتعذر معه القياس الدقيق لهذا الأثر .

ثم أيد الأستاذ « دينوايه » كلامه بعد ذلك يبحث قام به حول قوائم توزيع الدوريات والمجلات في فرنسا في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ، أثبت فيه أن الجرائد اليومية تستهلك قدرأ من الورق أقل نسبياً من الورق الذي تحتاج إليه جميع الدوريات على اختلافها .

والمفروض في افتتاحيات المجلة أنها بناة ، والمجتمع يعتمد في هذا البناء على المجلة أكثر من اعتماده على الجريدة ، ولكل فائدة وميزة ، بحيث لا تغني إحداهما غناء تاماً عن الأخرى .

وميزة الجريدة هي التكرار ، وميزة المجلة هي العمق ، والحق أن الافتتاحيات البناة جلييلة النفع للمجتمع وللحكومة ، وخاصة عندما تقوم على تفكير عميق ، ومعلومات دقيقة .

الواقعية في المقال :

هناك شيء آخر يجب توافره كذلك في افتتاحيات المجلة ، هو « صفة الواقعية » ، ولكن كيف تكون كاتباً واقعياً بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ؟ إن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة ولا هينة ، إذ أنه ربما كانت الكتابة الخيالية أسهل بكثير من الكتابة الواقعية ، وذلك بالرغم من أن حقائق الحياة كثيراً ما تكون أغرب من الخيال نفسه .

وصعوبة الكتابة الواقعية هي في جعل حقائق الحياة قابلة للتصديق ،

وبعبارة أخرى : يجب على الكاتب الواقعي أن يعرف ماذا يروق الجماهير ؟
وما الذي يجب أن يعرفوه ؟

إن على الكاتب الواقعي إذن أن يتعرف بنفسه إلى الحقائق والمعلومات
التي يجب القراء أن يلموا بها ، ولكن ليس للكاتب الواقعي أن يسأل
الناس من آن لأن : ما هي هذه الحقائق أولا ؟

إن على الكاتب الواقعي أن يحترم رغبات القراء ، وأن يجعل من نفسه
خادماً لهم ، ولكن على شريطة ألا يقدم لهم من المعلومات إلا ما يتصف
بالدقة والصدق ؛

كما أن عليه أن يتأبر قبل ذلك على البحث عن هذه الحقائق حتى يتألف
له منها عدد كاف ، ثم ينشر من هذا العدد ما يناسب الأحداث الجارية ، وبلذ
القراء ، وكل ذلك في لغة سهلة بعيدة عن الغرابة والتعقيد ، وبذلك كله
تتوافر للمقال الصحفي الذي تشره المجلة صفتان لازمتان هما :

الواقعية من جانب ، ويسر القراءة من جانب آخر ، والصفة الأخيرة
هي المقصودة بالكلمة الإنجليزية Readability ، ومعناها الحرفي «الإنقرائية»
أو طواعية القراءة ، وتأتي هذه الطواعية المطلوبة عن طريق سهولة
الألفاظ ، وألفة التراكيب ، ومعرفة المحرر بقدره الكلمة على الإيجاء
أو بما يكون لها من ظلال وأصداء في ذهن القارئ .

و بعد ، فعلى كاتب المقال في المجلة أن يضع هذه الحقائق نصب عينيه
دائماً ، وهي :

أولا - أن قارئ المجلة أعلى مستوى من قارئ الجريدة اليومية
من حيث اللغة ، ومن حيث الثقافة ، وربما من حيث المستوى الاجتماعي
والمستوى الاقتصادي كذلك .

ثانياً - أن الوقت الذي ينفقه القارئ في المجلة أطول من الوقت الذي ينفقه في قراءة الجريدة اليومية ، ذلك لأن قارئ المجلة إنما يقرأها على مهل ، وغالباً ما يكون ذلك بعد الفراغ من عمله ، اليومى ، أو في عطلة الأسبوع .

ثالثاً - أن قارئ المجلة يهتم بأسلوب الكاتب ، ويهتم بالموضوع الذي يكتب فيه ، أما قارئ الجريدة اليومية فقلما يهتمه الأسلوب ، إلا عندما يقرأ العمود الصحفي لكاتب معروف ، لأنه يقرأ ما يقرأ ليقف فقط على المضمون العام .

رابعاً - أن الكتابة للمجلات تحتاج إلى عنصر الخيال في كثير من الأوقات ، وتعتمد كما قلنا ، على قوة البلاغة ، على حين أن الكتابة في الجريدة اليومية لا تحتاج إلى أكثر من الوضوح في شرح الحقائق والأحداث .

النظام التقليدى لصياغة المقال :

إن النظام التقليدى لصياغة المقال هو أن يكون على النحو الذى سبق شرحه في أحد الأبواب المتقدمة ، وهو أن يشتمل المقال على ما يلي :

- ١ - مقدمة تشتمل على فكرة من الأفكار تثير اهتمام القارئ ، أو تشتمل على رواية دقيقة وموجزة للخبر الذى يبنى عليه المقال .
- ٢ - شواهد وحقائق تؤيد الفكرة التى بنى عليها المقال .
- ٣ - خلاصة للمقال تكون بمثابة خاتمة له تبلور النتيجة أو الهدف الذى كتب من أجله المقال .

غير أن من الكتاب من يستطيعون الاستغناء عن عنصر المقدمة أو التقديم في بعض الأحيان ، ولهم في البدء في كتابة المقال طرق شتى منها على سبيل المثال :

- (أ) أن يبدأ المقال على شكل سؤال يلقيه الكاتب على القارىء .
- (ب) أن يبدأ بجملة تثير الضحك أو السخرية من شيء معين .
- (ج) أن تكون البداية بجملة فيها معنى الغضب أو الثورة على شيء معين .
- (د) أن يبدأ المقال بإشارة طفيفة إلى أسطورة من الأساطير المعروفة ، عربية كانت أم أجنبية ، قديمة كانت أم حديثة .
- (هـ) ربما يبدأ المقال بحقيقة من الحقائق العامة التي لا تكون موضعاً للجدل من القارىء ، وهكذا .

الفصل الثالث

القصة في المجلة

يمكن تقسيم القصة من حيث الطول والقصر إلى ثلاثة أنواع :

الأول – الأقصوصة .

الثانية – القصة القصيرة .

الثالثة – القصة الطويلة .

وتمتاز القصة القصيرة بأنها تتيح لكاتبها التعبير عن فكرة واحدة فقط ، يسلط الكاتب عليها كل الأضواء ، ويعزلها عزلا تاما عن جميع الأفكار الأخرى ، وبهذه الطريقة يستطيع الكاتب أن ينقل للقارئ صورة قوية عن هذه الفكرة الواحدة تكون بطبيعة الحال أقوى بكثير مما لو كانت ضمن أفكار أخرى تشتمل عليها القصة الطويلة أو الرواية ، ثم إن القصة القصيرة يمكن أن يقرأها القارئ في جاسة واحدة ، وفي هذه الحالة يحصل القارئ على جميع ما للقصة من تأثير كامل دفعة واحدة

أما القصة الطويلة أو الرواية فإنها تحتاج إلى جلسات كثيرة ، ومن ثم يقع تأثيرها في نفس القارئ على دفعات .

ومعنى ذلك أن القصة القصيرة أصلح للمجلة ، وأن القصة الطويلة أو الرواية أصلح للجريدة اليومية .

وسندع الكلام عن الرواية ، لأنها لا تهمنا في الكلام عن المجلة ، وننظر قليلا في القصة القصيرة .

فن القصة القصيرة

إن الذى لا ريب فيه أن القصة القصيرة أدنى إلى الأدب الواقعى بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، ومن هنا جاءت ملامتها للصحف ، وأصبحت من المواد اللازمة لها منذ ظهور الصحافة ، والصحافة فى ذاتها أدب واقعى قبل كل شئ ، لأنها تعنى بالمجتمع وبما يقع فيه من أحداث .

ولقد كان الكاتب الفرنسى الشهير « جى دى موباسان » من كتاب النصف الثانى من القرن التاسع عشر أول كاتب رسم للقصة القصيرة طريقاً جديداً بالمعنى الصحيح .

ذهب هذا الكاتب إلى أن القصة القصيرة ليس من الضرورى أن تدور حول الأحداث الخطيرة ، بل يغلب عليها أن تدور حول الأمور العادية التى تحدث للناس كل يوم ، وفى ذلك ما قد يكشف عن أشياء كثيرة فى النفس البشرية التى يهتم القارىء أن يعرف عنها الشئ الكثير .

ومن هنا كانت الأحداث فى القصة القصيرة عند هذا الكاتب أحداثاً عادية . وكان الأشخاص فى القصة أشخاصاً عاديين ، وكانت مواقف القصة مواقف عادية ، وبهذه المواقف العادية استطاع الكاتب أن يفسر الحياة تفسيراً سليماً ، وأن يكشف فيها عن زوايا خفية ، وأن يشرح النفس الإنسانية شرحاً دقيقاً .

وبينما كان « جى دى موباسان » هذا يكتب القصة القصيرة بأسلوب سهىل يذنو كثيراً من أسلوب الصحافة ، إذا بالكاتب الروسى « تشيكوف » يعتمد فى كتابة قصصه إلى أسلوب بعيد كل البعد عن أسلوب الصحافة ، وبذلك عمل على أن تستعيد القصة القصيرة مكانتها من حيث البلاغة والأناقة وسمو التراكيب .

وأما خطة هذا الكاتب الروسى فى كتابه القصة القصيرة فتقوم على هذه القاعدة : « عرف الناس بالناس ولا تعرفهم بنفسك » ،

وهذا مثال من قصص « تشيكوف » يفصح فيه عن طريقته ، ويكشف عن ميله الشديد إلى الإيجاز الذى عرف به .

فى هذه القصة ، وعنوانها « موت موظف حكومة » ، نرى موظفاً حكومياً ، هو واحد من آلاف الموظفين الذين عرفتهم الأداة الحكومية فى روسيا القديمة يعطس يوماً فوق صلعة قائد كبير جلس أمامه فى المسرح ، فيرتاع الموظف الصغير من فعلته هذه ، ويستبد به الخوف إلى درجة مزعجة تملك عليه كل مشاعره ، ويقول لنفسه : أما على أن أقوم بواجب الاعتذار وأؤكد للقائد العظيم أن العطسة كانت بغير قصد منى ؟ إن غضب القائد قد يجر على - وأنا الموظف الصغير - أروجم العواقب ، واستجمع الموظف الصغير كل شجاعته ، وذهب إلى القائد واعتذره مراراً وتكراراً ، حتى اضطر القائد نفسه فى النهاية أن يأمر بطرده من مجلسه فطرد المسكين ، وإذ ذاك بلغ به الخوف والطلع مبلغاً أفضى به إلى الموت فى داره فور وصوله إليها . ١

هذه قصة مبهكة مضحكة فى وقت معا ، وهى فى الوقت نفسه موجزة كل الإيجاز ، محبوكة كل الحبك ، ولكن دون أن تنقصها كلمة واحدة يكمل بها التأثير الكلى فى القارىء أو فى السامع .

ومن ثم اشترطت فى القصة القصيرة شروط ثلاثة ، هى :

أولاً - أن تكون لها بداية ووسط ونهاية .

ثانياً - أن تكون تصويراً لحدث متكامل له وحدته التى تتمثل فى البداية ، والوسط ، والنهاية .

ثالثاً - أن تحدث فى القارىء أثراً كلياً ، أو تؤدى إلى معنى كلى .

ومعنى هذا أن القصة القصيرة لا يمكن أن تكون مجموعة أخبار يربط الكاتب بينها بطريقة مصطنعة ليوم القارئ، أنها قصة وهي ليست كذلك. إن القصة القصيرة عبارة عن موقف قصصى، أو موقف من مواقف الحياة يأخذ في النمو شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى نقطة معينة يسميها النقاد « لحظة التنوير »، كما سشرح ذلك فيما بعد .

عناصر القصة القصيرة :

تبنى القصة القصيرة على أربعة أركان أو عناصر :

١ - عنصر الحوادث أو الأخبار .

٢ - عنصر الشخصيات .

٣ - عنصر الفكرة أو المعنى .

٤ - لحظة التنوير ، وهي اللحظة التي يكسب بها الحدث معنى من المعاني يكون هو المعنى الذي كتبت من أجله القصة .

عنصر الحوادث والأخبار :

لا بد للقصة من خبر من الأخبار ترويه بصورة فنية ، ولكن يجب أن يكون مفهوماً على الدوام أنه ليس كل خبر أو مجموعة من الأخبار قصة . فالشرط في أن يصبح الخبر قصة هو أن يكون له أثر كلي في نفس القارئ ، وبعبارة أخرى : ينبغى للخبر الذي تحكيه القصة أن تتصل تفاصيله وأجزاؤه بعضها ببعض بحيث يكون مجموعها أثر كلي ، هذا فضلاً عن توفر شرط آخر سبقت الإشارة إليه ، وهو أن تكون للخبر بداية ، ووسط ، ونهاية ، ثم لا يسكنى أن يكون للخبر أثر كلي ، بل يجب أن يصور حدثاً أو موقفاً معيناً ، أو بداية معينة تأخذ في النمو شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى نقطة معينة ، هي « لحظة التنوير » ، التي أشرنا إليها ، وقلنا إننا سشرحها بعد ذلك .

وهي هذا يكون الفرق بين الخبر الذي يقتصر على تزويدنا بالمعلومات ،

والخبر الذى يصوّر حدثاً من الأحداث تصويراً فنياً من نوع معين ، هو الفرق بين القصة الإخبارية فى الجريدة ، والقصة الفنية المعروفة فى الأدب .
فلو كتبت لأحد أصدقائك تقول له :

« سافرت إلى الريف وسحرني بجماله وهدوئه ، وقضيت الوقت كله فى الحقول ، ومن أجل ذلك تأخرت فى الكتابة إليك ، أما عمدة القرية فلا يسأم الجلوس فى « الدوار » . ويجمع حوله رفاقه من شبوخ القرية ، ولقد كنت طوال هذه المدة أجالس العمدة ، وأقرأ له الجرائد والمجلات ، واستمع معه إلى الراديو ، وأكبر أولاد العمدة - وهو صديق لى كذلك عاد من العاصمة وقال : إنه انتهى من الامتحان النهائى فى كلية الحقوق ، وأنه سيصبح محامياً بعد بضعة أسابيع ، وهو يمارس الآن تجربة حب عنيف مع فتاة من بنات القرية تقرب منه فى السن ، ويقال إنها تحب قى غيره ، ومثل لا يمكن أن تغيب عنه هذه المعلومات التى أكتبها إليك بثقة .

فإن فى هذا الخطاب أخباراً يروها الكاتب لصاحبه ، ولكننا نروى بحيث بدأ كل خبر منها منفصلاً أو كالمفصل عن الخبر الآخر ، وبمجموع هذه الأخبار لم يترك فى نفس القارىء أثراً كلياً ، ولذا عجزت كل هذه السطور أو الأخبار عن أن يكون لها معنى كلى ، لذلك لا يلغى لنا مطلقاً أن نطلق على هذه السطور اسم « قصة » .

لأنها مجرد أخبار توردنا ببعض المعلومات كالأخبار التى نقرأها كل يوم فى الصحف لا أكثر ولا أقل .

أما القصة فإنها ومضة من الضوء يلقيها الكاتب على شريحة من شرائح الحياة إذا صح هذا التعبير ، ليصور بها حادثه ذلك لحظة عصرية ، ويكشف بها عما يربط بين أجزاءها من معان أو علاقات

لأنها إذن تعتمد على أساسين كبيرين هما : اللبنة الإخبارية من جانب ،

وخلق مشكلة من المشكلات التي تعرض للبشر ، وحل هذه المشكلة من جانب آخر .

وكما عرفنا كيف نفرق بين القصة الإخبارية في الصحافة ، والقصة القصيرة في الأدب ، كذلك ينبغي لنا أن نفرق بين المقال القصصي والقصة القصيرة ، فهذه الأخيرة - وهي القصة القصيرة - أدنى إلى الأدب والفن بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة .

ذلك أن « العقدة » و « لحظة التنوير » شرطان أساسيان في هذا اللون من الأدب ، على حين أن المقال القصصي لا يشترط فيه أن تكون له « عقدة » ولا يحتاج إلى « لحظة التنوير » التي تنحل بها هذه العقدة . إن المقال القصصي أقرب إلى « الأقصوصة » منه إلى « القصة القصيرة » ، ولقارىء أن يرجع في ذلك إلى ما سبق أن كتبناه عن المقال القصصي كما هو معروف عند الكاتب الشهير باسم « إبراهيم عبد القادر المازني » .

عنصر الشخصيات :

بما لا شك فيه أن كل حدث من الأحداث لا يقع بالطريقة التي وقع بها في القصة إلا لوجود شخص معين أو أشخاص معينين يجرى على أيديهم هذا الحدث المعين .

ومعنى ذلك أن الحدث في القصة هو هذه الشخصية أو الشخصيات التي تعمل ويجرى على أيديها الحدث بصورة خاصة ، ووحدة الأحداث في القصة لا تتحقق إلا بتصوير الشخصيات وهي تعمل في داخل القصة ، وهكذا يتطور الحدث من نقطة إلى أخرى ، أى أن كل جزء في القصة يبدو كأنه يؤدي إلى الجزء الذي يليه وهكذا ، وربما كان من أوضح الأمثلة على دور الشخصيات وهي تعمل ويجرى على أيديها الحدث قصة كستيبا

الكاتب الفرنسي الذي مر ذكره ، وهو هنا « جى دى موباسان ، بعنوان :

فى ضوء القمر^(١)

بدأت هذه القصة بموقف للأب « مارينيان ، وهو يمشى فى حديقة له بالقرية ويسأل نفسه : « لماذا فعل الله ذلك ؟ ، إن عظمتك ياربى أعظم من أن تدركها عقول البشر ، وبهذا المنطق البسيط طفق الرجل يفسر الطبيعة من حوله ، فالشمس لإنضاج المحاصيل ، والمطر لسقى الزرع ، والليل ليستعد الناس للنوم ... وهكذا .

غير أنه كان يكره اللساء كل السكره ، وكان يزعم أن الله تعالى غاضب عليهن ، وكان يعتقد دائماً أن الله خلق المرأة لغواية الرجل واختباره ، وكانت له ابنة أخت تعيش مع أمها فى منزل صغير قريب من منزله ، وكان قد صمم على أن يجعل منها راهبة ، وكانت الفتاة تحب الحياة وتستجيب لجمال الطبيعة بأكثر مما تستجيب لوعظ خالها ، وفى يوم من الأيام أخبرت مديرة البيت الأب مارينيان أن ابنة أخته قد اتخذت لنفسها عشيقاً فصاح الأب : كذب .. كذب !! .

ولكن المرأة التى أخبرته بذلك قالت : ليعاقبنى الله إن كنت أكذب يا سيدى القس . . . إنما يتقابلان كل ليلة بجانب النهر ، وما عليك إلا أن تذهب إلى هناك ما بين الساعة العاشرة ومنتصف الليل ، وفى موجه من الشعور بالحزن والخيبة والعار وخذش الكرامة أخذ القس عصا فى يده من خشب البلوط وخرج من بيته ، ولكنه ما لبث أن توقف عند الباب مبهوتاً مأخوذاً بجمال الطبيعة .

وكان بهاء القمر رائعاً روعة نادرة ، وشعر الرجل فجأة أن جمال الليل

(١) رشاد رشدى « القصة القصيرة » من ص ٤١ - ٤٨ بتصرف .
(٢ - ٢٥ المدخل)

وجلاله وبهاءه قد حرك قلبه ، وفي حديقته الصغيرة التي سبحت في ضياء باهت عكست أشجار الفواكه ظلها على ممر أغصان رقيقة من الخشب تكسوها الخضرة ، ومن الزهور المتسلقة على الحائط انبعثت رائحة جميلة ، وسار الرجل ببطء مسحوراً مهوراً حتى كاد ينسى ابنة اخته ، وعندما وصل إلى بقعة عالية قف ويرقب الوادي بأجمعه وبهاء القمر يحضنه ، وسحر الليل الهادي الجميل يفرقه . . . واستمر الأب يمشى وهو لا يعرف لم تخلت عنه شجاعته ! وود لو يجلس أو يتوقف حيث هو ليحمد الله على ما صنعت يده ، وهناك في طرف المرعى رأى ظلان يمشيان جنباً إلى جنب تحت الأشجار المتعانقة الغارقة في الضباب الفضي .

كان الرجل هو الأطول ، وقد لف ذراعه حول عنق حبيبته ، ومن وقت لآخر كان يقبلها في جبينها ، وفجأة دبت الحياة في الطبيعة المهجورة التي أحاطت بهما وكان الطبيعة نفسها إطار إلهي صنع خصيصاً من أجلهما ، وبدأ الشخصان كأنهما كائن واحد ، هو الكائن الذي خلق من أجله الليل الهادي الساكن ، واقتربا من القس كأنهما إجابة حية على سؤاله الذي ألقاه على نفسه في بداية القصة ، إجابة بعث بها إلى ربه الأعلى . . . وإذ ذاك كان الأب « ماريليان ، يلتقى على نفسه سؤالاً آخر :

ألم أكن على وشك الخروج على طاعة الله ؟ ، لو لم يكن الله يرضى عن الحب لما أحاطه بمثل هذا الإطار من الجمال والسحر والبهجة والعظمة ١١ .

وهرب الأب مذهولاً وهو يكاد يشعر بالخجل أو بالوجل ، كما لو كان قد اجتاز هيكلاً مقدساً لا حق له في اجتيازه في تلك اللحظة ١١

° ° °

هذه القصة تصور لنا حدثاً متكاملًا له وحدته ، وتصور لنا الشخصية وهي تعمل ، وتصور لنا الفعل والفاعل والشخصية شيئاً واحداً لا يمكن تجزئته ، ومن ثم نجحت هذه القصة نجاحاً كبيراً ، وبصرف النظر عن

كونها تشتمل على خبر نأفه في ذاته ، هو عبارة عن قسيس يدعى ، الأب ماريليان ، سمع أن ابنة أخته على علاقة بأحد الغبان ، فخرج ليضبطهما متلبسين بالجريرة ، وتربص لهما في الحقول والوديان ، وبعد مدة رآها قادمة مع حبيبها تهادى في ضوء القمر ، فحجل من نفسه وعاد إلى بيته .

عنصر الفكرة أو المعنى :

إن تصور الحدث في القصة من البداية إلى الوسط ثم إلى النهاية لا يكفي لتطوير الحدث نفسه ، لأن الحدث عبارة عن تصوير الشخصية في القصة وهي تعمل ، ثم إن تصوير الشخصيات في القصة وهي تعمل لا يكفي كذلك لإحداث التكامل في القصة ، فالتكامل في القصة أو الحدث هو تصوير الشخصية وهي تعمل عملاً معيناً له معنى أو فكرة تهدف إليها القصة ، وليس المعنى أو الفكرة شيئاً مستقلاً عن الحدث يمكن أن نضيفه إليه متى أردنا ، أو نفضله عنه كيفما شئنا ؛ فنقول مثلاً : إن هذه القصة تعالج مشكلة الفقر ، أو تثبت أن الفضيلة أقوى من الرذيلة ، ومعنى ذلك باختصار شديد أن الحدث والمعنى أو الفكرة في القصة وحدة لا تتجزأ .

انظر إلى القصة السابقة ، في ضوء القمر ، نجد أن الحدث له بداية ، ووسط ، ونهاية ، ونجد أن المعنى أو الفكرة والحدث وحدة لا تتجزأ إلى أجزاء يمكن أن ينفصل بعضها عن الآخر ، ومن ثم أصبح هذا الحدث متكاملًا . والوحدة بينه وبين المعنى تامة ، وليست مفروضة عليه بصورة من الصور ، وهذا المعنى هو أن الله تعالى يرضى عن الحب ، والكاتب هنا لا يعبر عن هذا المعنى و شكل إخباري بحت ، وإنما يعبر عنه في شكل فنّي هو عبارة عن حدث بنمو في القصة شيئاً فشيئاً حتى تؤدي إلى المعنى الذي كتبت من أجله القصة .

لحظة التنوير :

لكي تكمل للقصة القصيرة مقوماتها الفنية المطلوبة يجب أن تصور حدثاً متكاملًا يجلو موقفاً من المواقف الإنسانية كما قلنا .

إن كاتب القصة القصيرة لا يسرد تاريخ حياة أحد من الناس ، ولا يلقى أعضاء مختلفة على أحداث كثيرة ، ولا يكشف عن زوايا متعددة للأحداث والشخصيات ، كما يفعل كاتب القصة الطويلة أو الرواية ، بل ينظر إلى الحدث من زاوية معينة لا من عدة زوايا ، ويلقى عليه ضوءاً معيناً ، لا عدة أضواء ، ويهتم بتصوير موقف معين في حياة فرد أو جماعة ، لا بتصوير الحياة كلها . . فالنهاية في القصة القصيرة تكتسب أهمية خاصة ، لأنها النقطة التي تجمعت فيها خيوط الحدث كلها ، وبها يكتسب الحدث نفسه معنى وفكرة ، ولذا سميت هذه النقطة : « لحظة التنوير » .

وبالقصة التي ضربنا بها المثل ، وهي قصة « في ضوء القمر » نجد لحظة التنوير ، وقد عبر عنها الكاتب في قوله :

« وجأة خيل إلى القس أن الحياة قد دبت في الطبيعة المهجورة التي أحاطت بالفتى والفتاة وكأنها - أي وكأن هذه الطبيعة الحية - إطار إلهي صنع خصيصاً من أجلهما ، واقتربا من القس كأنهما لإجابة حية على سؤاله ، إجابة بعث بها إليه ربه الأعلى ، وقال الأب على الفور : ربما خلق الله مثل هذا الجمال إطار المثل الأعلى وهو حب الإنسان ، وتراجع بعيداً عن الحبيبين وهو يكاد يشعر بالحياء والتجمل كما لو كان قد اجتاز معبداً لا حق له في اجتيازه . .

نسيج القصة :

رأينا كيف أن بناء القصة كبناء الكائن الحي ، وأن كل جزء في هذا البناء لا يمكن أن يفصل أو يستقل بنفسه عن الأجزاء الأخرى ، بل يشاركها في الغاية من وجوده .

والغاية من القصة — كما عرفنا — هي تصوير حدث معين لهدف معين ،
يلسج الكاتب من أجله قصة ، ووسائل هذا اللمسج كما نعرف أيضاً هي
اللغة ، والوصف ، والحوار ، والسرد ، وغير ذلك من الأشياء التي
تشارك كلها في مهمة التصوير من جهة ، وتطوير الحدث في داخل
القصة من جهة ثانية .

أما الوصف فإنه لا يرد في القصة القصيرة لذاته ، ولكن يرد فيها لغاية
معينة ، ولذلك لا يعتمد الكاتب إلى وصف شخصية من الشخصيات
من خلال منظره هو ، ولكن من خلال منظر الشخصية التي تتعامل مع
غيرها من شخصيات القصة ، وفي ذلك ما يساعد الحدث في القصة
على التطور والنمو شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى نهايته ، ومعنى هذا أن الوصف
في نظر الكاتب والقارئ جزء كذلك من الحدث الذي تدور حوله القصة .

مثال ذلك :

إذا كان الشخص في القصة القصيرة يحب الفتاة الطويلة ذات الشعر
الأسود ، والبشرة التي تميل قليلاً إلى السمرة ، فإن الكاتب الذي يريد أن
ينشئ علاقة حب لهذا الشخص في القصة لابد له أن يصف الفتاة في القصة
بنفس هذه الأوصاف المذكورة ، لا بأوصاف يحبها هو ، ويترجم بها عن
مثله الأعلى في الجمال ولو فعل غير ذلك لكان هذا خطأ في نسج القصة
بهذا المعنى .

وكذلك الشأن في اللغة التي تستخدم في هذا الوصف ، فإنها هي الأخرى
يجب أن تكون لغة مطابقة للشخصية في القصة القصيرة ، فن غير المعقول
أن يدع الكاتب شخصياته تتكلم على مستوى لغوي واحد ، فإن في ذلك ما فيه
من البعد عن الواقعية التي هي أساس هذا الفن من فنون الأدب ، ونعني به
القصة القصيرة .

وفي نسج القصة القصيرة يجب أن يلتفت الكاتب دائماً إلى هذه الحقيقة ،

وهي أن التقرير في القصة لا ينبغي أن يحل فيها محل التصوير ، فالتقرير شيء والتصوير شيء آخر : الأول - وهو التقرير - لا يصح وروده في القصة ، والثاني هو كل ما يمكن أن تعتمد عليه القصة .

إن التقرير لا يصف الإحساسات والمشاعر ، ولكن الطريق الوحيد لذلك هو التصوير ، فالإحساسات ، أو الدمعة ، أو السكوت عن الجواب ، أو العزلة ، أو الحركة تصدر من يد الشخص أو من كتفه ، والتصرف المعين ، أو السلوك المعين يصدر من هذا الشخص أيضا - كل هذه الأشياء تعين على التصوير الذي يقصد إليه الكاتب ، ولا يمكن اعتبارها تقريراً عن مشاعر الشخصية التي تجري على يدها كل هذه الحركات أو السكينات ونحو ذلك .

وهكذا لا نجد كاتب القصة يعتمد إلى تقرير شيء من الأشياء أو التعليق عليه كما يفعل المحرر الصحفي ، وإنما يكتبني بتجسيم هذا الشيء في عمل يصدر عن الشخصية ، ويحمل ذاتيتها وطابعها في نفس الوقت .

والمهم أن نقول بعد ذلك : إن النسيج كالحديث وكالشخصية في القصة ليس منفصلا عنها ، لكن هذه العناصر كلها شيء واحد ، فلا يمكن أن نتصور بناء القصة بعيدا عن نسيجها ، كما لا نستطيع أن نتصور أن أحداث القصة أو شخصياتها أو أفكارها ومعناها معزولة عنها .

الواقعية في القصة القصيرة :

بقيت لدينا كلمة نشرح فيها المراد بصفة الواقعية في القصة القصيرة ، وهي الصفة التي بدأنا بها هذا الحديث .

وإننا لمسكتفون هنا بتجربة قام بها صاحب جريدة « الهاتف » ، وهي جريدة صدرت ببغداد ما بين سنة ١٩٣٤ وسنة ١٩٥٤ ، وصاحبها ورئيس

تحريرها هو الأستاذ جعفر الخليلي ، (١) قال :

كتب لي قارىء وأنا أدير جريدة «الهاتف» يقول : إنه كان قد سألتني مرة ما الذي يجب أن أعتمد عليه في بناء القصة ؟ فأجبتته بأن الواجب يقضى عليه بتوخى « الواقعية » بعد وثوقه من قابليته القطرية للكتابة .

وهمل القارىء بهذه النصيحة ، وكتب قصة بيته ، وأرسلها إلى جريدة «الهاتف» فلم تنشرها الجريدة ، مع أنه لم يبعد فيها عن الواقع قيد شعرة ، وكانت قصة بيته التي يشير إليها ، والتي يلوم «الهاتف» على عدم نشرها بعنوان :

حياة أسرة

وهي قصة أرض قال إن أباه قد اشتراها من امرأة . وهي واقعة في الطرف الغلابي من المدينة ، وبالقرب من المحل الغلابي ، وقد أنجز أبوه بناءها في طابقين ، اتخذ الطابق الفوقاني مسكناً له ، وخصنا أنا وعمتي وجدتي وأختي بالطابق التحتاني ، وفي البيت سلمان أحدهما بالقرب من باب الدار ، والثاني في نهاية البهو ، وكلاهما ينتهيان بالطابق الفوقاني ، ويصلان إلى سطح الدار .

وقال إن أباه ينوى أن يبني جناحاً آخر إذا ماجاه موسم الزراعة بمنتوج جيد في السنة المقبلة ، وقد كان ينوى يوم خطط خريطة البيت أن يبني سرداباً ، ولكن صديقاً لأبي حذره قائلاً : إنه إن يأمن أن يمتلئ السرداب بالماء في موسم الفيضان ، فعدل عن بناء السرداب وبني لنا تنورا لا تزال أمي وعمتي تتناوبان الخبز فيه ، وإن كان خبز أمي أحسن من خبز عمتي .

ثم أضاف قائلاً : وليس في بيتهم هذا مجال ليتخذ فيه حديقة ، ولذا كتبهم

(١) جعفر الخليلي « القصة العراقية » ص ١٥٥ .

ينتظرون أن يبيعهم جارهم بيته المتصل ببيتهم ليتخذوا منه حديقة غناء إن شاء الله تعالى .

وتنتهى القصة بعد ذلك بحادث وقوع بينهم هذا بسبب شق الطريق ، وكانت نتيجته أن انهدم البيت وعوضوا عنه بمبلغ معين ، وهكذا تمت قصة حياة الأسرة ، أو قصة الدار قبل أن يتاح لهم أن يحققوا أمنيتهم منها .
لقد أقسم كاتب هذه القصة بأنه لم يكتب شيئاً يخالف الواقع ، ولم يفته شيء مما ينبغي أن يذكر لتسكون الإحاطة تامة بجميع أطرافه ، وذلك طبقاً للقاعدة المطلوبة في بناء القصة ، أو طبقاً لنصيحة « صاحب الهاتف » .

قال صاحب « الهاتف » بعد ذلك :

« إن الواقعية التي أرادت أن تكون قاعدة أساسية للقصة لم أقصد بها أن ينبرى أحدها إلى بيته أو إلى شارع أو إلى مدينته أو أية جهة أخرى فيصفها وصفاً صحيحاً ، ثم يقدمها للناس باعتبارها قصة من القصص الفنية ، وإنما يجب أن تصف الواقعية موضوعاً يصبح أن يسترعى انتباه القارئ لغرابته ، أو لذته ، أو لاستهوائه النفس ، أو لإثارته الكوامن ، أو لأى شيء مما يعنى به الناس كلهم أو بعضهم ، وذلك في قالب فنى وإطار معين ، أما أن ينطلق الكاتب إلى المطبخ مثلاً فينقل للقراء صورة صادقة لمواقع القدور والملاعق من الجهة اليمنى إلى الجهة اليسرى ، وموضع الطباخ أو من يطبخ في بيته : أهى أمه أم عمته أم الخادمة ، ثم يحاسبنا على أنه قد راعى في وصفه أهم قواعد القصة ، وهى الواقعية ، والإحاطة بجميع أطراف الموضوع فذلك شيء لا يمت إلى القصة بأى وشيخ من النسب ، وإذا جاز أن يكون قصة فهو من نوع صاحب البيت بالمعمور الذى أشرنا إليه هنا ، والذى أسأل الله أن يكون أبوه قد اشترى له بيتاً جديداً حقق فيه آماله من حيث السعة وإنشاء الحديقة ، ١١

تقول « الزايبك بوين » في تعريف « الرواية والحقيقة » :

إنها - أى الرواية - قصة مبتكرة ، ولكنها فى الوقت نفسه ، ورغم كونها مبتكرة فإن لها القدرة على الإيحاء بالصدق ، وقد يتساءل البعض ، وما قياس هذا الصدق ؟

فأقول ، إنه بالنسبة للحياة كما يعرفها القارىء ، أو ربما كما يتحسسها هذا القارىء ، وأنا إنما أعنى القارىء الناضج الكامل النمو ، فمثل هذا القارىء يكون قد اجتاز مرحلة قراءة القصص الخرافية ، ونحن لا نريد فى الرواية شيئاً من الأحداث الغريبة المستحيلة ، ولهذا فإنى أؤكد بأن الرواية يجب أن تنطبق على الواقع كما يعرفه الناضجون من الناس فى المجتمع .

ومعنى ذلك أن الرواية ليست نشرة إخبارية ، كما أنها ليست حوادث مثيرة للعس ، أو مثيرة للنظر ، وهنا يأتى دور الشرارة التى تبعث الحياة الحقيقية فى الرواية ، وهى خيال الكاتب صاحب القدرة الممتازة ، وهذا الخيال لا يقتصر على الاختراع ، بل إنه يدرك الأشياء ويمسها ويضعف من الأشياء التى تبدو عادية ومألوفة ، وهو يمدها بقوة جديدة ، ويزيد من أهميتها ، ويؤكد صدقها ، كما يعطيها حقيقة داخلية عميقة ، وهذا هو مفهوم الفن الروائى .

وقفت « الزايبك بوين » عند ثلاث خصائص للقصة وهى :

أولاً - أن تكون بسيطة ، واضحة ، سهلة الفهم .

ثانياً - أن تكون طريفة بحيث تدور حول أزمة من الأزمات ، أو تعالج مشكلة ذات أهمية كبرى بالنسبة للكاتب أو للقارىء فى حياته الخاصة

ثالثاً - أن تكون ذات بداية جيدة ، كأن تنطلق من موقف مشحون بالأمل ، أو على الأقل توحى للقارىء بأن مثل هذا الموقف واقع وموجود بالفعل .

الفصل الرابع

وظيفة التقرير الصحفي وأهميته

بين العلماء والباحثين خلاف كبير في المقال الصحفي من حيث هو :
أيعتبر فناً مستقلاً بذاته من فنون الصحافة ؟ أم يعتبر لوناً من ألوان الخبر
أو الإعلام ؟ وتمادى الخلاف بينهم في ذلك حتى ذهب بعضهم إلى أن
المقال الصحفي - وإن كان يهدف إلى التوجيه والإرشاد - فإنه يعتبر في
الواقع نوعاً من الإخبار والإعلام ، ولم لا يكون كذلك ؟ والمقال الافتتاحي
ذاته يبنى في أكثر الأحيان على خبر هام ، سواء أكان من الأخبار الخارجية
أم الداخلية ، وقد يدور هذا المقال الافتتاحي كذلك حول خبر ما تحول
ظروف خاصة دون إبراده مورد النبا بالشكل المعروف في الصحيفة .

على أنه بالرغم من هذا التداخل الكبير بين الخبر والمقال ، فإن الكثرة
الساحقة من علماء الصحافة مجمعة على ضرورة الفصل بين هذين الفنين من
فنونها ، وذلك على أساس من الفهم السليم لوظائفها الخمس المعروفة للصحافة
وهي كما تعلم :

وظيفة الإخبار ، ووظيفة تفسير الأخبار ، ووظيفة التوجيه والإرشاد
وظيفة التسلية والإمتاع ، ووظيفة التسويق والإعلان .
والغرض الأول والثاني من هذه الأغراض الخمسة يختصان بالخبر .

والغرضان الثالث والرابع منها يختصان بالمقال ، وأما الغرض الخامس
والأخير فخاص بالناحية المادية التي لا تعنينا في هذا البحث .

فإذا كان هذا هو الخلاف الحادث بين العلماء والباحثين في شأن المقال

الصحفي بالذات ، فكيف يكون الخلاف بينهم في الفنون الصحفية الأخرى ،
ومنها فن الحديث ، وفن التحقيق ، وفن الماكرات ؟ .

إن من هؤلاء العلماء من يعتبرون هذه الفنون الأخيرة لونا عمليا من ألوان
الإعلام أو الإخبار ، والدليل على ذلك - في رأيهم - أن محرر التقرير
الصحفي - كائنا من كان - يكتب ما يرى ، وما يسمع في مكان الحادث
أو التحقيق ، ويهمل كل ما عرفه - ولو من طريق الصحف - عن
الشائعات التي تجري على ألسنة الناس بعيداً عن هذا المكان ، ومعنى ذلك
أنه لا يكتب في مكتبه ، أو غرفة التحرير بالصحيفة ، كما يفعل كاتب المقال
أو التعليق على الأنباء ، وإنما يكتب أولاً في المكان الذي يقع فيه الحادث ،
أو المكان الذي هو موضوع التقرير الصحفي الذي تطلبه الصحيفة .

والمعروف أن عمود الأخبار لا يتسع في الصحيفة إلا لعبارات موجزة
وجمل مركزة ، ولسكن بعض هذه الأخبار يجذب إليه انتباه القراء ،
وكثيراً ما تثير فضولهم ، فتضطر الصحيفة إلى إشباع فضولهم هذا بكتابة
التقرير الصحفي المفصل ، كائنا ما كان نوعه ، أو كانت صورته .

من أجل ذلك ذهب بعض العلماء إلى أن التقرير الصحفي يهبط بمستوى
الصحافة ، لأنه لا يهدف إلا لغرض واحد فقط في الواقع ، هو إرضاء
غريزة من غرائز الإنسان ، هي غريزة حب الاستطلاع ، أو إلى إرضاء
غريزة أخرى من غرائزه كذلك ، هي الغرور الإنساني لدى المجرمين ،
والمتهافتين على الشهرة والميل إلى الظهور .

وذهب بعض العلماء كذلك إلى اعتبار التقرير .. « صحافة من الدرجة
الثانية » ، لأنه لا يتطلب من كاتبه كل ما يتطلبه كاتب المواد الأخرى
في الصحيفة من مهارة وحذق في فنون الكتابة والعرض .

لكن يردّ على هذه الآراء السابقة وأمثالها بردود كثيرة منها : أنه

يكفى أن نرى جمهور القراء يتهاقون على قراءتها التقرير الصحفي - أيا كان نوعه - وأن نراهم معجبين أشد الإعجاب بكاتب هذا الفن من فنون الصحافة الحديثة .

على أن كاتب التقرير الصحفي في الحقيقة من أشد المكاتب الصحفيين عناية بعرضه على أحسن وجه ، وكتابته على أحدث طريقة ، وجعله تحفة فنية تجذب إليها انتباه القارىء ، وسنرى في بعض الفصول القادمة كيف أن كاتب التقرير الصحفي ، بأشكاله المختلفة ، لا بد أن يكون رجلا يتوافر فيه من الصفات الأدبية والفنية ما يتوافر في كاتب القصة الإخبارية ، أو المقالة الصحفية ، أو العلمية ، أو الأدبية ، أى أن كاتب التقرير يجب أن يكون . كغيره من أعضاء أسرة التحرير على جانب عظيم من العلم والمعرفة ، وعلى جانب عظيم من الفن والموهبة ، وبغير ذلك تبدو كتاباته ضحلة فارغة أو مضحكة ، وتعرض لإذ ذلك ، لمقص ، سكر تير التحرير وقلبه ، الأحمر ، الذى يضرب به على كثير من المواد غير المبذول في كتابتها وإعدادها من العناية ما يكفل نشرها ، ويغرى قراء الصحيفة بقراءتها ، والانتفاع بها .

وفي أهمية المقرر الصحفي يقول مسيو « إيلي ريشارد Elie Richard » وكان رئيسا لتحرير صحيفة فرنسية يقال لها « سى سوار » :

« الحقيقة أن المقرر الصحفي ثمرة من ثمار هذا القرن الذى نعيش فيه ، إنه المندوب الذى يذهب من قبلك - أيها القارىء - لرؤية الحادث ، والكشف عن أسبابه بدقة تامة ، إنه ليس أديبا متجولا ، ولكنه فى الواقع العين التى نبصر بها ، والأذن التى نسمع بها ، وهو يعرف جيدا أن عليه أن ينقل إلينا جميع الأحاسيس فور شعوره بها ، وإدراكه لها ، أما التأملات والإيجاءات فمتركة لنا وحدنا بعد كل ذلك . »

ويفرق الباحثون بين المقرر الكبير، و المقرر الصغير، فالأول ذو خبرة واسعة، ومرانة طويلة، وعليه - بوجه عام - تعتمد الصحيفة في كتابة التقارير حول الأخبار الهامة، والحوادث الجسام، كحادث اغتيال رئيس من رؤساء الحكومات، أو حادث غرق سفينة كبيرة، أو هلاك منطقة أهلة بالسكان بسبب الفيضان، أو بسبب بركان، وكفضيحة من الفضائح تكون الشخصية الرئيسية فيها نجما أو نجمة من نجوم العلم، أو الأدب، أو السينما، أو المسرح ونحو ذلك.

فإذا وقع حادث من هذا النوع أسرع المقرر الصحفي الكبير، فخرم متاعه، واصطحب معه آلة التصوير، وركب الطائرة، أو القطار السريع، ليصل إلى مكان الحادث قبل غيره من الصحفيين، وهنا يجمع المعلومات، ويجري التحقيقات، ولا يعبأ بالمصاعب والعقبات التي تعترض طريقه، ويسابق الوقة. فلا تضيع منه دقيقة واحدة، وإلا فسدت عليه خطته من أولها إلى آخرها.

أما المقرر الصغير، فيحزر في الغالب باب «الأصدقاء»، أو باب «المبارمات»، أو تلك المواد الصغيرة المسلية التي تهتم بها جميع الصحف، وتفرد لها مكانا خاصاً من مساحتها، وكثيراً ما يكون ذلك بالصفحة الأخيرة التي تعتبر أدنى في طبيعتها إلى «المجلة»، Magazine منها إلى الجريدة News paper.

وفي هذه الصفحة الأخيرة يرى القارئ طائفة من الأحاديث المصورة، التي هي في الواقع «أصدقاء» لأهم الحوادث الجارية، وهنا يتساءل الباحث عن هذه الأحاديث، والأصدقاء: ما نوعها؟ وهل تعتبر من الحديث الصحفي، أو التحقيق الصحفي، أو الماخرات الصحفية؟

والجواب على ذلك: أن هذه التقارير الصغيرة ليست في شيء من هذه

٣٧ فنون الثلاثة بالمعنى المقصود من كل فن منها على حدة ، وهو المعنى الذى ستشرحه الفصول التالية :

فليست هذه التقارير الصغيرة أحاديث صحفية لعدم وجود عنصر الحوار فى أكثرها ، بل فيها جميعاً .

ولست هذه التقارير الصغيرة عبارة عن تحقيقات صحفية لعدم وجود عنصر البحث عن الحقائق ، وعنصر جمع المعلومات حول مشكلة من المشكلات العامة سعياً وراء إيجاد حل مناسب لها .

ولست هذه التقارير الصغيرة « ماجريات صحفية » لأنه يشترط فى هذه المايجريات - كما سنرى - أن تكون تقريراً عن حوادث كبيرة عقدت لها جلسات فى هيئات عامة ، كالمحكمة ، والبرلمان ، والمؤتمر الإقليمى ، أو المؤتمر الدولى .

فإن كان ولا بد من إدراج هذه التقارير الصغيرة تحت فن من فنون الصحافة فهم أدنى إلى « فن التعليق » على الأخبار منها إلى أى شىء آخر ، وذلك بشرط أن تتسامح أيضاً فى معنى « التعليق على الأخبار » ، فلا تكون الغاية منه مقصورة على توجيه القارىء بقدر ما تكون الغاية من هذا التعليق الصحفى أو « الثرثرة الصحفية » ، هى تسلية القارىء أو إمتاعه ، بصرف النظر عن توجيهه أو إرشاده .

ثم إن هذا التعليق على الأخبار متى قصد منه إلى إيضاح بعض النقاط المتصلة به ، أو الكلام بشىء من التوسع عن الأشخاص والأماكن التى تذكر معه ، أو تزويد القارىء بطائفة من المعلومات المسلية التى ترتبط به من قريب أو من بعيد سمي فى الواقع باسم : « طريفة » ، وجمعها « طرائف » ، Features ، وهو فن من فنون الصحافة أدنى إلى الخبر منه إلى المقال ، كما

أوضحنا ذلك في فصل من فصول الكتاب الثاني من كتب هذا البحث ،
وعنوانه « الطرائف » .

المقرر الكبير ومكانته في الصحافة الحديثة

الحق أن المقرر الكبير يعتبر قوة كبيرة من قوى الصحافة الحديثة ،
وعلى أيدي المقررين الكبار تجرى أنواع من البطولات والمغامرات لا تقل
عن مغامرات المخترعين وكبار العلماء ، ومن هذه المغامرات - على سبيل
المثال - « مغامرة ستانلي » الذي أرسلته صحيفة «نيويورك هارولد » للبحث
عن « لفتنجستون » أدت إلى القيام بتقرير صحفي غريب أثار آنذاك إعجاب
العالم أجمع ، فقد كان « ستانلي » صحفياً ورحالة في آن واحد .. وفي أكتوبر
سنة ١٨٦٩ كلفه مدير « النيويورك هيرالد » بالبحث عن « لفتنجستون »
في أفريقيا الاستوائية بعد أن انقطعت أخباره ثلاث سنوات ، ووصل
ستانلي إلى زنبار في يناير سنة ١٨٧١ وتوغل في قلب القارة السوداء ، وعثر
أخيراً على لفتنجستون في « أودجيجي » الواقعة على ضفاف بحيرة تنجانيقا ،
وزوده بالمؤن ، ثم كتب « ستانلي » إلى الصحيفة تقريراً مشيراً ، (١) .

• وفي أوائل مايو سنة ١٩٥٦ استطاع الصحفي المصري « إبراهيم عزت »
أن يتخطى حدود إسرائيل ، ويطوف مدنها ويقف على حقيقة ما يجري
فيها من أمور ، ويمكث فيها أحد عشر يوماً قابل في خلالها « دافيد بن جوريون »
رئيس الوزراء ، و« موسى شاريت » وزير الخارجية ، و« جولدا مائير » وزيرة
العمل ، و« موشى ديان » قائد الجيش .

وقد استطاع « إبراهيم عزت » أن يحصل على تأشيرة من سفارة إسرائيل

(١) راجع د . خليل صابات « الصحافة » رسالة ، استعداد ، علم ، فن «

بلندن بعد أن أقنع المسؤولين هناك بأنه صحفي برازيلي من أصل عربي ،
واسمه «جورج إبراهيم حبيب» يفهم العربية ولكنه لا يكتبها ، وأنه يقوم
بجولة في منطقة الشرق الأوسط لزيارة الدول العربية واسرائيل ، ولكنه
يخشى إن ظهرت على جواز سفره تأشيرة دخول اسرائيل أن ترفض
الدول العربية دخوله أراضيها .

وطار « إبراهيم عزت » من لندن إلى نيقوسيا ، ومنها إلى « اللد » حيث
كان في استقباله مدير المطار ، ومندوب وزارة الخارجية ، الأمر الذي
أفرعه إذ ذاك ، ولكن سره لم ينكشف ، وظل بجوب مدن اسرائيل حيث
مكث ثلاثة أيام في تل أبيب وحيفا ، ويومين في القدس ويبر سبع ، وزار
المستعمرات الصهيونية على الحدود المصرية .

وفي كل لحظة كان يقف على الأمور خلف الأسوار ، ويطلع على
أدق الأسرار ... وبعد أحد عشر يوماً عاد إلى قبرص .. ومن هناك أبرق
إلى « روز اليوسف » بتفاصيل رحلته إلخ ، (١) .

أليس في كل ذلك ما يدل دلالة واضحة على المكانة التي يتمتع بها المقرر
الكبير في الصحافة الحديثة ، وما يدل كذلك على أن التقرير الصحفي
في ذاته صحافة من الدرجة الأولى لا من الدرجة الثانية ؟

* * *

لقد سبق أن قلنا إن الخلاف قائم بين العلماء في موضوع المقال الصحفي:
أيعتبر فناً مستقلاً بذاته من فنون الصحافة ؟ أم يعتبر لوناً من ألوان الإعلام
في هذه الصحافة كبقية الألوان الأخرى .

والرأى عندنا في ذلك أنه لا بد من الفصل بين هذه المواد التي هي :

الخبر ، والمقال ، والتقرير ، فهذا الفن الأخير - وهو التقرير - وإن كان في الواقع يحمل صفة الإخبار ، أو الإعلام ، فإنه في نفس الوقت يكتب بطريقة مخالفة كل المخالفة للطريقة التي تكتب بها الأخبار ، والاختلاف بين الخبر والتقرير في طريقة التحرير كاف عندنا للفصل بينهما ، ودراسة الخصائص الفنية لكل على حدة .

فلئن كانت القصة الإخبارية تجيب دائماً عن الأسئلة الخمسة أو الستة المعروفة ، وهي : من ، وماذا ، ولماذا ، وأين ، ومتى ، وكيف ، فالتقرير الصحفي كثيراً ما يكتفى بالإجابة عن سؤال : لماذا ، أو كيف ، ويقف عند هذا الحد .

ولئن كانت الإجابة عن سؤال : كيف ، تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في القصة الإخبارية ، أي أنها تجيء لمجرد التفسير في الفقرة الثالثة ، أو الرابعة ، أو الخامسة من صلب هذه القصة ، فإن الإجابة عن سؤال « كيف ، يلعب الدور الهام في التحقيق الصحفي - بنوع خاص - ويكاد يدور عليه هذا التقرير من أوله إلى آخره .

ولئن كانت القصة الإخبارية إنما تصاغ على شكل هرم مقلوب ، فإن التحقيق الصحفي بالذات - كالمقال الصحفي - يتبع نظام الهرم القائم أو المعتدل ، بمعنى أن الأجزاء التي هي أقل في الأهمية تأتي في بداية الكلام ، ثم تندرج الأجزاء الأخرى إلى أعلى شيئاً فشيئاً ، حتى تصل في التقرير - كما تصل في المقال - إلى الذروة Climax ، ويستثنى من ذلك فن الماكرات : قضائية ، وبرلمانية ، وسياسية ، كما سنرى ذلك في موضعه من هذا البحث .

ولئن كان الخبر الصحفي لا يسمح محرره مطلقاً بإظهار شخصيته على نحو ما ، لأنه يتبع في تحريره أسلوباً يشبه الأساليب العلمية ذات الصبغة الموضوعية ، فإن التقرير الصحفي من حديث ، وتحقيق ، وماجريات ، يحمل (م - ٢٦ المدخل)

غالباً طابع كاتبه ، وينم عن شخصية محرره ، ويدل عليه دلالة قوية ، وذلك حتى في بعض الماكريات الدبلوماسية والدولية نفسها .

* * *

وكل هذه الفروق المتقدمة تجعل من حقنا أن نفصل فصلاً تاماً بين التقرير الصحفى وغيره من مواد الصحف ، كما جعلنا ننظر إلى « فن التقرير » على أنه فن مستقل بذاته : له خصائصه التى يمتاز بها ، وله أغراضه التى يسمى إليها ، وله كتسابه ومحروره الذين تهبثوا للنبوغ فيه ، وللتقرير - فيما قلنا - فنون أربعة ، وهى :

١ - فن الحديث الصحفى .

٢ - فن التحقيق .

٣ - فن الماكريات الصحفية .

٤ - فن التقرير المصور « الريبورتاج » .

وستتحدث عن كل واحدة من الفنون الثلاثة الأولى على حدة ، وسنعنى فى أثناء ذلك « بالطابع المصرى » ، و « الشخصية المصرية » فى فن التقرير ، كعنايتنا بهما فى الفنين السابقين ، وهما الخبر والمقال :

نعم ، يصح أن يضاف إلى هذه الفنون الثلاثة « فن التقرير المصور » أو الريبورتاج ، وهو عبارة عن تقرير صغير يمتاز بأشياء ، منها :

١ - الإيجاز فى التعبير .

٢ - الحديث عن شخص بعينه أو مكان بعينه أو ظاهرة بعينها .

٣ - أن يكون هذا الحديث مقررناً بالصور كلما أمكن ذلك .

خذ لذلك مثلاً : هب أنك مشيت فى الطريق العام ، فقابلت شحاذاً يتكفف المارة ، ووقت قليلاً ترقب هذا الشحاذ فإنك تجد لفائف كثيرة على ساقه البنى ، ولفائف أخرى على ساقه اليسرى ، ثم أخذت تلاحظ هذا

الشحاذ عن قرب دون أن يشعر حتى ابتعد عن زحام الناس وأخذ يفك لفائفه وهو آمن ، فإذا هذه اللفائف تحتوي على عدد كبير من الأوراق المالية !

وهنا حدثتك نفسك بأن تكتب عن هذا الشحاذ وتحكى قصتك معه على النحو المتقدم ، وتقرن ذلك بالصورة التي لا بد من التقاطها .

في هذه الحالة يعتبر حديثك عن هذا المتسول وحده « تقريراً مصوراً » . أما إذا تجاوزت ذلك إلى الحديث عن مشكلة التسول في ذاتها ، ودراسة هذا الموضوع من جوانب متعددة لكان هذا النوع من الحديث تحقيقاً صحفياً .

ومن الأمثلة الرائعة لفن « الريبورتاج » ، تقرير مصوره نشرته الأهرام يوم ١٠ / ١٢ / ١٩٦٢ بعنوان : « إجازة ١٩ ساعة لمسجون أمضى ١٣ سنة في ليان طره » .

* * *

ومهما يكن من شيء فيجب العدول عن اعتبار التقرير بصورة المعروفة وهي : « الحديث الصحفي ، والتحقيق الصحفي ، والمآجريات الصحفية » ، ضمن المقال ، فالمقال عبارة عن إنشاء لاحظ له من الطول ، وليس من الضروري أن يتصف بالعمق أو بالإحاطة التامة بالموضوع ، على حين أن التحقيق الصحفي - وهو أحد الفنون الثلاثة من فنون التقرير - يطول كثيراً ويتعمق فيه الكتاب كثيراً ، وبذلك يعد التحقيق عن المقال في طبيعته التي اتضحت لنا من تعريفه فيما سبق .

الفصل الخامس

فن الحديث الصحفي وأنواعه

ليس صحيحاً ما يقال من إن فن الحديث الصحفي من ابتكارات القرن العشرين ، وابتداع هذا القرن وحده ، فالذى نعرفه من تاريخ الصحافة بانجلترا - على سبيل المثال - أن الصحفي الإنجليزى المشهور « ديفو Defoe » استطاع فى القرن الثامن عشر أن يحصل على حديث صحفى من قاطع طريق اسمه : « جاك شبرد J. Shepherd » ، وكان هذا قبيل تنفيذ الحكم عليه بالإعدام شنقاً بوضع دقائق .

بل إن الأستاذ « ولزلى » فى كتابه : « Exploring Journalism » ، يرى أن حوار أفلاطون يعتبر نوعاً من الأحاديث ، ذلك أن الأسئلة التى وجهت إلى سقراط حيناً ، وإلى غيره من أصدقاء أفلاطون وتلاميذه حيناً آخر ، كانت تحمل فى طياتها صفات الحديث الصحفى ، ومثل ذلك كثير من أخبار الأدب العربى فى قصود الخلفاء والأمراء ، حيث كان الحوار يدور بينهم فى مسائل شتى ، وموضوعات متباينة .

ولئن دلت هذه الآراء وأمثالها على شيء فإنما تدل على حقيقة واحدة فقط ، وهى أن فى النفس البشرية - منذ نشأتها - ميلاً أصيلاً ونزوعاً شديداً إلى معرفة أحوال الغير ، والوقوف على جميع أسرارهم كلما أمكن ذلك ، وفى الأحاديث الخاصة من أى نوع كان ، ما يشبع هذا الميل نفسه إشباعاً كبيراً .

ولهذا الفن ، من فنون الصحافة ، أهمية خاصة ، فالأصل فيه ، أن القارئ لا يمكنه أن يشاهد مكان الحادث الذى يهمه ليقف بنفسه على

حقيقة الأمر فيه ، ومن ثم وجب على الصحافة أن تقوم له بذلك عن طريق مخبريها ، فيذهب أحدهم إلى مكان الحادث ، وتكون مهمته توجيه الأسئلة إلى شهود العيان ، وبهذه الطريقة يقف القارىء على الحقيقة ، على أنه ليس من الضروري في كل حالة أن تنشر الأحاديث الصحفية على شكل أسئلة وأجوبة ، فربما كان في نشر المعاني نفس القيمة الخبيرية التي للأسئلة والأجوبة .

وفي بيان أهمية الحديث الصحفي يقول الأستاذ « إميل لودفيج » مايلي :
يعتبر الحديث الصحفي من ألمع الفنون الصحفية في الوقت الحاضر ، ومن أكثرها استهواء للقارىء ، وقد تظن أن الحديث الصحفي لا يزيد على كونه مجرد تسجيل لمناقشة ، أو حوار دار بين طرفين ، غير أن حقيقة الأمر هي أن الحديث الصحفي أهم من ذلك ، لأنه يتطلب قدراً كبيراً من المهارة والتفنن ، ويحتاج إلى توفر صفات من نوع خاص في المخبر الصحفي .

والواقع أن الحديث الصحفي محبوب إلى نفوس القراء ، فكما أنه يسر كل إنسان أن تتاح له فرصة التحدث إلى شخصية كبيرة لها مكانتها في الحياة العامة ، فكذلك يرحب الناس عادة بالاطلاع على ما تصرح به مثل هذه الشخصيات المندوب الصحيفة الذي يقوم بنقل هذه التصريحات إليهم .

وتزداد أهمية الحديث الصحفي تبعاً لأهمية صاحبه ، ومدى شهرته ، ولكن ليس معنى ذلك أن الحديث الصحفي لا يؤخذ إلا من المشهورين البارزين في المجتمع وحدهم ، فقد تكون الأحداث المثيرة التي تقع لبعض المغمورين من الناس سبباً في الاهتمام الشديد بأحاديثهم وتصريحاتهم ، وخاصة حين تكون مادة الحديث متصلة أشد الاتصال بموضوع من موضوعات الساعة .

فحين يتحدث المحضر « عثمان أبو الحسن حمودة » ، قاتل « وداد حمدي »

أو تتحدث ابتها « أشجان » ، إلى مندوب الصحيفة بعد وقوع الحادث ، والإخبار عنه بالفعل ، فإن هذه الأحاديث تستهوى الجمهور القارىء أكثر مما يستهويه حديث آخر عن استقالة « خروشوف » ، فى روسيا ، أو بجى . « تشومى » من الكونغرس إلى بلد من بلاد الشرق الأوسط .

والخلاصة أن للحديث الصحفى — بالمعنى الذى تقصد إليه الصحيفة — ثلاث وظائف :

أولها — أنه خير معين للصحيفة على كتابة القصص الإخبارية التى لا مكان لها فى الواقع غير الصحف .

الثانية — أنه من أنجع الوسائل لعرض وجهات النظر ، ومحاربة الشائعات الضارة بالمجتمع .

الثالثة — أنه من أنجع الوسائل كذلك لتعريف الجمهور بالشخصيات الممتازة لذواتها ؛ أو الشخصيات التى أضفت عليها الحوادث نوعاً من البروز المؤقت فى المجتمع .

وإذ قد فرغنا من الكلام عن أهمية الحديث الصحفى فإننا ننتقل من ذلك إلى الكلام عن :

أنواع الحديث الصحفى :

توشك أن تنحصر الأحاديث الصحفية فى الأنواع الخمسة الآتية :

١ — حديث الخبر « أو الحقائق » • Information Interview

٢ — حديث الرأى • Opinion Interview

٣ — حديث المعلومات والتسليية والإمتاع • Feature Interv

٤ — حديث الجماعات • Group Interview

٥ — حديث المؤتمرات الصحفية • Press Conference Interv

وفي كل نوع من الأنواع الخمسة المتقدمة لابد من مراعاة الشروط التي روعيت في الخبر الصحفي من حيث هو ، وهذه الشروط أو الخصائص المطلوبة هي :

| | |
|--------------|--------------------------------|
| Timeliness | ١ - الجدة من حيث الزمان |
| Proximity | ٢ - القرب من حيث المكان |
| | ٣ - الضخامة (وهي اتصال الحادث |
| Magnitude | بأكبر عدد من الناس) |
| Significance | ٤ - قوة الدلالة |
| Policy | ٥ - سياسة الصحيفة |

ومعنى ذلك أن على المخبر الصحفي أن يحقق هذه الشروط الخمسة عندما يشرع في كتابة الحديث الصحفي ، واسكن كيف نميز - أولاً - بين هذه الأنواع الخمسة السابقة ؟ وكيف نعالج كل نوع منها على حدة ؟ ذلك ما نحاول الإجابة عنه فيما يلي :

أولاً - حديث الخبر أو الحقائق

والغرض منه في الواقع هو جمع الأنباء ، واستقصاء المعلومات بحول حادث معين ، والرجوع في ذلك - ما أمكن - إلى الأشخاص الذين رأوا بأعينهم هذا الحادث المعين ، أو اشتركوا فيه وقت وقوعه ، وهنا يجب التنبيه إلى أن المطلوب من الصحفي في هذه الحالة إنما هي الأنباء أو الحقائق أو المعلومات ، وليس المطلوب هو الآراء أو الاتجاهات أو وجهات النظر المختلفة ونحو ذلك .

وفي هذا يقول الإنجليز : إن القصد من هذا النوع من الحديث هو

الحصول على ما يعبر عنه بينهم بهذه العبارة « News not Views »

هب أن الصحيفة أرادت أن تعرف سياسة الحكومة في التتوين في وقت

من الأوقات ، فإنها في هذه الحالة تبادر بإرسال مندوبها إلى وزير التكوين نفسه ، أو وكيل الوزارة نفسه ، أو مدير العلاقات العامة بالوزارة لكي تستقي منه الحقائق المتعلقة بالسياسة التمويلية ، وخطة الحكومة في تسيير السلع ، وخفض الأسعار ونحو ذلك .

غير أن الناس قسبان : منهم من يجنون الإدلاء بالمعلومات ، ويميلون بطبعهم إلى شرح ما أجروه من التجارب ، وما وصلوا إليه من النظريات . ومنهم من يترددون كثيراً في الإدلاء بمعلوماتهم ، ويخشى أحدهم أن يجره التصريح بهذه المعلومات إلى القضاء ، أو يعرضه لسؤال الحاكم ، أو يفسد عليه حياته الخاصة في داخل الأسرة ، أو حياته العامة في مكان العمل ، أو خارجه ، وخاصة عندما تكون المعلومات مما يخجل بالشرف .

على أن شاهد العيان — مادام إنساناً — لا يمكن أن تكون معلوماته دقيقة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، لأن الحوادث تأخذه على حين غرة ، ويتبع بعضها بعضاً بغاية السرعة ، فلا يستطيع أن يعرف ماذا حدث بالدقة ، ومن هنا يأتي تردده عند ما يطلب إليه الإدلاء ببعض المعلومات الهامة . .

وتم طائفة ثالثة من الناس لا يجبون أن تسلط عليهم الأضواء ، لأنها تكشفهم للبلى ، وتعرض حياتهم نفسها للخطر ، ومن هؤلاء المشعوذون ، والمجرمون ، والدجالون ، ورجال العصابات ، وتجار المخدرات ، والقتلة الصفاكون ، وبعض الساسة وغيرهم ، وكل هؤلاء لا يجبون أن يتخذت عنهم الناس ، حتى لا ينكشف سرهم ، ويقف الناس على حيلهم وأفكارهم ومقاصدهم .

بل إن بعض الساسة ، والمسؤولين من رجال الأعمال ، وأصحاب المشروعات قد لا يجبون أن يكشفوا عن أوراقهم ، أو يبيحوا بأسرارهم إلا في الوقت المناسب ، علماً منهم بأن التعجيل بهذا الكشف قد يفسد

خططهم ، ويزيد في تعقيد أمورهم ، وهم حريصون على أن يكونوا بأمان من كل هذه الأشياء .

نرى الواحد من هؤلاء الساسة ، ورجال الأعمال لا يجب مطلقاً أن يطرق والحديد بارد ، كما يقول الإنجليز ، ونرى له حاسة سياسية دقيقة يعرف بها متى تكون « اللحظة السيكلوجية » التي يكشف فيها عن أوقافه ، ويعرض فيها آراءه ، ويبسط فيها مشروعه ، لكي يضمن ترحيب المسئولين والشعب بهذا المشروع .

وفي كل حالة من الحالات المتقدمة تكون مهمة المخبر الصحفي صعبة كل الصعوبة ، ولا يكون من السهل عليه في الحقيقة أن يحصل للصحيفة على حديث يمكن أن ينير الطريق للقراء..

ثانياً — حديث الرأي

إن الصحيفة في هذا النوع من أنواع الحديث بالذات تهتم كذلك بالحصول على آراء ذوى الخبرة والاختصاص في موضوع له أهميته في المجتمع .

ومن الأمثلة عليه حديث لعضو بارز في مجلس النواب عن مشروع يزمع البرلمان إقراره ، أو حديث مع وزير التربية والتعليم عن سياسة جديدة يريد إتهاجها والسير عليها ، أو حديث مع رئيس الجمعية الطبية المصرية عن موضوع تأميم الطب ، وفي هذا النوع من الأحاديث يكون لآراء المختصين والفنيين وزن كبير ، وخطر جليل .

والناس بالقياس كذلك إلى هذا النوع من أنواع الحديث الصحفي فريقان : فريق يميل إلى الشهرة ويتعطش إليها ، فهو يسارع إلى الإدلاء بكل بيان ، بمناسبة وبغير مناسبة ، وهو يدعى العسلم بما يعرف وما لا يعرف . يتكلم في السياسة وفي الدين ، وفي الأخلاق ، وفي الأمن ، وفي الإدارة ، وفي الفنون ، وفي العلوم ، وفي كل شيء ، ومثل هذا الفريق من الناس يلغى الاحتراس من معلوماتهم وآرائهم لأنها دون شك آراء تمتاز فيها الحقيقة بالخيال ، والجد بالهزل .

وفريق آخر من الناس قد يكونون مشغولين بأعمالهم على الدوام ، وقد يكونون من الذين يترددون في الإدلاء بمعلومات من أى نوع كان ، وفي كلتا الحالتين ينبغى للصحفي أن يقدر الموقف حق قدره ، وينبغى له في الحالة الأخيرة بنوع أخص أن يحدد الأمر تحديداً واضحاً للمتحدث ، حتى يحمى محدثه في الموضوع — إن كان من الخياليين الخاملين — أو يخرج المحدث من الشك إلى اليقين ، ومن الخوف إلى الأمن إن كان من المترددين المرتابين ، وعلى المخبر أن يقنع هذا وذاك بأن في نشر حديثهما فائدة محققة للرأى العام .

وقد يحدث أحياناً أن يصير المتحدث على ألا ينشر اسمه مقرأً بالحديث،
وحينذاك لا يجوز للصحفي أن ينشر اسمه ، بل يكتب بأن يقول : عن مصدر
مسئول ، أو شخصية كبيرة ، أو عن مصدر لا يرقى إليه الشك ، ونحو ذلك .

ومن الخطر على الصحيفة دائماً أن يعدّ مخبرها بأنه لن ينشر هذا الجزء
أو ذلك من الحديث ، أو بأنه لن ينشر اسم صاحب الحديث ، ثم لا يفي بما
وعد ، وتلك جريمة صحفية يعاقب عليها القانون ، ثم إنه لا غنى للصحفي
كذلك في حديث الرأي عن مراعاة التوازن بين الآراء المؤيدة ، والآراء
المعارضة ، وخاصة إذا كان الحديث متصلاً بأمر من أمور السياسة ، أو
الاقتصاد ، أو التعليم ، ونحو ذلك من المرافق الخطيرة في الدولة .

ولا ينسى الصحفي مع كل هذا « سياسة الصحيفة » ، بل يجب عليه دائماً
أن يضعها نصب عينيه في الأحاديث الصحفية بوجه عام ، وحديث الرأي
منها بوجه أخص .

ثالثاً - حديث التسلية والإمتاع

إذا كان الغرض من حديث الخبر والحقائق هو الإعلام ؛ وكان الغرض
من حديث الرأي هو التوجيه والإرشاد ، فإن الغرض من هذا النوع
الثالث - كما يؤخذ من اسمه - هو التسلية والترفيه عن القراء .

وعلى ذلك فالمهم في هذا النوع الثالث ليس ما يقال ، ولكن كيف يقال ؟

والمتحدث في هذه الحالة هو المحرر نفسه ، إذ الغرض الأساسي في الواقع
هو تصوير شخصية اعتدت بما فيها من طرفة أو غرابة ، أو تعقيد ،
أو بساطة ، ولذلك يعني المخبر الصحفي بنبرات الصوت ، وحركات
المحدث ، وتعبيرات الوجه ، ولون الملابس ، وطريقة الجلوس ،
وما إلى ذلك كله .

وباختصار : يهتم المخبر الصحفي في هذا النوع من الحديث بشخصية المتحدث ، وفلسفته في الحياة أكثر مما يهتم بنوع اختصاصه، أو بنوع تجاربه وخبراته ، وإذا عرض لشيء من ذلك فإنه يكون من أجل تصوير شخصيته أكثر من الاهتمام بما يصدر عنها من رأى .

ومن الأمثلة على هذا النوع من الأحاديث مقابلة بين صحفى وممثل عالمى زار مصر لأول مرة في حياته ، أو مقابلة بينه وبين شخصية عالمية مرموقة في السياسة ، كشخصية روزفلت ، أو ترومان ، أو ستالين في زيارتهما لمصر كذلك لأول مرة ، ومن أمثلة ذلك أيضاً ظهور شخصية أدبية بمصر على حين غرة ، كشخصية برناردشو ، أو شخصية ذات صبغة دينية كشخصية «أغا خان» ومن الأمثلة على ذلك أيضاً تعيين وزير جديد في الوزارة يريد الجمهور أن يعرف شيئاً عن ماضى حياته ، ومنها كذلك ما أقدمت عليه صحيفة «الأهرام» يوماً من عرض لشخصية المحامية الزنجدية الأمريكية التى زارت مصر، وكان ذلك في عددها الصادر في ١٩٤٥/٥/٤ ونحو ذلك.

رابعاً - حديث الجماعة

هناك طريقتان لحديث الجماعة :

الأولى - أن يختار الصحفي جماعة معينة من العمال ، أو الفلاحين ، أو من المدرسين ، أو المحامين ، أو المهندسين ، ويوجه إليهم سؤالاً واحداً لا يتغير ، ويحصل منهم على الإجابة ، وبهذه الطريقة يستطيع الصحفي أن يخرج بصورة صادقة لقطاع معين في مساحة الرأى العام . وظاهر من هذه الطريقة أنها قريبة الشبه بالإحصاء أو بالاستفتاء ، وأنها غالباً ما تستخدم في البحوث الاجتماعية ، وتهتم بها الصحافة في أوقات خاصة كالأوقات التى تسبق الانتخابات العامة ، أو الأوقات التى تسبق التغييرات السياسية المنتظرة ، ونحو ذلك .

والثانية - هي أن يسأل الصحفي طائفة من المتخصصين في فن من الفنون ، أو علم من العلوم ذات الصلة الوثيقة بمشكلة من المشكلات التي تهتم الصحيفة ببحثها والوصول فيها إلى حل .

خذ لذلك مثلاً : مشكلة تحديد الدسل ، ففيها يستطيع الصحفي أن يسأل رجال الدين ، ورجال الطب ، والإخصائيين الاجتماعيين ، وعليه أن يجمع آراءهم كلها في صعيد واحد ، ومن حقه أن يضيف إليها آراء الأطباء ، ورجال الدين ، ورجال الاجتماع في البلاد الأخرى .

وتسمى هذه الطريقة الثانية بطريقة «النادى» ، وتحتاج من الصحفي إلى ثقافة واسعة من جهة ، ومهارة متفوقة في فهم آراء المختصين ، والقدرة على عرضها من جهة ثانية .

خامساً - حديث المؤتمرات

تهتم الصحافة دائماً بالحصول على أحاديث من المسؤولين سواء أكانوا وزراء ، أم رجال أعمال ونحو ذلك .

والطريقة المتبعة هي أن يجمع الوزير ، أو الرجل المسئول ممثلي الصحف المقيمين معه في مكان واحد ، ويحدد لهم وقتاً للاجتماع ، ثم يدلى إليهم بمجتمعين بحديثه ، وبعد ذلك يجيب عن الأسئلة التي توجه إليه منهم .

وفي البلاد الراقية تتبع طريقة المؤتمرات الدورية ، كذلك التي تقام في «واشنطن» بالبيت الأبيض ، حيث يدلى رئيس الجمهورية أو من يقوم مقامه بحديث للصحف .

وهناك في نفس الوقت مؤتمرات صحفية تحتاج إليها الحكومات

لتفسير موقف لها أو معاهدة تعقدها ، أو مشكلة تريد عرضها على الشعب ،
أو تغيير هام في الدستور يرى المصلحة في إجرائه .

وفي هذا النوع الأخير بالذات — وهو حديث المؤتمرات — لا تنفرد
ببشر الحديث صحيفة دون أخرى .

وهذا وذاك يدهونا إلى الكلام عن المراحل التي تتبع عادة في الحصول
على الحديث الصحفي على النحو الذي نراه في الفصل التالي :

الفصل السادس

مراحل إعداد الحديث الصحفي ، ونموذج له

يقول الأستاذ « كلايتون » في موضوع فن الحديث الصحفي ما مؤداه :

« إن على المخبر أن تكون له صفات البائع ، فهو مضطر إلى أن يذيب شخصيته في شخصية محدثه ، وتلك صفة ضرورية لا يقصد بها إلا الإقناع وحده فقط ، ولكنها ألزم ما تكون في الحقيقة لإيجاد المشاركة الوجدانية بينه وبين المتحدث ، ونحن نعلم أن الطبيعة البشرية تجعل الناس يميلون إلى التبسيط في الحديث بحرية وصراحة مع أولئك الذين يشاركونهم عواطفهم ومذاهبهم أكثر من أولئك الذين يعارضونهم معارضة ما في كل ذلك ، أو يقيمون من أنفسهم أوصياء على فكرة معينة ، أو رأى معين » .

وعلى هذا تقوم مشكلتان في وجه المخبر الصحفي الذي تكلفه الصحيفة بالحصول على حديث ما :

الأولى — كيف يمكنه الاتصال بالشخص الذي يريد أن يتحدث إليه .
والثانية — كيف يتمكن من استدراجه للتحدث بحرية تامة في موضوع يعده النشر .

والحق أنها مهمة دقيقة تلك التي يقوم بها الصحفي في هذه الحالة ، غير أنها تتم غالباً على مراحل أهمها ما يلي :

أولاً — مرحلة الإعداد للحديث الصحفي :

وتنقسم هذه المرحلة نفسها إلى ثلاث خطوات ، هي :

(أ) خطوة الوقوف على أكبر قدر ممكن من المعلومات الخاصة بشخصية المتحدث .

(ب) خطوة الدراسة المستوفاة لموضوع الحديث من حيث هو .

(ج) خطوة الإعداد لطائفة من الأسئلة التي تلم بأطراف الموضوع لكي يجيب عنها المتحدث ، بقدر المستطاع .

أما دراسة شخصية المتحدث ، والوقوف على أكبر قدر ممكن من المعلومات الخاصة بذلك فإنها من ألزم الأشياء التي يتوقف عليها نجاح المخبر الصحفي ، أو هي شرط هام في نجاح مهمته ، فعليه إذن أن يدرس هذه الشخصية التي وقع عليها اختياره ، وأن يتعرف ما أمكنه على ميولها وطباعها ، بل خير له في هذه الحالة أن يكشف بنفسه عن بعض ما تميل إليه هذه الشخصية من « هوايات » ، وكثيراً ما يستعين الصحفي على ذلك بقصاصات الصحف والمجلات ، وأقوال الأصدقاء ، والمعارف ، والأقرباء والمعجيين ، وأحياناً يصل إلى ذلك عن طريق الكتب التي تناسب إلى هذه الشخصية ، أو الآراء التي عرفت بها في المجتمع ، ويبالغ « أميل لودفيج » في ذلك فيوجب على المخبر الصحفي أن يحصل على صورة شمسية للمتحدث يطيل النظر فيها ، ويدرسها جيداً قبل الذهاب إليه لأخذ الحديث .

وتم نقطة هامة تصل بهذه المرحلة أيضاً !! هي اختيار المكان المناسب لأخذ الحديث ، فبعض المتحدثين يجدون حرجاً في التحدث إلى المخبرين الصحفيين بالمكانب الرسمية ، ويؤثرون التحدث إليهم في المنزل ، وآخرون على العكس من ذلك .

أما دراسة موضوع الحديث فإنها تتطلب من المخبر الصحفي أن يزود نفسه بأ أكبر قدر ممكن من البيانات والمعلومات عن هذا الموضوع بالذات ، فليس يشجع المتحدث على الحديث إلا إحساسه بأن الذي يخاطبه

متحمس لموضوعه ، عارف بدقائقه وأهدافه ، ملم بجوانبه وأطرافه ،
ولإذ ذاك ينسجم المتحدث مع مندوب الجريدة ، وينطلق معه في الحديث
انطلاقاً تاماً .

وأما خطوة إعداد الأسئلة فهي ضرورية كذلك لنجاح الحديث
الذي يريد الحصول عليه ، ومتى كان مندوب الجريدة دارساً لموضوع الحديث
على النحو المتقدم فإنه يستطيع أن يضع الأسئلة الصحيحة التي يتوجه بها
إلى المتحدث .

ومع هذا وذاك ليس على المخبر الصحفي أن يتقيد بهذه الأسئلة التي
يضعها وإلا فسدت خطته ، ذلك أن أسئلة الصحفي ليست إلا مرشداً لـ
فقط ، والصحفي الناجح هو الذي يقدر على تكيف نفسه بظروف الحديث
وبشخصية المتحدث ، إن الأمر إذن متروك للمخبر الصحفي ، وقدرته
على مواجهة الموقف .

ثانياً — مرحلة قيادة الحديث :

إن هذه المرحلة تتخذ ثلاث خطوات أيضاً ، هي :

(أ) خطوة استهلال الحديث .

(ب) خطوة توجيه الأسئلة للحصول على أكبر قدر ممكن من البيانات
الخاصة بهذا الحديث .

(ج) خطوة المراجعة .

فأما من حيث الخطوة الأولى فإنها تعتمد على ذكاء الصحفي ، وحسن
اختياره كذلك ، فقد يبدأ هذا الصحفي حديثه عن صورة جميلة وجددها
معلقة على الحائط ، أو تحفة فنية وضعت على المنضدة ، أو كلمة رائعة ،
أو شعار جميل ، أو مثل حكيم وجدده مكتوباً على المكتب ، أو عنوان
جذاب لكتاب حديث وجدده بين الكتب المرصوفة أمامه ، وهكذا .

(م — ٢٧ المدخل)

ومن هذه البداية يستطيع الصحفي أن يتطرق إلى هواية المتحدث ، ثم من هذه الهواية يصل غالباً إلى موضوع الحديث .

وتأتى بعد ذلك خطوة توجيه الأسئلة ، وإذ ذلك يلبغى للمخبر الصحفي أن يلوذ بالإصغاء التام لمحدثه ، وهنا ملاحظة قد تؤخذ على بعض المخبرين الصحفيين وهي أن أحدهم قد يأتى لزيارة شخصية كبيرة ، ويمطرها وابلا من أسئلته ، ثم ينزلق المخبر نفسه في إذاعة ما يعرفه من الأخبار ، ويدساق في الحديث انسياقاً ينسى معه مهمته ، كل ذلك والشخصية التي أتى لزيارتها تصغى إليه ، وقد تجد في طريقته هذه تخلصاً تخرج به من موضوع الحديث متى أمكن ذلك !

و ثم خطأ آخر يقع فيه المخبر الصحفي أحياناً ، وهو حرصه على أن يكتب كل كلمة تخرج من فم محدثه ، فيصرفه ذلك عن حسن قيادة الحديث ، ويشعر محدثه بأنه مدرس ، أو محاضر في حجرة الدرس أو المحاضرة .

والمهم في توجيه الأسئلة ألا تصاغ بطريقة تكون الإجابة عنها بلفظ « نعم ، أو لا » ، فإذا سألت محدثك : هل تظن أن سياسة التعليم الجديدة ستأتى بالثمرة المرجوة ؟ فإن الإجابة في هذه الحالة ستكون : « نعم ، أو لا » ، أما إذا سألت محدثك : ما هي العوامل التي تراها في نظرك مساعدة على نجاح السياسة الجديدة في التعليم ؟ فإن ذلك يكون أدعى إلى التفكير في هذه العوامل .

على المخبر الصحفي إذن أن يجتهد في تحديد أسئلته حتى تكون الإجابة عليها واضحة ونافعة ، وهنا يقول الأستاذ « إميل بودفيج » :

« ليس المهم مقدار ما يقوله المتحدث ، بل كيفية الإجابة ، وطريقة لأفعال المتحدث بأسئلة المندوب الصحفي ،

وباختصار يلبغى للمخبر الصحفي دائماً أن يذكر الأسئلة التقليدية الستة :

ماذا؟ لماذا؟ من؟ متى؟ أين؟ كيف؟ فإن الإجابة عنها تلم غالباً بالموضوع من جميع جوانبه .

ثم تأتي خطوة « المراجعة » ، وهي من الخطوات الشاقة المرهقة للمندوب الجريده ، ففيها يحرص المندوب على مراجعة ما فهمه من الحديث ، وتصحيح ما جاء به من أخطاء ، وذلك في الأسماء ، أو في التواريخ ، أو في الأرقام أو في الأحكام .

ومعلوم أن الصحفي إنما يثبت في أوراقه أقل قدر ممكن من المذكرات والبيانات في أثناء الحديث حتى لا يضيق به المتحدث ، ذلك أن مهمة الصحفي الناجح هي في أن يحرص بمجوده في تهيئة ذاكرته قبل تهيئة مذكراته ، لتستوعب هذه الذاكرة أكثر ما يمكن من التفاصيل التي يبادر إلى تدوينها فور الانتهاء من الحديث ، وإذ ذلك يستطيع الصحفي أن يستوثق من بعض المعلومات ، أو التفاصيل التي يشك فيها ، وذلك قبل الانصراف من حضرة محدثه ، ويجوز له أن يعود عليه بالسؤال بعد ذلك عن بعض هذه المعلومات أو التفاصيل متى رأى ضرورة لذلك .

وأخيراً تأتي المرحلة الأخيرة من مراحل أخذ الحديث ، وهي :

الثالث - مرحلة صياغة الحديث :

هنا ينبغي للصحفي أن يتوخى الدقة والأمانة والصدق في كتابة الحديث ، وقد كانت الصحافة في الماضي - حرصاً منها على ذلك - تنشر الأسئلة والأجوبة نشرأ حرفياً دقيقاً ، ولكن الصحافة الحديثة عدلت عن هذه الطريقة ، ووجدت فيها ما يبعث على الملل والسآمة ، فاستعاضت عنها بطريقة « القصة الإخبارية » ، واتخذتها قالباً فنياً لصياغة الحديث ، وعاملته معاملة الخبر في ذلك ، ونحن نعرف أن هذا القالب الفني من قوالب الصياغة يتألف عادة من جزئين هما :

« الصدر Lead » : وهو ما يحتوى على أهم نقاط الحديث مع تصوير جذاب لشخصية المتحدث بقدر الإمكان .

« العصب Body » : وفيه الأسئلة والأجوبة ، وذلك بطريقة الأسلوب المباشر حيناً ، والأسلوب غير المباشر حيناً آخر .

وفي صلب الحديث لا يجد المحرر الصحفى غنى عن عنصر « الوصف » . وكثيراً ما يكون ذلك من العناصر التي تجذب القارئ ، لأن الوصف كثيراً ما يضيف على الحديث نضارة وحيوية ، وبه يستطيع المحرر الصحفى أن يخرج قليلاً من جو الأسئلة والأجوبة إلى جو كانه طرفاً وإمتاعاً وتسلياً ، والمهم في كل ذلك أن يكتب الحديث بطريقة تم عن شخصية المتحدث نفسه ، أو صاحب الحديث ، ويكشف عن آرائه ونزاعته وأفكاره واتجاهاته ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الأوصاف التي تتخلل الحديث ، فإذا به نابض بالحياة ، موضح لوجهة نظر المتحدث توضيحاً تاماً ، وبهذه الطريقة وحدها يستطيع المحرر أن يسلط جميع الأضواء على شخص محدثه .

ومهما يكن من شيء فإن لكل نوع من الأنواع السابقة للحديث الصحفى طريقته الخاصة في الأداء :

١ - ففى حديث الحقائق أو الأخبار يحرص المحرر عنانيته في الحقائق الهامة في نظر القارئ ، معبراً عنها بأسلوب تقريرى مباشر ، يأتى بعده تلخيص دقيق لهذه الحقائق ، وإذا ما كانت شخصية صاحب الحديث مجهولة للجمهور ، أو كانت أهميتها مقصورة على كونها المصدر الوحيد للحقائق التي يتضمنها الحديث ، ففى هذه الحالة تسلط الأضواء على الحقائق ، ولا تسلط أعلى المتحدث .

مثال ذلك الحديث الصحفى حول تنفيذ مشروعات السد العالى ، والسكك الحديدية ، ومصانع الصلب والسماد الخ .

ففى المثال الأول وجدنا الأهرام « بتاريخ ٥/٥/١٩٥٥ » ، تعنى بيان

المبالغ التي يتطلبها المشروع ، والخطط التي رسمتها الحكومة لذلك ، وأغفلت تماماً ذكر الأسماء التي استقت منها هذه المعلومات ، والبيانات ، والتفصيلات ونحو ذلك .

٢ - وفي حديث الرأى - ينفى أن تعنى المقدمة أو «الصدر» بإيراد الرأى الذى صرح به المتحدث ، وكثيراً ما يكون اسم صاحب الحديث من أزم الأمور . الأحاديث التي من هذا النوع .

ففي موضوع «جواز إفطار المسلم الصائم في رمضان» ، أو موضوع «حق المرأة في الانتخاب» ، ونحو ذلك ينفى أن نذكر الأسماء في صراحة وجلاء ، أما إذا كان الموضوع يختص بتغيير نظام من أنظمة التعليم ، أو نظام من أنظمة القضاء أو الإدارة ، أو التكوين ، فيكتفى في ذلك بذكر العبارات العامة ، كأن تقول «صرح وزير التربية والتعليم» ، أو وزير العدل بكذا ، أو صرح كبير مسئول في وزارة التربية والتعليم ، أو وزارة العدل بكذا ، ، وهكذا ، وكثيراً ما ينسب الحديث الصحفي في هذه الحالة إلى الهيئات العامة ، والمجالس الكبرى «كالمجلس الأعلى للجامعات» ، أو المجلس الأعلى للتعليم» ، أو «مجلس الخدمات» ، ونحو ذلك .

وتستخدم بعض الهيئات لهذا الغرض موظفاً يطلق عليه اسم «مدير العلاقات العامة» ، وتكل إليه في بعض الأوقات مهمة الاتصال بمندوبي الصحف ، وإمدادها بما تحتاج إليه من البيانات الصالحة للنشر بالصحيفة . وكثيراً ما يتوب هذا الموظف الخاص عن رئيسه في الوزارة ، ومع هذا وذاك فإن المقابلات الشخصية لرئيس العمل تكون أجدى نفعاً ، وأوقع أثراً ، وأقدر على تصوير الرأى .

٣ - وفي حديث المعلومات أو التسلية والإمتاع يحصر المحرر اهتمامه في المعلومات والحقائق ذات الطابع الإنساني ، وإذ ذاك يجتهد المحرر عادة في أن يهيء الجو المناسب للقصة الإخبارية ، أو الحديث الصحفي الذى من

هذا النوع ، وبعبارة أخرى يقيم مسرحاً مناسباً لهذه القصة ، ثم يدعو محدثه للوقوف على هذا المسرح ، والتحدث منه إلى جمهور القراء .
وفي ذلك يقول إدوارد برايس ، المراسل السابق لجريدة شيكاغو ديلي نيوز :

« إن الناحية الإنسانية هي التي يجب أن تستأثر باهتمام الصحفي حين يريد الحصول على هذا النوع من الحديث ، فهو يعلم أن الانفعالات العاطفية تظهر في صورة أفكار ، وأن الأفكار تترجم إلى أعمال ، وأن الأعمال هي التي تقرر مصير العالم ، وعلى ذلك فإن الانفعالات والعواطف ، والأفكار هي العناصر التي ينبغي للمحرر أن يهتم بها ويأظمارها ، ليحصل على قراءة معلومات جذابة ومسلية في هذا الموضوع ، فإنما الحديث الصحفي مرآة تنقل صورة رائعة لشخصية مرموقة ، فتعكس للقراء صفاتها الروحية والخلقية والعقلية ، سواء أكانت هذه الشخصية المرموقة شخصية فنان ، أم عالم ، أم أديب ، أم سياسي محنك ، أم بطل من أبطال المسرح ، .
وهذا النوع من الأحاديث تهتم به الصحف الأسبوعية ، أو الدورية .
أكثر من الصحف اليومية .

٤ - وأما حديث الجماعة فإنه أقرب شيء إلى التقرير المبني على الإحصاء وذلك إذا كان الحديث على شكل سؤال واحد يلقي على جماعة من المدرسين أو المحامين أو الأطباء أو المهندسين ، وربما كان أقرب شيء إلى التقرير المبني على التسجيل والإحاطة إذا أخذ على شكل استفتاء تشترك فيه جماعات كثيرة ، وفي كلتا الحالتين لا يطلب من المحرر الصحفي أكثر من اصطناع الدقة ، والوضوح ، وتقرير الواقع الملموس دون تدخل منه في تغيير هذا الواقع .

ومعنى ذلك أن درجة التحرير في هذا النوع من أنواع إلى الحديث لا ترقى في جملتها إلى درجة التحرير في الأنواع التي أشرنا إليها قبل ذلك .

هـ - وفي حديث المؤتمرات يكون الأمر أيسر على مندوب الصحيفة؛ لأن التحرير في مثل هذه الحالة لا يعدو أن يكون نقلا للحديث الذي يسمعه المندوبون جميعاً من رجل معين من رجال الحكومة ، أو من ذوى الأعمال الجليلة في الدولة .

تلك هي الطريقة العامة التي تتبع في صياغة الأنواع الستة للحديث الصحفي .

وقد لاحظنا أنه إذا كانت « القصة الخبرية » ، أو الصيغة الصحفية هي المتبعة غالباً في حديث الحقائق ، وحديث الرأى ، ونحو ذلك ، فإن « الصيغة الأدبية » هي التي تتبع في حديث المعلومات ، أو حديث التسلية والإمتاع ، ففي هذا الأخير يكون المجال متسعاً أمام المحرر الصحفي لعبارة أنيقة ، أو لفتة ظريفة ، أو كلمة أخاذة ، أو صورة جذابة ، أو نكتة بارعة ، وفي هذه الحالة لا يتحتم على الصحفي أن يركز النقط الرئيسة تركيزاً تاماً في صدر الخبر ، لأنه في هذه الحالة إنما يختار لنفسه قالباً أدبياً لا قالباً صحفياً ، ولكن له أن يوزع هذه النقط الرئيسة على أجزاء حديثة بالطريقة التي يراها . ذلك أن المهم في هذا النوع من الحديث ليس هو الإعلام أو تقديم الآراء أو الأفكار ، ولكن المهم هو العرض ، وبراعة الوصف ، وغير ذلك من الأمور التي تتطلب حساً أدبياً أكثر منه صحفياً .

وأخيراً تصل إلى المرحلة الرابعة من مراحل الحديث الصحفي ، وهي -

رابعاً - مرادفة النشر :

قلنا إن الصحافة القديمة - حرصاً منها على الدقة والأمانة - كانت تنشر الأسئلة والأجوبة. نشرأ حرفياً ، أما الصحافة الحديثة فقد استعاضت عن ذلك بطريقة « القصة الخبرية » ، ومعنى ذلك أن الصحف الحديثة ترى

أن من الأصوب أن يتجنب المحرر الأسلوب الذي يأتي فيه بالسؤال ، ثم يتلوه بالجواب ، أو بالأسلوب الذي تستخدم فيه فقرات طويلة من البيانات التي يصرح بها المتحدث ، وترى الصحف الحديثة أن يأتي المحرر بجزء من هذه البيانات ، ثم يملخص بسيط لها ، ثم يأتي بجزء آخر من البيانات ، ثم يملخص بسيط لها ، وهكذا ، وذلك كله في أسلوب غير مباشر ، وطريقته تعتمد في أكثرها ، على وصف شخصية المتحدث نفسه ، ذلك أن إعداد الحديث للنشر لابد فيه من إظهار شخصية المتحدث ما دام ذكر اسمه ضروريا ، أما المظهر الخارجي للحديث فقد يكون ذا طابع يغلب عليه الطابع الرسمي الخالص ، أو يكون ذا طابع تغلب عليه الصبغة الإنسانية أو الودية الخاصة.

فإذا كان القصد من الحديث هو الحصول على الحقائق ، فن الطبعي أن تكون الحقائق أولى من الأسماء بعناية الكاتب ، والعكس صحيح في الحالات الأخرى -- كما أوضحنا ذلك

ومهما يكن من شيء فليس هناك بد في نشر الحديث من الأمور التالية :

١ - أن يوضح للقارئ خطورة صاحب الحديث ، حتى يرى أهميته بالقياس إلى الموضوع ، فإذا كان الحديث مما يتصل برأى من الآراء فعلى المحرر أن يوضح للقارئ أهلية المتحدث لإعطاء هذا الرأي ، وإن كان الموضوع عن حادث ما وجب أن يكون المتحدث شاهد عيان ، أو مشتركا في الحادث نفسه .

٢ - أن يحذر المحرر - كما قلنا - إقحام شخصه في الحديث أو أن يتخذ من نفسه محورا له .

٣ - أن يوضح المحرر للقراء القصد من الحديث ، والغاية منه بجلاء تام ، وأن يقرن هذه الغاية أو القصد بشخص المتحدث وحده ليس غير .

٤ - على المحرر ألا يلمس الجانب الإنساني في الحديث كلما أمكن

ذلك ، فعن هذا الطريق يستطيع القراء أن يتابعوا هذه المادة ، وأن يجدوا في قراءتها متاعا ولذة .

* * *

تلك هي المراحل الأربع التي يسير عليها مندوب الصحيفة في أخذ الحديث ، وتلك هي الخطوات التي يسير عليها في قطع كل مرحلة منها .

ولا يلبس الباحثون في هذا الفن أن يوصوا في النهاية بالمظهر الخارجي مندوب الصحيفة ، استناداً في ذلك على أن الوجه والمظهر الخارجي هما سفير المرء عند من يريد التعرف إليهم دائماً من الناس .

وبعد ، فلا يلبس الصحفي كذلك أن الحديث الصحفي طريق لكسب صداقات جديدة ، وإنشاء علاقات مفيدة يستطيع أن يعتمد عليها في كثير من المواقف الصحفية التي تعرض له في حياته المستقبلية .

* * *

بقي أن نقدم نموذجاً واحداً لنوع من الأحاديث الصحفية ، وليكن حديث الحقائق والمعلومات الذي يمكن أن نجد فيه تطبيقاً عملياً لأكثر القواعد والأصول التي أشرنا إليها .

وقد اخترنا لذلك حديثاً أجراه الدكتور « محمود عزمي » ، باسم صحيفة « الأهرام » مع سلطان مراکش « محمد بن يوسف » ، وهو الحديث الذي نشرته الجريدة المذكورة بالعدد رقم ٣٥٢٠ في يوم الثلاثاء ٢٧ من مارس سنة ١٩٥١ ، وهذا نصه :

مؤرخ للمغرب

سلطان مراکش يشرح الموقف في بلاده

ضغط الإقامة العامة الفرنسية على جلالاته

حديث للسلطان تختص بنشره « الأهرام »

وصلتُ إلى الرباط عاصمة مراکش مساء الخميس الخامس عشر من شهر مارس الحالي، وكان همي الأول أن أتشرف بالمشول بين يدي جلالة السلطان محمد الخامس لكي أتعرف خلال الحديث مع « المصدر الأول » نصيب الحقيقة فيما أذيع به من تطور العلاقات خلال الثلاثة الشهور الأخيرة بين « القصر الشريف »، والإقامة العامة الفرنسية .

فإن أضحي الضحي بعد ليلة نعمت فيها بالنوم الهادي إثر رحلة جوية طويلة من القاهرة إلى أثينا، فروما، فتونس، فالجزائر، فالدار البيضاء، حتى هرولت إلى الفناء السلطاني الذي يحيط به سور رفيع .

وقصدت إلى عتبة « المخزن » - وهو اللفظ الذي يعبر به عن الحكومة المغربية الأصيلة - فاجتزتها، وتقدم لي من كانت عليه النوبة من الموظفين، واليوم يوم جمعة، وتركت لديه بطاقتي برسم الصدر الأعظم « السيد المقري » الذي تجاوزت سنه الرابعة بعد المائة ... وأفضيت إليه بالتماس التشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة السلطان .

صلاة السلطان

وسألت : هل يخرج السلطان للصلاة ؟ وكان قد أذيع في القاهرة أن الإقامة العامة الفرنسية قد منعت جلالاته من تأدية فريضة الجمعة . . . فقيل لي إن الموكب السلطاني يخرج إلى المسجد على عادته عند الزوال، فرأيت

أن يبدأ استقصائى الأحوال فى مراكش بهذا الجانب من الأنباء ، وقررت نأدية الصلاة فى حضرة السلطان . . . وكانت الساعة الثانية عشرة قد انتصفت فيممت شطر المسجد الواقع مقابل القصر ، ودلفت إليه ، فلم أجد به إلا قليلاً جداً من العاكفين على قراءة القرآن ، فاستميزت بينهم واحداً فعدت إلى جانبه بعد أن صليت ركعتين تحية للمسجد ، فسمعته يرتل القرآن ويقرؤه بالقراءات السبع .

ودهشت إذ فاتت الساعة الثانية عشرة دون أن يزيد عدد الحاضرين بالمسجد إلا قليلاً ، وعلمت بعد ذلك أن ساعة الزوال فى الرباط إنما هى الساعة الواحدة بعد الظهر ١١ .

فظلمت أشاهد الوافدين ، والمتوضئين الحاملين معهم سجاجيدهم ، الصغيرة ، وغير الحاملين ، وأستمع للرتلين القرآن علانية حتى الساعة الواحدة بعد الظهر ، وأنا أغير مواضع الساقين منى ، تلبساً للراحة فى هذا الجلوس الطويل . . .

وعزفت الموسيقى ، وتقدم فرسان الحرس ومشاته ، وتحرك الركب السلطانى من القصر متجهاً إلى المسجد ، ووقفت العربية السلطانية أمام بابه الصغير ، فدخل منه السلطان إلى مقصورته الخشبية .

وأذن المؤذن فى الخارج ، ودعا الداعي إلى الإنصات فى الداخل ، وألقى الخطيب الخطبة ، ودعا فيها للخليفة محمد الخامس بالنصر والتأييد ، وقامت الصلاة ، ثم خرج رجال القصر ، والوزراء ، واصطفوا أمام المسجد تحية للسلطان ، إذ يخرج ويمتطى هذه المرة جواده ، ويعود إلى قصره . فأسرعت فى الخروج ، واستطعت أن أقف إلى جانبه ، وأحبي السلطان تحيته ، فعرفنى جلالته ، وقد سبق أن حظيت بالمثل بين يديه منذ خمس سنين ، وتفصل جلالته على السلام ، فسجلت بهذا حضورى .

مع السلطان في القصر

وأبلغت من بعد أن منتصف الساعة الثانية عشرة ظهر الثلاثاء العشرين من شهر مارس الحالى قد حدد موعداً لتشرفى بالمقابلة السلطانية ، وقبيل الموعد قصدت إلى القصر الشريف ، فاستقباني حجابيه ، ورافقوني إلى مكتب وزيره ، فاستمهمت فيه لحظات جاء على إثرها مستشار الحكومة الشريفة الفرنسي ، فدعانا نحن الاثنين إلى القاعة السلطانية .

وهناك كان جلالة السلطان على أريكته ، فتقدمت إليها ، وتشرفت بالمصافحة ، ثم جلست على مقعد عن يسار الأريكة ، وجلس إلى جانبي المستشار الفرنسي بعد أن أشار له السلطان بالجلوس دون المصافحة ، وقعد الوزير على وسادة إلى يمين الأريكة .

وتفضل السلطان فغمزني بظرفه ، إذ بادرنى باستطالة المدة التي انقضت بعد زيارتي الأولى لمراكش ، فقد قاربت الخمس سنوات ، وخصني بعطفه ، إذ أضاف أنه يود لو يراني مرة في كل شهر ، فلا أقل من أن تكون زيارتي مرة في كل سنة ، وعقب على ذلك بترديده أن المسلم للمسلم كإليان يشد بعضه بعضاً ، .

تحيية لمصر

وسألني جلالاته عن مصر وأحوالها ، وأعرب عن خالص شكره لاهتمامها به وبيلاده ، وحملي شرف الإفضاء بعظيم تحييته ، وصادق عرفانه للشعب المصرى جميعه ، وكذلك لجامعة الدول العربية ، وأمينها العام ، وكان جلالاته يذكر ذلك كله في عبارات قوية تخرج من الأعماق .

عندى سؤال

ثم تقدمت إلى جلالاته بأن لدى سؤالاً أود لو أستطيع أن ألقيه ، وأنا أعرفه بالغأ حدأ من الدقة غير قليل ، ولكنى ألح في إلقائه إلحاحاً ، ولا أود

في الوقت نفسه أن يكون في الإدلاء به شيء من الإحراج ، فلا دلّ به ،
وليتصرف فيه جلالاته كما يشاء

فتلطف جلالاته ، وأشار إلىّ بالإفصاح ، فقلت : إنا سمعنا في مصر
بوقوع نوع من الضغط والإكراه ، وأود لو استطعت أن أعلم الجهة التي
صدر عنها الضغط والإكراه : هل هو الجنرال دجوان ، أو قبائل
الجلالوى ، أو ضمير جلالتكم ؟

فأجاب جلالاته على الفور :

« إن هذا السؤال سياسى ، ويحسن أن تقدمه مكتوباً ، وسأجيبك عنه
كتابة أيضاً ، وستكون إجابتي بغاية الصراحة » .

وعاد جلالاته يكرر في حزم :

« قدم ما تشاء من أسئلة ، وسأجيبك عنها كتابة ، وبكل صراحة » .

وسألني جلالاته عن برنامجي في اليومين التاليين ، فأجبت أنى قاصد إلى
طنجة في اليوم التالي ، وأنى عائد منها ومن الرباط يوم الجمعة .

فعبج جلالاته بقوله :

« ستكون إجابتي المكتوبة عندك يوم الجمعة ، وستكون بغاية الصراحة » ،

فشكرت جلالاته خالص الشكر ، وأحسست عمق ما تنطوى عليه

شخصية السلطان من قوة معنوية .

وإذ كنت أعرف أن تصريحات الملوك لا يصبح نشرها إلا بإجازتهم

فقد تقدمت إلى جلالاته مستأذناً في نشر الإجابات على أسئلتى ، فتنفصل

جلالاته بذلك .

ثلاثة أسئلة

ولما أذن لي جلالته بالانصراف مررنا في طريقنا بمكتب وزير القصر ، فأخذ منه المستشار الفرنسي قبضته ، وطلب إلى الوزير أن أجلس لأدون الأسئلة ، فتركت المستشار يمضى ، وجلست إلى منضدة الوزير ، وأمسكت بالقلم ، وعلى ورقة من أوراق القصر السلطاني حررت بالمداد الأزرق ثلاثة أسئلة ، وقعها بإمضائى ، وأرختها بتاريخ اليوم ، ثم كتبت صورة منها بالقلم الرصاص على ورقة أخرى من أوراق القصر احتفظت بها ، وسلمت الأولى للوزير وانصرفت .

وقصدت في اليوم التالى إلى طنجة ، وأمضيت بها يومين كاملين ، ثم عدت إلى الرباط بعد ظهر الجمعة الثالث والعشرين من هذا الشهر .

مع ولي العهد

وكان قد تصادف وأنا أغادر القصر الشريف بعد تسليمى أسئلتى لوزيره أن التقيت في إحدى الردهات بصاحب السمو الأمير الحسن ولي العهد ، ففضل بدعوتى إلى تناول الشاى بقصره الخاص يوم عودتى من طنجة فذهبت إليه عند انتصاف الساعة السادسة بعد الظهر .

الجرائدى

وهناك سلبنى صورة والده السلطان التى تفضل جلالته بإهدائها إلى ، فأقبلت على قراءة الإهداء وهو :

إلى الجرائدى الفذ السيد محمود عزمى . . . محمد يوسف ملك المغرب
أعانه الله .

ووقفت وقفة حتى تبيئت أن ، الجرائدى ، إنما هو التعبير المتأبل
عندنا لتعبير « الصحفى » ،

ملك المغرب

كاتبينت صحة التلقب بملك المغرب ، لأن جلالته إنما هو العاهل الأوحد لسلطنة مراكش التي يسمونها « المنطقة السلطانية » ، و « المنطقة الخليفةية » ، و « المنطقة الدولية » ، أيضاً ، وإذا كان مقر جلالته الرسمي في الرباط فإن له خليفة في تطوان ومندوباً في طنجة .

واعترزت بالهدية الكريمة ، وتساءلت عن الإجابة على أسئلتى ، فناوئى الأمير ولى العهد الورقة المكتوبة عليها ، ولذا كانت بالخط المغربى فقد شاءت إرادة سموه أن يتلوها حتى أقف على كنهها فى أسرع وقت . وقد استمعت إليها ، كما استطعت أن أقرأها بسهولة فيما بعد ، فألفيتها مميّنة أحسن لإبانه ، ووجدتها غاية فى الصراحة ، على سابق نطق جلالته ا

حديث السلطان

وها هى أسئلتى ، وإجابات ملك المغرب عليها :

الضغط والإكراه

السؤال الأول :

أذيع أن توقيع جلالتم على « بروتوكول » ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ كان تحت ضغط أو إكراه ، وقد سمعت منذ قدومى إلى مراكش فى هذا الصدد روايات :

يقول بعضها : إن التوقيع كان نتيجة لتهديد من قبل الجنرال جوان ، ويقول بعضها الآخر : إنه كان نتيجة لحركة صدرت عن القبائل بإيعاز من الجللاوى .

ويقول بعضها الآخر : إنه يرجع إلى ضمير جلالتم الذى شاءت حكمته أن ينقذ بلاده من شر التلاحم .

تزي أية رواية من هذه الروايات أصدق ؟

بل أيها الصحيح ؟

الجواب :

إن توقيعنا على « بروتوكول » ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ كان نتيجة لعوامل متعددة ، أهمها :

١ - التهديد الذي وجه إلينا بواسطة وزير القصور والتشريفات من بعض شخصيات الإقامة العامة ، وذلك في أثناء المخبرات التي كانت جارية بين القصر ، والإقامة العامة في ذلك اليوم .

٢ - حركة القبائل التي أتت بها من جهات متعددة دون أن تعلم الباعث الحقيقي على تحريكها ، فرابطت على أبواب فاس ، وسلا ، والرباط .

٣ - اجتناب ما كان يتوقع من عواقب سيئة ، للعوامل الآفة الذكر ، فاضطررنا - مع هذه الأسباب جميعها - إلى إرضاء مطالب الإقامة العامة .

سبب الأزمة

السؤال التالي :

قيل إن الأزمة ترجع إلى تعطيل إصدار بعض الظواهر « أي المراسيم » . فإذا كان هذا صحيحاً ، ترى ما هي أسباب هذا التعطيل ؟

الجواب :

إن سبب الأزمة هو غير ما أشيع من أننا رفضنا بعض التشاريع القانونية المقترح علينا قبولها ، إذ أن الأزمة في الواقع ترجع إلى الرغبة التي أعرب عنها مقيم فرنسا العام في أن يصدر منا استنكار لأساليب حزب الاستقلال ، وإلى عدم نزولنا على هذه الرغبة .

ولقد قدم المقيم العام هذا الطلب قبل سفره إلى أمريكا بلهجة لا تخلو من تهديد ، أما مشاريع الظواهر الشريفة المقترح علينا إمضاؤها ، فإننا

لا نرفضها ، أو نشير بتعديلها إلا بعد أن تدرسها لجان قهرنا الشريف ،
وتبدى نظرها فيها ، مستندة إلى الأوقفة ، أى الاتفاقيات ، ، والمعاهدات ،
وسائر فروع القانون .

آمال السلطان

السؤال الثالث :

ما هي آمال جلالتم في مستقبل مراكش ، وفي علاقاتها مع الجمهورية
الفرنسية ؟

الجواب :

إن رغبتنا شديدة في تقدم البلاد ، ورقبها رقباً ديموقراطياً ، وجميع
أعمالنا ومساعدتنا تهدف إلى إحلال بلادنا العربية الإسلامية في المكان
اللائق بماضيها المجيد .

وأمننا عظيم أن تنظر حكومة الجمهورية الفرنسية ، اعتماداً على ما بين
الدولتين من روابط الصداقة - إلى مطامح شعبنا الشريفة بما يليق بها
من العناية .

* * *

وفي نشر هذه النصوص اليوم كفاية ، وستتابع الإدلاء بملاحظات
استقصائنا ونتائجها في الأيام التالية - محمود عزمى

بين الطريقة القديمة والحديثة في نشر الحديث

لا بد أنك لاحظت أيها القارئ أن الحديث الصحفي الذى كتبه
الدكتور محمود عزمى ، يحظى بميزتين هما : ميزة السرد وميزة الوصف ، ولأن
الحديث لم يكن على شكل حوار بين السلطان والمحرر فإنه فقد في الواقع
شيئاً من الحيوية التى تتمم الحديث بالطريقة الحوارية ، وليس الذنب في
ذلك على المحرر ، ولكن ذنب السلطان الذى أصر على أن تكون إجاباته

تحريرية لا شفوية ، من أجل ذلك يمكن النظر إلى النموذج المتقدم على أنه مكتوب بالطريقة القديمة لا بالطريقة الحديثة .

والواقع أن هناك طرقا عدة استحدثها الصحفيون لإجراء الحديث : فن هذه الأحاديث ما يكتب على طريقة الحوار الداخلى مع النفس ، ولعل من أروع الأمثلة عليها حديث للفنان « عبد الوارث ، عسر ، نشرته مجلة الأسبوع العربي البيروتية في الأسبوع الثاني من شهر ديسمبر « كانون الأول » سنة ١٩٦٧ ، وقام بإجراء هذا الحديث مع الفنان « عبد الوارث ، في هذه المجلة الصحفي ، فاروق البتيلي » وفيه أوضح طبيعة الفنان الرومانسية وصور عواطفه الإنسانية .

ثم إن من أشهر الطرق الحديثة في هذا الفن من فنون الصحافة ، وهو الحديث طريقة « القصة الإخبارية » ونحن نعرف أن القصة الإخبارية لا بد لها من عنوان ، وصدر ، وجسم أو صلب ، ثم إن الطريقة الحديثة لا غنى لها عن عنصر الوصف الذى يتخلل الحديث الصحفي ، وهو خير ما يعنن انتباه القارئ وقراءته الحديث من أوله إلى آخره ، وبدون هذا العنصر يصبح الحديث جافا كل الجفاف لا يستطيع القارئ متابعتها بيسر .

والأمثلة على طريقة « القصة الإخبارية » في إجراء الأحاديث الصحفية كثيرة تطلعنابها الصحف اليومية والمجلات على الدوام مؤثرة إياها على غيرها من الطرق لسهولتها ومرونة الصحفيين فى كتابتها ، وتدريبهم عليها .

ومن هذه النماذج -- على سبيل المثال -- حديث صحفي للدكتور طه حسين أجراه ، معه الأستاذ « كمال الملائخ ، المحرر بصحيفة الأهرام ، وذلك بمناسبة بلوغ الدكتور « طه حسين » الثامنة والسبعين من عمره وقد نشر الحديث ومعه صورة للدكتور « طه حسين » جالسا بمفرده ، وأخرى له مع زوجته ، وقد نشر بجريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ١٥/١١/١٩٦٧ .

الفصل السابع

التحقيق الصحفي وأنواعه وقوالبه

كثيرون من الناس على حق حين يقولون إن الجديد في الصحافة الحديثة هو « فن التحقيق الصحفي » ، وإن كان التاريخ يحدتنا أن التحقيق فن قديم في الصحافة الأوروبية ، فيذكر لنا عن ديفو Defoe أنه أول من اهتدى إلى هذا الفن في الصحافة الإنجليزية ، ثم أتى بعده ثور شكليف Thorneiliff عام ١٨٩٦ فجعل من فن التحقيق الصحفي ركناً هاماً في صحيفته الشعبية « ديلي ميل » ، وبفضل الجهود التي بذلها هذا الصحفي الأخير ، وبذلتها أمثاله من الصحفيين تغير مزاج القراء الإنجليز ، وأصبح هؤلاء القراء يشبهون رغباتهم عن طريق « التحقيق الصحفي » أكثر مما يشبهونها عن طريق القصص .

ولا غرابة في ذلك فقد جدت ظروف غيرت وجه المجتمع الإنجليزي إذ ذاك ومنها :

أولاً - انتشار التعليم الذي أصبح في متناول أكبر عدد ممكن من أفراد الشعب منذ ذلك الوقت .

ثانياً - انتصار الديمقراطية على الأرستقراطية في إنجلترا ، ومعها أكثر بلاد العالم المتمدن .

ثالثاً - تقدم الوعي الاجتماعي ، وهو الوعي الذي نبه الأذهان إلى كثير من المشكلات الاجتماعية ، وحرك في النفوس كل رغبة في الوصول إلى حل لها بمختلف الطرق .

رابعاً - تقدم علم النفس ، وعلم الأخلاق ، وجنوح الكتاب المحدثين في كتاباتهم إلى التحليل النفسي لجميع الشخصيات التي يكتبون عنها ، سواء

أكانت شخصيات تميل بطبعها إلى الخير ، أم كانت تميل بطبعها إلى الشر .
والذى لا ريب فيه أنه إلى جميع هذه الأساليب المتقدمة يرجع الفضل
في تقدم « التحقيق الصحفى ، لافى الصحافة الإنجليزية أو الأوربية فقط ،
ولكن فى الصحافة المصرية أو الشرقية ، و صحافة العالم كله كذلك .

أما الغرض الأساسى من التحقيق الصحفى أيا كان موضوعه فهو
التفسير الاجتماعى للأحداث ، والتفسير النفسى للأشخاص الذين اشتركوا
فى هذه الأحداث .

ورب قائل يقول :

ولكن ما الفرق بين الخبر والتحقيق ؟

نقول : إذا كان الخبر الصحفى جواباً عن الأسئلة الستة المعروفة ،
وهى : من ، ولماذا ، ومتى ، وكيف ، وأين ، وماذا ، فإن التحقيق الصحفى
جواب لأداة واحدة فقط من أدوات الاستفهام السابقة ؛ وهى « لماذا » ؟
فالخبر يعرض للمادة أو الواقعة ، ويبين الظروف التى اكتشفتها ،
والمكان الذى وقعت فيه ، والأشخاص الذين اشتركوا فيها ، وما إلى ذلك .
والتحقيق يحاول الشرح والتعليق ، ويوضح الأسباب النفسية والخلقية
والمادية ، ويفسر الحادث كله تفسيراً يقوم على شىء من علم النفس ، و شىء
من الأخلاق ، كما يقوم على شىء من علم الإجرام إذا اتصل التحقيق بخبر
من أخبار الجريمة .

وبهذه الطريقة يستطيع التحقيق الصحفى أن يلتقى جملة أضواء على
المشكلة المعروضة ، ويزيد فى قدرة القراء على الاستمتاع به وتتبع قراءته ،
وهذا الشرح أو التعليق هو الذى يجعل للتحقيق صفة الجذب ، وهو الذى
يكثر من عدد القراء .

ورب قائل يقول أيضاً :

وما الفرق بين التحقيق الصحفى والقصة الأدبية ؟

ونقول : أما القصة الأدبية - قصيرة كانت أم طويلة - فإنها تعتمد على الخيال ، وقد تصور جزءاً من واقع الحياة في قالب قصصى ممتاز ، على حين أن التحقيق الصحفي يعتمد كل الاعتماد على الحقائق الملموسة ، والوقائع المحسوسة ، والشكاوى التي تصدر عن الناس من وضع معين من أوضاع الحياة التي يحيونها .

ورب قائل يقول أيضاً :

وما الفرق بين التحقيق الصحفي ، والمقال الافتتاحي أو الرئيسي ؟
وبحسبنا أن نقول : المقال الرئيسي إنما يعبر عن رأى الصحيفة ، أما التحقيق فلا يعبر عنها ، وإن كان مسيراً لسياستها العامة ، والتحقيق صورة من صور الحياة الواقعة صيغت في قالب صحفى لا أدبى ، واستعان المحرر في صياغتها بتجاربه ومطالعته ، ومرامجهاته ، وتحركاته ، واتصالاته ، وإن في اعتماد التحقيق على شيء من علم النفس ، أو علم الأخلاق ، أو علم الإجمام - كما سبق القول في ذلك - ما ينأى بالتحقيق عن أن يكون سرداً علياً ، أو سطحيًا ، ولكن يجعل منه سرداً إنشائياً ، يبنى على طريقة جذابة تأسر العقول ، وتمفو إليها الأفتدة .

ورب قائل يقول أيضاً :

وما الفرق بين التحقيق الصحفي ، والمقال الأدبي Essay ؟

ونقول : أما الأول فأكثر موضوعية ، وأما الثاني فأكثر ذاتية ، والأول ألصق بالمجتمع ، والثاني أعلق بقلوب الأفراد في هذا المجتمع ، وأشد تعلقاً بقلب الكاتب الذي كتب المقال بوحى من شعوره الذاتي أكثر من شعوره الجماعى .

ورب قائل يقول :

وما الفرق بين التحقيق والعمود الخاص بالموضوعات الإنسانية ؟
والجواب على ذلك ، أن بينهما تشابهاً وثيقاً من جهة ، واختلافاً

في الوقت نفسه من جهة ثانية ، فكلاهما يتناول أشخاصاً وحوادث وقعت في زمن معين ومكان معين ، وهما من هذه الناحية متفقان ، إلا أن التحقيق -- بوصفه فناً من فنون التقرير الصحفي -- له غاية معينة ، هي مجرد نقل المعلومات إلى القارئ ، أما الموضوعات ، أو الأعمدة الإنسانية فتهدف فقط إلى التسلية ، وغرضها الوحيد إثارة إحساساته .

يقول الأستاذ كارل وارين :

« ومع هذا فليس هناك خط واضح يفصل بين الموضوعات الإنسانية والتقرير ، فحدهما تختلط كما تختلط الألوان في قوس قزح ... وكثيرون من المحررين يقولون إن الموضوعات ، أو الأعمدة الإنسانية ليست إلا امتداداً للتقرير الصحفي ، (١) .

* * *

ولقد أجرى العلماء إحصاءات كثيرة لإثبات هذه الحقيقة ، وهي أن التحقيق الصحفي من أزم الفنون للصحافة الحديثة ، ومن هؤلاء « السيدة هيلين باترسون » أستاذة فن المقال بإحدى جامعات أمريكا ، ولإليك خلاصة بسيطة لإحدى هذه الإحصاءات ، قالت السيدة هيلين :

« في أمريكا الآن ٤١٦ مجلة ، وعدد طبعاتها في العام ١٧١,٣٤٠ طبعة ، وأما عدد الدوريات ، بين شهرية ونصف شهرية وسنوية ونصف سنوية ، فيبلغ الآن ١١,٤٨١ دورية ، وعدد طبعاتها في السنة يقدر بنحو ١,٣٤٨,١٩٧ طبعة ، وجميع هذه المجلات والدوريات - بدون استثناء - تعنى عناية تامة بمادتي التحقيق الصحفي والحديث الصحفي ، وذلك فضلاً عن عناية الصحف اليومية بهذه المادة ، ويبلغ عدد هذه الصحف الآن ٤٨٥ ، كما يبلغ عدد طبعاتها في العام ٢٥٢,٢٠ طبعة ، ولكل صحيفة يومية من هذه الصحف قسم خاص بإعداد المادة الخاصة بكل من التحقيق والحديث .

(١) انظر كتاب « كيف تصبح صحفياً » ترجمة عبد الحميد سرايا ص ١٣٥ .

« وباختصار يمكن القول بأن عدد الصحف الأمريكية التي تهتم اهتماماً خاصاً بهذه المادة لا يقل عن ١٢,٣٣١ صحيفة ، وبأن عدد الطبعات التي تصدرها هذه الصحف سنوياً لا يقل عن ١,٣٧٣,٤١٨ طبعة ، وبأنه حتى الآن لم يظهر أن واحدة فقط من تلك الصحف ، أو طبعة واحدة أيضاً من تلك الطبعات استطاعت أن تجد نفسها في غنى عن فن التحقيق بنوع خاص ، وفي هذا ما يدل دلالة صريحة على خطورة هذا الفن من فنون الصحافة » (١) .

القوالب الفنية لكتابة التوقيص الصحفي :

من السهل على المحرر أن يصب تحقيقه الصحفي في أحد هذه القوالب الفنية التالية :

- | | |
|-------------|-------------------|
| Exposition | ١ - قالب العرض |
| Narration | ٢ - قالب القصة |
| Discription | ٣ - قالب الوصف |
| Confession | ٤ - قالب الاعتراف |
| Interview | ٥ - قالب الحديث |

وليست هذه القوالب كلها بحاجة إلى الشرح ، فهي غنية بأسمائها عن شيء من ذلك ، ولكن المهم هو أن يختار المحرر الصحفي الزاوية التي ينظر منها إلى موضوع تحقيقه حتى يبدو مثيراً - بقدر المستطاع - لانتباه القارىء .

ذلك أن لكل موضوع من موضوعات التحقيق زاوية فنية تناسبه وقد لا تناسب غيره على الإطلاق .

(١) نحن نشارك الأستاذة هيلين باترسون تقديرها لفن التحقيق الصحفي ، وننظر بعين الاعتبار إلى هذه الإحصائية الدقيقة ، ولكننا كنا نود أن توصلنا هذه الإحصائية كذلك شيئاً عن النسبة المثوية لفن التحقيق بين سائر الفنون الأخرى في الصحافة الأمريكية .

فطبيب يبتدع علاجاً لعودة الشباب لا يصح أن يكتب موضوعه بطريقة علمية جافة تتعرض لوصف الدواء ، وطريقة الاستعمال ، وإنما يكتب في مثل هذا الموضوع بمقابلة شخصية للطبيب ، وحديث صحفي يدور حول الدواء الجديد .

وظاهرة غريبة كظاهرة « السيول في قنا ، لا بد فيها من الذهاب إلى هذه المدينة من مدن الصعيد ، ووصف ما جرى فيها ، وقرأة بعض الكتب في الموضوع ، واتصال المحرر الصحفي ببعض المهندسين المختصين ، ولا ينبغي له في مثل هذه الحالة أن يهمل الحديث مع المنسكوبين بهذه السيول ، والآثار التي تركها فيهم هذا الحادث .

وزائرة عادت من رحلة كبيرة في الخارج يمكن أن تكون موضوع تحقيق طريف يدور حول عادات الناس في البلاد التي زارتها ، ومعرفة شيء عن أخلاقهم ونظامهم في حياتهم الخاصة والعامة ، ونحو ذلك .

الخطوات التي تتبع في كتابة التحقيق الصحفي :

لكي ينجح التحقيق الصحفي ينبغي للمحرر - ما أمكنه ذلك - أن يتتبع في كتابة تحقيقه هذه الخطوات وهي :

أولاً - العناية ، بالعنوان ، عناية لا تقل عن العناية بالصور الشمسية المصاحبة للتقرير ، كما تنبغي العناية بالعنوانات الصغيرة التي تتبع العنوان الكبير في المعتاد .

فيجب أن تكون هذه العنوانات كلها زاخرة بالحياة ، قادرة على التصوير ، مليئة بالتعبير ، غنية بمنصر الجذب والتشويق ، مناسبة لجو التحقيق . وبدون ذلك لا يضمن الكاتب كسب انتباه القارئ ، ولا يضمن إقناعه بخطورة موضوع التحقيق منذ اللحظة الأولى .

ثانياً - يأتي بعد العنوان في المعتاد ، مدخل ، يثير اهتمام القراء ، ويعتبر حافزاً لهم على القراءة ، وعاملاً من العوامل التي يعتمد عليها في المحافظة

على اهتمامهم بالموضوع ، ومقنعاً لهم كذلك بأن ما سيقروءونه متصل بهم وبجياتهم على نحو ما .

ثالثاً - يلى المدخل ، ما يعتمد إليه المحرر عادة من الإدلاء بمعلومات جديدة ، وأخبار مثيرة ، يأت بها الكاتب املا في كسب ثقة القارىء ، وإشعاره إذ ذاك بأن ما يقرؤه جديد على سمعه تماماً .

على أن أهم ما فى الموضوع هو الطريقة التى يعرض بها الكاتب معلوماته وأفكاره وحقائقه ، وطريقة العرض لا تحتاج إلى شيء كحاجتها إلى سلامة الذوق ، وسمو النفس ، وعظم الموهبة الصحفية التى تكاد تولد مع الفرد ، وكما أن الطاهى الماهر يستطيع أن يقدم لك طبقاً من الطعام نلتهمه التهاماً ، وتزدرده ازدراداً ، فى لحظات قصار ، فكذلك المحقق الصحفى الموهوب يستطيع أن يقدم لك مادة شائقة ، تقرؤها بلهفة عظيمة ، وسرعة متفوقة .

رابعاً - العناية التامة بعد ذلك بإيراد الأمثلة والشواهد ، وهنا ينبغي للكاتب أن يقلل ما أمكنه من الاعتماد على المبالغة والتهويل يشترى بهما اهتمام قرائه ، إذ الواقع أنه ينزل بهما فى أعينهم إلى منزلة المهرج الذى يبعث عمله على الهزء والسخرية ، بدلا من أن يبعث على الاحترام والثقة .

كل ذلك مع المراعاة التامة للتناسب الكامل بين أجزاء التحقيق الصحفى ، بحيث لا تكون المقدمة أطول من صلب الموضوع ، أو تكون الأدلة أقل مما يلزم لإقناع القراء .

وكل ذلك أيضاً مع الاعتماد فى الاحتفاظ التام باهتمام القراء على ما ركبه الله فيهم من الغرائز التى من أهمها غريزة حب الاستطلاع التى ينبغى أن يصدر الكاتب عنها فى كل ما يقدمه لقرائه من حين لآخر .

ثم الاعتماد - كما قلنا - على علم النفس ، وعلم الأخلاق ، وعلم الاجتماع فى كل تحقيق صحفى يمكن تقديمه إلى الصحيفة .

ونعود فنقول : إنه بما لا شك فيه أن التحقيق الصحفي الذي لا يبنى على شيء من هذه العلوم التي أشرنا إليها يفقد الغرض الذي كتب من أجله أولاً ، ويفقد القراء الذين يتهافون على قراءته بعد ذلك .

خامساً - وأخيراً تأتي الخاتمة - وهي آخر ما يستقر في ذهن القارئ ، فلا بد من أن تكون تلخيصاً للحقائق الأساسية لموضوع التحقيق ، أو تأكيداً للقضية الهامة التي من أجلها نشر هذا التحقيق بالصحيفة .

وكثيراً ما تنجح المادة الصحفية - أياً كان نوعها - متى وفق الكاتب إلى عبارة قوية يختتمها بها ، وتمتاز بقدرتها على تلخيص الفكرة الأساسية من جهة ، وعلى المطابقة التامة لموضوع هذه المادة الصحفية من جهة أخرى .

خطوات الحصول على التحقيق الصحفي :

جرى المحررون الصحفيون في كتابة التحقيق على اتباع هذه الخطة التي بنيت عندهم على خطوات خمس :

- أولاً - جمع الحقائق اللازمة لكتابة التحقيق .
- ثانياً - جمع الأحاديث اللازمة له أيضاً .
- ثالثاً - وضع الخطة التي يكتب بها الموضوع .
- رابعاً - التفكير في الأسلوب الممتع الجذاب الذي يكتب به هذا التقرير .
- خامساً - مطابقة التحقيق لسياسة الصحيفة .

وتقول السيدة «هيلين باترسون» التي مر ذكرها : «إننا ما دمنا نتفق على أن التحقيق الصحفي لا بد أن يمر بهذه الخطوات الخمس فيجب أن تعرف الأهمية التي لكل خطوة منها بالقياس إلى الأربع الأخرى ، وعندئذ أن هذه الأهمية يمكن أن تصبح متكونة من النسب المئوية الآتية ، وهي :

١٠ ٪ لجمع الحقائق اللازمة .

- ١٠.٪ جمع الأحاديث .
- ٤٠.٪ لخطة الموضوع .
- ١٠.٪ للأسلوب الممتع الجذاب .
- ٣٠.٪ لمطابقة الموضوع لسياسة الصحيفة .

ومعنى ذلك أن الأهمية الأولى في نظر السيدة الباحثة لخطة الموضوع أو للتحقيق ، والأهمية الثانية لمطابقة الموضوع لسياسة الصحيفة . أما العناصر الثلاثة الباقية وهي : جمع الحقائق ، وجمع الأحاديث ، والأسلوب الممتع الجذاب فكلها تأتي بعد العنصرين السابقين في الترتيب من حيث الأهمية ، وكلها تتساوى في هذه الأهمية ، بحيث لا يزيد أحدها عن الآخر ، ولا يقل عنه .

الفصل الثامن

مصادر التحقيق الصحفي ونموذج له

لهذا الفن من فنون الصحافة - بوجه عام - مجال يسبح فيه ، ويدور معه ، وهو مجال « المشكلات العامة » ، التي تعرض للمجتمع كله تارة ، وتعرض لطائفة من طوائفه تارة أخرى .

من أجل ذلك لا يشترط في موضوع التحقيق ما يشترط في الخبر من عامل « الجودة الزمنية » ، ولكن مهارة الكاتب الصحفي تظهر دائماً في إيهام القارئ بأن الموضوع الذي يتناوله في تقريره مشكلة من المشكلات الهامة ، وأنها تتطلب حلاً سريعاً يتقدم به المعنيون بهذه المشكلة ، وأن في استطاعة بعض القادرين من غير هؤلاء أن يشاركوا في إيجاد الحل اللازم لها متى استطاعوا ذلك ، ووظيفة التحقيق الصحفي في هذه الحالة تنحصر - أو تنكاد تنحصر - في جمع الآراء من هنا وهناك ، والتأليف بينها قصد الوصول إلى الحل المطلوب .

وإذن فكما يبنى المقال الأدبي ، أو العلمي ، أو الصحفي على فكرة يتلقفها الكاتب من الوسط الذي يعيش فيه ، وينفعل به ، فكذلك يبنى التحقيق الصحفي على مشكلة يتلقفها المحرر من الوسط الذي يعيش فيه ، ويتعاون معه ، وما أكثر هذه المشكلات لمن يحاول الوقوع عليها ، والنفوذ إليها من باب الصحافة ، أو من باب الأدب .

فهناك مشكلة الأسرة ، ومشكلة التعليم ، ومشكلة الشباب ، ومشكلة البطالة ، ومشكلة المرض ، ومشكلة الفقر ، ومشكلة الجهل .. الخ . والحق أن كل وضع من أوضاعنا مشكلة ، وفي كل مرفق من مرفقنا العامة مشكلة ، وشعورنا بهذا الشعور دليل على حيويتنا العظيمة ، وعلى رغبتنا

في الوصول إلى الأوضاع السليمة ، والطرق المستقيمة ، وتلك سنة البقاء والوجود متى أريد به أن يكون وجوداً سليماً وسائراً في طريقه إلى التقدم المستمر .

وكما يكون موضوع التحقيق إحدى المشكلات التي تهم طائفة من الناس ، كذلك يمكن أن يكون موضوع التحقيق شخصية من الشخصيات الكبيرة ، أو مكاناً من الأماكن ذات الذكريات الوطنية العريضة ، أو رحلة من الرحلات ، أو حفلة من الحفلات ، أو مهرجاناً عظيماً ، أو كشفاً علمياً جديداً ، وهكذا .

ومن هنا تنوعت أشكال التحقيق ، كما تنوعت القوالب التي ينصب فيها - كما رأينا - وتنوعت كذلك المصادر التي ينبع منها .

فما هي مصادر التحقيق الصحفي على وجه الإجمال ؟

يرى الأستاذ بليير Bleyer أن للتحقق الصحفي أن يرجع إلى مصدر من هذه المصادر الخمسة ، وهي :

أولاً - إخبار الصحف :

فرب نبأ عن وفاة عامل من العلماء ، أو أديب من الأدباء ، أو زعيم من الزعماء يبعث على كتابة مقال أو تقرير ، يتناول فيه المحرر حياة الرجل ، ويصف بلاءه في الحياة العامة ، ويعرض لمبادئه التي يكافح من أجلها طول حياته .

ورب نبأ عن هدم بيت قديم يثير في نفس الكاتب رغبة ملححة في كتابة تقرير من النوع السابق ، بل رب نبأ سريع عن قرب انتخاب رئيس جديد للجمهورية يحمل الكاتب على الرجوع إلى الأعداد القديمة من الصحف ليحصل منها على معلومات عن الطريقة التي يتم بها انتخاب رؤساء الجمهوريات ، وهكذا .

ثانياً — الملاحظة الشخصية :

وهذه مجالها واسع أمام المحرر ، ومادتها غزيرة لا تكاد تنضب ، وطرق الوصول إليها تعدد بتعدد الأشخاص القادرين على هذه الملاحظات ، فاختلافك الكثير إلى المعارض والمتاحف ، وغير ذلك من الأماكن يمكنك دائماً من الكتابة في هذه الموضوعات ، ومن تسجيل ما تلاحظه فيها ، وقيامك بعمل ما من الأعمال التي تهتم الجمهور كالشرطة أو القضاء أو الطب أو التعليم يسمح لك بأن تجمع الملاحظات والمعلومات عن هذه المهنة ، وذلك في وقت يكون فيه الجمهور على استعداد لتتبع ما تكتبه عنها .
والمحرر الصحفي مطالب على الدوام بأن يكون من أكبر الناس تنبهاً في مثل هذه الموضوعات العامة ، وقدرة على رؤية وجوه النقص فيها .

ثالثاً — التجربة الإنسانية :

قد تصلح التجربة الإنسانية في ذاتها موضوعاً للتحقيق الصحفي ، فكافة شعب من شعوب الأرض ضد الاستعمار ، ونجاة أحد من الناس من الانتحار ، ووقوفك لحظة أمام المحكوم عليه بالإعدام ، كل هذه وأمثالها تجارب إنسانية تصلح كل واحدة منها لأن تكون موضوعاً للتحقيق الصحفي .

على أن هذه التجارب الإنسانية في ذاتها مصدر لشئتين عظيمين هما :
الأدب من جهة ، والصحافة من جهة ثانية ، وإن كانت إلى الأول أقرب ، وبه أشبه .

رابعاً — الأحاديث الصحفية :

وهذه من المصادر القيمة للإعلام والتقرير على السواء ، فرب حديث صحفي يتناول موضوعاً ما يوحى إلى المحرر الذكي بموضوعات أخرى لا تصلح لأن تكون جزءاً من الحديث الأصلي ، ولكنها تصلح أن

تكون موضوعاً مستقلاً عنه ، ورب حديث صحفى مع شخصية ذات حظ كبير من الشهرة يترك في نفوس الجماهير أثراً من نوع خاص يصلح أن يكون في ذاته موضوعاً لتحقيق صحفى .

خامساً — اللشرات والوثائق :

كثيراً ما يكون في هذه اللشرات من المعلومات المبسطة في العلم ، أو في الفن ، أو في الأدب ، أو في الفكر ما يتيح أئمن الفرص أمام المحرر الصحفى لكتابة تقرير أو تحقيق يقرؤه الجمهور فيفهم عن هذه العلوم أو الفنون قدرأ لا يفهمه عن طريق السكتب الخاصة .

ولاشك أن تبسيط العلوم ، وطرق الإفادة منها ، وتوير الشعب عن هذا الطريق — كل أولئك من عمل الصحفى — وليس من عمل الأديب أو العالم أو الفنان أو الباحث المتخصص في أى نوع من أنواع المعارف الإنسانية .

نموذج من التحقيق الصحفى

إن الأمثلة على ذلك كثيرة لا حصر لها يمكن أن تؤخذ من التحقيقات الصحفية التى نشرت في الأعوام الأخيرة بالصحف المصرية ، وسأكتفى بمثل واحد منها يغنى عن بقيتها ، وهذا المثل هو التحقيق الذى نشرته مجلة « آخر ساعة » بالعدد ١٠٣٩ بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٤ ، وموضوعه : « فساد النظام البيروقراطى في وزارة التربية والتعليم ، وقد جرى فيه للمحرر على الخطة الآتية :

أولاً — عنى بكتابة العنوان الرئيسى لجعله هكذا :

الأخطبوط الذى يواجم كمال الدين حسين فى مجاهل العلم

ثم أردف ذلك بعنوانات أخرى غير رئيسية على هذا النحو :

٣٠٠ ألف ملف في طريق الضياع

هيلانة جرجس تخرجت من الأزهر الشريف

مشاكل ١٥٠ ألف موظف ، وملايين العقد فيها

ثانياً - دخل الكاتب على الموضوع دخولا مشيراً بالطريقة الآتية -
حيث قال :

« أجراس الخطر تدق في وزارة التربية والتعليم .. أكبر وزارة في مصر .. الوزير كمال الدين حسين يقود المعركة .. ويعلنها صريحة مدوية .. خمسة آلاف معلم ومعلمة ينتمون إلى خمس وعشرين طائفة .. لا ترابط بينها ولا تعاون .. ولا بد من توحيد جهودهم لصالح التلاميذ ! كان لكل وزير فيما مضى سياسة خاصة ، وطائفة معه تسانده ، وتناصره على حساب الطوائف الأخرى ، وقد آن الأوان للقضاء على الطائفية !

الجهاز الإداري في الوزارة والجامعات مصاب بالشلل ، والأعمال تسير بخطوات السلحفاة ، ولا بد من أن تعلن الحرب على الروتين الذي تغلغل في جميع المرافق .

ثالثاً - أتى دور المعلومات التي سعى المحرر في الحصول عليها ، وكتبها ليكسب ثقة القارىء ، ويضمن انتباهه ، فأخذ المحرر يكتبها بهذه الطريقة :

تركة مشقة بالمربوه

للمرة الأولى تشهد وزارة التربية والتعليم وزيراً يكشف حقيقة موقف الوزارة وموقفه من المشاكل التي تعترض طريقه ، ومن التركة المشقة التي آلت إليه !

وهذه الصراحة التي يواجه بها الموقف لونه جديد لم يكن مألوفاً عند الوزراء السابقين ، فقد كانت هناك عقبات ومشاكل في طريق كل وزير

جديد . . كان هناك فساد ، وقليلون هم الذين كان يخطر ببالهم أن الفساد قد ظهر في وزارة العلم والنور ا
كان هناك — ومن كان يصدق — سرقات بلغت ربع مليون من الجنيهات من أقوات التلاميذ ، ولم يكشف عنها سوى ديوان المحاسبة ا
وكانت هناك ثورة مشتعلة في نفوس الموظفين لفساد الجهاز الإداري في الديوان وفي الجامعات . . ولم تحظ ثورة الموظفين من كل وزير إلا بابتسامة رقيقة ا

رابعاً — جاء دور الشواهد والأمثلة فذكرها السكاتب بقوله :
وشكلت لجنة لحصر التركة فوجدت حقائق مرة ا :

٨٢ ألف موظف يشغلون جميع الدرجات الدائمة والمؤقتة ، ٣١ ألف مستخدم خارج الهيئة . . لكل من هؤلاء مشكلة ، إما في ترقيته أو في تسوية حالته ، أو في ادخاره وتأمينه أو معاشه .

٤٦٦٣٦ حالة مدرس يستعجلها وزير المالية باسم الإنسانية في خطاب مؤثر يقول فيه لزميله وزير المعارف السابق بالحرف الواحد :
« إن الوزارة تهاونت في إرسال استثمارات التأمين والادخار ، وإن إدارة الصندوق عاجزة تماماً عن أداء رسالتها نحو الذين يستحقون معاشات أو تأمينات ، وإن الجهود التي بذلت لإنصاف هؤلاء اليأساء وأسرم قد ذهبت عبثاً بسبب إهمال المسؤولين في وزاراتكم . »

« إن بعض المدرسين الذين توفوا عام ١٩٥٢ لم تصدر قرارات فصلهم بعد ، وعلى رأس هؤلاء المرحوم « حسن أبو العلا ، المدرس بالمدرسة الإنجليزية للبنات . . وإن ورثته ما زالوا ينتظرون عطف الموظف المختص ا ،

« وفي إدارة القيد والحفظ مشكلة لا تقل خطورة عن مشكلة إدارة
(م — ٢٩ الدخل)

المستخدمين ، فقد سيطر الروتين الحكومى سيطرة تامة على هذه الإدارة ، وقضى بأن تحتفظ بـ ٣٠٠ ألف ملف فى أرشيف لجميع الموظفين ، ولجميع الموضوعات الخاصة والعامة بكل منطقة ، حتى ضاقت الحجرات المخصصة لذلك ، واضطر الموظفون إلى إيداع الملفات فى مخازن أشبه بعش العنكبوت ، وضاعت ملفات الموظفين ، وأصبح من العسير استخراج ملف موظف بعينه ،

وهكذا أخذ الكاتب يسوق الأمثلة الكثيرة ، والشواهد العديدة على فساد الروتين الحكومى فى وزارة التعليم ، حتى بلغ الحد بهذا الروتين الحكومى أن وُجد فى أوراق وزارة التعليم ملف ذكر فيه أن « هيلانه جرجس عبد الملك » خريجة الجامع الأزهر الشريف إلى غير ذلك من الأوراق التى تبعث على السخرية من ذلك الروتين ، وتصور المشكلة على أنها جديرة بعناية الوزير ، وعناية الموظفين ، وعناية الجمهور :

خامسا - ختم السكاتب تحقيقه الصحفى بهذه العبارة :

الرؤى المنتظر

إن ملايين الآباء والأمهات والتلاميذ والتلميذات يعيشون الآن على أمل كبير ، أمل قيام نهضة تعليمية حقة تنعم فيها البلاد بالاستقرار ، وتهدأ أعصاب التلاميذ التى تحطمت من وطأة التغيير والتبديل .

ويسير على القارىء أن يلاحظ أن كاتب هذا التحقيق - وهو هنا الأستاذ محمد نصر - اتبع خطة صحيحة فى كتابة الموضوع ، واتبع الخطوات الست التى سبقت الإشارة إليها فى طريقة تحرير الموضوع ، وإن جاءت الخاتمة قليلة الصلة بهذا الموضوع فى صميمه ، إذ الشكوى فى التحقيق ليست من عدم الاستقرار ، ولا من الحاجة إلى نهضة التعليم ، وإنما الشكوى من فساد النظام الإدارى أو البيروقراطى فى الوزارة ومن العبث بالناس

الذين اتصلت مصالحهم بهذه الوزارة ، ثم المطالبة بالتخفيف من وطأة هذا الروتين الحكومى الذى هو السبب الرئيسى فى جميع هذه الأضرار .

* * *

وجدير بنا أن ننوه فى ختام هذا الفصل بالتحقيقات الصحفية الناجحة التى كتبها الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ، وهى كثيرة ومعروفة لدى القراء فى العالم العربى . وترجع شهرتها فى الواقع إلى أسباب كثيرة منها :

أولاً - براعة الأسلوب الذى تكتب به هذه التحقيقات وهو أسلوب يتميز بالإسهاب وطول النفس فى العبارة والاستطراد الذى يقود القارئ من فكرة إلى أخرى بدون أن يشعر أو يمل .

ثانياً - أنها تعبر أوضح تعبير عن منهج الأهرام وسياسته حتى بدت الأهرام للقراء كأنها لسان حكومة الثورة .

واعتقد الكثيرون - إن صدقا وإن كذبا - أن كاتب هذه التحقيقات إنما يرجع فيها إلى السيد رئيس الجمهورية ويعبر فيها عن رأيه .

ثالثاً - إن هذه التحقيقات تميزت كذلك بالتوقيت الدقيق ، ووضع النقط على الحروف ، والإجابة الصريحة عن كل سؤال من الأسئلة التى تقفز إلى أذهان القراء عقب كل مشكلة من المشكلات السياسية ، كما نجحت هذه التحقيقات فى شرح العلاقات السياسية بين الجمهورية العربية المتحدة وكل من المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى والدول التى تدور فى فلك هذين المعسكرين .

ولا يتسع هذا الكتاب الإتيان ولو بنموذج واحد من هذه التحقيقات التى تلمس فى يوم الجمعة من كل أسبوع ، وتملأ الصحيفة الأخيرة كلها بجميع الأعمدة الثمانية التى تشتمل عليها ، فليرجع إليها من أراد .

* * *

« وبعد ، فليست هذه القواعد والأصول قيوداً من جديد نريد أن نضعها في يد الكاتب أو المحرر ، بل هي لاتعدو أن تكون أموراً يهتدى بها في كتابة هذا الفن الصحفي ، إذ المعول في كل ذلك على الموهبة الصحفية أولاً وعلى حسن التصرف وسلامة الذوق من جانب الكاتب الصحفي نفسه بعد ذلك .

* * *

الفصل التاسع

الماجريات وطريقة تحريرها

« الماجرى » لفظ مركب من كلمتين هما : « ماء » و « جرى » بمعنى « ما حدث » ، وهو اصطلاح صحفى لا يجرى بمعناه اللغوى على الأحداث التى تقع فى أى مكان ، كالطريق ، أو المنزل ، أو المدرسة ، أو المكتب أو الجامعة ، أو الملعب ، ونحو ذلك ، وإنما يقصد بهذا الاصطلاح كل ما يحدث فى الجلسات التى تعقدتها الهيئات العامة ذات الصلة الوثيقة بمصلحة عليا من مصالح الوطن الذى تصدر فيه الصحيفة ، والأوطان التى تربطها به علاقة ما (١) .

ونحن نعرف أن الصحف فى وقتنا هذا تفرد مكاناً خاصاً لهذه الجلسات وتكمل إلى محرريها وصف ما يدور بها من مناقشات ، وما يتخذ فيها من قرارات ، وإن كانت الإذاعة فى الوقت الحاضر — كما سيكون التليفزيون فى وقت قريب — منافساً خطيراً للصحافة فى هذا الباب — مع فارق واحد بينهما فى ذلك ، هو أن الإذاعة لاتعلق فى الغالب على هذه الجلسات بالذات فور إعلانها ؟ إلا من حيث إنها نبأ من الأنباء ، وهناك فارق آخر هو أن التليفزيون يمكنه أن يعرض هذه الجلسات على الجمهور كما هى تماماً ، وكذلك تفعل الإذاعة إن أرادت ، على حين أن قلم المحرر الصحفى لهذه

(١) يرجع الفضل فى استحداث هذا الاصطلاح إلى الأستاذ المرحوم الدكتور محمود عزمى الرئيس السابق لمعهد التحرير والترجمة والصحافة بجامعة القاهرة ، فهو الذى أطلق هذا الاسم على هذا الفن من فنون الصحافة الحديثة فى المحاضرات التى ألقاها على طلبة هذا المعهد .

الماجريات يؤدي دوراً هاماً في تصويرها للقارىء بما يتفق وسياسة الجريدة ، فيحذف ما يشاء أن يحذف من أقوال الأعضاء ، ويثبت ما يشاء أن يثبت منها .

أما هذه الهيئات العامة ذات الصلة الكبرى بمصالح الوطن الذى تصدر فيه الجريدة فكثيرة من أهمها : مجالس النواب ، والمحاكم على اختلاف أنواعها ، والمؤتمرات السياسية فى بلاد تربطها بها مصلحة عليا ، والمؤتمرات أوالجلسات الهامة التى تعقدها جميع المنظمات الدولية التى تشترك فيها أكثر من دولتين من دول العالم . ومن الأمثلة على هذه المنظمات : عصبة الأمم فيما مضى ، ومؤتمر نزع السلاح ، وهيئة الأمم المتحدة ، ومؤتمرات جامعة الدول العربية ، ومؤتمر العمال الدولي ، ونحو ذلك .

والعناية بالجلسات التى تعقدها هذه المجتمعات ، أو المنظمات ، أو الهيئات ، وتسجيل المناقشات التى تدور فيها ، والقرارات التى تتخذها ، ووصف الجو المحيط بكل جلسة من هذه الجلسات — كل ذلك موضوع «الماجريات الصحفية» التى نتحدث عنها .

ورب قائل يقول : وما الفرق لإذن بين الأخبار والماجريات ؟ والجواب أن بينهما فروقا من أهمها ما يلي :

أولا — أن الما جرى يتناول أعمال الهيئات التى أشرنا إليها ، وهذه الهيئات قسما : أحدهما — ذوصبة وطنية أو محلية ، ومنه المحاكم ومجالس النواب ، والمؤتمرات الوطنية التى تعقد فى مناسبات خاصة ، والآخر ذو صبة عالمية ، ومنه الهيئات الدولية الكبرى ، كهيئة الأمم المتحدة بمنظمتها المختلفة ، ومنها — كما نعرف — مؤتمرات العمال الدولية ، ومؤتمرات الصحة العالمية ، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير ، ومجلس الأمن ، ولجنة حقوق الإنسان ، والمجلس الاقتصادى الاجتماعى ، ومجلس الوصاية ، ومحكمة العدل الدولية .

وعلى حين يجب على محرر الماكرات الصحفية أن يعنى بهذه الجلسات عناية خاصة ، ويكتب عنها تقريراً من نوع خاص ، نرى محرر الأخبار لا تعنيه هذه الأمور ، ولا يكلف من قبل الصحيفة بشيء منها ، بل تقف عنايته عند نتائج هذه الماكرات ، ومواعيد حدوثها ، والأمكنة التي حدثت فيها .

ثانياً - أن الماكرى ليس مجرد سرد للأخبار والحقائق يقصد به إلى مجرد الإعلام ، لكنه - أى الماكرى - يشتمل على عنصرين في وقت معا ، وهما : عنصر الإعلام ، وعنصر التوجيه والإرشاد ، وقد يضاف إليهما عنصر التعليق البسيط في غضون التقرير متى دعت الضرورة لذلك ، والماكرى على هذا الوجه عبارة عن تقرير مفصل لحدث كبير ، عقدت له جلسات هامة ، حضر فيها ممثلون عن الدول التي تصدر فيها الصحيفة ، أو الدول التي تربطها بها مصلحة كبيرة .

ثالثاً - أن مهمة الأخبار يمكن أن يقوم بها صحفى ناشئ ، أو مخبر مبتدئ ، وعلى حين أن الماكرات يجب ألا يضطلع بها إلا صحفون من ذوي الخبرة الطويلة والثقافة العريضة ، وخاصة فيما يتصل بالماكرات الدبلوماسية والسياسية ، فإن هذين النوعين من الماكرات يحتاجان في الواقع إلى أفق سياسى واسع ، وإلى علم بالسياسة مكتمل .

ولسائل كذلك أن يسأل : ما الفرق بين الماكرى الصحفى ، والتحقيق الصحفى .

ونقول : إن بينهما فروقا منها :

أولاً - أن التحقيق أعم ، والماكرى أخص ، أى أن الماكرى يمكن اعتباره - بشيء من التسهيل - نوعاً من التحقيق ، ولكن لا يمكن أن يعتبر التحقيق نوعاً من أنواع الماكرات .

ثانياً — أن التحقيق الصحفي - كما رأينا - قائم في أكثر الأحيان على دراسات المتخصصين ، وآراء الفنيين ، وقد يقتصر مجهود المحرر الصحفي في هذه الحالة على جمع هذه الآراء ، وتسجيل هذه الدراسات ؛ أو عرضها بشكل يجذب التفات القارئ ، ويشركه في التفكير الجدى للوصول إلى حل من الحلول لهذه المشكلة التي يعرض لها التحقيق .

أما في الماكرات فالمجهود كله واقع على كاهل المحرر ، والتنظيم كله صادر منه أيضاً ، والماكرات على هذه الصورة الأخيرة ذاتية في كثير من الأحيان ، أى أنها تحمل ، إلى حد ما - طابع كاتبها ، على حين أن التحقيق الصحفي موضوعى في أكثره ، أى أنه لا يحمل - فى الغالب - مثل هذا الطابع .

ثالثاً - أن التحقيق الصحفي يعتمد دائماً على الصور الكثيرة التى لا غنى له عنها ، أما الماكرات الصحفية فأقل حاجة إلى هذا العنصر ، إذ يكفى كاتب الماكرات بصورة واحدة فقط للقاعة التى حدثت فيها المناقشات ؛ أو للشخصية البارزة التى استطاعت السيطرة على هذه المناقشات ، وقد تظهر هذه الماكرات فى الصحيفة بدون صور على الإطلاق .

رابعاً - أن الماكرات الصحفية إنما تتناول الحوادث القريبة ، أو ما يطلق عليه ، حوادث الساعة ، ، بينما التحقيق الصحفي يمكن أن يتناول الحوادث البعيدة ، أو الموضوعات التى توصف بالجددة الزمنية ، كمشكلة الغلاء ، ومشكلة البطالة ، ومشكلة الزواج والطلاق ، ومشكلة الروتين الحكومى

* * *

أنواع الماكرات وطرق تحريرها :

أنا إذا ذهبنا نحصى الماكرات الصحفية بوجه عام وجدناها أربعة أنواع :

- ١ - الماكريات البرلمانية .
- ٢ - الماكريات القضائية .
- ٣ - الماكريات الدبلوماسية .
- ٤ - الماكريات الدولية .

ويدهى أن محرر هذا الفن من فنون الصحافة يحتاج إلى معرفة دقيقة باللغة القومية ، إن كانت الماكريات مما يتصل بدور النيابة أو القضاء ، وباللغات الأجنبية إن كانت الماكريات مما يتصل بالسياسة ، وخاصة ما دار منها في إحدى منظمات هيئة الأمم .

أما الطريقة العامة التي تتبع في تحرير الماكريات فمشبهة بالطريقة العامة التي تتبع في كتابة القصة الإخبارية ، ومعنى ذلك باختصار أن محرر الماكريات لا بد له من كتابة العنوانات الكبيرة ، فالتى أصغر منها لكي يلفت إليها نظر القارئ ، وعلى محرر الماكريات بعد ذلك أن يجعل لهذا النوع من التقرير الصحفي « صدرأ » يثبت فيه أهم النتائج التي يشتمل عليها التقرير ، و « صلبا » يحتوي على التفاصيل ، ومنها كلمات المؤيدين ، وردود المعارضين ، ووصف الجو الذي كان يسود الجلسة ، وتسجيل القرارات التي اتخذتها .

على أن هناك فرقا يجب مراعاته دائماً بين القصة الخبرية والتقرير الذي على شكل ماجريات ، ويأتى هذا الفرق من ناحية التفاصيل في كل منهما ، وهذه التفاصيل في القصة الإخبارية ليست لها الأهمية التي للتفاصيل في الماكريات الصحفية .

ولتوضيح ذلك نقول : إنه بينما تستطيع الصحيفة أن تنصرف دائماً في تفاصيل القصة الخبرية ، فتحذف ما تريد أن تحذفه ، وتثبت ما تريد أن تثبته تبعاً لظروف الطباعة ، أو لظروف المساحة المخصصة للأخبار ، إذ بالصحيفة لا تستطيع في أغلب الأحيان أن تنصرف في تفاصيل

الماجريات الصحفية ، وخاصة ما كان منها يتصل بالأمور السياسية ، ففي هذه الحالات الأخيرة نرى التفاصيل تشتمل على القرارات ، أو البيانات ، أو الكلمات التي تصدر عن الملوك والرؤساء والوزراء من يشتركون في مؤتمر دبلوماسي ، أو آخر دولي ، وفي هذه الحالة يصعب على المحرر الصحفي أن يحذف من هذه المواد كلها شيئاً ما ، إلا عند الضرورة القصوى .

وفي مجال تحرير الماجريات الصحفية يتفاوت الكتاب ، وتظهر الفروق الواسعة بينهم في الكتابة .

فهذا كاتب يميل إلى الإلمام بالموضوع في إيجاز ، ويركز معلوماته تركيزاً خاصاً ، فيورد أهم الأحداث التي جرت داخل الجلسة ، ويسجل أهم الأحاديث التي دارت بها ، ولا يكثر من ذلك من الحوادث الصغيرة ، أو الأحاديث العابرة أو التي لا تؤثر في المجرى العام لسير الجلسة نفسها . ومثل هذا الكاتب أو المحرر نراه يجهد نفسه كثيراً في التفرقة بين الغث والسمين من هذه الحوادث ، والمناقشات العامة والخاصة ، وقصده من ذلك واضح ، هو توفير وقت القارئ ، أو كما يقول الأستاذ ويكهام ستيد فيما يلي :

« إن من الضروري لكل صحيفة تريد لنفسها النجاح والرواج أن تحترز في كل يوم نصراً جديداً في الإخراج تغلب به على عنصر الملل والركود عند القارئ ، وكثيراً ما يكون ذلك عن طريق التحرير الصحفي قبل أي شيء آخر . »

ثم إن هناك كاتباً آخر - على العكس من الأول - يميل إلى الإسهاب : والتفصيل ، ويحرص الحرص كله على تسجيل كل شاردة وواردة ، ويصور الجو العام للجلسة ، ويطنل في ذلك ، حتى ليصف للقراء ملابس الأعضاء ، وألوان هذه الملابس ، وحركات المتحدثين ، وطريقة كل منهم في كلامه ، وجداله ، : ارتفع صوته في هذا الجدل ، ومتى انخفض ،

ويجعلنا باختصار نشعر شعوراً كاملاً بأننا شهدنا معه الجلسة البرلمانية ،
أو القضائية ، أو الدولية .

غير أن هذه الطريقة القائمة على الإسهاب لا تصلح إلا للطبعات ،
التي تصدرها الصحيفة للأقاليم — لا للعاصمة — حيث الناس في تلك الجهات
النائية يجدون الوقت الكافي لقراءة هذه التفاصيل ، والاستمتاع بما فيها
من أوصاف كثيرة ، وتعليقات طريفة .

أما الطبعة ، التي تصدر في العاصمة فلا يصلح لها شيء من ذلك ،
إذ الناس في العاصمة يعرفون للوقت قيمته ، فلا يميلون إلى تلك المواد
الصحفية التي نسي محررها تقدير هذه التفرقة .

وهذا كاتب ثالث تراه يخلط بين المذهبين السابقين ، ويجمع بين
الطريقتين الآنفتين : يوجز في مواطن الإيجاز ، ويسهب في مواطن
الإسهاب ، ويتحاشى الإيجاز الذي يضيع الفائدة على القراء ، كما يتحاشى
الإسهاب الذي يطغى على جزء كبير من وقتهم ، ويصرفهم عن عملهم ،
ولذلك يحفظ لنفسه طريقاً وسطاً ، لا تفرط فيه ولا إفراط .

نستطيع بعد ذلك أن نقف وقفة قصيرة عند كل ضرب من الأضرب
الأربعة السابقة للماجريات ، لنشرح شيئاً من الطرق المتبعة في كتابته ،
والأمور التي يلبغى توافرها في كتابته ومحرره .

الفصل العاشر الماجريات البرلمانية

اعتاد المحررون الصحفيون أن يهدوا لهذا النوع من الماجريات بعرض سريع يصفون به أهم الأحداث التي جرت بالجلسة ، ويشيرون فيه إلى أهم المناقشات التي دارت بها ، وينوهون فيه بأهم الأعضاء الذين اشتركوا في المناقشة ، وكثيراً ما يضمنون هذا العرض إشارة إلى أهم القرارات التي اتخذها المجلس .

وقد يحدث أن يهمل المحرر البرلماني -- عن قصد -- بعض الأعضاء الذين كانت لهم مشاركة قوية في مناقشات المجلس ، فلا يذكر أسماءهم ، ولا يتعرض لهم بمدح أو بدم ، يفعل ذلك حقداً منه على هؤلاء ، لأنهم ينتمون إلى حزب غير الحزب الذي تدافع عنه الصحيفة !

وبعد الفراغ من العرض على هذا النحو يدخل المحرر البرلماني في الموضوع مسجلاً فيه ما رأى وما سمع في هذا الجلسة ، وإذا ذلك ينبغي له أن يجتهد في مراعاة أشياء منها :

أولاً - العناية التامة بالموضوع الأساسي للمناقشة ، والالتفات إلى أظهر المتكلمين فيعرف كيف دخل كل منهم في الموضوع ، وما هي الطريقة التي سلكها في الإقناع ، وما الرأي الذي اتجه إليه في المناقشة ، ومتى انبرى له العضو المعارض ، وكيف ساق حججه وأدلته .

ثانياً - يجدر بالمحرر البرلماني أن يسير في تقريره على النظام الذي سارت فيه الجلسة ، فإذا بدأ المجلس بالرد على الاستجوابات التي كان قد قدمها الأعضاء ، ثم قام المجلس بعد ذلك بتشكيل اللجان المختصة ، وإحالة الموضوعات المختلفة إلى كل منها ، ثم دخل المجلس بعد ذلك في مناقشة هامة

حول موضوع معين ، فعلى المحرر البرلماني أن يسير في تقريره — كما قلنا — على هذا النظام ، حتى يريح نفسه ويريح معه القراء .

ثالثاً — على المحرر البرلماني كذلك ألا يلمس « الجو العام » للجلسة ، ولا بأس من اتصاله بالأعضاء قبيل الجلسة — متى أمكنه ذلك — حتى يعرف نياتهم ، ويقف على اتجاهاتهم ، ويستشف مشاعر الأعضاء الذين يمثلون الأحزاب المختلفة .

رابعاً — يحسن بالمحرر البرلماني أن يؤجل كتابة البيانات ، والخطب الطويلة إلى نهاية التقرير الذي يكتبه ، حتى لا يقطع على القارئ سير الجلسة حين يقرأ عنها في الصحيفة .

خامساً — على المحرر البرلماني أن يهتم اهتماماً خاصاً بنهاية الجلسة ، وكيف وصل الأعضاء فيها إلى قراراتهم ، وما هي هذه القرارات بالتفصيل .

وللمحرر البرلماني في هذه الحالة أن يعتمد على « المضبطة الرسمية » لمجلس النواب ، وله في هذه الحالة أيضاً أن يدخل على هذه المضبطة بعض الحواشي ، ويقسمها إلى فقرات ، ويجعل لبعضها عنوانات ، حتى يسهل على القارئ العادي تتبعها دون ملل أو سأم .

غير أن الأفضل للصحفي دائماً ألا يعتمد على المضبطة الرسمية ، فقد يترتب على ذلك تأخير وصول التقرير البرلماني إلى الصحيفة ، وقد ينجم عن هذا السبب تأخير صدور الصحيفة عن الوقت المحدد ، على أن « المضبطة » في ذاتها قد لا تصور الوقائع التي يحرص القارئ على معرفتها معرفة جيدة .

الطريقة الحديثة في كتابة التقرير البرلماني :

إن من أحدث الطرق في كتابة التقرير البرلماني ما تعتمد إليه بعض الصحف الأوربية في الوقت الحاضر ، إذ يتعاون مندوبو الصحف المختلفة

بعضهم مع بعض على أداء هذه المهمة ، فينظمون أنفسهم في شرفة الصحافة على هيئة فرقة ، ويكون لكل منهم رقم خاص يعرف به ، ويدل عليه ، ويبتخبون من بينهم رئيساً لهم ينظم تسجيل الوقائع داخل الجلسة ، فتعطى الإشارة للأول في بداية الجلسة ، فيقوم بالعمل مدة دقيقتين فقط ، ثم تعطى الإشارة إلى الثاني ، فالثالث ، فالرابع ، وهكذا ، ولما كان هؤلاء المندوبون يستخدمون في عملهم هذا « ورق السكربون » ، فإنه يتوفر لديهم - في نهاية الجلسة - عدد كاف من النسخ لجميع المندوبين المشتركين في وقائعها ، وبهذه النسخ يمكنهم أن يذهبوا إلى مكاتبهم ، كل في الصحيفة التي يعمل بها .

ذلك أن للإنسان طاقة محدودة ، وهو قادر على تركيز قواه البدنية ، والعقلية فترة وجيزة ، لا تفوته شاردة ، ولا واردة فيها ، أما إذا قام بهذا العمل ساعات طويلة ، فلا شك أنه يعجز عن أدائه على الوجه الأكمل ، وقد يفلت منه الزمام ويدركه السأم في أخطر جزء من أجزاء الكلام ، أو أهم واقعة من وقائع المجلس .

وما هو جدير بالذكر أن صحيفة « التايمز » الإنجليزية تنفرد دون غيرها من الصحف البريطانية بوجود جهاز لها ؛ هو « التلغراف الكاتب Teleprinter » ، يدار البرلمان الإنجليزي ، وبه تستطيع أن تحصل في الحال على ما يجرى من مناقشات داخل البرلمان دقيقة بدقيقة ، وتستطيع الصحيفة أن تنصرف بعد ذلك في طبعة العاصمة ، وطبعات الأقاليم بما تراه .

ولا شك أن مثل هذا الجهاز يتيح للمحررين الصحفيين فرصة التفرغ لمشاهدة الجلسة ، والتأمل في وثائقها ؛ ودراسة الشخصيات الهامة التي اشتركت فيها ، بحيث يستطيع المحرر الصحفي بعد ذلك أن يكتب الماكريات البرلمانية كتابة دقيقة ، تستوفي جميع مطالب الجمهور القارئ. لمثل هذه الصفحة الهامة من صفحات الجريدة .

نموذج من الماهريات البرلمانية:

عقد مجلس النواب المصري في الثاني من شهر ابريل سنة ١٩٤٧ جلسة كان من أهم موضوعاتها الاستجواب الذي قدمه الأستاذ مكرم عبيد عن مصادرة الصحف ، ونشرت صحيفة الأهرام ، الصادرة في الثالث من ذلك الشهر تقريرها عن هذه الجلسة بعنوان :

في مجلس النواب

الاستجواب عن مصادرة الصحف

كلمة مكرم عبيد وبيان رئيس الحكومة

بدأت جلسة النواب في مساء أمس بأن حلف اليمين الدستورية «فلان وفلان من النواب الجدد» ، ثم أحييت مشروعات القوانين الجديدة إلى اللجان المختصة ، ومنها مشروع قانون التعامل في الأوراق المالية ، ومشروع قانون بعدم قبول الطعن في أعمال وزير المالية الخاصة بالحراسة فقط .

شركة مياه الاسكندرية

وأجيب بعد ذلك من الأسئلة الباقية ، وكان أولها سؤالاً للنائب «فلان» عن مدة التزام شركة مياه الاسكندرية ، وانفرادها بتحديد سعر المياه في المدينة بأن العقد ليس به مدة محدودة ، ولكن البلدية ترى أنه ليس له صفة الدوام ، أما أسعار المياه فمحدودة في العقود ، ولكن للسلطة مانحة الامتياز حق تعديلها .

الاستغناء عن البعثة العسكرية

وأجيب عن سؤال النائب «فلان» عن موعد الاستغناء عن البعثة العسكرية بأنه تقرر إنهاء عقود نصف أعضاء البعثة في آخر شهر يونيه ، والنصف الآخر في نهاية العام .

في المدارس الأجنبية

وأجيب عن سؤالين للنائب « فلان ، وفلان ، في صدد إلزام المدارس الأجنبية باحترام دين الدولة الرسمي ، بأن الوزارة لما بلغها بأن مدرسة سانت أنطوان وزعت كتاباً على التلاميذ به طعن في الدين الإسلامي قامت بمصادرته ؛ وإجراء التحقيق ، ومنعت دخوله إلى البلاد ؛ وأرسلت مفتشها إلى جميع المدارس الأجنبية لفحص الكتب المدرسية وغيرها مما يوجد في مكاتبها ؛ واتخاذ الإجراءات اللازمة ضد أية مدرسة تحتفظ بأي كتاب يشتمل على طعن في الدين الإسلامي .

حول التصريح ببطاقات الغزل

وأجيب عن سؤال للنائب « فلان ، عن شركة الفيوم للنسيج ، وهل منحت بطاقة غزل استثناء بيان طويل مدعم بالأدلة يستخلص منه أن تقرير بطاقة هذه الشركة إنما كان تطبيقاً لقاعدة عامة تهدف إلى خدمة صالح التسيير ؛ دون نظر إلى أي اعتبار آخر ، وأنه لم يكن لأشخاص المتقدمين بالطلبات أي تأثير في توجيه الوزارة إلى القرار الذي اتخذته .

الموافقة على تسعة مشروعات

ثم وافق المجلس بندااء الأسماء على تسعة مشروعات قوانين تم بحثها بالفعل في الجلسة الماضية .

حرية الصحافة

وعلى أثر ذلك أخذ المجلس في مناقشة الاستجواب الموجه إلى دولة رئيس الوزراء من معالي مكرم عبيد « باشا ، والأستاذ محمد حنفي الشريف في مصادرة الصحف ، والتجاء الحكومة إلى أوامر الحظر دون سبب قانوني .

كلمة مسكرم « باشا ،

وأعطيت الكلمة لمعالي مكرم عبيد « باشا ، فقال : إنه جمع في استجوابه

بين المصادرة والحظر ، لأن لهما معنى واحداً ، هو مصادرة حرية الرأي ، وذكر أنه لم يدفعه إلى تقديمه إلا الرغبة في الاحتكام إلى المجلس ، ولعل الحكومة تتفق مع النواب على أن المصادرة عقوبة ، ولا يجوز للحكومة أن تحكم بعقوبة ، لأن ذلك من اختصاص السلطة القضائية ، فإذا أجازته السلطة التنفيذية لنفسها كان في هذا مصادرة للحريات التي كفلها الدستور وطلب السمر بهذه المناقشة عن أي اعتبار إلا اعتبار المصلحة العامة ، خصوصاً في هذا الوقت الخطير .

ثم استطرد قائلاً : إن الذي يعنيه أولاً هو الناحية الوطنية ، ففي مصادرة الصحف تقييد شديد للحرية ، ولا يجوز في الوقت الذي نتقدم فيه إلى الاحتكام الدولي مطالبين بالحرية أن نعتدى نحن على الحرية . ولو جاز هذا في أي وقت من الأوقات لما جاز في الوقت الحاضر .

وذكر أن مصادرة الصحف مصادرة لحرية الرأي ، مع أنه كفلتها مادة أساسية من مواد الدستور . وهي في الوقت نفسه مصادرة للرقابة القضائية ، واعتداء على سلطة القضاء ، وعلى مبدأ الفصل بين السلطات ، وعلى الرقابة البرلمانية أيضاً ، لأن الحكومة تصادر الصحيفة لتمنع وصول خبر من الأخبار إلى نواب البلاد .
وهنا سأله دولة رئيس الوزراء :

وإذا كان الخبر كاذباً ، وكان من شأنه أن يحدث اضطراباً ؟ فأجاب بأن المصادرة الإدارية لا تجوز على أية حال ، بل يجب أن يترك الأمر للقضاء ، وإذا سلطنا بنظرية المصادرة لصار حالنا أسوأ منه في سنة ١٨٨١ ثم تلا المادة الخاصة بالمصادرة في قانون المطبوعات عام ١٩٠٤ ، وفيها أنها لا تكون إلا بقرار من مجلس الوزراء ، أو بعد الإنذار مرتين ، أما الآن فإن الصحيفة تصادر وهي خارجة من المطبعة ، وقد يحدث أن يوقظ دولة رئيس الوزراء من نومه ، ويقال له إن جريدة كذا تجب مصادرتها ، لأنها كتبت كذا ، فيصدر أمره التليفوني بالمصادرة ، غير حاسب حساباً لأرزاق الناس ، ولا للضرر الذي يصبغهم

وتلا مكرم، المادة الخاصة بحرية الصحافة من الدستور، ثم تلا المناقشة التي دارت حولها بين أعضاء لجنة الدستور، واستخلص، منها أن الفقرة الخاصة بوقاية النظام الاجتماعي إنما قصد بها إصدار تشريعات تحدد فيها أحوال المصادرة التي تتخذ لحماية النظام الاجتماعي، ودعم رأيه بالملذكرة التفسيرية الخاصة بالمادة ١٥ من الدستور.

وقال إنه في ١٧ فبراير سنة ١٩٣٦ وضع قانون المطبوعات، ونص فيه على الأحوال التي تجوز فيها المصادرة، والأحوال التي تجب فيها، واستشهد ببحوث رجال القانون، فتلاً بحثاً لو حيد رأفت « بك »، يفسر فيه عبارة « وقاية النظام الاجتماعي »، بأنها دفع خطر الشيوعية والبلشفية وإن كانت بعض المحاكم لم تقصرها على هذا المعنى.

ثم ذكر أن هناك فرقا بين النظام السياسي والنظام الاجتماعي، فلا خطر من الخلاف بين الأحزاب، واستطرد قائلا: إن الدستور الفرنسي يبيح المصادرة في حالة أخرى، هي حالة الخطر الدائم الذي لا يمكن تداركه إلا بالتعطيل، عملاً بالمبدأ القائل: « إن سلامة الدولة هي القانون الأعلى »

وقال معاليه: إن المغفور له أحمد ماهر « باشا » خطب في سنة ١٩٢١ فقال:

« إن من يتولى الحكم يجب أن يعرض أعماله جميعاً للنقد، وإن محمد محمود (باشا) تسكلم عن قضية الصحافة في عام ١٩٤٠ فقال:

« إنه كلما كانت حرية الصحافة أوسع ازداد الدستور احتراماً » .
وأراد مكرم « باشا » أن يتلو بياناً للدكتور هيكل « باشا »، عن المادة ١٥ من مواد الدستور، فقال له دولة النقراشي « باشا »، إنه لم يصادر استناداً إلى المادة ١٥ من الدستور، بل بحكم المادة ١٩٨ من قانون المطبوعات، ولذلك فإنه يحتكم إلى رئيس المجلس في أنه لا داعي للسكلام في المادة ١٥ هذه.

واستطرد مكرم باشا ، فتلا بعض فقرات من مذكرة رئيس الشيوخ ، مستشهداً على أنه ليس للحكومة الحق في مصادرة الصحف إلا لوقاية النظام الاجتماعي .

وانتقل إلى المادة ١٩٨ من قانون العقوبات فتلاها ، وهي تجيز المصادرة إذا كان اللشر جريمة استعمل فيها سوء القصد . وهذه الجريمة هي التحريض على ثورة ، أو الاهتداء على الأعراض ، أو ما يماثل ذلك ، وفي هذه الحالة يكون المقصود بالمصادرة هو منع انتشار الجريمة ، على أن يتولاها رجال الضبطية القضائية .

واستطرد قائلاً : إنه سيبين للنواب هل صودرت صحيفتنا وحزب الكتلة ، لجريمة تنطبق عليها هذه المادة؟ وهنا رأى سعادة رئيس المجلس - الأستاذ محمد حامد جوده - أن تذكر الحكومة أسباب المصادرة ، ثم يرد عليها مكرم باشا .

بيان الحكومة

وكان دولة رئيس الوزراء قد غادر القاعة لسبب طارىء ، فتولى عهد الرحمن عمار بك ، مدير الأمن العام لإلقاء بيان دولته ، وهذا نصه :

حضرات النواب المحترمين :

تحرص الوزارة على كفالة حرية الرأي في شتى مظاهرها ، ومختلف فواحيها ، ولعل أجل صورها تلك التي يتعين توافرها في شأن الصحافة وهي تؤدى رسالتها التي هي رسالة قومية خطيرة الشأن ، عظيمة الأثر . وقد عملت الوزارة منذ وليت الحكم على تقدير ما يجب أن تحاط به هذه الرسالة من قدسية ، وما ينبغي أن يتوافر لها من حرية شاملة ، فلم تلجأ الحكومة إلى مصادرة الصحف في عهدنا القائم إلا في ثلاث حالات اضطرت فيها إلى ذلك اضطراراً بدافع من المصلحة العامة ، ونزولاً على أحكام قانون المطبوعات .

ثم شرح بيان الحكومة هذه الحالات الثلاث، وأنت صحيفة الأهرام على هذا البيان الحكومى برمته ، وفيه شرح لكل حالة من الحالات الثلاث، ولكننا نوجز الحديث عنها إشاراً للإيجاز .

فالحالة الأولى : هي مصادرة صحيفة المصرى فى ١٢/١١/١٩٤٦ وذلك بمناسبة المظاهرة التى نظمها طلبة معهد فؤاد الأول ، الدينى بمدينة أسيوط ، وتفريق البوليس لها ، ووقوع حوادث تولت النيابة تحقيقها ، وأصدرت أمرها بحظر إذاعة أى خبر يتصل بهذه الحوادث ، ومع ذلك ، ومع أن صحيفة المصرى نشرت أمر هذا الحظر ، فإنها عمدت إلى نشر أخبار عن هذا الحادث من شأنها التأثير فى سير التحقيق .

: الحالة الثانية : مصادرة أعداد من صحيفتى «الكتلة» و«صوت الأمة» لتصدرتين بتاريخ ٢٠/١/١٩٤٧ . وسبب ذلك أن كلتا الصحيفتين قد نشرتا خبراً غير صحيح تحت عنوان بارز بخط عريض مؤاه أن رجال البوليس أطلقوا الرصاص على طلبة مدرسة حلوان الثانوية للبنين فى يوم الحداد ١٩ يناير ، وأنه قد أصيب منهم عشرة طلاب غير أن القضاء كشف عن بطلان هذه الأخبار .

الحالة الثالثة : مصادرة أعداد صحيفتى «الكتلة» و«صوت الأمة» الصادرة فى ١٠/٢/١٩٤٧ ، ذلك أن صحيفة الكتلة نشرت تحت عنوان «الحالة فى الجامعتين» أخبار غير صحيحة من شأنها إثارة الخواطر ، ومؤداها أن جامعة «فؤاد الأول» قد حوصرت منذ الصباح الباكر بقوات كثيرة من المشاة ، والخيالة ، والسيارات المصفحة ، والدبابات ، فضلاً عن سيارات إنجليزية من النوع المعروف باسم «جيب» بها جنود من الإنجليز كانت ترابط فى مناطق مدينة الجيزة .

كما نشرت «صوت الأمة» تحت عنوان : «الحالة فى الجامعتين» رندرس، أخبار غير صحيحة من نوع الأنباء التى نشرتها صحيفة «الكتلة»

من شأنها كذلك إشاعة الفتنة والاضطراب ، وتكدير السلم ، وخلاصة هذه الأخبار أن رجال البوليس قد عاودتهم الشهوة الجامحة ، واعتدوا على الطلاب اعتداء وحشياً بالعصى الغليظة ، فأصيب بعضهم بإصابات مختلفة ، وأنهم قبضوا على فريق منهم ، وأودعهم مختلف الأقسام ...

ولما كانت جميع هذه الأنباء عارية عن الصحة فقد بادرت الوزارة إلى تبليغ النيابة عن الصحيفتين ، إذ أن نشر هذه الأخبار غير الصحيحة ، والمكذرة للسلم جريمة تعاقب عليها المادة ١٩٨ من قانون العقوبات . وقد باشرت النيابة العامة التحقيق في هذا الشأن ، وحصلت مصادرة أعداد الصحيفتين المذكورتين في يومى ٢٠ يناير و ١ فبراير تطبيقاً للمادة ١٩٨ من قانون العقوبات .

ومضى البيان يدافع عن سياسة الحكومة في مصادرة الصحف ، مستنداً في ذلك إلى مواد في قانون العقوبات أهمها المادة رقم ١٩٢ ، والمادة رقم ١٩٨ ثم أعطيت الكلمة للأستاذ أحمد عبد الغفار « باشا » فقال : إن الحكومة تتسامح في التعبير بأشخاصها ، ولكنها تلجأ إلى المصادرة لعلها أن المعارضة تبذل كل جهدها لتكدير الأمن العام ، وفي سبيل حماية الأمن العام ستستعمل الحكومة كل سلاح يبيحه القانون ، وستمنع اللعب بالنار بكل حزم .

وهنا طلب مكرم « باشا » حذف هذا الكلام من المضبطة ، لأن فيه اتهاماً صريحاً للمعارضة لا تقبله على نفسها .

وبعد أن انتهى مكرم « باشا » من إلقاء كلمته طلب الكلمة عبد الرحمن عمار « بك » ، فاعترض فكرى أباطة « بك » طالباً أن يؤذن للمستجوب الثانى الأستاذ محمد حنى الشريف بالكلام قبل أن تتكلم الحكومة ، واحتج الأستاذ الشريف على عدم الإذن له بالكلام ، قائلاً : إن فى ذلك مخالفة

للائحة الداخلية ، فأفهمه الرئيس بأنه لا يمنع من الكلام ، وكل ما في الأمر أن الحكومة طلبت الكلمة ، ولها الحق فيها كلها أرادت .

بقية بيان الحكومة

وتكلم عبد الرحمن عمار « بك » عن الحظر ، فقال إن الاستجواب في حظر النشر غير دستوري ، لأن النيابة هي التي تصدر أوامر الحظر ، وهي تقوم بعمل قضائي ، هو من صميم اختصاص السلطة القضائية ، والاستجواب لا يتسجم مع مبدأ فصل السلطات ، وذكر أن هذا الرأي يقره رجال القانون ، واستشهد بفتوى في ذلك لمعالى وزير العدل .

وقد اعترض الأستاذ فكري أباطة قائلاً : إن هذا الكلام خطير ، لأن النيابة لا يمكن أن يباح لها أن تصدر أوامر الحظر كلها أرادت ، ودون أى تقييد .

واستطرد عمار « بك » فتلا مذكرة لمعالى وزير العدل في ذلك ، ثم ذكر أن كل حرية يجب أن يكون لها حدود ، وليس من الحرية ترك الصحف تقول ما تريد لتكدير السلم ، وضرب المثل بقول جريدة «الكتلة» إن جامعة «فاروق الأول» قد أحيطت بالدبابات ، وإن رجال البوليس أعملوا عصيهم في الطلبة ، وإن عشرات منهم أصيبوا بالرصاص في حين أنه لم يحدث شيء من ذلك .

واختتم عمار « بك » كلامه بأن الحكومة ماضية في خطتها في غير ما تعسف ولكن حماية للأمن العام .

المناقشة تستأنف اليوم

وعلى أثر ذلك رفعت الجلسة على أن تستأنف المناقشة في هذا الاستجواب « اليوم » في السادسة مساء .

* * *

هذا مثل عادى من أمثلة «الماجريات البرلمانية» التي وقعت في مصر ، ومنه يتضح كيف أن المحرر البرلماني عرض لمشروعات القوانين بسرعة وإيجاز .

ولم يطل الوقوف عند شيء منها ، حتى إذا بلغ الموضوع الرئيسى للجلسة البرلمانية - وهو موضوع مصادرة الصحف - لم يدع من كلام النائب المستجوب ، أو كلام الحكومة فى الرد على هذا الاستجواب شيئاً ما .

وقد وضع للقارىء كذلك الطريقة التى سلكها صاحب الاستجواب فى التدليل على حقه فى تقديم هذا الاستجواب ، وهى طريقة تقوم على الحجج القانونية للموضوع من جميع الوجوه ، وكان الحكومة كانت تعرف بالضبط شيئاً عن هذه الطريقة فتأهبت للرد لتبرىء نفسها من التهم التى كالتها لها الصحف السالفة الذكر .

على أن هذه الجلسة لم تتمكن من الوصول إلى قرار فى هذا الشأن ، فلم يستطع المحرر البرلمانى أن يذكر لنا شيئاً من ذلك ، ولا استطاع أن يصف نهاية الجلسة فى ذاتها ، مرجئاً كل ذلك للجلسة التالية .

ولا نستطيع أن ندع الكلام عن الماجريات البرلمانية ، دون الإشارة إلى جهود الدكتور محمود عزمى ، فى هذا السبيل .

والحق أن أهمية الدكتور عزمى فى تاريخ الصحافة المصرية ترجع فى معظمها إلى تلك الجهود (١) .

(١) فإن نسى لا نسى تلك التقارير البرلمانية التى كان يكتبها الدكتور عزمى فى جريدة السياسة للدكتور محمد حسين هيكل ، وقد كان الدكتور محمود عزمى يوماً مندوباً برلمانياً لهذه الجريدة ، وفى « تلك الماجريات البرلمانية » كان عزمى يرسم صورة قلمية ساخرة للنواب المصريين ، ويضع يده على كثير من مواطن الضعف فيهم ، وبلغ من ذلك حداً أثار عليه المجلس فقرر أعضاؤه إذ ذاك أن يطردوه من المجلس ، وأن يحرموه الجلوس فى شرفة الصحافة ، ويحرموا جريدة « السياسة » من نشر محاضر البرلمان ، ووقف عزمى وحده فى شرفة الصحافة يواجه ضجة المجلس ، وفى اليوم التالى ظهرت جريدة السياسة وفيها مقال عنيف بقلم الدكتور محمود عزمى ضد مجلس النواب المصرى ، وفيها كذلك وصف دقيق لما ورد فى الجلسة التى حرم منها ، واستمرت جريدة « السياسة » تنشر وصفاً لهذه الجلسات التى يعقدها البرلمان حتى هاج المجلس مرة أخرى ، وطالب بإجراء تحقيق مع مندوبى الصحف ، وموظفى الضبط لمرقة الموظف الذى عهد جريدة السياسة بأخبار هذه الجلسات ، ومع هذا وذاك لم ينته التحقيق الصحفى إلى نتيجة ما ، واستمر قرار المجلس بحرمان مندوبى جريدة « السياسة » من دخول البرلمان حتى نهاية الدورة .

الفصل الحادى عشر

الماجريات القضائية

ربما كانت «الماجريات القضائية» أقدم ما عرف من أنواع الماجريات الأربعة التى سبقت الإشارة إليها (١) ذلك أن القضايا المحلية على الدرام هى أكثر ما يسترعى أنظار القراء للصحيفة .

فالواقع أنه لس كل الشعب قادراً على تتبع الماجريات الدولية أو الدبلوماسية ، ولكن أكثر الشعب يستطيع أن يفهم الظروف التى تحيط ببعض القضايا المنظورة أمام المحاكم الوطنية ، أو المحاكم العسكرية .

وفوق هذا وذاك فإن من حق كل مواطن فى الدولة أن يرى بعينه ، ويسمع بأذنيه كيف تطبق القوانين فى بلاده ، وأن يطمئن على سلامة هذا التطبيق ، وإلى نزاهة القائمين عليه ، وحق الشعب فى ذلك هو كحقه تماماً فى أن يطمئن إلى أن أعضاء البرلمان ، أو مجلس الأمة -- وهم الموكلون عنها فى القيام بمهمة التشريع وسن القوانين -- قادرون على ذلك بأمانة تامة .

على أن هذا الحق الجماعى يتيح الذى للجمهور أن يراقب بنفسه طريقة سن القانون ، وتطبيق هذا القانون يتعارض فى الوقت نفسه تعارضاً تاماً مع حق الفرد الذى تمسه القضية ويتناول القضاء ، كما يتعارض وحقوق النواب الذين يتناقشون فى داخل البرلمان ، أو داخل مجالس الأمة ، فإن من حق هؤلاء جميعاً

(١) عندى أن الماجريات ليست أربعة فقط من حيث العدد ، ولكنها خمسة كاملة بإضافة «الماجريات الجامعية» إليها ، ونعنى بهذه الأخيرة جميع التقارير التى يمكن نشرها فى الصحف حول الجلسات العلنية التى تناقش فيها الرسائل المقدمة من الطلبة للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه من إحدى كليات الجامعة ، وإن صح -- بشئ -- من التجوز -- اعتبار «الماجريات الجامعية» جزءاً «من الماجريات القضائية» باعتبارها محكمة علمية .

أن تحفظ لهم كرامتهم، وأن تصان لهم سمعتهم ، وألا تقوم الصحف بالتشهير بهم، فقد توجه المحكمة بعض التهم الخطيرة للمتهمين، وكثيراً ما يعاملهم القضاء في أثناء المحاكمة بشيء من العنف ، وقد يحدث في داخل البرلمان أن يتراشق أعضاؤه بالسباب ، أو أن يتنازروا بالألقاب ، أو أن يسم بعضهم بعضاً بميسم الخيانة للوطن ، فإذا انتقلت التهم القضائية إلى مجال الصحف فهنا يشعر المقصودون بها في جميع هذه المواطن السابقة بالخجل والحرج ، وقد يثبت القضاء من جانب ، أو البرلمان من جانب آخر ، أن هؤلاء كانوا على حق في موقفهم من خصومهم في المحكمة أو في البرلمان .

ومع هذا التعارض الشديد بين الحق الجماعي للأمة ، والحق الشخصي للفرد الواحد ، أو الجماعة الواحدة من جماعات هذه الأمة ، فإن العرف والتقاليد يسمحان للصحافة بأن تخبر عما يحدث في داخل المحاكم الوطنية ، وذلك بالقدر الذي يسمح به للصحافة أن تخبر عما يحدث في داخل المجالس النيابية ، ومتى نشرت هذه الأخبار جميعها في الصحف فقد أصبح من حق الأمة والأمم الأخرى جميعها أن تعرف ما يجري في هذه الدور ، التي نشير إليها .

ومن هنا يبدو الفرق الكبير بين الحالتين بالقياس إلى المتهم في إحدى القضايا .

ففي الحالة الأولى - وهي الحالة التي تمتنع فيها الصحف عن النشر - يشعر المتهم بأنه قد نجح بنفسه ، وبمآء وجهه من أن يراق على نطاق واسع كبير ، وهو نطاق الشعب الذي هو منه ، والشعوب التي يمكن أن تصل إليها صحف الأمة التي يلتصق إليها .

وفي الحالة الثانية - يقع المتهم في الحرج الذي وصفناه .

نقول هذا لكي نلفت نظر الصحف جيداً في كتابة «الماجربات القضائية»

إلى أن تنص على نوع الحكم الذي تصدره المحكمة ، وخاصة إذا كان الحكم بالبراءة .

ونقول هذا أيضاً حتى لا تتورط الصحف في اتهام الأشخاص الذين لم تثبت إدانتهم ، والقاعدة المعمول بها في القضاء دائماً هي « أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته » .

ثم إنه على الرغم من التسليم بهذا المبدأ المتقدم ، وهو نشر « الماكريات القضائية » في معظم الحالات والبلدان ، فإننا نرى بلاداً كإنجلترا لا تقر هذا المبدأ ، ولا توافق على نشر « الماكريات القضائية » بل إن قانون القذف عندهم Libelact يتضمن حظراً على الصحافة أن تخوض في القضايا المنظورة أمام المحاكم ، أو تشر شيئاً عن بعض هذه القضايا في أثناء ذلك ، ويعبر القانون الإنجليزي عن مخالفة هذا الحظر بتهمة « التهاون بالقضاء » أو تهمة « ازدراء المحكمة contempt of court » ، على حين أننا نرى أن نشر القضايا المنظورة أمام المحاكم المصرية مباح لجميع الصحف وإن كان قانون الإجراءات الجنائية يجعل من حق القاضي أن يحظر النشر متى رأى المصلحة في أن يكون التحقيق سرياً ، ومتى كان في هذه السرية رعاية من جانب القضاء للصالح العام ، والآداب العامة .

ويفهم من هذا أن إباحة النشر وحظه بالنسبة للقضايا المنظورة أمام المحاكم المصرية مسألة اعتبارية بحتة ، وأنها متروكة للمحقق ؛ أو للقاضي

ولكن يلغى للقاضي أو المحقق ألا يسمى أحدهما استعمال هذا الحق ، كما حدث ذلك في بعض القضايا الهامة ذات الصلة بالمصلحة العليا للبلاد ، أو الصلة القوية بالرأى العام ، ومن الأمثلة على هذه القضايا : قضية الأسلحة الفاسدة ، في أثناء الحرب الفلسطينية ، فقد حظر المحقق على الصحف أن تشر شيئاً ما عن هذه القضية التي تهمة الشعب المصري كله ، والشعوب العربية

بأسرها ، ولم يكن القضاء على حق في هذا الإجراء مجال من الأحوال .

* * *

أما تحرير الماكريات القضائية فتتبع فيه إحدى الطرق الثلاث التي تقدم ذكرها في نهاية الفصل الخامس ، فطريقة التركيز توحى إلى كاتبها أو محررها بتلخيص موضوع الدعوى والمرافعات في شبه مقال شديد الإيجاز ، وكثيراً ما يكون محرر هذا النوع من الماكريات رجلاً من رجال القانون ، كأن يكون مشتغلاً بالمحاماة ، أو تكون له خدمة سابقة في سلك القضاء ، ونحو ذلك .

وبالطريقة التحليلية يفصل المحرر القول في هذه القضية التي يعرضها للقراء ، وسجل في هذا التفصيل كل سؤال وجهته المحكمة إلى المتهمين ، وكل إجابة صدرت عنهم ، كما يسجل المحرر شهادة الشهود ، ويعنى العناية التامة بمرافعة المحامين من الجانبين ، ويصف كل ما وقع في الجلسة من أخذ ورد ، وحركة وسكون ، ويتضمن التقرير بهذه الطريقة أيضاً كل ما صدر عن الحاضرين من الجمهور من إشارات ، وتعقيبات ، ونحو ذلك .

وبالطريقة المختلطة يقصر المحرر جهده على وصف الظروف والحوادث التي نشأت عنها الدعوى ، ويصف الظواهر النفسية ، والدلائل الخلقية التي تقترن بها غالباً ، وله أن يهمل وقائع الجلسة في ذاتها ، مكتفياً بتسجيل الحكم الذي نطق به القاضي .

على أن المهم من الناحية الصحفية البحثة هو الإدلاء بتفصيل الحوادث التي سبقت المحاكمة ، وأوصلت الطرفين المتنازعين إلى ساحة القضاء . وللمحرر الصحفي أن يعتمد في هذا الإدلاء على ما جرى بالفعل في داخل المحكمة بما شهده بعينه ، أو سمعه بأذنه ، أو على مصدر آخر كحاضر التحقيق و « ملف » القضية ، أو على المستندات الرسمية الموجودة فعلاً في غير هذا « الملف » .

وهذا نموذج من « الماكريات القضائية » نشرت صحيفة « الأخبار » ، الصباحية ، وكان حول حادث سيارة أودى بحياة أطفال ، وكان شعور الشعب منذ البداية ضد المتهم في هذا الحادث ، وهي الآنسة « نوال نور » . وكانت الصحافة تتعلق شعور الشعب في ذلك ، وكانت تراعى في عرض الجلسات التي تعقدها المحكمة مساندة لعرض هذا الشعور ، ومع هذا فإن المحكمة لم تتأثر بالشعور إلا في هذه القضية ، وحكمت فيها ببراءة المتهم ، وإليك ما حدث يومئذ بالضبط .

نشرت صحيفة « الأخبار » بالعدد رقم ١٠٦٤ من السنة الرابعة ، وهو العدد الصادر في يوم الأحد ١١/٢٧/١٩٥٥ في صفحتها الثالثة من هذه القضية ، هذه العنوانات :

براءة نوال نور

المحكمة تستمع إلى الشهود والنيابة والدفاع

عم نوال يدافع عنها بوصفه زعيم العائلة

ثم قالت الجريدة في صدر هذا التقرير القضائي ما نصه :

أصدر القضاء حكمه أمس ببراءة نوال من تهمة القتل الخطأ ، اتهمت « نوال » بأنها قتلت اثنين ، وجرحت اثنين بسيارتها الـ « بويك » . . استمعت المحكمة إلى أقوال الشهود والنيابة والمدعين بالحق المدني والدفاع ، وانضم عمها « محمود متولى نور » ، إلى هيئة الدفاع ، وقال إنى أدافع عنها بوصفى زعيماً لأسرة نور . تشنجت والده أحد القتلى وأسعفت في الجلسة .

كان هذا هو « صدر » التقرير ، وبعد ذلك أخذت الجريدة في نشر « صلب » التقرير ، على النحو الآتى :

بدأت الجلسة في الساعة الحادية عشرة صباحاً ، وعلى أثر افتتاح الجلسة نودى شهود الإثبات الذين أهللتهم النيابة ، فبين عدم حضور أحد منهم

سوى إبراهيم عبد الجواد التاجر ، وقام أحد محامى المتهمة وطلب سماع أقوال شهود النفى ، فرد القاضى بأن الدفاع سبق أن تنازل عن سماع شهاداتهم ، ثم قام الأستاذ عدلى فريج محامى والد الطفل « إيليا كارازيدس » الذى قتل فى الحادث ، وطلب سماع شهادته فوافقت المحكمة على ذلك .

ثم نوديت المتهمة فثلت أمام المحكمة وقال لها القاضى :

انت ارتكبت الجريمة دى ، وتسببت ياهمالك فى قتل اثنين ، وإصابة اثنين .

نوال — لا

الشاهد الأول

ثم بدأت المحكمة فى سماع أقوال الشهود ، ونودى الشاهد الوحيد الذى حضر من شهود الإثبات الذين أعلنتهم النيابة ، وهو التاجر إبراهيم عبد الجواد ، فحضر وحلف اليمين ، ثم بدأ شهادته بقوله :

إنه شاهد شخصين داخل السيارة ؛ هما فتاة وبقوارها شاب . ، وإن الفتاة قد غادرت السيارة من الباب الأيسر أولاً ؛ ثم تبعها الشاب ، وقال إنه لا يعرف أين ذهبت ، وإنه شاهد الطفل الذى قتل وقد غطى ببعض أوراق الصحف ، وأضاف الشاهد إنه عثر على « شنطة » يد بيضاء سقطت على الأرض من سيدة .

أعرفها شعرها قصير

ووصف الشاهد الحادث قائلاً : إن صوت السيارة المرتفع المفاجئ هو الذى نبهه ، فالتفت نحوه حيث شاهد السيارة تدخل الأجزاء ، وقد أصيب ثلاثة أشخاص ، وسقط طفل تحت عجلاتها ، وحاول الجمهور إنقاذه . وصمم الشاهد على أنه شاهد الفتاة وهى داخل السيارة أمام عجلة القيادة قبل نزولها مباشرة ، وعقب الحادث فوراً . . . وسأله القاضى عما إذا كان يعرف المتهمة من قبل ، فأجاب بالنفى ، وأضاف بأنه يمكن

التعرف عليها حيث شاهدها يوم الحادث ، ويعرف أن شعرها قصير ..
وعندما أشار القاضى إلى المتهمه ، وسأله عما إذا كانت هى التى رآها تقود
السيارة وقت الحادث أجاب بالإيجاب .

والدة القتيل

ثم نوديت الشاهدة الثانية ، السيدة اعتماد عثمان غالب ، والدة محسن
محمود جوهر الطفل الذى قتل فى الحادث فحضرت ، ووقفت أمام المحكمة ،
وكانت الدموع تدرى من عينيها بغزارة ، وحلفت اليمين ، ثم أدت شهادتها
على الوجه التالى :

المحكمة - كم عمرك ؟

اعتماد - ٢٧ سنة .

المحكمة - ما معلوماتك ؟

اعتماد - أنا يوم الحادث كان معى ابنى محسن عاشان أوردية السيدنا ،
وما لقيتس تذاكر فقلت له تعال نتفرج على الفسقية اللى فى ميدان التحرير
وبعد مارحنا واجتزنا الميدان لغاية الرصيف فى محل «أسترا» قال : اشترى
لى شربات ، فذهبنا إلى محل الشربات ، وجأة سمعت صوت سيارة مسرعة
خلفى ، ولقيت عربية سودة طالعة على الرصيف ، وصدمت ابنى ...
ثم أخذت السيدة اعتماد تبكى ، وأصيبت بتشنج ، وأخذت تصيح :
ده ابنى . وأبويا .. وجوزى وحبيبى .. ده كل حاجة لى فى الدنيا ..
وطلب منها القاضى أن تمدى نفسها ، وتروى كيفية الحادث ، فجففت
دمعيا ثم قالت : إنها شاهدت نوال بالسيارة ، وحلفت اليمين على أنها
شاهدتها ، وكانت تلبس فستان «كاروهات» ، وشعرها قصير ، وشباب
بجوارها يهمس ويقول لها : «انزلى انت يا نوال» .

وزوت والدة القتيل كيفية مصرع ابنها فقالت : كنت مأسكة ابنى

محسن ، ثم جاءت السيارة بسرعة ، وصوتها مسموع بشكل ظاهر وواضح ،
وبمجرد التفاتى وجدت شيئاً خاطئاً كالوحش يهجم حيث سقط وحيدها
تحت العجلة .

وردت اعتماد عدة مرات أنها شاهدت « نوال ، وهي تمسك «الدركسيون»
ساعة الحادث ، وأنها تركته ونزلت من باب السيارة الأيسر .

المحكمة — قلت في محضر النيابة إنك شاهدت « نوال ، وهي واقفة أمام
السيارة ، وليست أمام عجلة القيادة ا

اعتماد — لا أذكر ؛ وكنت وقتئذ كالمذهولة ، فلم يكن مر على حادث
قتل ابني بالسيارة سوى ٢٤ ساعة فقط .

المحكمة — هل هذه — وأشار القاضى إلى نوال — هي المتهمه التى أحدثت

الحادث ؟

اعتماد — نعم ، هى نفسها ، ونظرات عينيها تدل على أنها فتاة ارتكبت
جريمة قتل .. جريمة إن دلت على شىء فىها لا تدل إلا على استهتار امرأة .
المحكمة — اتركى هذا التعليق أو الكلام للرافعة .

اعتماد — إنه ابني الوحيد ، ثم أخذت فى البكاء الطويل ، وهدأت
وقالت :

إنه زوجى .. إن محسن كان جميل ا

المحكمة — هل تعرفين شخصاً اسمه محمد محمود السمنى ؟

اعتماد — سمعت عنه .. وهو الذى أخذنى إلى محل « الشر بتلى ، لأجلس
على كرسي ، فطلبت منه إسعاف ابني وتجييسه .

الشاهد الثالث صاحب الصيدلية

ثم نودى شاهد الإثبات الثالث «الدكتور أديب هلال يعقوب» صاحب
صيدلية وندسور ، فحضر وحلف اليمين ؛ وأدلى بشهادته قائلاً : لأنه أغلق

الأجزاء يوم الحادث ،٤ سبتمبر ، حوالى الساعة العاشرة لإثنا مساء ،
وركب مع بعض أصدقائه فى سيارتهم إلى كازينو « سان سوسى » بالجيزة ،
وترك سيارته فى الشارع المجاور لمحل أسترا حتى عودته . . وقال : إنهم
مكثوا فى الجيزة فترة لا تتجاوز ١٠ دقائق أو ١٥ دقيقة ، ثم عاد لسيارته ،
حيث فاجأه المنادى بأن يسرع ويلحق بصيدليته ، لأنها أصيبت بحادث ،
فأسرع إليها وشاهد مقدم السيارة داخل فى الباب ، وطفلاً ميتاً .

سؤال من المدعى بالحق المدنى :

ماذا فعلت فور علمك بالحادث ؟

الشاهد - توجهت لقسم قصر النيل .

المدعى بالحق المدنى - هل شاهدت المنهمة فى القسم ومعها أحد ؟

الشاهد - كانت فى غرفة المأمور ومعها سيدة وولد صغير .

المدعى بالحق المدنى - ألم تلاحظ معاملة خاصة من البوليس لشهود

الرؤية فور وقوع الحادث ؟

الشاهد - مكثت فى القسم لنهاية الساعة ٢ صباحاً بعد منتصف الليل

فى غرفة المأمور ، وأعلم أن شاباً ميكانيكياً طلب سماع أقواله كشاهد لإثبات ،
فرفض المحقق لإجابة طلبه ، وأمر عسكري البوليس بإخراجه من القسم
فوراً .

الشاهد الرابع

ثم نودى الشاهد الرابع ، الدكتور مرص جندى ، لحضر وحلف اليمين ،
ثم قال : فى يوم الحادث أغلقنا الأجزاء حوالى التاسعة و ٣٥ دقيقة
مساء ، وتوجهنا أنا وبعض أصدقائى والدكتور أديب إلى كازينو سان
سوسى بالجيزة ، حيث أقمنا فترة قصيرة ثم أشرت عليهم باقتراح ، وهو النوم
مبكراً ، لأننا كنا متعبين وقتئذ فاجتزنا ميدان التحرير ، ووصلنا إلى الصيدلية ،

في حوالي الساعة العاشرة والنصف مساءً ووجدنا السيارة داخل الصيدلية ..
ووجدنا جسماً لشاب ميت ملق بجوارها على الرصيف .

المحكمة — ألم تسمع متى حدثت الحادثة ؟

الشاهد — الذي سمعته أن الحادث وقع فور مغادرتنا للصيدلية قاصدين
إلى كازينو «سان سوسى» وعلى كل فالمسافة بين تركنا الصيدلية ، وعودتنا
إليها لم تستغرق أكثر من ثلاث ساعة على الأكثر ..

وقال الشاهد إنه سمع من الناس الذين كانوا موجودين وقت الحادث ،
أن السيارة كانت تقودها فتاة ، وشخص كان يقف بجوارها ، وأشار عليها
بالهرب و «الزوغان» .. وأضاف أنه سمع هذا الكلام من أناس كثيرين
جداً .

الشاهد الخامس

ثم نودى الشاهد الخامس وهو «صبيحى تادرس» فحضر وحلف اليمين ،
وروى شهادته التي لا تخرج عن شهادة الطبيبين السابقين .

مدير سينما شهر زاد

ثم نودى شاهد الإثبات «عبد المنعم محمد» مدير سينما شهر زاد ، فحضر
وحلف اليمين ، وسأله القاضى : إيه معلوماتك ؟

الشاهد — لا أعرف شيئاً عن الحادث .

المحكمة — ولماذا حضرت إلى هنا ؟

الشاهد — وصلنى إعلان بالحضور .

المدعى بالحق المدنى — هل تعرف المتهمه كترددة دائمة على السينما ؟

الشاهد — نعم وأعرف شكلها .

المدعى بالحق المدنى — أثناء عرض الأفلام .. ماهى حدود اختصاصك ؟

الشاهد — أكون بجوار للباب أثناء دخول الجمهور .

المدعى بالحق المدنى — حيث إن اختصاصك هكذا .. فما موقف العمال الذين يقطعون التذاكر ؟

الشاهد — من نفس باب السينما .

المدعى بالحق المدنى — إذا حدث شيء غير عادى على السلم ، هل يلفت هذا نظرك أم لا ؟

الشاهد — كل الذى أراه فى السينما أشعر به .

المدعى بالحق المدنى — فى مساء الأحد ٤ سبتمبر الماضى : هل تذكر على وجه التحديد إذا كانت نوال حضرت للسينما فى ذلك اليوم أم لا ؟

الشاهد — لا .. و جاز تكون حضرت .

المدعى بالحق المدنى — هل تستطيع أن تحدد لنا وقت الاستراحة الأولى بين الأفلام المختلفة ؟

الشاهد — السينما تعرض عادة ٣ أفلام .. والاستراحة الأولى ، وهى بين الفيلم الأول والثانى تكون فى حوالى الساعة التاسعة ، أو التاسعة والرابع مساء ، والاستراحة الثانية بين الفيلم الثانى والثالث ، لأنها تبدأ فى الساعة الحادية عشرة والرابع مساء .

شقيقة القتل

ثم نوديت شاهدة الإثبات « الأنسة جماني ، شقيقة القتل الثانى البطل إيليا كارازيدس فأدلت بشهادتها .

إسماعيل السنوسى

ثم نودى شاهد الإثبات « إسماعيل السنوسى ، تاجر الأفلام فحضر ، وحلف اليمين ، وقال إنه شاهد أثناء جلوسه بمحله المجاور للصيدلية السيارة وهى تفتحهم الصيدلية بسرعة مذهلة ، ثم نزلت منها فتاة ، وقد مال عليها شاب وهو يأمرها بالهرب ، و « الزوغان ، حيث شاهدها بعد ذلك وهى

واقفة مع بوليس النجدة ، والناس يشيرون إليها ويقولون : أهى دى اللى
كانت سايقة السيارة .

الطفل بوللى هارجيان

ثم نودى الطفل « بوللى هارجيان » وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره
فحضر وحلف اليمين ، وروى للمحكمة شهادته من أنه كان واقفاً مع الطفل
«إيليا» على الرصيف المجاور لمحل أسترا ، ثم فوجيء بالسيارة وهى تقتل زميله
الطفل «إيليا» ، وقال إنه شاهد الفتاة وهى تقود السيارة وفى يدها عجلة
القيادة وقت الحادث .

قضية لا تحتاج إلى جهاد

وبعد ذلك نهض الأستاذ سليمان أيوب ، يمثل النيابة العامة وقال : إن
القضية لا تحتاج إلى جهاد فهى ثابتة ، والوقائع ليس مختلفاً عليها ، والشهود
كثيرون ، ويؤيدون اتهام الفتاة ، وأنها كانت تقود السيارة بسرعة مذهلة ،
حتى صعدت إلى الرصيف ، وصدمت كل من يقف عليه .

وقال وكيل النيابة : إن الإصابة لا يمكن وصفها إلا بأنها قتل .. وشهود
الإثبات وصفوا الواقعة وصفاً دقيقاً ، والنيابة لا يسعها إلا أن تطلب تطبيق
أقصى العقوبة ، والحكم بحبسها مع النفاذ .

مرافعة المدعين بالحق المدنى

ثم نهض الأستاذ «عدلى فرج» الحاضر مع والد الطفل «إيليا» كارازيدس ،
وقال : إن المتهمة وشهودها حارلوا التلفيق ، ثم فند أقوال شهود الإثبات .

وانتقل إلى تنفيذ أقوال الأنجال الثلاثة للدكتور محمد كامل مرسي
.مدير جامعة القاهرة ، وقال إن ولدهم هو الصديق الحميم لعائلة نور ، وإن ولديه
جميل والمعتز صديقان لشهيمها حارم

المهم وفق

وقال الأستاذ عدلى :

نعرف أن نوال وشقيقها قد انتهزا غيبة السائق ، وأخذوا السيارة ، لأن
معهما مفتاحاً ثانياً لها . . وسموها يا حضرات القضاة زى ما تسموها . .
رعونة . . شيطنة . . شقاوة . . عدم تقدير للمسئولية . . المهم أن « نوال
نور ، أرادت أن تخرج فى نزهة مع من كانوا معها بعيدا عن أعين السائق . .
وفى سبيل هذه النزهة أرادت نوال أن تقود العربة ، فقتلت طفلين ، وحطمت
رجلين ، وأتلفت ممتلكات وأثكلت أمنهات .

استراحة

وكانت الساعة قد بلغت الواحدة مساء فرفعت الجلسة للاستراحة
ثم أعيدت للانعقاد فى الساعة الواحدة والنصف .

مرافعة الأستاذ حسين رءوف

ونهض الأستاذ «حسين رءوف» المحامى عن المدعية بالحق المدنى ، وهى
السيدة اعتماد والدة القتيل محسن جوهر . . وقال إن القضية قضية وقائع ،
وتدور حول نقطة هامة ، وهى : هل كانت « نوال نور» فى سبيلها شهر زاد
كما تدعى ، أم أنها كانت فى السيارة وقت الحادث ؟

وانتهى إلى القول بأن التهمة ثابتة قبل « نوال نور » ، وطلب الحكم عليها
بأشد العقوبة .

مرافعة الأستاذ عبد الرحمن حسن

ثم نهض الأستاذ «عبد الرحمن حسن» المحامى عن والد القتيل الطفل
« محسن » ، وقال إن حكم القضاء العادل سوف يكون هو الرادع القوى
للطاشين من أمثال نوال وغيرها من المستهترين .

مرافعة جمال الشريف

وأعقبه الأستاذ جمال الشريف المحامى الحاضر مع المدعى بالحق المدنى لإسماعيل لبيب ، وقال : إنه يطلب جعل مبلغ الثلاثة آلاف جنيه التى طلبها تعويضاً مؤقتاً لا كاملاً ، ثم قدم للمحكمة شهادة طبية من مستشفى الدكتور الغرينى أثبت فيها أن موكاه هو ميت حى فى كفن من الجبس .

استراحة

وكانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف مساء فرفعت الجلسة على أن تعود للانعقاد فى جلسة مسائية أخرى بدأت من الثالثة والنصف .

الجلسة المسائية

وفى الساعة الثالثة والنصف استأنفت المحكمة جلسة مسائية ثانية لنظر القضية ، ونهض الدفاع عن المتهمه ، الأستاذة : محمد لإسماعيل عوض ، ومحمد مدوح ، وترافعا ، ففندا أقوال الشهود ، وتكلموا كثيراً فى الناحية القانونية ، وطلبوا براءة موكلتهما ، ورفض الدعوى المدنية .

مرافعة عم المتهمه

ثم نهض عم المتهمه الأستاذ محمود متولى نور ، محافظه القاهرة السابق ، وقال : إنه ينضم إلى زملائه المحامين عن ابنة شقيقه ، ولكنه يتكلم بوصفه زعيم أسرة نور . . وقال : إن القضية ايس فيها دليل قبل نوال نور .

وعقب ذلك نهض الأستاذ عدلى فرج ، عن المدعى بالحق المدنى ، وعقب على مرافعة الدفاع ، وقال : إنه بعد سماع هذه المرافعات ينتهى إلى أن القضية أكثر ثبوتاً الآن قبل نوال نور .

ثم عقب عليه الأستاذ محمد مدوح ، وصمم على طلب البراءة .

وكانت الساعة قد بلغت السابعة لإلاربعا ، فرفعت للبدولة حيث أعيدت للانعقاد فى الساعة الثامنة والرابع ، وأصدر القاضى الحكم الآتى نصه :

أولاً — حكمت المحكمة حضورياً للمتهمة وللدعوى المدعى بالحق المدنى ببراءة
المتهمه مما أسند إليها ، ورفض الدعوى المدنية الأربع المقدمة ضدها من
كل من اعتماد عثمان غالب ، ومحمود سليمان جوهر ، ولإسماعيل أحمد لبيب ،
وبردورس كازاريدس مع إلزام رافعيها بمصاريفها « بالامصاريف جنائية » .

وزغردت بعض النسوة الحاضرات مع نوال ، وهتف بعض مؤيديها
« بحيا العدل » ، ثم خرجت وركبت سيارتها الشفروليه موديل ٥٥ الجديدة
التي اشترتها عقب الحادث .

* * *

بهذه الطريقة كتبت صحيفة « الأخبار » تقريرها عن هذه القضية التي
شغلت بال الجمهور في مصر نحو أربعين سنة ، وكان شعور الجمهور — كما سبق
الإشارة إلى ذلك — ضد المتهمة التي كانت السبب في هذه الجناية ، وتوخت
الصحيفة مسامرة هذا الشعور العام ، فكانت تأتي بالصور التي تنفق وهذا
الاتجاه ، أو التي توحى بهذا الإحساس ، كما كانت تسكتب « بالبنط الأسود »
بعض أقوال الشهود والمحامين الممثلين للاتهام مما له دلالة خاصة ، وتأثير
معين في سير القضية نحو الإدانة لا البراءة .

ومع هذا وذاك فقد شاء القضاء المصرى أن يصدر حكمه بالبراءة
على نحو ما رأيت .

الفصل الثاني عشر

الماجريات الدبلوماسية

لكل دولة من الدول سياستها الخاصة بها ، الداعية إليها ، والمروجة لها ، غير أن هذه السياسة الخاصة تتغير من وقت لآخر حسب مقتضيه الظروف والأحوال ، وحسب ما يحيط بالدولة نفسها من ملابسات ، وتيارات . ومهما يكن الأمر فلا مناص للدولة الواحدة من أن تكون لها سياسة واحدة في فترة من الزمن واحدة ، وإذ ذلك تحاول هذه الدولة أن تجذب إليها أكبر عدد ممكن من الدول التي يمكن أن تنفق معها في هذا الاتجاه . وفي سبيل هذه الغاية تعقد الدولة من حين لآخر بعض المؤتمرات التي تدعو إليها ، أو تدعى هي إليها ، للنظر في هذه الاتجاهات السياسية التي تهمها ، وتهم الدول الصالحة معها ، وهذا ما يطلق عليه « الأحداث الدبلوماسية » ، ومنها على سبيل المثال : مؤتمر الصلح بين دولتين متحاربتين ، والمؤتمرات السياسية التي تعقد فيها المعاهدات وقت السلم ، والمفاوضات ، أو المشاورات التي تدور حول بعض المشكلات الدولية على اختلافها .

ومن الأمثلة على هذه الأخيرة :

المؤتمر الذي عقد من ممثلي كوريا الشمالية ، وكوريا الجنوبية في أثناء الحرب الكورية ، ومنها مؤتمر رؤساء الحكومات العربية الذي انعقد بالقاهرة في أوائل عام ١٩٥٤ لبحث الموقف العربي عقب الاعتداءات الصهيونية على حدود البلاد العربية ، ومنها المؤتمر الثلاثي المؤلف من ملك المملكة العربية السعودية ، ورئيس الجمهورية السورية ، ورئيس الجمهورية

العربية المتحدة ، وقد انعقد بالقاهرة في مارس سنة ١٩٥٦ لتحديد السياسة العربية تجاه إسرائيل والدول الاستعمارية .

ومنها مؤتمر وزراء خارجية مصر ، وسوريا ، والأردن ، ولبنان المنعقد في شهر مايو سنة ١٩٥٦ بدمشق لبحث تقرير الجنرال « بيرنز » مندوب هيئة الأمم المتحدة عن مشروع تقسيم مياه الأردن ، ومنها كذلك المؤتمر الذي ضم ملوك العرب ورؤساءهم في بيروت في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ للنظر في سياسة الدول العربية ، وعلاقتها بكل من إنجلترا وفرنسا ، وذلك عقب الإعتداء الثلاثي المسلح من جانب هاتين الدولتين ، ومعهما دولة إسرائيل في الحادي والثلاثين من شهر أكتوبر من السنة المذكورة .

ومنها كذلك المؤتمر الذي عقده دول كolumbia ، الهند ، وأندونيسيا ، وسيلان ، وبورما ، للنظر في سياستها المشتركة بإزاء العدوان الثلاثي المسلح الذي تقدم ذكره .

على أنه من الملاحظ أن هذه المؤتمرات الدبلوماسية كثيراً ما تنعقد بصفة سرية فلا يتمكن الصحفيون من حضورها ، اللهم إلا في البداية ، أعني في الجلسات الافتتاحية ، وهي الجلسات التي يكتفى فيها بعرض جدول الأعمال ، وإلقاء كلمات الترحيب أو التشجيع من جانب الملوك والرؤساء والوزراء ، ثم يمضي المؤتمر الدبلوماسي بعد ذلك في عقد جلساته دون السماح للندويي الصحف بالحضور إلا في حالات خاصة .

من أجل ذلك يصعب على الباحث أن يحصل على تقارير في شكل ماجريات دبلوماسية دقيقة . وبدهى أن رجوع الباحث العلى في الصحافة إلى محاضر هذه المؤتمرات لا يفيد كثيراً ، لأنه إنما يعنى بالطريقة الفنية التي تعالج بها الصحف هذه الماجريات السياسية ، ولا عناية له بهذه الأحداث من الناحية التاريخية .

من أجل ذلك تلجأ بعض الصحف إلى إهمال هذا النوع من الماجريات

فتسكتب عنه بإيجاز شديد في أول الأمر، ثم تنتظر إلى الجلسة الأخيرة . فتبذل فيها كل ما تستطيع من جهد، وتسكتبها في شكل ماجريات دبلوماسية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة عند إطلاقها . والسبب في ذلك أن هذه الجلسة الأخيرة هي التي ينتهي فيها المجتمعون إلى قرار مشترك يصدرونه بشكل « بيان رسمي » يعبر عن آرائهم ، ويوضح اتجاهاتهم ، وينم عن الخطط التي وضعوها للسير في هذا الاتجاه .

نموذج

لقد اخترنا أن يكون النموذج لهذه الماكرات الدبلوماسية هو المؤتمر الذي عقده وزراء خارجية الدول العربية بالقاهرة في أوائل يناير سنة ١٩٥٤ ، وفيه انتهى هؤلاء الوزراء من رسم « السياسة العربية الجديدة » على ضوء المشروع الذي قدمه الدكتور فاضل الجمالي وزير خارجية العراق فيما يلي :

نشرت الأخبار في يوم الاثنين ١١ يناير سنة ١٩٥٤ بالصفحة الأولى من صفحاتها بعنوانات كبيرة ، وأخرى أصغر منها ما يلي :

محمود فوزي يشرح للجنة السياسية آخر

تطورات القضية المصرية

اللجنة السياسية تررس مشروع الجمالي

صيغة عربية لرفض المفاوضات مع إسرائيل

ثم قالت الصحيفة :

علمت « الأخبار » أن مصر قبلت مشروع الدكتور فاضل الجمالي ، رئيس وفد العراق من حيث المبدأ ، وهو المشروع الذي أعده للعرض على اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ، أما تفصيلات المشروع فإن مصر ستشترك في بحثها في اجتماعات اللجنة السياسية .

ويقتضى هذا المشروع باتحاد الدول العربية في شئون الدفاع والمالية والتعليم والاقتصاد والسياسة الخارجية .
وقد انتهت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية أمس من مناقشة آخر تطورات القضية المصرية ، كما عرضها في الاجتماع الدكتور محمود فوزى ، وزير الخارجية .

وقد صرح بذلك الدكتور فاضل الجمالى رئيس وفد العراق ، وتفرعت عن اللجنة السياسية في اجتماعها أمس لجنة فرعية من سفراء الدول العربية برياسة الأستاذ سامى أبو الفتوح ، وكيل وزارة الخارجية .
ووافقت اللجنة على صيغة الرد الذى سترسله حكومة الأردن إلى سكرتيرية الأمم المتحدة ، والذى سترفض فيه طلب الأمم المتحدة لإجراء مفاوضات مباشرة مع إسرائيل .

وعرضت الصيغة على اللجنة السياسية ، فأقرتها في هذا الاجتماع .

اجتماع اللجنة

وكتب مندوب « الأخيار » للشئون العربية ما يلى :

عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية أولى اجتماعاتها في وزارة الخارجية في الساعة الخامسة بعد ظهر أمس برياسة الدكتور محمود فوزى ، وزير الخارجية المصرية ، وحضور سائر وزراء الوفود العربية ، ووزراء خارجيتها ، والأستاذين عبد الخالق حمصونة الأمين العام ، وأحمد الشقيرى الأمين المساعد .

كلمة محمود فوزى

واستهل الدكتور فوزى الاجتماع بكلمة رحب فيها بالوفود العربية باسم الجمهورية العربية المتحدة ، وتمنى لهم التوفيق في مهمتهم ، وأكد أن كل ما ترجوه مصر لشقيقةها العربية هو السيادة الكاملة ، والتحرر من كل

نفوذ أجنبي ، وأن تسعد الشعوب العربية بوحدها وحريتها ، وأن مصر لن تدخر وسعاً في هذا السبيل ، حتى تغدو الأمة العربية خفاقة الأعلام في البر والبحر ، مرفوعة الكرامة في الشرق والغرب .

وأشار إلى فلسطين ، فوصفها بالشقيقة الشهيدة المظلومة ، وأنها يجب أن تعاد كما كانت ، وينعم بها أهلها المشردون في كل قطر .

مناقشة القضايا الكبرى

وعقب ذلك انصرف الأعضاء إلى دراسة الموقف الدولي وتطوراته في الأمم المتحدة ، وموقف الدول الكبرى من القضايا العربية ، وفي مقدمتها القضية المصرية .

بحث القضية المصرية

وظلت المناقشة نحو ساعة في هذا الشأن ، ثم بدءوا في بحث القضية المصرية وموقف بريطانيا منها .

الانقسام إلى ثلاث لجان

وفي نحو الساعة السابعة والربع انقسمت اللجنة السياسية إلى ثلاث لجان: الأولى من وزير الخارجية المصرية مع رؤساء الوفود العربية، وقد اجتمعوا نحو ساعة في مكتب الوزير ، وأطلعهم الوزير على تطورات القضية المصرية ، وظروف المباحثات مع بريطانيا ، وحضر هذا الاجتماع السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة .

واجتمعت اللجنة الثانية في مكتب الأستاذ سامي أبو الفتوح ، وكيل الخارجية مع بعض أعضاء الوفود ، ومعهم الأستاذ أحمد الشقيري الأمين المساعد ، وبعد ساعة انضمت هذه اللجان ، وواصلت بحثها ، وفي منتصف الساعة التاسعة أرفض الاجتماع، وصرح الأستاذ عبد الخالق حسونة الأمين العام بالبيان التالي :

« بدأت اللجنة السياسية مناقشتها الليلة للقضايا العربية الكبرى ، ومن بينها القضية المصرية ولم تفت المناقشة بعد ، وإن اللجنة ستستأنف اجتماعاتها في الساعة الرابعة من بعد ظهر غد - اليوم - لمواصلة أبحاثها ، .
وأضاف أن اللجنة بحثت أيضاً في قضية فلسطين وقضايا شمال أفريقيا .

العرب يؤيدون مصر

وذكر الأستاذ حسونة أن جميع الوفود العربية يساندون القضية المصرية ، ويؤيدونها تأييداً تاماً .

الجمالى لم يقدم مشروعه بعد

« وسئل عما تم بشأن موضوع اتحاد الدول العربية الذى يقترحه الدكتور فاضل رئيس الوفد العراقى ، فقال إن الدكتور الجمالى لم يقدم بعد أى شىء للجنة ، وأن أعضاء اللجنة طالعوا المشروع فى الصحف .

اقترح الجمالى

وكنا قد أشرنا أمس إلى الاقتراح الذى سيقدمه الدكتور فاضل الجمالى إلى مجلس الجامعة ولجنته السياسة ، وهو المشروع الخاص باتحاد الدول العربية ، وقد صيغ الاقتراح فى مذكرة خطية من صفحة واحدة فى حجم « الفولسكاب » وتبدأ بمقدمة عن أهمية الوحدة العربية ، وكيف أنها الأمل المنشود للشعوب العربية ، وأن العراق لا يرحب بتحقيق الوحدة فحسب ، بل يعمل على تحقيقها

وقد تضمنت المذكرة أن مصر فى عهدها الجديد قد اتجهت كذلك إلى الدعوة للوحدة العربية ، والعمل أيضاً على تحقيقها ، وأن الدول العربية لترحب بهذه الدعوة وتلبي نداءها ، ولذلك فإن العراق يرحب بالاتحاد مع كل دولة عربية ، ويعرض اقتراحه هذا تاركاً التفاصيل الخاصة بتنفيذه لتبحثها الدول العربية .

وجاء في المذكرة كذلك ، أنه من الطبيعي ألا يتيسر في الوقت الحاضر تحقيق الوحدة الشاملة بين جميع الدول ، ولذلك فإنه يمكن أن يبدأ بتحقيقها على مراحل ... وفي هذه الحالة تظل الجامعة العربية قائمة إلى أن تتم الوحدة المنشودة .

وطالب بأن يبدأ بتحقيق الوحدة بين دولتين أو أكثر ، وبعد ذلك تنضم بقية الدول العربية بالتتالي ؛

وبعد ذلك لخص فاضل الجمالي الفكرة ، فقال إنها تتركز في توحيد الدول العربية من حيث شئون الدفاع والسياسة الخارجية والشئون الاقتصادية والمالية والثقافية .

وختم الفكرة بقوله : وإنني أترك البحث في التفاصيل ، وفي تنفيذ الفكرة إلى الدول العربية ، لتقرر ما تراه .

* * *

من هذا النموذج الذي قدمناه للماجريات الدبلوماسية تتضح لنا الخطوات التي ينبغي اتباعها في كتابة هذا النوع ، وتتلخص هذه الخطوات فيما يلي :

أولاً - دراسة موضوع التقرير دراسة جيدة من جانب المحرر الصحفي الذي عهدت إليه الصحيفة بكتابته ، وبدهي أن هذه الدراسة لازمة لمعالجة مثل هذا التقرير ، ولفهم القضايا السياسية التي يعرضها الأعضاء المشتركون في هذا المؤتمر الدبلوماسي أو ذلك .

ثانياً - حضور الجلسات التي يعقدها المؤتمر إذا كان ذلك ممكناً ، لأن كثيراً من هذه الجلسات يكون سرياً ؛ كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ، ولكن هذا لا يمنع الصحفي من الوجود في مكان المجتمع ، والترصص بالأعضاء لكي يتصيد كل ما يمكن من الأخبار ، ويلقي الأسئلة على من يراه منهم ، ويبدل في ذلك كل جهد مستطاع .

وهكذا يستطيع المحرر الصحفي أن يجمع المعلومات والقرارات والأحداث والبيانات حول موضوع التقرير الذي يريده .

ثالثاً - المبادرة بكتابة هذا التقرير ، وهو حديث عهد به وبالحوادث التي اكتشفتها والجو الذي حصل فيه مستعيناً في ذلك « بأرشيف الصحيفة » ، إذا كان هناك ما يدعو إلى هذه الاستعانة ، وذلك لتوضيح بعض ملاسبات الموضوع ، وصلة هذا الموضوع بقرارات وبيانات سابقة .

رابعاً - يراعى في كتابة التقرير أن يكون على شكل يقرب من القصة الخبرية في الصحيفة ، بمعنى أن يكون له «صدره ، و«جسمه ، أو «صلب» ، مع ملاحظة الفرق بين القصة الخبرية ، والتقرير الصحفي ؛ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وخلاصة هذا الفرق أن التفاصيل في القصة الخبرية ليست لها نفس الأهمية التي للتفاصيل في الماخرات الصحفية ، وذلك أن التفاصيل في القصة الخبرية يمكن الاستغناء عن بعضها متى أدت ظروف الطباعة فن وإخراج الصحيفة إلى ذلك ، بحيث لا تتأثر القصة الخبرية نفسها بهذا الإجراء ، أما التفاصيل في الماخرات الصحفية فكلها ضرورية ، وإذا حذف شيء منها ظهر أن هذه الماخرات مبتورة برأ واضحاً للقراء .

على أنه إذا رأت الصحيفة أن مساحة التقرير كبيرة ، ففي هذه الحالة يمكن أن يختصر جزء من هذا التقرير بطريقة فنية لا آلية ، بشرط ألا يحذف هذا الجزء جملة ، على نحو ما يحدث في «فن المقال» بوجه عام .

خامساً - أما القرارات والبيانات الرسمية ونحو ذلك فأشياء لا يستطيع المحرر الصحفي أن يتصرف فيها على نحو ما .

ذلك أن هذه المواد تعتبر وثائق رسمية يرجع إليها يوماً ما ، وغاية ما هنالك أنه يمكن للمحرر أن ينشر هذه المواد مستقلة عن التقرير نفسه ، وفي مكان بالصحيفة قريب من مكان هذا التقرير .

الفصل الثالث عشر

الماجريات الدولية

ليس من السهل في حقيقة الأمر أن يفصل الباحث فصلاً تاماً بين الماجريات الدبلوماسية ، والماجريات الدولية ، فكل من هذين النوعين من الماجريات إنما يقوم على السياسة الخارجية للحكومة بوصفها ذات مصالح وعلاقات خاصة بالدولة الأخرى ، أو بعبارة أخرى : بوصفها عضواً من أعضاء الأسرة الدولية في العالم أجمع .

غير أن الفرق الأوضح بين النوعين : أن الأول — وهو الدبلوماسية — أضيق نطاقاً من الثاني ، وهو الدولي ، فكل دولة — كما سبقت الإشارة إلى ذلك — تدور في فلك دول أخرى قريبة منها في الاتجاه السياسي ، أو تدور هذه الدول معها في هذا الفلك السياسي ، فحيث تعقد المؤتمرات بين رؤساء هذه الدول المتشابهة في السياسة أو بين وزراء الخارجية فيها — فهذا هو الماجري الدبلوماسية ، وحيث تعقد الاجتماعات الدولية الكبيرة التي تشترك فيها الدول بصفة عامة ؛ فتلك هي الماجريات الدولية . . . ومع هذا وذلك لا يزال الفصل بين النوعين فصلاً تاماً في غير مقدور البحث العلمي إلى يومنا هذا .

ففي الوقت الذي نكتب فيه هذا الكتاب حضرت إلى مصر لجنة خماسية يرأسها المستر روبرت مانزيس R. menzis رئيس الوزارة الأسترالية ، وكان ذلك في أرائل شهر سبتمبر سنة ١٩٥٦ ، وقد جاءت هذه اللجنة لتفاوض رئيس الجمهورية العربية المتحدة في أمر «تحويل قناة السويس» ، وقبلت مصر المفاوضات ؛ ولكن على غير هذا المبدأ ، لأن مصر كانت قد برغت من تأميم القناة ، وبقيت مصممة على موقفها هذا إلى اليوم .

فهل نعتبر هذه اللجنة التي أشرنا إليها مؤتمراً دبلوماسياً ؟ أم نعتبرها مؤتمراً دولياً ؟ .

الواقع أنها تعتبر مؤتمراً دولياً دبلوماسياً في وقت معاً .
ومثل ذلك يمكن أن يقال بالقياس إلى مؤتمر لندن ، وهو المؤتمر الذي عقد في أغسطس من السنة المذكورة ، وكان قوامه ثلاثاً وعشرين دولة اجتمعت بلندن للنظر في نفس المشكلة المتقدمة ، وهي مشكلة قناة السويس ، فهو يعتبر في نظرنا إذا صبغة مزدوجة .

أما الماجريات التي تختص بجميع المنظمات الدولية : مثل عصبة الأمم فيما مضى ، ومؤتمر نزع السلاح ، وجلسات الأمم المتحدة بقرورها المختلفة (١) ومؤتمر السكتلة الآسيوية الأفريقية الذي اجتمع في باندرنج ، وغيرها من الاجتماعات العامة التي يباح للصحفيين حضورها في الأعم الأغلب ، فكلها مجتمعات دولية بحتة ، والتقارير التي تسكتب عنها تعتبر من الماجريات الدولية التي لاشك في دوليتها .

وقد اخترنا أن نضرب المثل هنا بالمؤتمر الذي عقدته السكتلة الآسيوية الإفريقية ، وهو :

مؤتمر باندرنج

هو المؤتمر الذي تألف من الدول الآسيوية والأفريقية التي تجمعها غاية واحدة ، هي الوقوف بين السكتلتين الشرقية والغربية ، كما تسعى لتحقيق هدف معين ، هو محاربة الاستعمار ، وتحقيق التعاون بينهما في الميادين الاقتصادية ، والثقافية ، والسياسية .

(١) وهذه الفروع حسب ورودها في ميثاق الأمم المتحدة هي :
١ - الجمعية العامة ٢ - مجلس الأمن ٣ - المجلس الاقتصادي والاجتماعي
٤ - مجلس الوصاية ٥ - محكمة العدل الدولية ٦ - الأمانة .

ولأن هذا المؤتمر يعتبر في الواقع أجل حادث سياسي في إعام ١٩٥٥، فقد اخترناه مثلاً من أمثلة الماكرات الدولية . وسنعمد في ذلك على صحيفة «الأهرام» الصادرة في يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر أبريل من السنة المذكورة، وقد صدرت يومئذ وفي صفحتها الأولى هذه العنونات الكبيرة التالية :

مؤتمر باندونج يقر مبادئ السلام العالمى

مناشدته العالم خفض القوات المسلحة

وتحريم استخدام أسلحة الدمار الشامل

الرئيس جمال عبد الناصر يشيد بنجاح المؤتمر في جلسته الختامية

ثم قالت الأهرام :

انتهت أمس في باندونج اجتماعات المؤتمر الأفريقى الآسيوى الأول، وقد أجمعت الدول السبع والعشرون التى اشتركت فيه على اتخاذ قرارات في مختلف المسائل التى بحثها، وفي مقدمتها برنامج لتحقيق السلام العالمى تضمن عشرة مبادئ، وهى :

- ١ - احترام حقوق الإنسان ، وميثاق الأمم المتحدة .
- ٢ - احترام سيادة جميع الدول ، ووحدها .
- ٣ - الاعتراف بحق المساواة بين جميع الأجناس ، والقوميات .
- ٤ - عدم التدخل في شئون الدول الأخرى .
- ٥ - حق كل دولة في الدفاع عن نفسها بمفردها ، أو بالاشتراك مع غيرها ، طبقاً لميثاق الأمم المتحدة .
- ٦ - الامتناع عن استخدام أية تدابير ، أو اتفاقات جماعية لصالح

(م - ٣٢ المدخل)

آية دولة من الدول الكبرى ، والامتناع كذلك عن المنغط على الدول الأخرى .

٧ - الامتناع عن أعمال التهديد ، أو العدوان ، أو استخدام القوة من جانب أية دولة .

٨ - تسوية كل المنازعات الدولية بالطرق السلمية .

٩ - تنمية المصالح المتبادلة ، وزيادة التعاون .

١٠ - احترام العدالة ، والالتزامات الدولية .

وفيما يلي ما تلقيناه من الجلسة الختامية للمؤتمر :

باندونج في ٢٤ :

من ممدوح طه مندوب «الأهرام» الخاص ، وجييون سيموندز مراسل «الأهرام» الخاص :

ارفض مساء الجمعة المؤتمر الآسيوي الأفريقي الأول ، وأعلن في البيان الرسمي الذي صدر بهذه المناسبة أن الدول السبع والعشرين التي اشتركت فيه وافقت بالإجماع على القرارات التي اتخذت بشأن كل المسائل التي بحثتها .

عقد المؤتمر مرة أخرى

وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد عرض على المؤتمر أن يعقد اجتماعه القادم في القاهرة ، واقترح شوين لاي في جلسة اليوم أن ينعقد المؤتمر مرة أخرى ، وقد وافق المؤتمر على ذلك ، ولكن دون تحديد موعد الاجتماع ومكانه .

التنديد بالأسلحة الذرية

وقبل أن يعقد المؤتمر جلسته الأخيرة قامت لجنة فرعية بإعداد صيغة البيان الرسمي عن أعمال المؤتمر ، بينما أعدت لجنة أخرى صيغة قرار بالتنديد بالأسلحة الذرية .

تقرير اللجنة الاقتصادية

وكانت اللجنة الاقتصادية قد انتهت من أعمالها، وأعدت تقريراً بذلك تجنبت أن تشير فيه إلى مسألة حظر تصدير المواد الاستراتيجية من الدول الغربية إلى الصين الشيوعية .

قيود التعليم بالمغرب العربي

ونددت اللجنة القافية في تقريرها ببعض الدول الاستعمارية التي لا تزال تحرم الشعوب الخاضعة لها من الحقوق الأساسية ، ولا سيما فيما يتعلق بالتعليم ، كما هو الحال في تونس ، والجزائر ، ومراكش - بحيث تحرم فرنسا شعوب تلك البلاد من تعلم لغتهم الأصلية ، وهي اللغة العربية .

التنديد بالاستعمار

كانت الدول المناهضة للشيوعية في اللجنة الفرعية المكلفة بوضع صيغة قرار المؤتمر عن التنديد بالاستعمار - متمسكة بوجود النص في القرار على التنديد أيضاً بأعمال التسلسل السياسي ؛ والحركات الهدامة .

ولكن الدول الأخرى - ومنها الصين ، والهند ، ومصر ، وبورما ، وسوريا وغيرها - رأت أن يكتفي بالنص في القرار على الاستعمار في كل أشكاله ، بدون الإشارة إلى أعمال التسلسل السياسي ، والحركات الهدامة ، على اعتبار أن ذلك موضوع آخر لا علاقة له بالاستعمار .

وقد اجتمعت هذه اللجنة اليوم وتمكنت - بعد مناقشات طويلة ، وتبادل في وجهات النظر - من الاتفاق بالإجماع على الاكتفاء بالنص في القرار على التنديد بالاستعمار بكل أشكاله ومظاهره (١) .

(١) كان المقصود من إضافة العبارة « بكل أشكاله ومظاهره » انتهاء الخلاف الذي نشب بين أعضاء اللجنة حول تحديد معنى كلمة « الاستعمار » ، إذ رأت بعض الدول المرتبطة بالأحلاف الغربية أن هذا المعنى يشمل العلاقة بين الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية (راجع تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية عن مؤتمر بانجو)

وكان السودان ، وليبيا ، ولبنان من الدول التي تضامنت مع العراق ،
وتركيا وغيرها من الدول المناهضة للشيوعية .

معجزة في آخر لحظة

وكان قد بدا للكثيرين أن لا سبيل للاتفاق ، وخاصة بعد أن طالت
المناقشات واقترب الموعد المحدد لعقد الجلسة الختامية للمؤتمر ، وشاع أن المؤتمر
سينظر إلى إرجاء جلسته الختامية ، ولكن حدثت معجزة في آخر لحظة
بعد أن رأَت الوفود المختلفة أنه لا بد من أن يصدر المؤتمر قراراً يندد
فيه بالاستعمار بأى شكل ، وإلا فإن الرأي العام العالمي سينظر إلى المؤتمر
على أنه قد أخفق ، ولم يتفق أعضاؤه فيما بينهم على المسألة الرئيسية التي
اجتمعوا من أجلها ، وهي مسألة الاستعمار !

التعاش السلي

وتعرضت اللجنة المكلفة بإعداد صيغة القرار الخاص بالمعايشة
السلية بين مختلف النظم السياسية لصعوبات مماثلة ، ولكنها تغلبت عليها
في النهاية .

ويقول المراقبون السياسيون : إن موافقة المؤتمر على إسقاط عبارة
« أعمال التسلل السياسي والحركات الهدامة » من القرار الخاص بالتنديد
بالاستعمار يعد نصراً للشيوعيين ، ومن تضامنوا معهم ، ومعنى هذا أن
الدول الموالية للغرب ، والمناهضة للشيوعية اضطرت في النهاية إلى التسليم
بوجهة نظر معارضينا .

برنامج لتحقيق السلام

ووافق المؤتمر على برنامج لتحقيق السلام في العالم ، ويتألف هذا
البرنامج من النقاط العشر الآتية :

« ثم ذكر المحرر الصحفى القرارات العشرة التى ذكرها فى مقدمة التقرير ، »

كلمات الوفود

ولما عقد المؤتمر جلسته الختامية فى المساء أبدى نحو عشرين وفداً برغبتهم فى إلقاء كلمات لمناسبة انتهاء أعمال المؤتمر ، وتم الاتفاق على تخصيص خمس دقائق لكل وفد .

كلمة وفد الأفغانستان

وكان أول الخطباء فى هذه الجلسة السردار محمد نعيم وزير خارجية أفغانستان وقد استهلها بقوله :

« لقد جئنا إلى هذا المؤتمر وقلوبنا مليئة بأمل عظيم ، ونحن نغادره اليوم وقلوبنا مفعمة بأمل عظيم ، »

ثم قال : « لقد أوضحت الدول الآسيوية الأفريقية المشتركة فى هذا المؤتمر أن رغبتها هى ذات الرغبة المشتركة لصون السلم والمعارف الإنسانية ، »

كلمة وفد أندونيسيا

وتكلم بعده السيد على ساسترو إمام جو جو رئيس وزراء أندونيسيا فقال :

« إن المؤتمر لم يتخذ قراراً يقيم الأرض ويقعدها ، أو يخلق عهداً جديداً ، ويكاد هذا لا يشير أية دهشة ، فالغرض الذى من أجله وجهت الدعوة إلى هذا المؤتمر هو اجتماع زعماء الدول الآسيوية ، والأفريقية لتبادل وجهات النظر بغية تحقيق تفاهم أفضل ، وهذا هو ما فعله المؤتمر ، »

وأردف قائلاً : « إن مناقشاتنا قد أظهرت بعض الخلافات ، وتعارضاً فى الآراء ، وكان لا بد أن نتوقع هذا ، نظراً لآساع الرقعة الجغرافية التى تشغلها الدول الممثلة هنا ، وفى هذا العالم المضطرب الذى تسوده الشكوك

وعدم التفاهم يجب أن نعتبر أى تحقيق وأى تفاهم فى أى جزء منه مرحلة فى سبيل التقدم .

كلمة شواين لاي

وتكلم بعده شواين لاي رئيس حكومة الصين الشيوعية ؛ فبدأ خطابه بالإعراب عن شكره لدول «كولومبو» الخمس صاحبة فكرة الدعوة إلى هذا المؤتمر، ثم وجه التحية إلى رجال الحكومة الأندونيسية التى استضافت وفود المؤتمر ، وإلى رئيس هذه الحكومة السيد على ساستر وأמיד جوجو .

ومضى فقال : « إن المؤتمر سيكون له أثره العظيم فى المساعدة على مقاومة الاستعمار ، وتأمين السلم ، وتحقيق المزيد من التفاهم ، وإن أهميته تتضح بما أسفر عنه من تفاهم بين الدول الآسيوية والأفريقية ، واتفاق على بعض المسائل الكبرى . »

ثم قال : « إن هذا المؤتمر قد أظهر الحقيقة الواقعة ، وهى أن وجهات نظرنا متباينة فيما يتصل بالكثير من المسائل ، وقد ناقشنا جانباً من هذه الخلافات ، ولكنها لم تمنعنا من الوصول إلى اتفاق مشترك على الخطوات المؤدية إلى السلم العالمى ، والاتفاق على المسائل الاقتصادية . »

ثم أشار إلى أن شعور الدول الآسيوية والأفريقية يشارك بعضها بعضاً ذات المصير؛ وذات الرغبات، وعرض لموقف حكومته من عدة مسائل يتناولها البيان المشترك فقال :

إن الشعب الصينى يعرب عن عطفه التام ، وتأييده الكامل لشعوب مراکش ، وتونس ، والجزائر ، فى كفاحها للفوز بالحكم الذاتى ، وكذلك اللاجئين العرب الذين يعملون على نيل حقوقهم الإنسانية .

وأعرب شواين لاي أيضاً عن عطف الصين الشيوعية على أندونيسيا فى جهودها لتحرير غينا الجديدة من الاستعمار .

وقال إن القرارات التى اتخذها المؤتمر بشأن هذه المسائل وغيرها ،

يساعد على إزالة ما هناك من توتر بسببها ، ثم تحدث عما تقتضيه الضرورة من تنفيذ أصحاب الشأن في الهند الصينية للاتفاق الذي تم في جنيف ، كما قال بوجود عمل ذوى الشأن في كوريا على الوصول إلى حل عاجل لمشكلات هذه الدولة المجرأة .

وهنا أكد شواين لاي حق بلاده في تحرير فرموزا ، فقال :

« إن الصين والولايات المتحدة يجب أن تتفاوضا وتعملا معاً على إزالة التوتر القائم في الشرق الأقصى ، وخاصة في نايوان ، فرموزا ، ، وبديهي أن هذا لا يؤثر بحال من الأحوال في مطالب الشعب الصيني العادلة ، وهي استخدام ماله من حقوق السيادة في تحرير نايوان ، فرموزا ، .
وأخيراً قال شواين لاي :

« إنى آمل أن تتكرر كثيراً الاتصالات بين الدول الآسيوية والأفريقية ، وأن تجرى الاتصالات الودية بين شعوب هذه الدول ، .
واختتم كلمته بالإعراب عن أمانه الطيبة لجميع أعضاء الوفود ، وسلامته العودة إلى أوطانهم .

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

وألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً في هذه الجلسة الختامية ضمنه رأيه في المؤتمر ، وشكره للدول الداعية إليه ، والدولة المضيفة ، هذا نصه :

« إن مؤتمرنا يقترب من نهايته بعد مداورات ودية مثمرة استغرقت ثمانية أيام ، وقد سبقت هذه الأيام الثمانية استعدادات واسعة النطاق ، وجهود بدأتها السكرتيرية المشتركة للمؤتمر ، فكانت عظيمة الفائدة حقاً . ولا شك في أن مؤتمرنا قد أحرز نجاحاً عظيماً ، لأن السلم والتعاون الدولى سيفيدان فائدة عظيمة من التضامن والانسجام اللذين كشفت عنهما قراراته ، وأن قضية السلم تستمد إلهاماً عظيماً مما أبدته جميع الدول

الآسيوية والأفريقية من اهتمام بالغ ، وتأييد تام فيما يتصل بمسألة حقوق الإنسان ، وحق تقرير المصير .

ثم قال : إن كثيراً من الفضل في نجاح المؤتمر يرجع للجهود الشخصية للسيد علي ساستروجو رئيس المؤتمر ، وإلى خبرته ، وطول أناته ، كما أن روح أعضاء الوفود التي اتسمت بطول الأناة ، والرغبة في التوفيق ساعدت في جعل مداولاتنا تنهج نهجاً إنسانياً في الأوقات التي بدا فيها ألا مندوحة من وقوع الخلاف !

واختتم الرئيس عبد الناصر كلمته بشكر الحكومة الأندونيسية على ما أظهرته من كرم الضيافة . وشكر الدول الداعية إلى المؤتمر لا تخاذها الخطوة الأولى في سبيل عقده .

* * *

بهذه الطريقة السابقة كتبت الأهرام ، في صفحتها الأولى تقريرها عن هذا الماجرى الدبلوماسي ، الخطير الذي تمخض عن القرارات العشرة لمؤتمر باندونج .

وقد اتبعت الصحيفة في كتابة هذا التقرير على وجه التقريب نفس الطريقة المتبعة في كتابة الخبر ، ومعنى ذلك أنها جعلت للتقرير عنواناً رئيسياً كبيراً هو :

مؤتمر باندونج يقرر ١٠

مبادئ لصون السلام العالمي

ثم أعقب ذلك بعنوانات هي :

• مناقشته العالم خفض القوات المسلحة

• وتحريم استخدام أسلحة الدمار الشامل

الرئيس عبد الناصر يشيد بنجاح المؤتمر في جلسته الختامية
وعلى أثر ذلك أتت الصحيفة على القرارات العشرة التي هي ثمرة هذا
المؤتمر .

ومن كل ما سبق تألف ما يسمى « بصدر الخبر » ، أو « المساجري » ، ثم
انتقلت « الأهرام » ، من ذلك إلى « الجسم » ، أو « الصلب » ، أو « التفاصيل » ،
فأينها تجعل لكل تفصيل منها عنواناً خاصاً ، حتى إذا وصلت إلى الجزء
الخاص بالقرارات العشرة أولته عناية تامة ، وعادت تكتب هذه القرارات
« بالبنط ، الأسود ، أو الظاهر » ، وأعطت لكل قرار منها رقماً مستقلاً به .
ثم عنى التقرير بعد كل هذا بالختامية ، وقد اقترنت هذه الختامية بكلمات
رؤساء الوفود . وقد اكتفى المحرر الصحفي بأربع كلمات منها كلمة رئيس
الحكومة المصرية وبها انتهى التقرير .

* * *

على أن مؤتمر باندونج - بالرغم من سعة رقعته ، وببل غايته -
يعتبر نموذجاً صغيراً للماجريات الدولية ، وذلك إذا قيس بالاجتماعات
الكبيرة التي تعقدها هيئة الأمم المتحدة وتدعو إليها أكثر دول العالم
كاه ، بما في ذلك دول الكتلة الشرقية ، ودول الكتلة الغربية ، ودول
الكتلة الآسيوية والأفريقية التي عقدت أول مؤتمر لها في « باندونج » .
ولعل من أوضح الأمثلة على جلسات هيئة الأمم منذ نشأتها إلى اليوم
تلك الجلسات العاصفة التي عقدتها الهيئة بسبب « أزمة قناة السويس » ،
وذلك منذ شهر أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

على أن هيئة الأمم المتحدة لم تشهد أخطر ولا أعنف من الجلسات التي
عقدتها في أوائل نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وذلك على أثر العدوان الثلاثي المسلح
على مصر ، وهو العدوان الذي دبرته كل من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل
في التاسع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٥٦ .

غير أن هذه الجلسات العنيفة الخطيرة التي نشير إليها قامت بتسجيلها — على شكل « ماجريات دولية ، — إذاعة الحكومة المصرية بما لم يدع للصحف الوطنية أية فرصة لمنافستها في ذلك .

والذي لاشك فيه أن الإذاعة المصرية كانت تفرض شخصيتها على هذه. الماجريات الدولية ، بل كانت تتدخل في طريقة عرض الماجريات بما يتفق ووجهة النظر المصرية البحتة ، وكان من حقها أن تفعل ذلك وأكثر منه وراء غاية هامة ، هي تعبئة الشعور القومي الذي كان من أكبر واجبات الصحافة والإذاعة في مصر والشرق في مثل ذلك الظرف .

الفصل الرابع عشر

تحرير الصورة والإعلان

انتهينا من الحديث عن التحرير بفنونه المختلفة : من خبر ، إلى مقال ، إلى تقرير ، وبقيت كلمة أخيرة عن تحرير الصورة ، وأخرى عن تحرير الإعلان ، ومحور الأولى يعرف في الأسرة الصحفية « بمحرر الصورة » ، والمحور الثاني يعرف « بمحرر الإعلان » .

أهمية الصورة

من المعروف أن المعلومات التي تصل إلينا عن طريق الصور والرسوم ربما كانت أوضح من المعلومات التي تصل إلينا عن طريق الكلمات المكتوبة ، لأن هذه الأخيرة تتميز بطبيعتها الرمزية .

بل إن المعاني التي تعطيها الصور والرسوم قد تكون أقل قابلية للخطأ وسوء الفهم من المعاني التي تعطيها الكلمات المكتوبة ، ثم إن الجاذبية التي نشعر بها نحو الصور والرسوم تضمن إطالة التذكر للشيء الذي تعبر عنه هذه المواد .

ونحن نعرف أن الحياة نفسها مليئة بالخبرات العاطفية التي لا تستطيع الكلمات وحدها أن تصف واحدة منها ، وذلك كما في حالة الجندي في أثناء تعرفه لئيران الأعداء في إحدى المعارك الحربية ، وكما في حالة إنسان سبق أفراده في تسلق جبل شاهق ، وكما في حالة إنسان فقد بصره أو سمعه ونحو ذلك . إن الخبرة السابقة الحسنة والمقدرة اللغوية البالغة هما شرطان لفهم المشاعر الدقيقة والمعاني الكثيرة التي تنطبق عليها الإجراءات العاطفية المعقدة .

وكثيراً ما نخرج الصور بالألفاظ كما في الصحف المصورة ونحوها ، وكذلك تحتاج الصور الصحفية إلى قدرة في كتابة الألفاظ المعبرة عنها، وهو ما يسمى بتحرير الصورة .

ومع هذا وذاك فإن هناك أنواعاً من الصور الممتازة بوضوحها ، قادرة على التعبير عن نفسها بنفسها بحيث لا تحتاج في الحقيقة إلى توضيح ما ، والمثال على هذه الأنواع يوجد في مجموعة الصور المعروفة باسم « أسرة الإنسان » ، وهي تمثل كل أنواع المجلس البشري في أجزاء كثيرة من العالم ، وتعبّر بالرسم عن « الأخوة البشرية » ، دون حاجة إلى توضيحات لفظية ، إلا أن أمثال هذه الصورة القوية الدلالة الشديدة الوضوح نادرة ، ومعنى ذلك أن حاجة الصورة إلى التحرير أو إلى الألفاظ التي تساعد على فهمها لتبقى حية لا يفتى عنها إلى الأبد .

إن الصور بمدلولها الواسع تعتبر بلا ريب لغة عالمية ، شأنها في ذلك شأن الموسيقى ، ولذا أثر عن الفيلسوف « كوفنشيوس » ، أنه قال : إن صورة واحدة تدل ألف كلمة .

ولا يخفى علينا ما للصورة من قدرة على نحو « الأمية البصرية » ، إذا صح هذا التعبير ، فإن كثيراً من الناس يعرفون من خلال الصور شيئاً غير قليل من عادات الشعوب البعيدة ، وماله دراية بالحياة التي تتبعها ونحو ذلك . وتعتبر الصورة في الصحافة من أهم وسائل الإعلام والإيضاح في وقت ما ، بل إنها تعتبر كذلك من أكبر أدوات الإثارة والتوجيه والإرشاد وذلك كله فضلاً عن الإعلان .

وتنوع الصور الصحفية تنوعاً كبيراً : فهناك صور الشخصيات وصور الأماكن ، وصور التجارب ، وصور المواقف الإنسانية ، وصور الألعاب الرياضية ، وهكذا تستعمل الصور في الصحف على أوسع نطاق ممكن حتى يخيّل إلى الصحفي أنه بحاجة إلى أن يضع الصورة بجوار كل فقرة جديدة .

أو كل خبر صغير أو كبير ، أو كل شخصية يأتي ذكرها في كلامه ، أو كل فكرة أو حقيقة ولو لم تكن في حاجة إلى التوضيح وهكذا ، والسبب في ذلك أن الصورة تضيء على العبارات حيوية ومعنى وإحساسا وعاطفة ونحو ذلك .

على أن الصورة التي تعنى بها الصحف عادة هي التي تعبر عن حركة أو موقف أو موضوع ، ولذلك تستخدم الصورة عادة في الأحوال التي يحتاج الإيضاح فيها إلى عامل الحركة أو عامل الإيضاح ، بل يمكن استخدام مجموعة من الصور لبيان حركة معينة أو عدة حركات ونحو ذلك .

يقول اللورد نور تكليف :

« ربما كان التحرير المصاحب للصورة من أشق الأعمال الفنية في الصحافة ، وهو كذلك في الحقيقة ، فلا يقف التعليق على الصورة عند وصف ما فيها من الأشخاص ، أو المعالم أو المناسبات ، ولكن يجب أن يضيف المحرر إلى هذا الوصف شيئاً آخر ، فيضيف إلى اسم صاحب الصورة مثلاً أنه عالم من العلماء المعدودين في نوع خاص من العلوم ، أو أنه لاعب كرة ممتاز بمهارته في الأوساط الرياضية ونحو ذلك . »

كذلك يجب على محرر الصورة أن يلفت نظر القارئ إلى مركز الأهمية في الصورة بطريقة لا شعورية ؛ بحيث يشعر القارئ أنه إنما ينظر من تلقاء نفسه إلى تلك النقطة الهامة في الصورة التي أمامه .

ثم إن أسلوب تحرير الصورة يحتاج كذلك إلى توفر عوامل الجذب والتشويق ، وإلى حسن اختيار اللفظ المناسب ، المشتغل على أكبر قدر ممكن من التعبير ، وكثيراً ما يوفق محرر الصورة إلى أن يكتب تحتها حكمة من الحكم البالغة ، أو مثلاً من الأمثال السائرة ، أو عبارة من العبارات الكثيرة الورد على لسان صاحب الصورة المنشورة في الصحف ، أو جملة من الجمل تدل على إحدى لوازمه وهكذا .

ولا يتسنى لمحرر الصورة ذلك إلا إذا كان على حظه ما من الثقافة والاطلاع في السياسة ، وفي الأدب ، وفي التاريخ والاجتماع ، والوقوف التام على طبقات المجتمع وما تمتاز به كل طبقة من حيث الزي ، أو التقاليد ، أو الأخلاق ، أو العادات .

إن محرر الصورة - سواء أ كانت شمسية أم كاريكاتورية - يجب أن يكون ممتازاً بصفات لا تقل في مجموعها عن الصفات التي يتحلى بها محرر التحقيق الصحفي ، وبذلك يستطيع أن يقوم بهذا العمل الفني الذي تعرف له الصحافة مكانته وخطورته ، وتقدر له دقته ، وصعوبته ، وتختار له من المحررين من يتوافر فيه الشعور الكامل بكل هذه الأشياء .

والصور (Guts) عنصر هام في الصحافة الحديثة ، وهي تشمل الصور الفوتوغرافية ، والرسوم البيانية ، والخرائط ، والكاريكاتير ، وما إليها . وإذا كانت بعض الصور تنشر للتجميل ، أو لأنها تمثل شخصيات تدور حولها المادة الصحفية ، فإن بعض الصور كذلك تستطيع أن تحل محل الكلمات فتنتقل إلينا خبراً أو رأياً .

والصورة التي تنقل الخبر هي الصورة الفوتوغرافية التي التقطت لإحدى لحظات الحدث المعبرة . أما الصورة التي تنقل الرأي فهي الكاريكاتير الذي ينقد في سخرية شخصاً أو فكرة .

ولعل أول صورة صحفية في تاريخ الصحافة المصرية هي الصورة التي نشرت في الأهرام ، في الرابع من شهر مارس سنة ١٨٨١ - وهي صورة فرديناك دليسبس ومعه طفلة ، ثم كانت « الجريدة » أول صحيفة تستخدم صوراً فوتوغرافية للأشخاص والأماكن مع الأخبار والحوادث الهامة ، وكان ذلك ابتداء من الثامن والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩٠٨ .

ولما كان الإعلام أهم وظائف الصحف في العصر الحديث ، فقد

أصبحت الصورة الخبرية تتمتع بمكانة ملحوظة بين مواد الصحافة ، وزاد من اهتمام الصحف بنشر الصور الخبرية نجاحها في وسائل الإعلام الأخرى التي تعتمد عليها ، وهي : المجلة والسينما ، والتلفزيون .

ولا مبالغة في القول بأن الصورة قد تكون أفضل من ألف كلمة ، فإن آلة التصوير الحديثة تستطيع أن تسجل من اللقطات الباردة ، والمشاهد المعبرة ما يعجز الكلام عن وصفه مهما بلغ من الفصاحة والبيان .

فلا غرو بعد هذا أن أصبح المصور الصحفي الحديث محروماً ومصوراً يتخير اللقطات التي تنقل إلى القارئ خبراً ، أو تيسر لذهنه استحضار مشهد معين ، وكذلك أصبح المراسل الحديث يجيد التصوير حتى لا يفوته استخدام عدسته كما يستخدم قلبه .

والصورة الخبرية قد تكون مستقلة تروى بدقائقها وبما يصحبها من عبارات قليلة موضوعاً كاملاً ، كما أنها قد تصحب خبراً فتوضحه وتلقى الضوء على تفاصيله .

والكلام الذي يصحب الصورة ، Caption ، يراعى في عبارته دائماً أن تكون موجزة بقدر الإمكان ، فالأصل هنا ، هو الصورة ، والكلام مجرد التوضيح المختصر .

وقد أصبح من وظائف وكالات الأنباء في العصر الحاضر نقل الصور الخبرية - فضلاً عن نقل الأخبار - إلى مشتركها ، بل إن الصورة الخبرية أصبحت لأهميتها تنقل بالراديو حتى تحقق الغرض منها في سرعة الوصول إلى القارئ كالكلمة سواء بسواء .

وتعتمد وظيفة التسويق بدورها على الصورة اعتماداً كبيراً . وبما لا شك فيه أن الإعلان التجاري الحديث أصبح يعتمد على الصورة أكثر من الكلام لترويج ما يدعو إليه سواء أكانت صورة فوتوغرافية ، أم رسمياً يدوياً ، أم كاريكاتيراً .

وسأكتفي هنا بأن أضرب الأمثلة على تحرير « الصورة » بما نشر في صحيفة « السياسة الأسبوعية » التي كان يشترك في تحريرها الشيخ عبد العزيز البشري ، وقد مر ذكره في فصل عنوانه : « المقال الكاريكاتوري » :
الصورة الخاصة « بزيور باشا » كتب العبارة التي أشرت عن هذا الوزير ، وكانت مثاراً لسخرية المصريين في زمانه ، وهي قوله : « لإنقاذ ما يمكن إنقاذه » :
وتحت الصورة التي رسمت لعدلي يكن « باشا » كتب المحرر هذا البيت من الشعر :

لا مُعْنَى بكل شيء ولا كل عجيب في عينه بعجيب !

وتحت الصورة التي رسمت لعبد الخالق ثروت « باشا » ، وكان يعرف لشدة كتمانها باسم « أبي الهول » ، كتب المحرر :

لى فى ضمير الدهر سر كامن لا بد أن تستله الأقدار !

وفي الصورة التي رسمت للدكتور محبوب ثابت ، وكان معروفاً بتعدد شخصياته ، كتب المحرر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد !

وتحت الصورة التي رسمت لإسماعيل سرى « باشا » كتب المحرر هذه العبارة :

لا أبالى إزاء نفع الأقارب والأصهار أجف النيل أم ذرت الأثمار !

وتحت الصورة التي رسمت لعبد الحميد سعيد « بك » ، من أعضاء الحزب

الوطني ، كتب المحرر هذا البيت من الشعر :

من أطاق التماس شيء غلاباً واغتصاباً لم يلتسه سؤالا

وتحت الصورة المرسومة لطلعت حرب ، مدشياً بنك مصر ، كتب

المحرر هذه العبارة لقاسم أمين :

« الوطنية الصحيحة تعمل كثيراً ، ولا تعلن عن نفسها ،
وتحت الصورة المرسومة لإسمايل صدقي « باشا » ، كتب المحرر هذه
العبارة :

(من ذخائر الأمم ١١)

وتحت الصورة المرسومة لمحمد محمود « باشا » ، وكان معروفاً بالشهم
والتكبر ، كتب المحرر :

وإني لمن قوم كان نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظما !
أما الصورة التي رسمت للشيخ أبي الفضل الجيزاوي ، شيخ الجامع
الازهر ، فسكتبت تحتها العبارة الآتية :
الحمد لله لم يبق إلا مائة ألف جنيه و ٥٠٠ سهم بنك عقارى قديم حتى
أنقطع لعبادة الله ؛ والزهد في الدنيا !

* * *

قد لا يدرك شباب الجيل الحاضر ما لهذه العبارات التي استعان بها
المحرر في تحرير الصورة السكاريكاتورية السابقة من قوة الدلالة ، لأنهم لم
يعاصروا شخصياتها ، ولكن الواقع أن كل عبارة كتبها محرر الصورة
جاءت ملخصة أحسن التلخيص للأوصاف التي لصاحب الصورة ، دالة
أقوى الدلالة على مغزاها ومرماها والقصد من نشرها ، أو نشر المقال
الذي كتب من أجلها ، وهل يستطيع ذلك إلا كاتب ماهر ألم بموضوع
الصورة إلماما جيداً ، وعرف ما حولها من الظروف والملابسات معرفة
جيدة ؟

وقل مثل ذلك في الصور التي تشتمل على المناظر ؛ أو الحوادث ، أو
ما يتصل بالأخبار ، أو التقارير الصحفية على اختلاف أشكالها ، فإن المحرر
في كل حالة من هذه الحالات محتاج إلى دقة بالغة ، ومهارة ظاهرة
في تحرير الصورة التي يجعلها مصاحبة للخبر ، أو التقرير الصحفى الذى
ينشره بالصحيفة .

من أجل ذلك ينبغي أن يتعاون المخبر ، أو محرر التقرير ، أو المقال مع محرر الصورة ؛ وبدون هذا التعاون لا يتم تحرير الصورة التي تعتبر جزءاً متمماً للتقرير أو الخبر أو المقالة ، وكثيراً ما يكون محرر الصورة هو كاتب الخبر أو التقرير أو المقالة ، وفي ذلك ما يدل دلالة صريحة على مدى التعاون الذي لا بد من وجوده بين هذين المحررين .

تحرير الاعلانات :

أما الإعلان - سواء أ كان في مجلة أم في صحيفة - فإنه يحتاج إلى استيفاء الخطط الأربع الآتية ، وهي :

أولاً - خطة تهدف إلى تشويق القارئ ، وجذب انتباهه للشيء المعلن عنه في الصحيفة .

ثانياً - خطة تهدف إلى مخاطبة وجدان القارئ ، حتى يشعر بالحاجة الماسة إلى الحصول على هذا الشيء المعلن عنه ، وإلى أنه سيسد حاجة قوية من حاجاته .

ثالثاً - خطة تهدف إلى حسن العرض ، وفيها يبذل المحرر أقصى الجهد حتى ينجح في لفت نظر القارئ .

رابعاً - خطة تهدف إلى حسن تحرير الإعلان أو العناية بالعبارة التي تستخدم في تحريره .

وقد رتب الأستاذ هوتشكس Hotchkiss ، في كتابه : « تحرير الإعلان » ، Advertising Copy تلك الخطط الأربع على النحو المتقدم ، ثم زاد على ذلك أنه وضع نسبة مئوية لكل منها ، على النحو الآتي :

٥٠٪ لخطة التسويق .

٣٥٪ لمخاطبة وجدان القارئ .

٢٥٪ لطريقة العرض .

١٠٪ للتحرير .

ثم قال الأستاذ : ومع ذلك فهي العشرة الأخيرة في المائة ، فإذا فضلت هذه الأخيرة في مهمتها فشل معها كل ترتيب سابق (١) .
فانظر إلى قوله :

« ومع هذا وذاك فهذه العشرة في المائة للتحضير هي العشرة الأخيرة ، فإنها تدل دلالة كبيرة على عظم الأهمية التي للتحضير من بين عناصر الإعلان ، على الرغم من صغر النسبة المئوية التي له بالقياس إلى النسب الأخرى .
ومهما يكن من شيء فإن على محرر الإعلان ، أن يسأل نفسه عند الكتابة هذه الأسئلة التالية :

ما هي الفكرة الأساسية للإعلان ؟

وما الصلة بين الإعلان ونفس القارىء ؟

وأي أسلوب يجدر به اتباعه في تحرير الإعلان الذي أمامه ؟

ولا شك أن الإجابة عن جميع هذه الأسئلة تحدد الأسلوب الذي يتبع في التحرير .

أسلوب تحرير الإعلان :

إن هذا الأسلوب المتبع في تحرير الإعلان إما أن يكون منطقي الصورة ، وإما أن يكون عاطفي الصورة ، وإما أن يجمع بين الأمرين .
ففي الأسلوب المنطقي الصورة يذكر المحرر الإعلان بميزات السلعة ، معتمداً في ذلك على الحقائق التي لا تقبل الجدل ، متخففاً ما أمكن من المصطلحات العلمية التي تدق على ذهن القارىء العادى .
وفي الأسلوب العاطفي الصورة يخاطب المحرر الإعلان نفوس القراء ،

ويثير أخیلتهم جهد المستطاع ، ويدعوهم إلى ما یسمى « التسامی الحضاری » ،
ومعناه : تمشی الإنسان مع المخترعات الحديثة ، وعدم التخلف عنها ، وبذل
أقصى الجهود فی الإفادة منها مهما كلفه ذلك من مال فی شراء هذه الأشياء .
ولیعلم المحرر الإعلانی هذه الحقيقة ، وهی أن الإنسان مسوق بالعاطفة
أكثر منه مسوقاً بالعقل أو المنطق ، وهو لهذا یتستجیب للإعلان العاطفی ،
ولسكنه فی نفس الوقت یشعر بالحاجة القویة إلى بعض المبررات العقلیة
التي تجعله یمتقد أن استجابته العاطفیة تستند إلى الحق دائماً ، وفی سبیل
هذه الغایة یسلك « المحرر الإعلانی » طرقاً شتی لنجاح إعلانه ، منها :

أولاً - طريقة القصة :

وذلك بأن یخترع المحرر قصة صغيرة حول الشيء المعلن عنه ، وكثیراً
ما یتوخى المحرر الإعلانی أن تكون هذه القصة الإعلانیة فی ذیل قصة
من القصص الأدبیة أو الصحفیة التي تشرها المجلة أو الصحیفة بقصد إمتاع
القراء ، وكثیراً ما یتوخى المحرر إیجاد الصلة بین هذه القصة الأدبیة ،
والقصة الإعلانیة .

ثانياً - طريقة الوصف :

والقاعدة المتبعة فی ذلك إلى الیوم هی قولهم ، « یجنب أن تقول
بالألفاظ ما یمكن أن تقوله بالصور » ، علی أن الصور فی ذاتها قد لا تؤثر
فی أكثر من حاسة واحدة فقط من حواس القاریء ، هی حاسة النظر .
وفی هذه الحالة یمجب علی المحرر الإعلانی أن یقوم بإتمام التأثير فی بقیة
الحواس ، كحاسة الشم ، وحاسة الذوق ، وحاسة اللمس ، وحاسة السمع .
ولا یتأتى كل ذلك إلا عن طریق اللفظ الذي یتوخى فیه المحرر الإعلانی
الدقة البالذة ، حتی یعبر عن جمیع الإحساسات التي تعجز الصورة عن
التعبیر عنها .

وبهذه الطريقة یتعاون التحریر والصورة علی أداء مهمة التأثير فی القاریء .

مثال ذلك : صورة نوع خاص من الصابون ، كالتنوع المعروف باسم « بالمؤليف » ، فإن الصورة هنا لا تكفي لأن تعطى للقارىء فكرة عن رائحته الجميلة ، ولا عن تأثيره في البشرة ، وإذا ذلك يجب على المحرر الإعلاني أن يجعل تحريره مكتملاً للصورة التي يعلن بها عن هذا النوع من أنواع الصابون .

ثالثاً - طريقة الكلمات التي تشبه الحكمة أو المثل :

« القرش الصغير يصنع القرش الكبير ، وذلك في مجال الدعوة إلى الإقبال على صناديق التوفير .

رابعاً - طريقة العمود الصحفي :

كثيراً ما يكون العمود الصحفي وسيلة ناجحة من وسائل الإعلان ، إذ يحدث أن تخصص بعض الصحف أعمدة ، أو صفحات كاملة ، تكتب فيها عن بعض الموضوعات التي تهم الجمهور ، كـ « الموضوع » المنزلي الحديث ، « موضوع » المسرح الحديث ، « موضوع » الراديو ، أو « التلفزيون » ، وهنا ينتهز المعلنون هذه الفرص فيحيطون هذه الأعمدة أو الصفحات بإعلانات عن سلع أو أشياء تتصل بهذه الموضوعات المتقدمة : فحول « المنزل الحديث » يعلنون عن الثلاجات ، والأدوات الكهربائية اللازمة لراحة السيدة ربة المنزل ، وحول موضوع « الراديو » أو « التلفزيون » يعلنون عن الأجهزة المختلفة لهذين الجهازين ، وهكذا ، وكثيراً ما يتم الاتفاق بين الصحيفة والمعلنين على هذه الطريقة ، والسبب في ذلك أن الصحف - بالقياس إلى الإعلان - لا تبيع مساحة بيضاء في الواقع ، وإنما تبيع إلى جانب ذلك جواً نفسياً ، وإطاراً فكرياً فيهما يعيش الإعلان الناجح ، وبطريقتهما يتفنن المحررون في انتهاز الفرص للنشر الإعلان . ومهما يكن من شيء فأمم ما في التحرير الإعلاني من حيث هو أمران : أولهما - اختيار الألفاظ .

وثانيمها - القوالب الفنية .

وقد تحدثنا عن هذا الأخير بغاية الإيجاز .

أما الألفاظ التي يستخدمها المحرر في الإعلان فإنها تحتاج ، كما قلنا ، إلى اختيار دقيق من جانب المحرر ، وهو اختيار يبنى دائماً على ذكائه ، وعلى معرفة تامة بدلالات الألفاظ ، وما لها من قوة الإيحاء .

والقاعدة في ذلك هي ، أن الألفاظ الشائعة الاستعمال هي الأولى بالاستعمال ، ومن ثم كان محظوراً على محرر الإعلان أن يلجأ إلى معاجم اللغة ، أو يستشير كبار اللغويين في لفظ من الألفاظ ، أو أسلوب من الأساليب ، أو طريقة من طرق الأداء التي أشرنا إلى بعضها .

والخلاصة - أن تحرير الإعلان يمر غالباً في خطوات أربع :

الأولى - كتابة العنوان الأول ، أو العنوان الكبير ، والقصد منه عادة هو جذب انتباه القارىء .

الثانية - كتابة العنوان الثانى ، أو العنوان الصغير ، والقصد منه هو إثارة اهتمامه .

الثالثة - شرح الإدعاءات التي يدعيها المنافسون للسلعة المعان عنها ، والرد على هذه الادعاءات ؛ والقصد من هذه الخطوة هو إقناع القارىء .

الرابعة - الخاتمة ، وكثيراً ما تكون في جملة واحدة من اجلل القوية المؤثرة ، والقصد منها هو حمل القارىء على الإقدام على شراء السلعة ، وهو مرتاح الضمير ، كبير الثقة بالفائدة .

تلك هي الخطوات الأربع التي يمر فيها محرر الإعلان غالباً ، ولكن ليس من الضروري مطلقاً أن يمر تحرير الإعلان بجميع هذه الخطوات في إعلانه عن كل سلعة من السلع ، فقد يكتبى التحرير أحياناً بأقل من نصفها ، إذ المدار في كل ذلك على المرحلة الإعلانية التي يمر بها ، ونحن نعلم أن الإعلان يمر بمرحلة الارتباد أولاً ، ومرحلة المنافسة ثانياً ، ومرحلة المحافظة

على السمعة في نهاية الأمر ، ولكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث خطة للتحجير خاصة بها .

ومهما يكن من شيء ، فللرسالة الإعلانية في ذاتها جانب نفسى ، وآخر فنى ، وفى الأخير تهتم بالألوان والظلال ، وبما تحمل هذه الأشياء من المعانى إلى القارىء ، وفى الأول تهتم الصحيفة بأمر أخرى ، من أهمها : التحرير ، وهنا ننصح لكاتب الرسائل الإعلانية بدراسة جزء من علم البلاغة ، ولا نعنى بهذا الجزء « المحسنات اللفظية » ، وإنما نعنى به « المحسنات المعنوية » ، وهى كثيرة جداً فى هذا العلم أو الفن ، ومنها على سبيل المثال فى البلاغة العربية : « قالب المدح بما يشبه الذم » ، وقالب الحض بما يشبه التحذير .

ومن الأمثلة على هذا الأخير عبارة كتبت يوماً فى عربات السكة الحديدية بمدينة لندن إعلاناً عن السجائر المصرية ، هذا نصها :

« الدخان ممنوع ، ولو كانت سجائر البستانى . »

مر صديق لى بحى من أحياء القاهرة ؛ هو حى مصر القديمة ، فوجد عبارة مكتوبة على باب فوال - أعنى بائع الفول المدمس - هذا نصها :

« إذا خلص الفول أنا غير مسئول ، »

فعمجت لهذه العبارة الإعلانية البديعة Slogan ، ودهشت لهذا القدر من التوفيق فى كتابة هذه العبارة ، ولصدورها من رجل أى هدته سليقته الإعلانية إلى اختيارها بحيث تؤثر فى الجمهور تأثيراً ليس إلى إنكاره من سييل .

وقديماً كانت الأزجال والأشعار والموايسا تقوم بمهمة الإعلان عن السلع خبير قيام ، والأدب العربى حافل بأمثلة شتى من هذا القبيل ، وحسبنا هنا أن نشير إلى بائع « الخبز » - بضم الخاء - جمع خمار ، وهو ما نستر به المرأة رأسها ورقبتها وصدرها ، فقد قيل إن تاجراً من تجار هذه الخبز

بالعراق أو شك على الإفلاس يوماً ما ، فلجأ إلى شاعر من الشعراء صنع
له أياتاً ينادى بها على هذه السلعة ، أولها :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا صنعت بزاهد متعبد .. الخ

وهي أيات مشهورة تصور هذا الزاهد العابد ، وقد خرج من محرابه
وترك صلاته منذ اللحظة التي وقع فيها بصره على تلك المرأة المليحة التي
وضعت على رأسها هذا الخمار الأسود !

وبهذه الأشعار راجت بضاعة التاجر العراقي ، وأثرى ثراه عظيماً .
والأمثلة على هذه الأضرب البلاغية في الإعلان كثيرة جداً يعرفها
المعلنون بالسليقة .

مصادر الكتاب الرابع

- 1 — Journalism in the United States.
by : Robert. W. Jones.
Newyork. E. P. Dutton & compny, 1947.
- 2 — The News in America.
by : Frank Luther Mott.
Harverd University Press.
- 3 — The Press & The World.
by : Rodert W. Desmond .
- 4 — The Complete Journalism .
by : F. I. Mansfield.
- 5 — Pictorial Journalism .
by : I. R. Hunt.
- 6 — Newspaper Writing & Editing .
by : Willard Bleyer .
- 7 — How to Write Reports .
by : Calvin D. Linton, 1555.
- 8 — The Wayward Pressman .
by . A. I. Liebbling, 1948.
- 9 — Patterns of Publicity Company .
by : Stewart Hurial .
- 10 — Newsmen at Work .
by : Laurence Campbell F Robert wolseley .
- 11 — Keys to Ruccessful Interviewing .
University of Oklahoma Press 1954.
- 12 — News paper Advertising & Promotion .
by : Maclure .
- 13 — Advertising copy Writing.
by : Burton .
- 14 — Writing and Selling Feature Articles.
by : H. Pattersn .
- 15 — Modern Feature Writing .
by : Reddick .

- 16 — How to Write advertising that sells .
by : Bedell .
- 17 — How to Wirte for Homemakers .
by : Richardson .
- 18 — Writing the Feature Article .
by : Steigleman .
- 19 — Advcirtisng Copy
by : Hotchkiss .

٢٠ — الإعلان في الصحافة ، للدكتور على زفاعة الأنصارى ، رسالة
لم تطبع بعد ،

- ٢١ — في المرأة ، للشيخ عبد العزيز البشرى .
- ٢٢ — محاضرات الدكتور محمود عزيمى ، لم تطبع بعد ، .
- ٢٣ — الصحف المصرية المعاصرة على اختلافها .
-

النخاسة
مستقبل التحرير الصحفي

مستقبل التحرير الصحفي في مصر

إذا أردنا ان نتكلم عن مستقبل فن من الفنون ، أو علم من العلوم فنفق
لنا عن معرفة شيء عن ماضى هذا الفن أو العلم ، ثم شيء عن حاضر هذا
الفن أو العلم ، وعلى أساس من الماضى والحاضر نستطيع أن نتكهن -
إلى حد ما - بالمستقبل .

* * *

ونظرة عاجلة إلى صحافتنا المصرية منذ نشأتها إلى اليوم ترينا أن هذه
الصحافة مرت بخمس مراحل ، ولا بأس من أن نقف لحظة واحسدة
عند كل مرحلة منها على حدة . .

المرحلة الأولى :

وهى المرحلة التى بدأت بولاية محمد على ، على مصر ، واستمرت إلى
قرب ولاية إسماعيل ، ولقد ظهر من كبار الصحفيين فى تلك الفترة : رفاة
الطهطاوى فى صحيفة «الوقائع المصرية» ، ومجلة « روضة المدارس » ،
وعبد الله أبو السعود فى صحيفة « وادى النيل » ، ومحمد أنسى فى صحيفة
« روضة الأخبار » ، وعثمان جلال فى صحيفة « نزهة الأفكار » ، وميخائيل
عبد السيد فى صحيفة « الوطن » ، وسليم وبشارة تقلا فى صحيفة «الأهرام» .
ولقد اعتدنا فى دراستنا لهؤلاء أن نطلق عليهم اسم « المدرسة الصحفية
الأولى » .

ووجدنا لهذه المدرسة أسلوباً فى التحرير يوصف فى مجوعه بالهيوط عن
كل من المستوى الأدنى ، والمستوى الصحفى فى وقت واحد معاً ، والسبب
فى ذلك أن المدرسة الأولى فى مصر إنما ورثت عن الأجيال الأدبية السابقة

لها أسلوباً مهلهل اللسيج ، ضعيف البناء ، يعتمد على الزينة اللفظية ، والزينة المعنوية ، ولكن كما تعتمد السيدة الجاهلة بأمر التجميل على كثرة المساحيق ، وعلى استخدامها بطريقة تدل على السذاجة ، والبعد عن الحضارة وعدم الفهم الصحيح للغرض الاساسى من الزينة ، واستمر الحال على ذلك حتى جاءت المرحلة الثانية :

المرحلة الثانية :

وهى المرحلة التى شبت فيها الصحافة المصرية عن الطوق ، بمد إذ كانت فى المرحلة الأولى تمثل دور الطفولة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .

وفى هذه المرحلة الثانية ظهر من نوايغ الصحفيين المصريين والسوريين من تمثل فيهم شباب الصحافة المصرية من حيث التحرير ، ومن أولئك الصحفيين الممتازين :

أديب إسحق فى صحف : « مصر » ، و « التجارة » ، و « مصر القاهرة » ، وسليم النقاش فى صحيفتى « المحروسة » ، و « العصر الجديد » ، وحسن الشمسى فى صحيفة « المفيد » ، ومحمد عبده فى صحيفتى « الأهرام » ، والوقائع المصرية ، و « مجلة » العروة الوثقى ، و « عبد الله النديم فى صحف : « التنكيت والتبكيك » ، و « الطائف » ، و « الأستاذ » ، وإبراهيم المويلحى فى صحف كثيرة أصدرها بنفسه من أهمها صحيفة « مصباح الشرق » .

أما فى التحرير عند هذه المدرسة الثانية فقد جنح جنوحاً واضحاً إلى الأسلوب الأدبى الخالص ، وهو أسلوب يمتاز عن سابقه بالجودة ، وحسن استخدام الزينة اللفظية ، والزينة المعنوية إلى حد يهل فى مجموعه على مهارة الكاتب .

ولقد بلغ هذا الأسلوب أوجه عند رجلين بنوع خاص ، هما : أديب إسحق ، وإبراهيم المويلحى .

واستمر الحال على ذلك حتى دخلت الصحافة المصرية فى المرحلة الثالثة:

المرحلة الثالثة :

وفىها ظهرت الصحافة اليومية ، وحلت محل الصحافة الدورية ، وفىها وقعت حوادث الثورة العرابية والاحتلال البريطانى .

وقد اعتمد الاحتلال يومئذ على صحيفة مصرية ، هى صحيفة « المقطم » التى صدرت عام ١٨٨٨ ، فمز على الوطنيين أن يكون للاحتلال الإنجليزى صحيفة ، وألا تكون لهم صحيفة ، فاجتمع رأيهم على إنشاء صحيفة « المؤيد » لصاحبها السيد على يوسف عام ١٨٨٩ ، ثم تلتها صحف وطنية أخرى ، منها : صحيفة « اللواء » لصاحبها مصطفى كامل عام ١٩٠٠ ، و « الجريدة » لمحررها أحمد لطفى السيد عام ١٩٠٧ .

وهناك ظاهرة تستحق التسجيل فى هذه المرحلة من مراحل الصحافة المصرية ، هى أنه فى دور هذه الصحف التى أشرنا إليها نشأت الأحزاب المصرية التى سمعنا عنها ، فهى دار « الجريدة » ، نشأ حزب الأمة ، وفى دار « المؤيد » ، نشأ حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ، وفى دار « اللواء » نشأ الحزب الوطنى .

والمهم أن الصحافة فى المرحلة الثالثة استطاعت أن تفصل فصلاً يوشك أن يكون تاماً بين فنونها المختلفة التى هى : فن الخبر ، وفن المقال بأنواعه الثلاثة : الأدبى ، والعلمى ، والصحفى ، فبعد أن كانت هذه الفنون تكتب كلها بلغة واحدة وصياغة فنية واحدة ، أدرك الصحفيون فى تلك الفترة أن الفرق عظيم بين المادة الصحفية الخالصة ، والمادة الأدبية أو العلمية الخالصة وبعبارة أخرى : استطاع الصحفيون أن يميزوا تمييزاً واضحاً بين الأسلوب الأدبى ، والأسلوب الصحفى ، ولا شك أن السيد على يوسف هو رائد الجميع فى كل ذلك ، ثم جاءت المرحلة الرابعة :

المرحلة الرابعة :

وهي المرحلة التي بدأت حوالى عام ١٩٢٢ ، وانتهت حوالى عام ١٩٤٢ ،
وهنا نلاحظ شيئاً هاماً فى تاريخ الصحافة المصرية ، هو اهتمام هذه
الصحافة اهتماماً بالغاً بالأدب ، حتى ليصح لنا أن نطلق على هذه المرحلة
الرابعة اسم « مرحلة الأدب » ، وفيها أنجبت مصر - فى الواقع - خير
أدبائها ، وكتابتها ، وقصاصيها ، وقد أشرنا إلى ذلك فى الفصل الأول من
كتاب « فن المقال » .

وبحسبنا أن نصف هذه المرحلة بأنها « مرحلة الأدب » - كما قلنا -
لتصور الحد الذى بلغته الكتابة فى تلك الفترة ، وقد ضربنا الأمثلة على
فنونها المختلفة فى الفصول الثلاثة التى تلت الفصل الأول من كتاب « فن
المقال » ، وأخيراً أتى المرحلة الخامسة :

المرحلة الخامسة :

وهي المرحلة التى نعيش فيها الآن ، وفيها نرى تحولاً جديداً فى الصحافة
المصرية تدل عليه ظواهر شتى ، من أهمها قلة العناية بالأدب ، حتى لكأن
النهضة الأدبية نفسها قد انتكست فى هذه المرحلة ، وأصابها شيء من المرض
أو الكسل .

ومنها - أى من تلك الظواهر - أن الصحافة فى هذه المرحلة الأخيرة
أصبحت صحافة خبر فى أكثرها ، ولم تعد صحافة مقال كما كانت الحال
قبل ذلك .

وأكبر الظن أن السبب الرئيسى فى هذه النكسة الأدبية التى تعانىها مصر ،
ويعانىها العالم أجمع ، فى وقتنا هذا ، يرجع إلى انقسام العالم المتحضر إلى
معسكرين كبيرين ، هما : المعسكر الشرقى ، والمعسكر الغربى ، وحرص كل
حنيهما على تتبع الأخبار ، وصياغتها بطريقة خاصة ، من شأنها أن تحدث

التأثير الذى يطلبه كل معسكر منهما على حدة ، ومن شأنها أن تجعل الحرب الباردة مستمرة وباقية .

كما يرجع السبب فى قلة العناية بالمقال كذلك إلى تغير كبير طرأ على طبيعة القارىء ، فبعد أن كان القراء محصورين تقريباً فى طبقة الموظفين أصبح القراء فى عصرنا هذا طبقات مختلفة ، منها الموظفون ، ومنها العمال وأصحاب الأعمال ومدبرو الشركات والمؤسسات على اختلافها وغيرهم من ذوى الأمزجة العقلية المختلفة ، ولا بد للصحيفة من إرضاء كل هذا العدد من القراء على اختلافهم ، وبيان أمرجتهم .

* * *

تلك نظرة صحيلى إلى المراحل التى مرت بها الصحافة المصرية منذ نشأتها إلى اليوم ، فماذا حسى أن تكون عليه هذه الصحافة فى المستقبل ؟
لعل أول سؤال يتبادر إلى الذهن هو :

إلى أى حد تعتبر « الصحافة » فى وقتنا هذا مرادفة « للأدب » ؟

أو بعبارة أخرى : إلى أى حد يمكن التمييز فى الوقت الحاضر بين الصحافة ، والأدب ؟ وبين الصحافى ، والأديب ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال هى وحدها التى نهدينا إلى الطريق الصحيح فى التنبؤ بمستقبل للتحريك الصحفى فى مصر ، وفى غيرها من أقطار العالم المتمددين .

نقطة التحول فى الصحافة :

الواقع أن الصحافى والأديب كانا شيئاً واحداً إلى وقت قريب جداً ، وليس ذلك فى مصر فقط ، ولكن فى غيرها من جهات العالم أيضاً ، والدليل على ذلك أن أعلام الصحافة فى مصر — وقد ذكرنا عدداً كبيراً منهم —

كانوا كلهم أو معظمهم من رجالات الأدب والفكر في وقت مما ، وقل مثل ذلك في الصحافة الإنجليزية ، أو الفرنسية ، أو الأمريكية .

غير أننا نشاهد الآن تحولا كبيرا في هذه الظاهرة ، نشاهد أن الصحافة نفسها غدت حرفة من الحرف ، وإن كانت ما تزال تربطها صلات متينة بالأدب .

فتلك إذن هي نقطة التحول الحقيقي في تاريخ الصحافة الحديثة في العالم المتمددين .

ومنذ أصبحت الصحافة حرفة كحرفة الطب ، أو التدريس ، أو المحاماة ، أو الهندسة ، أصبح لهذه الحرفة - وهي الصحافة - فنون خاصة بها ، ومن أهم هذه الفنون ثلاثة هي : فن التحرير ، وفن الإخراج ، وفن إدارة الصحف .

ولسنا نحتاج الآن إلى النظر في الفنين الآخرين ، ولكننا بصدد النظر في الفن الأول ، فإذا هسى أن يكون عليه مستقبل الصحافة المصرية في فن التحرير ؟

الواقع أننا حين نقول فن التحرير ، نعني شيئين دائماً ، هما : التفكير من جهة ، والتعبير من جهة ثانية ، أو بعبارة أخرى : الموضوع والأسلوب في وقت مما .

فأما من حيث الأسلوب ، فقد لاحظنا من تاريخ الصحافة المصرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر أنها ورثت عن القرون السابقة أسلوباً عتيقاً يميل إلى التكلف ، ثم أخذ هذا الأسلوب يتخلى شيئاً فشيئاً عن هذا التكلف حتى جاءت المدرسة الصحفية الثالثة ، وعلى رأسها السيد علي يوسف صاحب المؤيد ، فوجدنا أنفسنا أمام كتاب يميزون بين الأسلوب الأدبي ، والأسلوب الصحفي ، ومضى التحرير الصحفي في طريقه هذا إلى الوقت الحاضر ، وإذا وجدنا له لغة تبعد بعداً ظاهراً عن لغة الأدب ، فقد

استحدث الصحفيون الحاليون تراكيب جديدة لم تخطر للأدباء الأولين على بال .

فمن ذلك قول بعضهم : وهنا نريد أن نضع النقط على الحروف . .
وذلك بد لا من قولهم : وهنا نريد أن نوضح المسألة توضيحاً لا يدع مجالاً للشك أو الإبهام .

ومن ذلك ما نسمعه بين حين وآخر من الصفات والنعوت التي لا وجود لها في الكتب القديمة أو في الصحافة القديمة ، مثل :

الحقيقة الصارخة .

الأكذوبة البيضاء .

الليلة الحمراء .

ثم من ذلك ما نراه من معان جديدة لبعض الأفعال ، كما في قول بعضهم :
« وهكذا أصبح حشد الجنود التركية على حدود سوريا يشكل خطراً على هذه البلاد » .

والشاهد في قوله « بشكل » ، فقد أصبح لهذا الفعل معنى جديد في لغة الصحافة ، ولغة السياسة .

ومن ذلك قول بعضهم — وهو التابى — على سبيل المثال :
« وهنا قفزت طائفة كبيرة من علامات الاستفهام ، معبراً بذلك عن معنى الغرابة ؛ أو التعجب .

وقول آخر :

« فكان على أن أضع أعصابي في ثلاجة بعد سماعي هذا الكلام ، ا
بلى شير ذلك من مئات التراكيب التي أثرت عن أمثال : مصطفى أمين ،
« علي أمين ، وسلامه موسى ، ويوسف السباعي ، وحسين هيكل ؛ وسامى
شاور ، وعبد الرحمن الخيسى ، ومن إليهم من شباب الصحفيين المصريين
في وقتنا هذا .

بمنه
فوقه

والمهم أن هذه الأساليب التي تطالعنا بها الصحف كل يوم جديدة ،
ويمن صنع هذه الصحافة ، ولا صلة لها مطلقاً بالأدب ، ولا بطرائفه
المعروفة لدى القدماء من الأدباء والمحدثين على السواء .

وهناك أثر آخر من آثار الصحافة في الأسلوب ، فكثيراً ما نشاهد
في المقال الصحفي أو في العمود أن الكاتب يؤثر استخدام الجمل الاسمية التي
دخلت عليها « إن » بكسر الهمزة يريد بذلك شيئين في حقيقة الأمر :
أولهما - أن تبدو كل جملة من الجمل كأنها وحدة مستقلة بذاتها عن
الجمل أو الوحدات الأخرى .

ثانيهما - أنه يؤكد المعنى الذي قصد إليه من كتابة كل جملة .

والذي لا شك فيه أن الكاتب ، أو المحررين الصحفيين ، إنما اعتادوا
هذا الأسلوب لتأثرهم بالصحافة ، وتأثرهم بنوع خاص بطريقة كتابة
الأخبار . وقد أشرنا من قبل إلى أن من القواعد المعترف بها في كتابة
الخبر الصحفي قاعدة تقوم بتقسيم « صلب الخبر » إلى وحدات متكاملة ،
تستقل كل وحدة منها عن الأخرى ، والغرض من ذلك هو إتاحة الفرصة
للصحيفة لكي تحذف ما تريد من هذه الوحدات عند الحاجة بدون أن
يؤثر ذلك على المعنى العام لصلب الخبر (١) .

ولك أيها القارئ أن تتأمل هذه الظاهرة في جميع الأعمدة الصحفية التي
يكتبها محررون من أمثال : مصطفى أمين ، وعلى أمين ، ومحمد زكي عبدالقادر ،
وغيرهم من المحررين والمذيعين بالإذاعة المصرية .

هذا كله من حيث الأسلوب ، أما من حيث الموضوع فقد رأينا العجب
أيضاً : رأينا الموضوع يتجه قدماً نحو « التوسع » ، ورأيناها يغزو مناطق
جديدة ، وعديدة ، بحيث أصبح يشمل جميع مرافق المجتمع ، ورأينا الفنون
الصحفية المستحدثة تدوين على هذا التوسع والتضخم ، ومن هذه الفنون

(١) راجع الفصل السادس من الكتاب الثاني من كتب هذا البحث الذي بين يديك .

الأخيرة فن الحديث الصحفي، والتحقيق الصحفي، وفن الماكريات، ورأينا الصحيفة أشبه ما تكون بمعرض من المعارض الوطنية، أو الدولية تعرض فيها جميع المنتجات على اختلاف أنواعها، واختلاف أثمانها، واختلاف جودتها.

ولقد كان من نتيجة كل ذلك أن أصبح الجيل الحاضر أوسع علماً من الأجيال السابقة كلها، وإن كانت الأجيال السابقة كلها نمتاز على الجيل الحاضر من حيث العمق، ومن حيث الفهم لأصول العلم أو الفن، وذلك أن كل طائفة من طوائف الأجيال الماضية توفرت على علم بعينه، أو فن بعينه لم تكن تتركه إلى سواء.

* * *

مستقبل الخبر في الصحيفة :

هذا كله من حيث «المقال»، وهو أحد شطري التحرير الصحفي. أما من حيث «الاخبار»، وهى الشطر الثانى من التحرير الصحفي فقد أصبح لها فى الصحافة الحديثة شأن آخر، والخبر عند كثير من الصحفيين هو الغرض الأول من إصدار الصحيفة (١).

وقديماً كانت الصحف المصرية تحرر الأخبار بطريقة عجيبة حرصت فيها على إيراد خبر مورد السجع، والجناس، والطباق، ثم بالتدرج أخذت الصحف تتخلص من هذا الشكل العتيق من أشكال التحرير، ثم لم يقف الأمر عند هذا الحد حتى وجدنا أن «فن تحرير الخبر» أصبح له

(١) من طريف ما قرأت فى ذلك أن كلمة الأخبار بالإنجليزية News تتألف من أربعة أحرف، وهى: حرف N وتدل على الشمال North، وحرف E وتدل على الشرق East، وحرف W وتدل على الغرب West، وحرف S وتدل على الجنوب South. ومعنى ذلك أن الصحيفة مسئولة عن تزويد القارىء بالأخبار من جميع أنحاء العالم، وبجهاته الأربع.

أصول ، وله قواعد ، وله قوالب خاصة ، وصيغ معينة ، هي التي مرت بك في الكتاب الثاني من كتب هذا البحث ، وهو كتاب « فن الخبر » .

ولقد أصبحت للأخبار هذه الأهمية الكبرى من حيث التحرير ، وقد شاهدنا من حيث الإخراج نوعاً من الصراع الكبير بينه وبين المقال ، وما زال هذا الصراع قائماً بينهما ، فأيهما أولى بعناية الصحيفة في الوقت الحاضر ؟ المقال ، كما كان الشأن إلى وقت قريب في حياتنا الصحفية ، أم الخبر ، كما هو الحادث بالفعل في السنوات الأخيرة ؟ .

ولاريب أن الخبر في هذه الأيام مقدم على المقال ، وأن الصحافة تفسح من صدرها للأخبار ، وما يتصل بالأخبار بما لا تفسحه للمقال .
والرأى عندنا أن هذا وضع شاذ من أوضاع الصحافة الحديثة ، والسبب فيه - كما قلنا - هو ما يعانيه العالم الحديث من موقفه من المسكرين الغربي والشرقي .

والرأى عندنا كذلك أن الصحافة الحديثة ستعود في القريب العاجل إلى وضعها الطبيعي ، أو - على الأقل - إلى المساواة التامة ، من حيث العناية ، بين الخبر والمقال ، غير أن ذلك مشروط بالاستقرار الذي يهيء للكتاب والمفكرين أن يفرغوا أفكارهم ، ويتقنوا إنتاجهم ، حتى يكون من وراء هذه الثروة الفكرية ربيع عظيم للبشرية ، ويومئذ تشعر الصحافة الحديثة بأن عليها واجباً عظيماً ، هو تغذية العقل البشري بالأفكار الصحيحة ، والآراء السليمة ، وإذ ذاك تفتح الصحيفة الحديثة صدرها من جديد للأدباء ، والمفكرين ، والفنانين ، والفلاسفة ، وتستعين بهم - على نطاق واسع - في مادة المقال السياسي ، والمقال الأدبي ، والمقال العلمي ، والمقال الاجتماعي ، والمقال الفني ، ونحو ذلك .

وإذ ذاك تتقدم النهضة الفكرية ، والنهضة السياسية ، والنهضة الاجتماعية ، وأكبر الظن عندى أنه لن يمضي وقت طويل حتى تصيب الصحافة هذا القدر من التقدم لخير البشرية .

المخترعات الحديثة وأثرها في الصحافة :

على أن هناك خطراً آخر يهدد « الخبر » في الصحافة ، ويجب أن تحسب له الصحافة حسابه منذ الآن ، وهذا الخطر هو المخترعات الحديثة ، وهي المخترعات التي سوف تلعب دوراً خطيراً في تكييف الصحافة في المستقبل .

ومن أهم هذه المخترعات : الإذاعة ، والتليفزيون ، فقد أصبحت منافستين خطيرتين للصحافة .

أما الإذاعة فإنها تمد القارئ بالأخبار فور وقوعها تقريباً ، وأما التليفزيون فإنه يضيف إلى ذلك تمكين الجمهور من مشاهدة واقع الحادث فضلاً عن العلم به ، ومن ثم تتمكن الجماهير من رؤية جلسات البرلمان ، أو المحاكم ، أو الهيئات الدولية على اختلافها بغاية السهولة .

وإذن فماذا تكون - بدور الصحافة بعد ذلك ؟

إن الصحف الحديثة أمام هذه الوسيلة الجديدة ستبدو كأنها وسيلة عتيقة من وسائل نقل الأخبار ، وستصبح شبيهة بوسائل النقل الأولى ، كالخبر والبغال ، وذلك بالقياس إلى الوسائل الحديثة التي هي الطائرة والقطار .
لن يكون أمام الصحافة الحديثة إذن إلا التسليم بالمخترعات الحديثة على طول الخط .

وإذ ذلك سوف تجد الصحافة نفسها مضطرة إلى التقليل نوعاً ما من الأهمية الأولى التي للأخبار أو الإعلام ، وإذ ذلك ستضطر الصحافة الحديثة إلى العناية بالمهمة الأخرى من مهام الصحيفة ، وهي « مهمة تفسير الأخبار ، أو التعليق ، عليها ، أي أن القراء في المستقبل القريب لن يطالعوا الصحيفة ليقفوا منها على أخبار « آخر ساعة » ، ولكنهم سيطلعون الصحيفة ليفهموا كنه الحوادث الجارية ، وهي مهمة لا يستغنى عنها السواد الأعظم من القراء على اختلاف طبقاتهم ، وتنوع ثقافتهم .

وتصبح الصحيفة اليومية باختصار أشبه بالمجلة الدورية ، لانغنى بالسبق الصحفي من حيث الأخبار ، وإنما غنى بالسبق الصحفي من حيث التعليق على هذه الأخبار .

وإذ ذلك يعود المقال ليحتل مكانه القديم في الصحافة الحديثة ، ويعود الكتاب والمفكرون فيصبحون من أهم أعضاء الأسرة الصحفية الجديدة .
وشيء آخر نبشر به الصحافة في القريب العاجل ، وهو التخصص .

والتخصص في ذاته ظاهرة تدل على التسقدم ، فسيوجد في الصحف المصرية المتخصصة في السياسة ، والمتخصص في الاقتصاد ، والمتخصص في التربية والتعليم ، والمتخصص في الأدب ، والمتخصص في شؤون المرأة ، والمتخصص في شؤون الرياضة ، والمتخصص في شؤون المسرح ، بل سنرى قريباً المتخصصة في الصفحة الأولى ؛ والمتخصص في الصفحة الثانية من الصحيفة ، وهكذا .

وعلى هذا اللسق سيكون لكل صحفي من صحافي القتلون يعرف به ، ومادة يتميز بها ، وعمل يخالف عمل الآخرين كل المخالفة .

وسيكون من آثار هذا التخصص المنتظر تخلص الصحافة الحديثة من التفاهات العقلية الكثيرة التي توهم بها ، بل تخلصها كذلك من هذه الثقافة الضحلة الهابطة التي جنت بها على الجيل الذي نعيش فيه ، بل تخلصها من هذا العبث المعبى بمواد الصحيفة ، والضعف البادى على محرريها ، حتى لقد أصبحوا يعتمدون في تحريرهم على النقط الكثيرة ، وعلامات الترقيم الكثيرة هنا وهناك ، والفراغ الكثير الذي يتركونه بين كل كلمة وأخرى وكل جملة وأخرى ، ونحو ذلك من الطرق التي توحى للقارىء بأن المحررين قد أعوزهم التعبير ، فراحوا يستعينون بكل هذه الوسائل لعلهم يكملون بها تعبيرهم ، ويستمدون منها الحركة والحياة اللازمين لهذا التعبير .

بل إن هذا التخصص الذي نثنبأ به للصحافة في المستقبل سيجعل من الصحيفة شيئاً محبباً لدى القراء ؛ وشيئاً لازماً لهم لزوماً تاماً في نفس

الوقت ، لأنها ستقدم لسكل طائفة من القراء ما يناسبها ؛ أو يتفق وميولها الخاصة .

وكما يقول الأستاذ « ويكهام ستيد » :

« إن من الضرورة لسكل صحيفة تريد لنفسها النجاح والرواج أن تحرز في كل يوم نصراً جديداً في الإخراج تتغلب به على عناصر الركود والانحلال ، وأكثر ما يسكون ذلك عن طريق التحرير الصحفي قبل أى شيء آخر . ألا ما أضخم هذا العبء الذى سوف تقوم به صحافة الغد ، وما أثقل هذه التبعات التى ستنهض بها ؛ وما أنبل هذه الرسالة التى تستحقها للبشرية فى القريب العاجل ،

أو كما قال الأستاذ « ويكهام ستيد » أيضاً :

لسكل أمة صحافتها التى تستحقها

نعم ، لسكل أمة صحافتها التى تستحقها ، ونحن نريد أن تكون مصر أهلاً لصحافة راقية بسكل ما تحمل هذه السكلمة من معنى ، وليس عسيراً عليها أن تبلغ من ذلك ما تريد .

المحرر المنالى :

وفى ختام هذا البحث عن مستقبل التحرير فى مصر ، نرى أن ننقل عبارة كتبها الأديب الإنجليزى « شو » ، إلى مجلة « تايم آند تايد » ، Time & Tide ، ثم أتى الأستاذ « ويكهام ستيد » ، W.Steed فجعلها كذلك فى نهاية كتابه : « الصحافة Journalism » ، (١) .

يقول « شو » ، بطريقته الساخرة المعروفة : « إن عمل الصحفي

(١) انظر الترجمة العربية لهذا السكتاب ، بقلم الدكتور على الأنصارى س ٥٤ .

في الأصل هو الإخبار والإعلام ، وليست الفلسفة السياسية ، وإن جمهور القراء لا يطبق الجمعية الفارغة التي لا تحوى شيئاً ، كما لا يطبق سخافة المدعين من الوعاظ ورجال الدين ، ولا من رجال السياسة أيضاً . ولقد يقرأ الجمهور لبعض الختمى من هؤلاء وأولئك لأن هذا الذى يقرءون خير من لا شئ ، ولكن متى ظفر الجمهور القصارى بذلك الشخص الذى يستطيع أن يغذيه « بشئ حقيقى » ، فإذ ذلك لن تجد أحداً منهم هذا الجمهور ، وتهافته على القراءة ، !

وهنا تسأل « ستيد » قائلاً : « ولكن ما هو هذا الشئ الحقيقى ، ؟
وأجاب هو على سؤاله بقوله :

« هو ما يشعر الناس بأنه حيوى لهم ، ومؤثر فى حياتهم ومعرفتهم .
ومعنى ذلك أنه لا بد أن يجمع المحرر الصحفى إلى عنصر الطرافة عنصر صدق الفكرة ؛ سواء أ كانت هذه الفكرة جديدة أم قديمة ، أى أن مهمة التحرير هى تقديم ذلك الشئ الحقيقى للقارىء ، ومن هنا كان الأكتفاء من المحررين الصحفيين أندر من الذهب ، أو الماس ، وهم بكفاءتهم النادرة هذه قادرون دائماً على أن ينتجوا فى الأدب ، ولكنهم يفضلون على الدوام أن يعملوا فى الصحافة على أن يعملوا فى الأدب .
ثم استطرد « ستيد » يقول :

« لكن من ينظر إلى الصحف اليومية فى عصرنا هذا يمكنه أن يلاحظ - مع الأسف - أن إدارتها أشبه بالسجون التي عكف فيها المحررون ، وانقطعوا فيها انقطاعاً تاماً عن العالم الخارجى ، وعن الحياة السياسية ، وعن المحاضرات العلنية ، وعن حفلات الموسيقى ، ودعوات العشاء ، بحجة أنهم يكونون فى ذلك الوقت مشغولين بتأدية أعمالهم فى عقر هذه السجون التي حالت بينهم وبين الحياة نفسها ؛

« ولعلنا نلك الحالة أقترح أن يكون للصحيفة اليومية ثلاثة رؤساء

للتحرير، وليس رئيساً واحداً فقط، حتى يكون لكل واحد من هؤلاء الثلاثة يوم أو يومان ينقطع فيهما عن العمل بإدارة الصحيفة، ويتصل في أثنائها بالعالم الخارجى، وبغير هذا تصبح الصحف كأنها تعيش متأخرة عشرين عاماً إلى الوراء، لأن محرريها يكونون - كما هم الآن - أشبه بلساك. يعتزلون الحياة، ولا يزيدون عن حراس المنارات على شواطئ البحار.

وهكذا استطاع « شو » أن يضع يده على الداء الأليم الذى يعانى منه التحرير فى الوقت الحاضر، وجاء « ستيد » فأقترح حلاً لهذه الهوة العميقة بين المحررين والقراء.

وتم اقتراح آخر لتقوية الصلة بين المحررين والقراء، وهو ما كانت تفعله « صحيفة المزيد » للسيد على يومئذ منذ أواخر القرن الماضى، وما كانت تفعله صحيفة الأهرام منذ سنوات قليلة، وهذا الاقتراح هو فتح باب الصحيفة، أو بالأحرى باب رئيس التحرير كل مساء لاستقبال الصفوة من المصريين فى العلم، والأدب، والسياسة، والاجتماع، والاقتصاد، حيث يتناقش هؤلاء جميعاً فى جو من البساطة والحرية فى شتى المشكلات التى تمهم القراء، ورئيس التحرير يصغى لجميع هذه المناقشات كل الإصغاء، ثم ينقل لقرائه فى اليوم التالى زبدة الفكر المصرى، وخلاصة التجارب المصرية.

ولندع هذا الاستطراد جانباً، لنعود مرة أخرى إلى عبارة « شو » التى قال فيها:

« ولكن متى ظفر الجمهور بذلك الشخص الذى يستطيع أن يغذيه « بشىء حقيقى، فإذ ذاك فقط لا تجد حداً لنهم هذا الجمهور، وتهافته على القراءة. »
فهذه العبارة وحدها تصلح لأن تكون أساساً لجانب من جوانب هذا البحث، وهو الجانب المتصل بما نسميه « ثقافة الصحفى ».
والذى نعلمه حق العالم أنه لا مفر للصحفى فى عصرنا هذا من أن يكون.

رجالاً مركباً من عدة رجال ، أو بعبارة أخرى : أصبح عليه - كما يقول علماء الصحافة - أن يجمع في حذق ، وانسجام ، ومهارة ، بين صفات السياسي ، والأديب ، والمحدث ، والقديس ، والاجتماعي ، والفيلسوف ، ورجل المال والاقتصاد في وقت واحد ،

وعلى الصحفي في عصرنا هذا أن يظهر للناس وكأنه موسوعة عظيمة ، أو دائرة معارف كبيرة ، وضعت لتكون تحت تصرف القراء في أية لحظة من اللحظات .

والصحفي المثالي - كما يقول أولئك العلماء كذلك - هو من تمكن من حكمة القدماء ، وضمها هضمًا جيداً ، وألم بفلسفة المحدثين ، وفهمها فهماً مستقيماً ، وعرف آلات المهندسين بما يتصل بفن الطباعة والتصوير وما إليهما ، ودرس تاريخ عصره ، فضلاً عن تاريخ العصور التي سبقت عصره ، ثم عرف العوامل المؤثرة في الحياة السياسية ، والحياة الاقتصادية ، والحياة الاجتماعية ، وشعر بأن عليه مع هذا كله أن يخزن في صدره جميع هذه العلوم والمعارف ، كما عليه بعد هذا كله أن يقدر حاجات القراء من هذه العلوم والمعارف ، وأن يعرف مدى تقبلهم لهذه الأشياء ، وأن يدمج منها بين آن وآخر بالقدر الذي يسيغونه ، وبالطريقة التي يحبونها ،^(١).

ثم مضى « ستيد » كذلك يقول :

ولهذا كان من الخطأ كل الخطأ أن نظن أن الجمهور يجرى وراء أولئك الذين يتملقون غرائز القراء ، إذ الحقيقة التي لا مراء فيها أن الجمهور إنما يريد أن يشعر دائماً بأن أولئك الزعماء الذين يقودونه يعرفون الجهة التي يقصدون إليها ، كما يعرفون الطرق المؤدية إلى هذه الجهة ؛
والحقيقة الأخرى التي يجب أن نصدقها كذلك هي أن الجمهور

(١) المصدر المتقدم ص ٥٠

لا يمكنه في الوقت نفسه أن يفتخر ذنباً لأولئك الذين يضلون به ، أو
يفررون به .»

«وبعد، فإن للبحث في مستقبل الصحافة والأدب في مصر كتاب آخر لنا
غير هذا الكتاب ، هو « مستقبل الصحافة في مصر - الأدب والصحافة » ،
ولكن حسب هذا الكتاب الذي بين يديك أنه أول تنظيم علمي ظهر
في مصر والعالم العربي لمادة من مواد الحضارة الحديثة ؛ هي : « مادة
الفن الصحفي » .

أجل ؛ حسب هذا البحث أنه المحاولة الأولى من نوعها في هذا
السييل ، وإننا لندرجو - مخلصين - أن تتبعها محاولات أخرى كثيرة وجليلة
إن شاء الله .

فن حق مصر أن تشارك دائماً في بناء الحضارة الإنسانية بجميع
مظاهرها ، ومن حق المصريين ألا يكونوا متخلفين يوماً ما عن غيرهم من
سكان العالم المتحضر في شأن من شئونه ، والله يوفقنا دائماً لما فيه الخير .

« تم بحمد الله »

الفهرس

صفحة

٣

مقدمة الطبعة الرابعة

٥

هذا الكتاب

الكتاب الأول

والرأى العام

١٦

الصحافة والرأى العام

١٩

تعريف الرأى العام

٢٢

الفرق بين الرأى العام، والمسخط العام، والاتجاه العام

٢٤

أنواع الرأى العام

٢٦

دور الصحافة فى تكوين الرأى العام

٣١

القانون والرأى العام

٣٤

الرقابة على الصحف

٤٠

نشأة الرأى العام فى مصر

الكتاب الثانى

فن الخبر

٥٠

نشأة الخبر وأهميته

٥٦

تعريف الخبر

٦٣

فى سبيل الحصول على الخبر

٦٨

طرق مشروعة للحصول على الخبر

٧٢

قضية التلغرافات

٧٤

تقويم الخبر

| صفحة | |
|------|--|
| ٨٤ | مذاهب نشر الخبر |
| ٩٥ | القوالب الفنية لصياغة الخبر |
| ٩٦ | قالب |
| ١٠١ | قالب القصة الإخبارية |
| ١٠٣ | الأسئلة الستة وطريقة استخدامها |
| ١٠٨ | طرق التجديد في صياغة صور الخبر |
| ١١٣ | صلب الخبر |
| ١١٩ | الحوادث الداخلية أو المحلية وكيف تصاغ في قصة إخبارية |
| ١٢٣ | طرق صياغة القصة الخبرية لحادث داخلي |
| ١٣٤ | الأخبار الخارجية |
| ١٣٩ | أنواع الأخبار الخارجية |
| ١٤٠ | مصادر الأخبار الخارجية |
| ١٥٢ | طبيعة اللغة التي يكتب بها الخبر |
| ١٥٧ | تحرير العنوان |
| ١٥٨ | من الذي يقوم بصياغة العنوان |
| ١٦١ | ما هو العنوان، وما أهم أشكاله في الصحف؟ |
| ١٦٣ | خصائص كتابة العنوان |
| ١٦٥ | كتابة العنوانات الفرعية |
| ١٦٧ | التعليق على الخبر |
| ١٧٥ | الطرائف المتصلة بالخبر |
| ١٨٠ | كيف تجمع الطرائف؟ |
| ١٨٣ | أنواع الطرائف |
| ١٨٤ | أسلوب كتابة الطرائف |
| ١٨٦ | من هم كتاب الطرائف؟ |

| | |
|-----|---|
| ١٨٧ | ما الفائدة التي تعود على القراء من الطرائف؟ |
| ١٩٢ | الخبر والمجتمع |
| ١٩٣ | رأى المؤيدين لنشر خبر الجريمة |
| ١٩٤ | رأى المعارضين في نشر خبر الجريمة |
| ٢٠١ | الأخبار من الزاوية الأخلاقية وزاوية المسؤولية الإعلامية |
| ٢١٣ | الذوق الصحفي والخبر |
| ٢١٤ | دعوى القذف في الصحف |

الكتاب الثالث

فن المقال

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٢٢٣ | فنون المقال |
| ٢٢٦ | تعريف المقال |
| ٢٣٤ | المقال القصصى |
| ٢٤٢ | مقال الاعترافات |
| ٢٥٢ | المقال السكاريكاتورى |
| ٢٦١ | مقال الخواطر والتأملات |
| ٢٦٩ | المقال العلمى |
| ٢٧٨ | الأذن السحرية |
| ٢٨٣ | المقال الصحفى |
| ٢٨٤ | فنون المقال الصحفى وطريقة صياغتها |
| ٢٨٦ | لغة المقال الصحفى |
| ٢٩٠ | المقال الافتتاحى |
| ٢٩٣ | خصائص المقال الافتتاحى |

صفحة

| | |
|-----|--|
| ٢٩٧ | الصفات التي ينبغي توافرها في كاتب المقال الافتتاحي |
| ٢٩٩ | أهمية المقال الافتتاحي في الصحافة |
| ٣٠٥ | العمود الصحفي |
| ٣٠٦ | تعريف العمود الصحفي وخصائصه |
| ٣١٠ | صياغة العمود الصحفي |
| ٣١٥ | مؤسسات العمود الصحفي في الوقت الحاضر |
| ٣١٩ | عمود الموضوعات الإنسانية : |
| ٣٢٣ | إلى البطل الشهيد عادل محمد غانم |
| ٣٢٦ | المأموت والناموس |
| ٣٢١ | عمود الرياضة والفنون |
| ٣٢٩ | صفحة الألعاب الرياضية |
| ٣٣٥ | صفحة الفن |
| ٣٤٠ | الحملة الصحفية |
| ٣٤٢ | الخطة في كتابة الحملة |
| ٣٤٦ | الحيل، الصحفية أو الصراع بين الصحيفة والرقيب |
| ٣٥١ | اختراع الشخصيات |

الكتاب الرابع

فن التقرير ، وبه الكلام عن فن تحرير المجلة

| | |
|-----|--|
| ٣٦٠ | المجلة |
| ٣٦٠ | هيئة تحرير المجلة وطبقة المحررين بالقطعة |
| ٣٦٢ | المصادر التي تستقى منها مواد المجلة |
| ٣٦٥ | الأرشيف الصحفي للمجلة |
| ٣٦٥ | ماهي قيمة الأرشيف العام للصحيفة ؟ |

| | |
|-----|---|
| ٣٦٦ | ما المقصود بالأرشيف الخاص وما قيمته ؟ |
| ٣٧٠ | المقال في المجلة |
| ٣٧١ | صفات كاتب المقال |
| ٣٧٤ | حقائق حول كتابة المقال في المجلة |
| ٣٧٥ | الواقعية في المقال |
| ٣٧٧ | النظام التقليدي لصياغة المقال |
| ٣٧٩ | القصة في المجلة |
| ٣٨٠ | فن القصة القصيرة |
| ٣٨٢ | عناصر القصة التصويرية |
| ٣٨٢ | عناصر الحوادث والأخبار |
| ٣٨٤ | عناصر الشخصيات |
| ٣٨٧ | عناصر الفكرة أو المعنى |
| ٣٨٨ | لحظة التنوير |
| ٣٨٨ | نسيج القصة |
| ٣٩٠ | الواقعية في القصة القصيرة |
| ٣٩٤ | وظيفة التقرير الصحفي وأهميته |
| ٣٩٩ | المقرر الكبير ومكاته في الصحافة الحديثة |
| ٤٠٤ | فن الحديث الصحفي وأنواعه |
| ٤٠٦ | أنواع الحديث الصحفي |
| ٤١٥ | مراحل إعداد الحديث الصحفي ونموذج له |
| ٤١٥ | أولاً - مرحلة الإعداد للحديث الصحفي |
| ٤١٧ | ثانياً - مرحلة قيادة الحديث |
| ٤١٩ | ثالثاً - مرحلة صياغة الحديث |
| ٤٢٣ | رابعاً - مرحلة النشر |

| | |
|-----|--|
| ٤٢٦ | نموذج للحديث |
| ٤٣٥ | التحقيق الصحفي وأنواعه وقوابله |
| ٤٣٩ | القوالب الفنية لكتابة التحقيق الصحفي |
| ٤٤٠ | الخطوات التي تتبع في كتابة التحقيق الصحفي |
| ٤٤٢ | خطوات الحصول على التحقيق الصحفي |
| ٤٤٤ | مصادر التحقيق الصحفي ونموذج له |
| ٤٤٥ | ماهي مصادر التحقيق الصحفي على وجه الإجمال |
| ٤٤٧ | نموذج من التحقيق الصحفي |
| ٤٥٣ | الماجريات وطريقة تحريرها |
| ٤٥٦ | أنواع الماجريات وطرق تحريرها |
| ٤٦٠ | الماجريات البرلمانية |
| ٤٦١ | الطريقة الحديثة في كتابة التقرير البرلماني |
| ٤٦٣ | نموذج من الماجريات البرلمانية |
| ٤٧٢ | الماجريات القضائية |
| ٤٨٧ | الماجريات الدبلوماسية |
| ٤٩٥ | الماجريات الدولية |
| ٥٠٧ | تحرير الصورة والإعلان |
| ٥١٤ | أسلوب تحرير الإعلان |

الخاتمة

مستقبل التحرير الصحفي

| | |
|-----|------------------------------|
| ٥٢٤ | مستقبل التحرير الصحفي في مصر |
| ٥٢٤ | المرحلة الأولى |
| ٥٢٥ | المرحلة الثانية |
| ٥٢٥ | المرحلة الثالثة |

| صفحة | |
|------|-------------------------------------|
| ٥٢٧ | المرحلة الرابعة |
| ٥٢٧ | المرحلة الخامسة |
| ٥٢٨ | نقطة التحول في الصحافة |
| ٥٣٢ | مستقبل الخبر في الصحافة |
| ٥٣٤ | المخترعات الحديثة وأثرها في الصحافة |
| ٥٣٦ | المحرر المثالي |
| ٥٤١ | الفهرس |